كتاب

هل أنت حي أم ميت ؟!

د. حسني البشبيشي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، أما بعد :

ـ هذا الكتاب هو بيان لكيفية تحقيق حب الله والخضوع له والخوف منه ورجاؤه والخوف من الآخرة ، ولكي تتحقق هذه المشاعر لابد أولا من معرفة الله والآخرة ، ولابد أن يكون القلب حي يقظ حتى يشعر بقيمة وخطورة هذه المعرفة ، وصاحب القلب الحي اليقظ هو إنسان حي لم يطبع على قلبه ، وغيره ميت القلب لأنه لا يشعر بقيمة ما يعرفه عن الله والآخرة .

ـ ويمكن توضيح الأمر بأن تتصور أن أحد الناس كان يجلس على مكتبه داخل أحد المباني الكبيرة يؤدي عمله في هدوء ، ثم فجأة دق جرس الإنذار ، لكنه لم ينزعج وبقي هادئا في مكانه جالسا على مكتبه ، رغم أنه كان يعلم أن جرس الإنذار يعني أن هناك حريق بالمبنى ويوقن بذلك تماما ، وأسرع الناس في المبنى يلوذون بالفرار وهم ينادون على هذا الرجل الجالس على مكتبه : احذر النار احذر النار ! ، ألا تعلم أن هناك حريق كبير بالمبنى ؟ ، فيقول لهم في برود أعلم ذلك ، وبقي في هدوءه منشغلا بأعماله ، وظل الناس ينادون عليه حتى نبح صوتهم من كثرة النداء ، لكن لا حياة لمن تنادي ، فكأنما ينادون رجلا لا عقل له أو ينادون أصما لا يسمع أو ينادون جماد من الجمادات أو ينادون رجلا ميتا ليس لديه أي إحساس أو عقل أو وعي ، إنه فعلا ميت وليس بحي ، وكما يقول الشاعر : لقد أسمعت إذ ناديت حيا ، ولكن لا حياة لمَنْ تنادي ، فمهما أنذرته فلن يستجيب إلا إذا كان حيا : ((لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكافِرِينَ))[1] ((إِنّكَ لَا تُسْمِعُ المَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُمّ الدُعَاءَ إِذَا وَلَوْا مُدْبِرِينَ))[2] ، ((إِنّمَا يَسْتَجِيبُ الّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[3] .

ـ إن هذا الكتاب يبين قضية الانزعاج التي ينبغي أن تحدث لهذا الرجل ، وهي أقرب إلى مفهوم (اليقظة) التي عرفها ابن القيم بأنها انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين[4] ، فهذا الرجل ليس لديه إحساس بقيمة ما يحدث حوله فهو كالميت .

ـ إن الرسل جاءت لتنذر الناس بوجود الآخرة والجنة والنار ، وهذا الإنذار أشد من الإنذار بوجود حريق أو خطر ما ، ورغم ذلك هناك من لا ينزعج للأمر ويدعي أنه يخاف الآخرة ، والخطر أن الله يعلم هل في داخل الإنسان انزعاج وخوف وتأثر بالأمر أم لا : ((وَاعْلَمُوا أَنّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ))[5] .

ـ المعرفة بوجود الغيبيات والرسل والقرآن هي أمور خطيرة لابد من الإحساس بخطورتها متمثلا ذلك في الانزعاج (الإحساس بالقيمة للأمر الخطير) .

ـ وهذا الانزعاج معناه أن الإنسان حيا .

ـ كما أنه إذا تحقق هذا الانزعاج تحقق اليقين الحقيقي بالغيبيات .

ـ واليقين الحقيقي بالغيبيات يؤدي إلى خمسة مشاعر هي خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع لله تعالى ، والمشكلة أن هذه الأمور الخمسة تحولت عند بعض المسلمين إلى عبارات محفوظة مقدسة وليست مشاعر حقيقية يحس بها الإنسان في داخله ، وبالتالي وقعوا في النفاق الأكبر رغم أنهم يدعون وجود هذه المشاعر الخمسة في أنفسهم ، وهي في الحقيقة

---

(1) يس : 70
(2) النمل : 80
(3) الأنعام : 36
(4) مدارج السالكين - (1 / 123)
(5) البقرة : 235

أصبحت مفرغة من معناها .

ـ فاليقين بالله إذا كان عند إنسان ميت (ليس عنده إحساس بالقيمة) فهو يقين نظري وليس يقينا حقيقيا ، وبتعبير آخر فاليقين بالله إذا لم يؤدي إلى هذه المشاعر الخمسة فهو يقين نظري وليس يقينا حقيقيا ، أما اليقين الحقيقي فهو الذي يؤدي إلى هذه المشاعر الخمسة ، لأن توحيد الربوبية وا لأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية ، ومن توحيد الألوهية هذه المشاعر الخمسة ، ولأنه بالفطرة من عرف الله خاف من مهابته وأحبه وخاف عقابه ورجا ثوابه وخضع له .

ـ وإذا وجدت هذه المشاعر الخمسة أدت تلقائيا إلى الطاعات وترك والمعاصي وجعلت الإنسان يعيش حياته كلها لله .

ـ فلا يتحقق الإيمان حتى تكون الآخرة حقيقة واقعة في ذهن المؤمن وبالتالي تؤثر على مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه لأنها الخطر المترقب والحياة المنتظرة ، ولا يتحقق الإيمان حتى يكون وجود من له القوة والهيمنة والسيطرة على الإنسان والكون واقع في شعور المؤمن وبالتالي يعيش في إطار أنه مقهور يعيش تحت سيطرة صاحب هذا الكون راضيا بأن عليه أن يعيش عيشة الذل و الخضوع والاستسلام للجبار المتكبر .

ـ المادة العلمية في هذا الكتاب مستقاة من نصوص القرآن والسنة الصحيحة المحققة ومن خلال كتب التفسير وأقوال العلماء خاصة شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم والسلف الصالح وأمهات كتب التراث ، وجميع ذلك محققا وفي شكل منهجي ذو عناصر محددة واضحة وفي إطار منهج أهل السنة والجماعة ، وأكثر النصوص مستقاة من موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت (مكتبة إسلامية تحتوى على أكثر من ثمانية آلاف كتاب) جزي الله خيرا القائمين عليها خير الجزاء .

والله المستعان وعليه التكلان

الفصل الأول
غياب الإحساس بالقيمة (موت القلب ـ الطبع

ـ الطبع على القلب أو موت القلب معناه غياب الإحساس بالقيمة :

ـ الدنيا عبارة عن حجرة هادئة تماما وساكنة ، وداخل هذه الحجرة يوجد رجل يلهو ويلعب وسط هذا الجو الهادئ ، وخارج الحجرة توجد نار هائلة تقترب وتوشك أن تشتعل بالحجرة ، والرسل جاءت تدق الباب بشدة وتنادي بصوت عالي : احذروا النار احذروا النار ! ، وتنادي على من في الحجرة أن ينظر إلى الشباك ليرى النار ، وتدله على ممر للنجاة وسط النار يؤدي إلى حدائق وقصور فيها الأمان و المتع والملذات (الجنة) ، فسمع الرجل النداء ورأى النار من الشباك ، ولكنه تجاهل الأمر وتغافل عنه كأنه لم يسمع النداء وكأنه لم يرى النار من الشباك وكأنه لم يفهم ما قالته الرسل ، واستمر في لعبه ولهوه وسط الجو الهادئ داخل الحجرة ، ولم تتأثر مشاعره ولم يتحرك للهرب ، فكأن هذا الرجل لا سمع له ولا بصر له ولا عقل له ولا مشاعر له وكأن جوارحه لا تعمل فكأنه ميت ، فرغم أن هذا الرجل يلعب ويلهو لكنه في الحقيقة ميت ! ، فمهما أخذت تنادي فيه : احذر النار ! فكأنما تكلم ميتا لا روح فيه : ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))[1] ، ((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[2] ، ((لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ))[3] ، وهو كالأنعام يأكل ويشرب ويتناسل وينام لكن البهائم لا تفقه خطاب البشر مهما ناديتها : ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))[4] ، فما زالت الرسل تدق الباب وتنادي وهو يستمع إليهم وهو يلعب مثلما يستمع إلى أمر تافه أو لا قيمة له : ((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (1) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ))[5] .

ـ ويمكن تشبيه ذلك بأن الرسول (ص) جاء إلى الناس ليحذرهم من أن هناك خطر عظيم سوف يجتاحهم ، هذا الخطر هو جيش جرار جاء ليقضي عليهم ، فكان طائفة منهم لم يتأثروا ولم ينتبهوا لخطورة الأمر ولم يشعروا بالخوف والرعب ، ومن أثر ذلك أنهم لم يتحركوا من مكانهم ولم يهربوا وكأن شيئا لم يكن وكأنهم لم يسمعوا وكأنهم كالحائط الذي لا يحس ، وبقوا مكانهم منشغلين بحياتهم وطعامهم وشرابهم ، فهؤلاء جاء الجيش إليهم فقضى عليهم ، وطائفة أخرى تحركت مشاعرهم وشعروا بالخوف ولاذوا بالفرار فنجو من الجيش ، وهذا المثل هو ما أوضحه الرسول (ص) ففي الحديث : ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق))[6] ، ومعنى " أنا النذير العريان " أصله أن الرجل كان إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدا منهم ليخبرهم بما دهمهم ، وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرا فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو وقيل معناه أنا النَّذِير الذي أَدْرَكَنِي جَيْشُ الْعَدُوِّ ، فَأَخَذَ

---

(1) النمل : 80
(2) الأنعام : 36
(3) يس : 70
(4) الأعراف : 179
(5) الأنبياء : 1 ـ 3
(6) متفق عليه (مشكاة المصابيح ج :1، برقم 148، وهو أيضا في صحيح الجامع برقم 5860)

ثِيَابِي ، فانفلت منهم ، فَأنَا أُنذِرُكُمْ عُرْيَانًا .

ـ وفي الحديث : ((وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول صبحكم مساكم))[1] ، وفي الحديث : ((لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار))[2] ، وفي حديث آخر : ((مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها))[3] .

ـ مفهوم الموت والحياة :

ـ يقصد بالموت أن وظائف الإنسان فقدت الإحساس بالقيمة ، فأصبح الإنسان يرى بغير إحساس بقيمة ما يراه ، ويسمع بغير إحساس بقيمة ما يسمعه ويتكلم بغير إحساس بقيمة ما يتكلم به ، ويعرف ويعلم ويفهم بغير إحساس بقيمة ما يعرفه أو يعلمه أو يفهمه ، ويؤمن ويوقن ويصدق ويقتنع بغير إحساس بقيمة ما يؤمن به وما يوقن به وما يصدق به وما يقتنع به ، ويحب ويكره بغير إحساس بقيمة ما يحبه وما يكرهه ، ويسعى ويعمل بغير إحساس بقيمة ما يسعى إليه ويعمله .

ـ وبالتالي أصبحت وظائف الإنسان معطلة عن العمل كأنها ميتة ، فإذا كان أمام الإنسان قطعة من الطين وقطعة من الذهب فكلاهما في شعوره سواء لأنه أصبح فاقد الإحساس بالقيمة ، فالدنيا قطعة من الطين والجنة قطعة من الذهب وكلاهما حقيقة واقعة لكنه لا يرى لقطعة الذهب قيمة ويغتر بزينة على قطعة الطين .

ـ يطلق على الموت الطبع على القلب وهو غياب الإحساس بالقيمة من وظائف الإنسان فأصبحت معطلة كأنها غير موجودة ، وفي تفسير البحر المحيط : (((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ) .. وقال مجاهد : يحول بين المرء وعقله فلا يدري ما يعمل عقوبة على عناده ففي التنزيل { إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب } أي عقل))[4] .

ـ مفهوم الإحساس بالقيمة :

ـ الإحساس بالقيمة معناه الإحساس بأهمية الشيء وخطورته أي الإحساس بقيمة النفع أو الضرر التي فيه أي الإحساس بقيمة اللذة أو الألم الذي فيه أي الإحساس بقدر السعادة أو الشقاء التي في الشيء والواقعة على الإنسان أي الإحساس بأنه عظيم وكبير في نفعه أو ضرره أو بأنه ليس ذو قيمة أو أهمية .

ـ فكما أن الإنسان عنده حاسة يعرف بها وزن الأشياء فيقول هذا خفيف وهذا ثقيل وهذا ثقيل جدا ، فكذلك عنده حاسة يستطيع بها تقييم الأشياء من حيث الأهمية والخطورة وما فيها من نفع أو ضرر ، وبقدر ما فيه من ضرر يكون قدر ما فيه من ألم ، وبقدر ما فيه من نفع يكون قدر ما فيه من لذة ، وبالتالي يستطيع تقييم مدى ما فيه من ألم أو لذة ، فيشعر بأن هذا مهم وهذا أهم وهذا غير مهم وهذا عظيم وهذا حقير وهكذا .

ـ والإحساس بالقيمة نوعين هما الإحساس بعظمة الشيء أو الإحساس بضآلة الشيء ، فإذا كان الشيء عظيم النفع أو عظيم الضرر أي يصدر عنه لذة كبيرة أو ألم كبير فيشعر الإنسان بعظمته سواء

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 188 ، برقم 1578)
(2) حديث صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 338 ، برقم 3185)
(3) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 5858) .
(4) البحر المحيط : (ج 6 / ص 68)

في نفعه أو ضرره ، وذلك مثل الإحساس بعظمة الله وعظمة الآخرة ، وإذا كان الشيء لا نفع فيه ولا ضرر أي لا يصدر عنه لذة كبيرة أو ألم كبير فيشعر الإنسان بضآلته ، وذلك مثل الإحساس بضآلة الدنيا .

ـ كل شيء له قدر ، فالله له قدر ، والآخرة لها قدر ، والدنيا لها قدر ، والإنسان له قدر ، فقدر الله عظيم ، وقدر الآخرة عظيم ، وقدر الدنيا ضئيل ، وقدر الإنسان ضئيل ، إذن غياب الإحساس بقدر الله هو غياب الإحساس بقدر عظمة الله وقدرته ، وغياب الإحساس بقدر عظمة الآخرة وخطورتها ، وغياب الإحساس بقدر ضآلة الدنيا وغياب الإحساس بقدر ضعف الإنسان .

ـ وغياب الإحساس بقيمة الشيء ليست عدم المعرفة بالقيمة ، فغياب الإحساس بالقيمة ليس مسألة معرفية علمية ولكن مسألة شعورية ، ولذلك فوجود الإحساس بالقيمة أو غيابه لا يعلمه إلا الله ، والإ نسان فقط يعرف على سبيل الاحتمال هل عنده غياب الإحساس بالقيمة أم لا ؟ .

ـ ومن أثر غياب الإحساس بالقيمة لحقيقة الدنيا أن تكون نظرة الإنسان للمال وأصحاب الثروات نظرة إنبهار وإعجاب وتعظيم وتقدير لعظيم قيمته ، وكذلك نظرته إلى حجم المتعة من شهوة النساء أو النظر إلى العورات ، وهكذا ، في حين نظرته إلى قدر الله مثل نظرته إلى أي شيء لا ينفع ولا يضر فلا يلفت ذلك نظره أصلا ولا يستشعر في ذلك أثر أو أهمية ، وكذلك نظرته إلى الآخرة تكون مثل نظرته إلى الحواديت وهكذا ، وكل هذا يختلف عن الاقتناع النظري واليقين النظري التام بعظمة الله وضآلة الدنيا وخطورة الآخرة .

ـ الإحساس بالقيمة للدنيا وللغيبيات معناه خوف المهابة :

ـ الدنيا لا قيمة لها ولكنها مزينة بغطاء خادع فتبدو في منتهى الأهمية وذات قيمة عظيمة جدا ، و الغيبيات عكس ذلك ، فهي أمور لا نراها وهي من أخطر ما يمكن ، فالإنسان الذي ليس لديه إحساس بقيمة وحقيقة الأشياء يكون مخدوعا جدا بالدنيا ولا يرى آخرة ذات قيمة ، فهذا الإنسان كالسكران أو الميت ، وهذا الإنسان إذا تفكر بحضور قلب اكتشف المفاجئة المذهلة حيث يتحقق عنده الإ حساس بالقيمة .

ـ والإحساس بالقيمة عنده هو خوف المهابة من اكتشاف المفاجئة المذهلة ، فيحدث ذلك عند اللحظة التي ينتقل فيها الإنسان الغائب عن الوعي إلى الوعي واليقظة فيفيق ، أو اللحظة التي ينتقل فيها الإ نسان النائم إلى اليقظة والصحو ، فإذا كان الإنسان غافلا عن أمر ما يتعامل معه كأنه معدوم القيمة ثم ينتبه فيكتشف مفاجأة مذهلة ينزعج لها قلبه فيكتشف أنه أمر غاية في الخطورة والأهمية ، أو العكس ، أي إذا كان غافلا عن أمر ما يتعامل معه كأنه ذو قيمة كبيرة ثم ينتبه فيكتشف مفاجئة مذهلة ينزعج لها قلبه فيكتشف أنه أمر تافه بسيط ، وفي الحالتين يكتشف أنه كان مغفلا مخدوعا في منتهى الغفلة ، فمثلا إذا لم يحدث للإنسان في حياته الدنيوية إحساس بالقيمة لخطورة الآخرة فإنه يوم القيامة يكتشف أنه كان مغفلا ويشعر بقيمة الآخرة ولكن بعد فوات الأوان : ((لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ))[1] ، فالناس في غفلة فإذا ماتوا انتبهوا .

ـ فالإحساس بالقيمة للدنيا وللغيبيات معناه أن الإنسان يكتشف أمور مذهلة ويكتشف أنه كان أعمى لا يرى شيئا وكان بلا عقل لما يرى من الحقائق المذهلة ، فقد كان نائما والجيش مقبل عليه ليقتله ثم أفاق والجيش يدهمه ، ففي الحديث : ((مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به

(1) قٓ : 22

من الحق))[1] .

ـ فالإحساس بالقيمة للدنيا وللغيبيات هو شعور بالتحير والانزعاج والدهشة والتعجب والاستغراب من روعة الانبهار والذهول والدهشة من مدى عظمة الخالق وصفاته الخارقة للأسباب ومن عجائب وغرائب الآخرة ووجود هذه الحياة التي هي فوق مستوى الخيال ومن مدى ضآلة الدنيا وضعف الإ نسان .

ـ والإحساس بالقيمة للدنيا وللغيبيات يقترب من مفهوم (اليقظة) التي عرفها ابن القيم بأنها انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين[2] ، فمثلا مجرد المعرفة النظرية بالآخرة لا يكفى ، ولكن عندما ينتبه إلى مدى خطورة الآخرة في أنها مصيره وحياته وأنه راحل إليها فيحدث له انزعاج ودهشة وعجب وغرابة من روعة ما عرف فكأنه أفاق ويكتشف أنه كان فاقد الوعى عن خطر الآخرة ، ويكتشف أنه كان في غفلة من هذا فيفيق من رقدة الغافلين ويستيقظ من نومه ، ولذلك ففي الحديث : ((ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها))[3] ، وهذا النائم يحتاج إلى اليقظة والإحساس بالقيمة لمدى خطورة الآخرة وألم النار ولذة الجنة وقدر الله ليفيق .

ـ وظائف الإنسان :

ـ وظائف الإنسان هي السمع والبصر والكلام والتعقل والمعرفة والعلم والفهم والدراية والوعي والإ دراك والفقه والتبصر والتذكر والفهم والتصور والتدبر والتفكير والتفكر واليقين والاقتناع والتصديق والإيمان .

ـ وهناك وظائف تتعلق بالمشاعر مثل الإحساس بالقيمة والحب والكره والخوف والرجاء والخضوع وا لاستكبار .

ـ وغياب وظيفة السمع معناه الصمم ، وغياب وظيفة النظر معناه العمى ، وغياب وظيفة الكلام معناه البكم ، وغياب وظيفة المعرفة والعلم معناه الغفلة والجهل ، وغياب وظيفة العقل والفقه معانه الغباء ، وغياب وظيفة التذكر معناه النسيان وغياب وظائف الحب والخوف والرجاء والخضوع معناه تبلد المشاعر .

ـ وعدم وجود وظائف الإنسان أو تعطيلها يطلق عليه الطبع على القلب .

ـ الطبع على القلب هو عدم وجود وظائف الإنسان أو تعطيلها :

ـ هناك تعبيرات في القرآن لموت هذه الوظائف أو تعطيلها مثل الطبع على القلب والقفل والأكنة و الزيغ والختم والوقر والغشاوة والضيق والأكنة والغطاء والغلاف والحجاب والران والغل والسد و القفل والصمم والبكم والعمى والصد والصرف والشد والضلال والإغفال وتقليب الأفئدة والوقر وقساوة القلب والران والصرف وضيق الصدر وغمرة القلب وإغفال القلب عن ذكر الرب والحيلولة بين المرء وقلبه وإنساء العبد نفسه وتقليب الأفئدة والأبصار ومرض القلب وموت القلب وإنكار القلب والحمية وإغفال القلب عن ذكر الرب وإنساء العبد نفسه وترك إرادة الله تطهير القلب وزيادة القلوب مرضا على مرضها.

ـ العلاقة بين الإحساس بالقيمة ووظائف الإنسان :

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 5860 في صحيح الجامع . |
(2) مدارج السالكين - (1 / 123)
(3) حديث حسن (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3662)

ـ الإحساس بالقيمة هي أهم وظيفة من وظائف الإنسان لأنها إذا تعطلت عن العمل تعطلت جميع وظائف الإنسان لأنها تعتمد عليها .

ـ إذا تعطلت وظيفة الإحساس بالقيمة أصبح الإنسان يسمع بغير إحساس بقيمة ما يسمعه ، ويرى بغير إحساس بقيمة ما يراه ، ويتكلم بغير إحساس بقيمة ما يتكلم به ، ويعرف بغير إحساس بقيمة ما يعرفه ، ويعلم بغير إحساس بقيمة ما يعلمه ، ويفهم بغير إحساس بقيمة ما يفهمه ، ويصدق بغير إحساس يقيمة ما يصدق به ، ويؤمن بغير إحساس بقيمة ما يؤمن به ، ويحب بغير إحساس بقيمة ما يحبه ، ويكره بغير إحساس بقيمة ما يكرهه ، ويخاف يغير إحساس بقيمة ما يخافه ، ويخضع بغير إحساس بقيمة ما يخضع له ، ويستكبر بغير إحساس بقيمة ما يستكبر عليه .

ـ لذلك إذا غاب الإحساس بالقيمة فإنه يقال على وظائف الإنسان أنها غير موجودة أو موجودة ولكن تعطلت كالتالي :

1ـ يقال على وظائف الإنسان أنها ماتت أو غير موجود أو أن الإنسان مات أو لا روح فيه أو لا حياة فيه ويقال على الإنسان أنه لا سمع له ولا بصر له فهو أبكم أصم أعمى ولا قلب له ولا عقل له ولا يعقل ولا يفهم ولا يعلم ولا يبصر ولا يرى ولا يفقه ولا يعرف ولا يتبصر ولا يتذكر ويوصف بالجهل و الغباء والنسيان وبأنه لا يعرف الحب ولا الكره ولا الخوف ولا الرجاء والخضوع .

2ـ يقال على وظائف الإنسان أنها موجودة ولكن معطلة فيقال على الإنسان أنه له عقل ولكن لا يفقه وله عين ولكن لا يرى وله أذن ولكن لا يسمع وله قلب ولكن لا يفقه به وله مشاعر ولكن لا يحس بها فـ لا يعرف ماذا يحب أو يكره أو يخاف أو يخضع فقد يحب أمرا تافها ليس فيه نفع له أو يخضع له .

ـ وهناك تعبيرات في القرآن لعدم وجود هذه الوظائف مثل :

ـ ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ))[1] ، ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ))[2] ، ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ))[3] .

ـ جاء في تفسير فتح القدير : (({ إنما يتذكر أولو الألباب } أي إنما يتعظ ويتدبر ويتفكر أصحاب العقول وهم المؤمنون لا الكفار فإنهم وإن زعموا أن لهم عقولا فهي كالعدم))[4] .

ـ وهناك تعبيرات في القرآن تبين وجود هذه الوظائف لكنها معطلة :

ـ ((وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ))[5] .

ـ ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ))[6] .

ـ ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا))[7] .

ـ وفي تفسير الطبري : ((" ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يَسمع إلا دعاء ونداءً " قال : مَثلُ البعير أو مثل الحمار، تدعوه فيسمع الصوت ولا يفقه ما تقول))[8] .

---

(1) البقرة : من الآية 171
(2) الملك : 10
(3) الأنفال : 22
(4) تفسير فتح القدير : [جزء 4 - صفحة 644]
(5) الأحقاف : 26
(6) يونس : 42 ، 43
(7) الأعراف : 179
(8) تفسير الطبري - (ج 3 / ص 308)

ـ أثر غياب الإحساس بالقيمة على تعطيل وظائف الإنسان :

ـ غياب الإحساس بالقيمة يؤدي إلى تعطيل وظائف الإنسان كالتالي :

1ـ تعطيل الجانب المعرفي :

ـ وهو تعطيل وظائف المعرفة والعلم والفهم واليقين والتصديق والإيمان ، فتكون هذه الأمور نظرية فقط ويحدث الغفلة والجهل والنسيان والشك والتكذيب .

ـ ولأن المسئول عن الجانب المعرفي هو العقل والعين والأذن فيحدث تعطيل لهذه الأعضاء .

ـ القلب له وظائف كثيرة من بينها وظائف العقل ، فإذا تعطل القلب تعطلت وظائف العقل : ((لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا))[1] ، وفي تفسير اللباب في علوم الكتاب : (({ لِمَن كانَ لَهُ قَلْبٌ } قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : أي عَقل))[2] .

ـ والفصول من الأول وحتى الخامس هي بيان لتعطيل الجانب المعرفي .

2ـ تعطيل المشاعر :

ـ يحدث تعطيل لوظائف الحب والخوف والرجاء والخضوع والتوكل ... الخ ، فيحب شيئا ليس فيه ما يدعو للحب ، ويخاف من شيء غير مخيف ، ويرجو شيئا لا يفيده ولا يضره ويخضع لشيء ليس له سلطان عليه وهكذا ، في حين لا يحب من يتصف بالجمال والصفات الجميلة ، ولا يخضع لمن له القوة والغلبة عليه ، ولا يخَاف مِن مَن يقهره ويستطيع أن يفنيه في لحظة ، ولا يرجو ما يفيده وينفعه ، وهكذا .

ـ والفصل الخامس هو بيان لذلك .

3ـ تعطيل الأخلاق والعمل :

ـ الإنسان بفطرته عنده الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والوفاء والنجدة والشجاعة ... الخ ، فهذه الوظائف تتعطل ، وأعمال الجوارح تتعطل فيكون كالذي يتخبط لأنه يعمل أعملا لا تحقق له السعادة ولا تفيده وقد تضره .

ـ والفصل السابع هو بيان لذلك .

ـ الإحساس بالقيمة هو الروح :

ـ ففي تفسير الوجيز : (({ لينذر من كان حيا } عاقلا ، فلا يغفل ما يخاطب به لأن الكافر كالميت))[3] ، وفي أيسر التفاسير : ((ينذر من كان حياً : أي يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون))[4] .

ـ وفي تفسير أضواء البيان : ((قوله تعالى : {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} قال جمهور علماء التفسير: المراد بالموتى في هذه الآية: الكفار، وتدل لذلك آيات من كتاب الله، كقوله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ} الآية [6/122]، وقوله: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلا الْأَمْوَاتُ} [35/22] ، وقوله: {وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [35/22] ، إلى غير ذلك من الآيات))[5] .

ـ ويقول تعالى : ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))[6] ، ((وَمَا يَسْتَوِي

---

(1) الأعراف : 179
(2) اللباب في علوم الكتاب (ج 14 / ص 363)
(3) الوجيز للواحدي - (1 / 903)
(4) أيسر التفاسير للجزائري - (4 / 390)
(5) أضواء البيان - (1 / 477)
(6) النمل : 80

الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ))[1] فقد شبه الله الكفار بـ الموتى لأن عقولهم (قلوبهم) ميتة لأنه ليس فيها وظيفة الإحساس بالقيمة .

ـ فالإحساس بالقيمة يجعل المعرفة بـالله معرفة حقيقية فيحيا الإنسان ، ففي تفسير روح المعاني : ((يا أيها الذين آمنوا إستجيبوا لله وللرسول بالتصفية **إذا دعاكم لما يحييكم وهو العلم بـالله تعالى**))[2] ، ((أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[3] .

ـ خطورة غياب الإحساس بالقيمة :

ـ عدم وجود الإحساس بالقيمة يجعل الإنسان لا يعرف أي شيء ولا يعلم أي شيء ولا يوقن بأي شيء ولا يؤمن بأي شيء فهو غافل عن كل شيء وجاهل بكل شيء وهو أعمى القلب عن كل شيء ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ العلاقة بين الإحساس بالقيمة والمعرفة والعلم والفهم :

ـ الذي يعرف الشيء ويعلمه ويفهمه من غير أن يشعر بقيمته ومدى ما فيه من ألم ولذة هو في الحقيقة لا يعرفه ولا يعلمه ولا يفهمه .

ـ فمعرفة الشيء بغير الإحساس بقيمته هي معرفة نظرية فقط ، أما المعرفة الحقيقية هي معرفة الشيء مع الإحساس بقيمته ، وكذلك العلم والفهم .

ـ فالمعرفة النظرية هي معرفة بغير إحساس بالقيمة ، والمعرفة الحقيقية هي معرفة مع وجود الإحساس بالقيمة ، والعلم النظري هو علم بغير إحساس بالقيمة ، والعلم الحقيقي هو علم مع وجود الإحساس بالقيمة ، والفهم النظري هو فهم بغير الإحساس بالقيمة ، والفهم الحقيقي هو فهم مع وجود الإحساس بالقيمة .

ـ فالمعنى الذي يهم من معرفة أي شيء هو معرفة مدى أهميته أو مدى قدره وقيمته أو مدى ما ينشأ عنه من نفع أو ضرر والشعور بتلك القيمة ، فالذي يهم من معنى (رب) أي الشعور بأنه ذو قدر كبير أكبر من قدر الناس والأشياء ونوضح ذلك كالتالي :

ـ كل إنسان له قدر وقيمة فمثلا المدير في العمل له قدر أكبر من الزميل في العمل من حيث شعورك بـ الهيبة والتعظيم له ، ووكيل الوزارة له قدر أكبر وهيبة أكبر ، ورئيس الوزارة له هيبة أكبر ، ورئيس الدولة له قدر أكبر ، وأنت تشعر عنده بالهيبة لمكانته ، وتشعر بالخوف منه لأن له قدرة على أن يؤذيك ، وتريد أن يرضى عنك لأن له قدرة على أن يعطيك فترجوا ما عنده ، فتحدث هذه المشاعر من الهيبة والخوف والرجاء خاصة إذا كنت عند ذلك الشخص وهو أمامك وينظر إليك ، أنت في هذه الدنيا عند الله تقف على أرضه وتحت سماءه في ملكه وهو أمامك ينظر إليك ، وهو يرأس كل هؤلاء الوزراء والملوك وذوي السلطات والسلطان ، وهم جميعا تحت أمره وسلطانه ، فهل تشعر بنفس هذا الشعور من الهيبة والخوف والرجاء مع هؤلاء ، أي هل تجد نفس هذه الحالة النفسية التي تشعر بها مع هؤلاء ؟ .

ـ وكذلك الأشياء لها قيمة ، فالألف جنيه له قيمة ، والمليون له قيمة أكبر ، وكذلك السيارات والشركات والمصانع والفيلات ...الخ ، كل شيء له قيمة ، وبالتالي له قدر من الحب والرجاء في الحصول عليه والخوف من ضياعه ، وكل هذه الأشياء هي جزء ضئيل من ممتلكات الله ، فـالله له قدر أكبر من

---

(1) فاطر : 22
(2) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ محمود الألوسي أبو الفضل ـ دار إحياء الثراث ـ بيروت (ج : 9 ، ص : 208)
(3) الأنعام : 122

قيمة وقدر كل هذه الأموال والأشياء لأنه مالكها ، فأنت ما أخذته من شيء لم تأخذه إلا عندما أذن لك صاحبه ، فلا تستطيع أن تتنفس نفسا إلا إذا أذن لك الله بذلك ، فإذا كانت هذه الأشياء لها قيمة وقدر من الحب والخوف والرجاء فهل تشعر بالحب والخوف والرجاء من صاحبها .

ـ الجهل والغفلة والغباء والنسيان له صورتين هما :

1ـ غياب المعرفة النظرية والعلم النظري والفهم النظري .

2ـ غياب المعرفة الحقيقية والعلم الحقيقي والفهم الحقيقي مع وجود المعرفة النظرية والعلم النظري والفهم النظري .

ـ إذن فكلمة الجهل بالله والآخرة أو الغفلة عن الله والآخرة أو نسيان الله والآخرة يقصد بها غياب المعرفة الحقيقية وغياب العلم الحقيقي وغياب الفهم الحقيقي مع وجود المعرفة النظرية والعلم النظري والفهم النظري .

ـ فالغافل عن الغيبيات يعيش كأنه ليس له رب وكأنه لا توجد آخرة ولا ملائكة ولا حساب ، وذلك رغم وجود اليقين النظري التام بالغيبيات ، وحقيقة اليقين عنده هو أنه لا يؤمن بالغيبيات .

ـ والغافل عن حقيقة الدنيا يعيش كأنه لن يموت ، ويظل مخدوعا بزينتها متلهيا بها حتى يموت ، وذلك رغم وجود اليقين النظري التام بالموت وبضآلة الدنيا ، وحقيقة اليقين عنده هو أن الحياة إنما هي في الدنيا وأنه لن يموت فهو يعبد الدنيا .

ـ مفهوم الجهل بالله والآخرة أو الغفلة عن الله والآخرة أو نسيان الله والآخرة :

ـ المعرفة النظرية معناها إفراغ الكلمة من محتواها ، فتصبح عديمة القيمة ، فمثلا المعرفة النظرية بوجود الله وقدره وعظمته موجودة عند جميع الناس ، لكن المعرفة الحقيقية بوجود الله وقدره وعظمته غير موجود عند البعض لعدم وجود الإحساس بقدر الله وعظمته .

ـ فالغافل عن الله أو الجاهل بالله أو الذي ينسى الله يعيش كأنه يجهل وجود الله وعظمته كأنه لم يسمع عن كلمة (الله) ، حيث حدث إفراغ لكلمة (الله) من محتواها الحقيقي فتصبح كأنها عديمة ا لأهمية وعديمة التأثير ، فالكلمة التي لا يشعر الإنسان بما فيها من نفع أو ضرر أو أهمية تصبح كأنها كلمة لا تنفع ولا تضر ، والإنسان لا يشعر ولا يتأثر بما لا ينفع ولا يضر وليس ذو قيمة أو أهمية .

ـ وكذلك المعرفة النظرية بوجود الآخرة وخطورتها موجودة عند جميع الناس ، والغافل عن الآخرة أو الجاهل بالآخرة أو الذي ينسى الآخرة يعيش كأنه يجهل وجود الآخرة وخطورة ما فيها من نفع أو ضرر كأنه لا يعرف شيئا اسمه (الآخرة) حيث حدث إفراغ لكلمة (الآخرة) من محتواها الحقيقي فتصبح كأنها عديمة الأهمية وعديمة التأثير ، فالكلمة التي لا يشعر الإنسان بما فيها من نفع أو ضرر أو أهمية تصبح كأنها كلمة لا تنفع ولا تضر ، والإنسان لا يشعر ولا يتأثر بما لا ينفع ولا يضر وليس ذو قيمة أو أهمية .

ـ فالغافل عن الآخرة يتعامل مع كلمة (الآخرة) كأنها تتحدث عن بشر غير موجودون على الأرض وأن هؤلاء البشر سوف يذهبون لعالم آخر غير الأرض ، إذن فالقضية لا تخصه هو ولا تعنيه ولا تضره ولا تنفعه فلا يشعر بقيمتها ، ولا مانع من أن يوافق عليها فلا يهتم بالتدقيق في حدوثها من عدمه لأ نها لا تخصه ، وعندئذ تكون موافقة نظرية وليست حقيقية .

ـ الفرق بين اليقين النظرى واليقين الحقيقى :

ـ اليقين النظري هو يقين مبني على معرفة نظرية ، واليقين الحقيقي هو يقين مبني على معرفة حقيقية .

ـ فاليقين النظري معناه أنه يوافق على الأمر من حيث الأدلة فهو صحيح نظريا .

ـ لتوضيح اليقين النظري يمكن أن نتصور أن الرسل جاءت للناس تقول لهم : (يجب على الإنسان أن يخضع لله) ، فكان الناس صنفين هما :

1ـ منهم من وافق وخضع : فهو وافق عليها من الناحية النظرية (يقين نظري) وأحس بخطورة ما تعنيه من الخضوع فوافق عليها (يقين حقيقي) فخضع .

2ـ ومنهم من وافق على هذه العبارة من حيث أنها عبارة صحيحة فهو ليس لديه دليل يثبت أنها ليست صحيحة ، ولكنه استكبر عن الخضوع ، فهذا الإنسان عنده يقين نظري بأنه يجب على أي إنسان أن يخضع ، فهو يوافق على هذه العبارة من حيث المبدأ ومن الناحية النظرية على أنها نظرية صحيحة ، ولكن ليس لديه يقين حقيقي بذلك حيث أنه لا يقبل الخضوع ، فهو يتعامل مع هذه العبارة كأنها تخاطب بشرا آخرين في كوكب آخر ليسوا على الأرض فلا يخصه الأمر ، كأن الكلام ليس موجها له ، أو كأن هذا الكلام باللغة الإنجليزية وهو لا يعرف غير العربية فبالنسبة له كأنه طلا سم ، فهو اكتفى باليقين النظري فقط .

ـ كما أن التصديق الحقيقي لابد أن يؤدي إلى الخضوع والإذعان ، لذلك فالتصديق الحقيقي هو التصديق المستلزم لقبول الخضوع والإذعان ، أما التصديق بغير خضوع وإذعان فهو تصديق نظري لا قيمة له ، فيقول ابن عثيمين : ((الإيمان هو : " الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان " أما مجرد أن يؤمن الإنسان بالشيء بدون أن يكون لديه قبول وإذعان ، فهذا ليس بإيمان ، بدليل أن المشركين مؤمنون بوجود الله ومؤمنون بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، المدبر للأمور ، وكذلك أيضًا فإن الواحد منهم قد يقر برسالة النبي ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ، ولا يكون مؤمنًا ، فهذا أبو طالب عم النبي ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ، كان يقرُ بأن النبي ، صَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ ، صادق وأن دينه حق يقول : لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطيل))[1] .

ـ فاليقين النظري معناه أن الإنسان يكون مثل جهاز الكمبيوتر تعطي له معلومات ومعطيات فيعطي لك نتيجة سواء كانت النتيجة مكسب أو خسارة فهو لا يشعر بخطورة النتيجة فليس لديه إحساس بـ القيمة وليس عنده فرق بين أن تكون حجم النتيجة كبير جدا أو صغير ، وليس لديه فرق بين رقم مليون ورقم واحد فكلاهما بالنسبة له مجرد أرقام ، فليس لديه مشاعر ليفرح بالمكسب أو يحزن بـ الخسارة ، فلا يوجد أي تفاعل سواء سلبا أو إيجابا ، فالكمبيوتر يعطي نتيجة بأن هناك آخرة وغيبيات وأن ذلك حق فقط ، كذلك الإنسان له عقل مثل الكمبيوتر والرسل تأتي له بالدلائل و البراهين فيعطي نتيجة بأنه موقن تماما بالغيبيات والآخرة ، فهذا يقين نظري فقط .

ـ فاليقين موجود عند الكافر والمؤمن ، ولكن اليقين عند الكافر هو يقين مع غياب الإحساس بالقيمة فهو يقين نظري وليس بيقين حقيقي ، أما المؤمن فعنده يقين مع إحساس بالقيمة .

ـ فلا يتحقق اليقين الحقيقي بالآخرة حتى تكون الآخرة حقيقة واقعة في ذهن المؤمن وبالتالي تؤثر على مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه لأنها الخطر المترقب والحياة المنتظرة ، ولا يتحقق اليقين الحقيقي بوجود الله حتى يكون وجود من له القوة والهيمنة والسيطرة على الإنسان والكون حقيقة واقعة في ذهن المؤمن وبالتالي يعيش في إطار أنه مستعبد يعيش تحت سيطرة صاحب هذا الكون راضيا بأن عليه أن يعيش عيشة الذل والخضوع والاستسلام للجبار المتكبر .

ـ إن الكافر والمنافق عنده يقين نظري بصدق الرسول (ص) ، ورغم ذلك ففي القبر لا يدرون من ربهم كأنه لا يعرف ماذا يعني (الله) لأن هذا كان حقيقة حاله في الدنيا ، ومما يدل على غفلته وعدم تأثر

---

(1) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين - (3 / 146)

مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه هو قوله في القبر : (لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته) ، ففي الحديث : ((ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار ولقد أوحي إلى أنكم تفتنون في قبوركم مثل ـ أو قريبا من ـ فتنة المسيح الدجال يؤتى أحدكم فيقال له ما علمك بهذا الرجل فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وآمنا واتبعنا هو محمد ثلاثا فيقال له نم صالحا قد علمنا إن كنت لموقنا به وأما المنافق أو المرتاب فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته))[1] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : ((وقوله : { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } : النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات : ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم ؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره : مَنْ ربك ؟ ومَنْ نبيك ؟ وما دينك ؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمدًا عبد الله ورسوله ، وأما الكافر فيقول : هاه .. هاه لا أدري ؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت ؛ لأن مَنْ كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى : { فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ }))[2] .

ـ فاليقين النظري بشيء بغير إحساس بخطورته هو يقين هزلي غير حقيقي وجاد وفعلي يصدر من إنسان يلعب ويلهو كالأطفال ولذلك يقول تعالى : ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ))[3] ، ((ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ))[4] .

ـ أي معلومة لابد فيها من جانب معرفي وجانب شعوري ، الموافقة على الجانب المعرفي تتم باليقين النظري ، والموافقة على الجانب الشعوري تتم بالإحساس بالقيمة (فيصبح يقينا حقيقيا) ، فالإنسان يكون موافقا على المعلومة موافقة حقيقية إذا وافق عليها من الجانبين ، أما إذا وافق على المعلومة من الجانب المعرفي فقط فهو في الحقيقة غير موافق على هذه المعلومة ، وهذا اليقين عندئذ يقينا نظريا فقط .

ـ الأدلة على أن اليقين بربوبية الله عند الكفار والمنافقين هو يقين نظرى وليس حقيقى :

ـ جاء في تفسير أبي السعود : ((وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون .. أي فهلا تصدقون بـ الخلق فإن **مالا يحققه العلم ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق فى شىء** وقيل بـ البعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتما **والأول هو الوجه** كما ستحيط به خبرا))[5] ، وفي تفسير الكشاف : (({ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ } تحضيض على التصديق : إما بالخلق لأ نهم وإن كانوا مصدّقين به ، إلا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق ، **فكأنهم مكذبون به** . وإما بالبعث؛ لأنّ من خلق أولاً لم يمتنع عليه أن يخلق ثانياً))[6] .

ـ وفي تفسير أبي السعود : (((أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته))[7] ، وفي تفسير البحر المحيط : (({ بَل لا يُوقِنُونَ } : أي إذا سئلوا : من خلقكم وخلق السموات والأرض ؟ قالوا : الله ، وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون))[8] وفي تفسير البيضاوى : (((بل لا يوقنون) إذا

---

(1) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع برقم 5722)
(2) تفسير ابن كثير - (ج 6 / ص 250)
(3) الطارق : 13 ، 14
(4) الجاثـية : 35
(5) تفسير أبي السعود - (ج 8 / ص 196)
(6) تفسير الكشاف - (ج 6 / ص 483)
(7) تفسيرأبيالسعود - (8 / 151)
(8) تفسيرالبحرالمحيط موافق للمطبوع (ادارالفكر) - (8 / 115)

سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والأرض قالوا الله إذ لو أيقنوا ذلك لما أعرضوا عن عبادته))[1] ، وفي تفسير روح المعاني : ((أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض قالوا : الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل أمره وانقاد له))[2] ، وفي تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان : (((بل لا يوقنون) وذلك أنه حكي عنهم (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) [لقمان : 25] فتبين أنهم في هذا الاعتراف شاكون إذ لو عرفوه حق معرفته لم يثبتوا له نداً ولم يحسدوا من اختاره للرسالة))[3] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : ((قالت الرسل : { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } وهذا يحتمل شيئين ، أحدهما : أفي وجوده شك ، فإن الفطر شاهدة بوجوده، ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ، فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ؛ ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه { فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ } الذي خلقها وابتدعها على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليها، فلا بد لها من صانع ، وهو الله لا إله إلا هو ، خالق كل شيء وإلهه ومليكه))[4] ، وفي تفسير حقي : (({ أفى الله شك } أى أفى شأنه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب الإيمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر حتى تكونوا من قبله في شك مريب))[5] ، وفي تفسير البحر المديد : ((فإجابهم الرسل عن دعواهم الشك في الربوبية ، { قالت رُسُلهم أفي الله شكٌ } : أفي وجوده شك ، أو في ألوهيته ، أو في وحدانيته شك؟))[6] ، وفي تفسير الوسيط لسيد طنطاوي : ((والاستفهام في قوله { أَفِي اللَّهِ شَكٌّ } للتوبيخ والإ ِنكار ، ومحل الإنكار هو وقوع الشك في وجود الله - تعالى - وفى وحدانيته))[7] ، وفي تفسير القطان : (({ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي الله شَكٌ فَاطِرِ السماوات والأرض } ، قالت لهم رسُلهم : أفي وجودِ الله شك! إنه خالقُ السماوات والأرض على غير مثال))[8] ، وفي تفسير أيسر التفاسير للجزائري : (({ أفي الله شك } : أي لا شك في وجود الله ولا في توحيده))[9] ، وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى : ((أفى الله شك المعنى أفي وجود الله شك أو أفي إلهيته شك وقيل في وحدانيته))[10] .

ـ وفي أيسر التفاسير : ((بل هم في شك يلعبون :أي فليسوا بموقنين بل هم في شك من ربوبية الله تعالى لخلقه وإلا لعبدوه وأطاعوه))[11] ، وفي تفسير البحر المديد : (({ ربُّكم وربُّ آبائكم الأولين } أي : هو رب الجميع ، ثم ردّ أن يكونوا موقنين بقوله : {بل هم في شك يلعبون} وإقرارهم غير صادر عن علم وإيقان ، بل قول مخلوط بهزؤ ولعب))[12] ، وفي تفسير التحرير والتنوير : (({ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ } { بل } للإضراب الإبطالي رد به أن يكونوا موقنين ومقرين بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما فإن إقرارهم غير صادر عن علم ويقين ثابت بل هو كالعدم لأنهم خلطوه بالشك واللعب فارتفعت عنه خاصية اليقين والإقرار التي هي الجري على موجب العلم، فإن العلم إذا لم يجر صاحبه على العمل به وتجديد ملاحظته تطرق إليه الذهول ثم النسيان فضعف حتى صار شكا لانحجاب الأ

(1) تفسيرالبيضاوى موافق للمطبوع (5 / 249)
(2) روح المعاني - (27 / 38)
(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان - (6 / 195)
(4) تفسير ابن كثير - (ج 4 / ص 482)
(5) تفسير حقي - (ج 6 / ص 308)
(6) تفسير البحر المديد - (ج 3 / ص 188)
(7) تفسير الوسيط لسيد طنطاوي - (ج 1 / ص 2413)
(8) تفسير القطان - (ج 2 / ص 285)
(9) تفسير أيسر التفاسير للجزائري - (ج 2 / ص 259)
(10) تفسير التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى - (ج 2 / ص 49)
(11) أيسر التفاسير للجزائري - (5 / 6)
(12) البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (7 / 62)

أدلة التي يرسخ بها في النفس، أي هم شاكون في وحدانية الله تعالى))[1] ، وفي صفوة التفاسير : (([بل هم في شك يلعبون] أي ليسوا موقنين فيما يظهرونه من الإيمان ، في قولهم : الله خ القنا))[2] .

ـ اليقين الحقيقي بربوبية الله هو الذي يؤدي إلى عبادته سبحانه (والعبادة هي خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع والعمل لله) : ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ))[3] ، ((رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ))[4] ، ((وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ))[5] .

ـ فاليقين بالله والآخرة إذا لم يؤدي إلى خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوع فهو يقين نظري وليس يقينا حقيقيا ، أما اليقين الحقيقي فهو الذي يؤدي إلى هذه المشاعر الخمسة لأن توحيد الربوبية والأسماء والصفات يستلزم توحيد الألوهية ، ومن توحيد الألوهية هذه المشاعر الخمسة ، ولأنه بالفطرة من عرف الله أحبه وخافه وخضع له ورجاه .

ـ وفي الحديث : : ((ذَاقَ طَعْمَ الإيمان مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإسلام دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً))[6] ، فـ الحديث يطالبنا بالرضا بالله ربا وليس اليقين النظري به ربا ، والرضا هو شعور من المشاعر وليس مسألة معرفية علمية ، والحديث يبين أن الإيمان له طعم وحلاوة وبالتالي هو شيء تشعر به وليس شيء تقتنع به فقط ، فالإيمان بالله ربا هو شيء تشعر به وتذوق طعمه وليس مجرد الاقتناع النظري بالله ربا يكون إيمانا حقيقيا .

ـ ولذلك يقول المستشار الدكتور على جريشة : ((إن الفصل بين المعنيين " توحيد الربوبية " و" توحيد الألوهية " لا محل له إلا ليكون للبيان والتوضيح .... ونود أن نؤكد أن منهج القرآن في عدم الفصل بين أنواع التوحيد ـ كما ذهب إليها العلماء ـ هو المنهج الأقوم .. وهو الذي يتفق مع أسماء الله وصفاته))[7] .

ـ ولاحظ أن وجود الله وربوبيته وألوهيته وطاعته كل ذلك شيء واحد لا يتجزأ ، فمن آمن إيمانا حقيقيا بوجود الله وهو يعقل ماذا يعني أن له إله من ضعف نفسه وقدرة الله عليه ، وبالتالي يشعر بـ الخضوع لله وحبه له ، وبالتالي يطيعه ، وبذلك يتحقق الإيمان بوجود الله وربوبيته وألوهيته وطاعته معا في وقت واحد ، أما اليقين النظري بوجود الله وربوبيته فهو موجود عند الكفار وجميع الناس وهو يقين بلا وعي ولا عقل ولا إدراك حقيقي لما يوقن به ولا يؤدي إلى ألوهية الله وطاعته .

ـ الأدلة على الفرق بين التصديق النظرى والتصديق الحقيقى :

ـ كفار قريش كان عندهم تصديق بالقلب مع تكذيب باللسان ، فكانوا في أنفسهم يوقنون ويصدقون بأن ما جاء به الرسول (ص) حق ، وبالتالي يوقنون ويصدقون بأن البعث حق وبأن الآخرة حق وبأن النار حق وبأن الجنة حق ، ولكن بألسنتهم يقولون بأن الرسول (ص) كذاب ويقولون بأنه لا بعث ولا آخرة ولا جنة ولا نار ، وذلك بدليل الآية : ((فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ))[8] ، ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ))[9] ، وهم لا يكذبون الرسول (ص) في أن الله هو خالقهم ورازقهم وربهم ، لأنهم كانوا يصدقون بذلك بقلوبهم ويقولون به بألسنتهم : ((وَلَئِنْ

(1) التحرير والتنوير - (25 / 314)
(2) صفوة التفاسير ـ للصابونى - (3 / 198)
(3) الزخرف : 64
(4) مريم : من الآية 65
(5) الأنبياء : من الآية 92
(6) رواه مسلم (160)
(7) رسالة في العقيدة ـ للدكتور على جريشة صفحة : 47 ـ 49 (دار البشير ـ طنطا) .
(8) الأنعام : من الآية 33
(9) النمل : من الآية 14

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ))[1] ، ولكن كانوا يكذبون بما جاء به الرسول (ص) بألسنتهم في أمر البعث والآخرة ، ويصدقون بما جاء به الرسول في قلوبهم في أمر البعث والآخرة ، وما كانوا يقولونه بألسنتهم من إنكار البعث كانوا يعلمون في قرارة أنفسهم أنهم يجادلون بغير علم .

ـ تبين الآيات أن سبب دخول الكفار النار أنهم لم يكونوا موقنين بالله والآخرة في الدنيا كما في الآية : ((وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ))[2] .

ـ إذن الآيات أثبتت نوعين من اليقين بالله والآخرة كالتالي :

1ـ اليقين بالله والآخرة الذي يدخل به الإنسان الجنة ، وأثبتت أنه غير موجود عن الكافرين فمنعهم من دخول الجنة ، وهذا هو اليقين الحقيقي .

2ـ اليقين بالله والآخرة الموجود عند جميع الناس بالضرورة ممن بلغتهم الدعوة ، وأثبتت أنه موجود عن الكافرين ولم يدخلهم الجنة ، وهذا هو اليقين النظري ، وقد يكون مع اليقين النظري تكذيب باللسان كما كان مع المشركين ، وقد لا يكون معه تكذيب باللسان كما كان مع المنافقين .

ـ ونوضح ذلك من جهة أخرى كالتالي :

ـ المنافقين كان عندهم يقين وتصديق قلبي بالله والآخرة وبأن ما جاء به الرسول حق ، والدليل على ذلك أن الرسول (ص) مر على مجلس من الناس فدعاهم إلى الله فقال عبد الله بن أبي ابن سلول : ((أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَلَا تُؤْذِنَا فِي مَجَالِسِنَا ... فَلَمْ يَزَلْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ ثُمَّ رَكِبَ دَابَّتَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فَقَالَ أَيْ سَعْدُ أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَى مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ قَالَ كَذَا وَكَذَا قَالَ اعْفُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاصْفَحْ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَاكَ اللَّهُ الَّذِي أَعْطَاكَ وَلَقَدْ اصْطَلَحَ أَهْلُ هَذِهِ الْبَحْرَةِ عَلَى أَنْ يُتَوِّجُوهُ فَيُعَصِّبُونَهُ بِالْعِصَابَةِ فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذَلِكَ بِالْحَقِّ الَّذِي أَعْطَاكَ شَرِقَ بِذَلِكَ فَذَلِكَ فَعَلَ بِهِ مَا رَأَيْتَ فَعَفَا عَنْهُ النَّبِيُّ (ص)))[3] ، ومعنى (فيعصبوه بالعصابة) أي اتفقوا على أن يعينوه ملكهم وكان من عادتهم إذا ملكوا إنسانا أن يتوجوه ويعصبوه ، ومعنى (شرق بذلك) أي غص ومعناه حسد النبي (ص) ، فالذي منع عبد الله ابن أبي ابن سلول من أن يكون من المؤمنين الصادقين ليس عدم اليقين فقد كان موقنا بما يقوله الرسول (ص) ولكن الذي منعه هو أنه لا يريد أن يترك الملك كما أنه يحسد النبي أنه سيكون قائدهم ، ومما يدل على أنه يصدق الرسول (ص) أنه قال للرسول (ص) : (أَيُّهَا الْمَرْءُ لَا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا) .

ـ فالمنافقين يصدقون بما جاء به الرسول (ص) ويقولون ذلك بألسنتهم ، ورغم ذلك يبين الله أنهم كاذبون : ((إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ))[4] ، وذلك لأن التصديق الذي عند المنافقين هو تصديق نظري وليس تصديقا حقيقيا ، وهم في قرارة أنفسهم يعلمون أن يقينهم هذا نظريا و ليس جادا ، وهم يخافون إظهار حقيقة يقينهم النظري الهزلي كنوع من الوقاية حتى لا يقول الناس عنهم كافرين ، ولكنهم ليس لديهم إحساس بخطورة غياب اليقين الحقيقي من قلوبهم فلا يهتمون بذلك ولا يبالون .

ـ وهناك دليل آخر هو أن اليقين النظري بأنه لا إله إلا الله موجود عند جميع الناس مسلمين وكافرين لأنهم يصدقون بدعوة الرسل وبما قالت به الرسل : ((فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ

---

(1) الزخرف : 9
(2) السجدة : 12
(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللباس باب الارتداف على الدابة (7 / 257) وفي صحيح مسلم : (ج : 5 ، ص : 182، برقم :4760)
(4) المنافقون : 1

يَجْحَدُونَ))[1] ، ولقد كان أبو طالب يقول : ((لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا، ولا يعني بقول الأ باطل))[2] ، فإذا سألت أحدا من الكفار هل على الإنسان أن يخضع لله ويحبه ويخافه ويرجوه ويطيعه فيقول نعم ، إذن هو يوقن نظريا بألوهية الله ، وفي موسوعة الدين النصيحة : ((ف المؤمنون الصادقون هم الذين يوحدون الله في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، والكافرون المعاندون هم الذين يوحدون الله في الشدة والبلاء، دون النعمة والرخاء: "وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين"، "وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون"، وعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحصين الخزاعي والد عمران بن الحصين رضي الله عنهما: عند الشدة من تدعو؟ وكان له سبعة آلهة، ستة في الأرض وإله في السماء وهو الله عز وجل، فقال: أدعو الذي في السماء))[3] ، وفي الحديث : ((يا حصين كم تعبد اليوم إلها ؟ قال أبي : سبعة ، ستا في الأرض وواحدا في السماء ، قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك ؟ قال الذي في السماء))[4] .

ـ ورغم ذلك فإن القرآن يجعل العلم بأنه لا إله إلا الله شرطا من شروط الإيمان : ففي تفسير النسفي : (((وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) أى ولكن من شهد بـ الحق بكلمة التوحيد وهم يعلمون أن الله ربهم حقا))[5] ، وفي تفسير القرطبي : ((إلا من شهد بـ الحق يعني عزيرا وعيسى والملائكة فإنهم يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به))[6] ، وفي تفسير زاد المسير : ((" إلا من شهد بالحق " وهو أن يشهد أن لا إله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهذا مذهب الأكثرين منهم قتادة))[7] ، ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))[8] ، وفي الحديث : ((من مات **وهو يعلم أن لا إله إلا الله** دخل الجنة))[9] .

ـ إذن المقصود بالعلم هنا هو العلم الحقيقي واليقين الحقيقي بأنه لا إله إلا الله ، وهو ما ينشأ عنه خوف المهابة والحب والخضوع وخوف العقاب ورجاء الثواب والطاعة في الشدة والرخاء .

ـ الإنسان يعطل وظائفه لإخفاء الإستكبار :

ـ عندما يسمع الإنسان دعوة الرسل يحدث التكذيب بدعوة الرسل بإحدى طريقتين هما : إما أنه لا يقتنع بالأدلة والحجج والدلائل التي جاءت بها الرسل ، وهذا مستحيل لأن الرسل جاءت بالبينات و الدلائل والحجج واضحة لأي عاقل تدل على صدق هذه الدعوة ، لذلك فجميع الناس مسلمين وكافرين عندهم تصديق نظري تام بصدق دعوة الرسل ، حتى الملحدين والعلمانيين في ظاهر أمرهم أنهم يجحدون وجود الله والآخرة ولكن في قرارة أنفسهم يقرون بوجود الله والآخرة ففي تفسير ابن كثير : (({ وَجَحَدُوا بِهَا } أي: في ظاهر أمرهم ، { وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ } أي : علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله ، ولكن جَحَدوها وعاندوها وكابروها، { ظُلْمًا وَعُلُوًّا } أي: ظلما من أنفسهم ، سَجيّة ملعونة ، { وَعُلُوًّا } أي : استكبارًا عن إتباع الحق))[10] . ((فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ

---

(1) الأنعام : من الآية 33
(2) مصباح الظلام - (1 / 135)
(3) موسوعة الدين النصيحة - (5 / 58)
(4) مشكاة المصابيح ، ج : 2 ، برقم : 2476)
(5) تفسير النسفي ج : 4 ص : 121
(6) الجامع لأحكام القرآن : (ج : 16 ، ص : 122) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(7) زاد المسير في علم التفسير ـ عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت : (ج : 7 ، ص : 334)
(8) محمد : 19
(9) تحقيق الالباني (صحيح) : (صحيح الجامع برقم : 6552)
(10) تفسير ابن كثير - (ج 6 / ص 181)

بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ))[1] .

ـ والطريقة الثانية للتكذيب هو أن يستكبر ، فدعوة الرسل معناها أن يخضع الإنسان لله ، فيستكبر ف لا يخضع ، رغم أنه مقتنع نظريا بأن عليه أن يخضع ، لذلك فالإنسان إما مؤمن أو مستكبر ولا يوجد شيء ثالث ، ففي تفسير البغوي : (({ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا } تكبروا عن الإيمان بها ، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر ، قال الله تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون "))[2] .

ـ وحيث أن الإستكبار هو رفض للأمر غير مبني على دليل فلا يستطيع أن يواجه الأمر أمام نفسه لأن الإنسان له عقل لا يوافق على أمر بغير دليل ، فيلجأ إلى حيلة لإخفاء هذا الإستكبار وهي أن يعطل وظائفه ، فتصبح وظائف الإنسان موجودة ولكن معطلة فهي تعمل فقط ظاهريا ونظريا بغير الإ حساس بقيمة الأمر .

ـ بمعنى أن الإنسان يتجاهل الأمر ويتغافل عنه ويتغابى عنه ويتناساه كأنه لم يسمع عنه وكأنه لم يعرفه وكأنه لم يعلمه ، فيكون كأنه غير مصدق ولا مكذب وكأنه غير كافر بالأمر ولا مؤمن به وهذا يسمى كفر التولي القلبي أو كفر الإعراض القلبي : ((وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[3] ، ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[4] .

ـ الكفر ثلاثة أنواع : [[الأول كفر جهلي وسببه غياب الإحساس بالآيات الدالة على وجود الله تعالى ، والإعراض عما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام ككفر العوام المشتغلين بالدنيا ..... والثاني الكفر الجحودي العنادي ... والثالث الكفر الحكمي (أي الذي يحكم به على إسلام الفرد الظاهر)]][5] ، أي الجهل بالله بسبب غياب الإحساس بالقيمة لآيات الله المنظورة .

ـ العلاقة بين الإحساس بالقيمة والدين :

ـ الدين يتحقق بثلاثة أمور هي :

1ـ جانب معرفي : هو العلم النظري بالله والآخرة وبأمور الدين والفقه وهي أمور تعرفها وتتعلمها ويمكن كتابتها وقراءتها وتعلمها .

2ـ جانب شعوري : وهي أمور ليست معرفية ولا يمكن كتابتها وقراءتها وتعلمها ولكنها أمور تحس بها ، وهي تشمل الإحساس بالقيمة وخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع وطاعات ومعاصي القلوب ، وهذا الكتاب هو إظهار لهذا الجانب ورغم ذلك فهو أمر تحققه في مشاعرك وليس كلاما تقرأه في كتاب وليس معرفة نظرية بالجانب الشعوري ولكن تنفيذ له في المشاعر .

3ـ جانب عملي : وهو عمل الجوارح .

ـ الإسلام عند بعض المسلمين يتحقق فيه الجانب المعرفي والجانب العملي بينما ضاع الجانب الشعوري فضاع روح الإسلام ، وأصبح الإسلام عندهم كالجسد بلا روح .

ـ ما هو المطلوب تحديدا حتى نكون موقنين ومؤمنين ؟ :

ـ المطلوب أن يكون الإنسان حيا وليس ميتا فيكون له سمع وبصر وعقل يعقل به الأمور ، فإذا كان الإ نسان حيا فإنه سوف يستجيب لدعوة الرسل ويؤمن ويدخل الجنة ، وإذا لم يكن الإنسان حيا بسمع

---

(1) الأنعام : من الآية 33
(2) تفسير البغوي - (ج 3 / ص 227)
(3) الجاثية : 7 ، 8
(4) لقمان : 7
(5) الكفر والمكفرات ـ أحمد عز الدين البيانوني ص : 6 (دار السلام)

ويبصر فإنه لن يؤمن بما دعا إليه الرسل ويخلد في النار : ((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[1] ، ((لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ))[2] ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ))[3] .

ـ ومعنى أن يكون الإنسان حيا يسمع ويبصر أن يكون عنده إحساس بقيمة ما يسمعه وما يراه ، إذن المطلوب تحديدا هو إيجاد الإحساس بالقيمة ، فالإنسان إذا آمن بشيء من غير إحساس بقيمة ما يؤمن به فهذا إيمان نظري لا قيمة له .

ـ وقد سبق أن أوضحنا أن الدين عبارة عن جانب معرفي وجانب شعوري وجانب عملي ، والخلل عندنا هو عدم وجود الجانب الشعوري فأصبح الإسلام عندنا كالجسد الميت ليس فيه الجانب الشعوري .

ـ إذن المطلوب هو تحقيق الجانب الشعوري ، ولاحظ أن الإنسان الذي يسعى لتحقيق الجانب الشعوري في نفسه قد يبدو أنه لا يفعل شيئاً لكنه في الحقيقة يفعل أخطر شيء في الدين لينقذ نفسه من النار .

ـ الجانب الشعوري عبارة عن أمران هما :

1ـ الإحساس بالقيمة .

2ـ أثر الإحساس بالقيمة على خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوعوالتفكير وطاعات ومعاصي القلوب .

ـ وبالتالي إذا تحقق الإحساس بالقيمة تحقق خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوعوالتفكير وطاعات القلوب المتعلقة بالله والآخرة ، وبالتالي تحقق الجانب الشعوري .

ـ والعمل ينشأ كأثر للإحساس بالقيمة .

ـ إذن المطلوب تحديدا هو إيجاد الإحساس بالقيمة ، ويتم ذلك عن طريق التفكر والتدبر مع حضور القلب .

ـ وبتعبير آخر فالدين عبارة عن عقيدة وعمل ، والمشكلة أن الناس يظنون أن الاعتقادات مسألة معرفية ولكن الاعتقاد بشيء ما لابد أن يكون معه إحساس بالقيمة لخطورة ما تعتقده حتى يكون الا عتقاد صحيحا ، فالذي يعتقد بشيء وهو غافل عنه فاعتقاده غير صحيح ، والإنسان يعلم في نفسه فقط هل هو غافل عن ما يعتقد أم لا ؟ ، والعقيدة تشمل الاعتقاد الصحيح بالله والآخرة وما ينشأ عن ذلك من الخوف والخضوع والحب لله تعالى ، فالعقيدة لابد أن يكون فيها الجانب المعرفي مع الجانب الشعوري .

ـ إذن فالأصل هو إيجاد الإحساس بالقيمة ، ولكن لاحظ أنه لن يتحقق ذلك ولن تتحقق الهداية و العمل الصالح إلا إذا أراد الله ، فالأصل قبل ذلك هو أن يدعو الإنسان الله أن يهديه وأن يوفقه للأ عمال الصالحات ثم يأخذ بالأسباب التي تجعله حيا وليس ميتا بالتفكر مع حضور القلب والتذكر لمعاني الأشياء .

ـ وبتعبير آخر فالمطلوب هو تغيير نظرة الإنسان للأمور من حوله ليشعر بالقيمة الحقيقية للأشياء من حوله ، وتغيير مشاعره وهمومه وتفكيره ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ تغيير نظرة الإنسان لما حوله معناه أنه يرى الأمور على حقيقتها فينظر إلى الدنيا وما بها من أمور وشهوات وأعمال على أنها ضئيلة فانية ، وينظر إلى حياته فيها على أنه مسافر مرتحل من دار الغربة

---

(1) الأنعام : 36
(2) يس : 70
(3) الملك : 10

إلى وطنه ودار إقامته وأهله وهكذا .

ـ وتغيير المشاعر معناه أن تتغير المشاعر من مشاعر لا تعرف غير الدنيا إلى مشاعر تعرف الله والآ خرة وثوابت الدين أي تغيير ما يحبه وما يكرهه وما يخافه وما يرجوه من أمور دنيوية إلى أمور أخروية وتغيير الطموح من طموح إلى الدنيا إلى طموح إلى الآخرة ، ومن أمل في الدنيا إلى أمل في الآخرة .

ـ فالفرق بين المؤمن وغير المؤمن هو تعلق مشاعره ، فغير المؤمن مشاعره متعلقة بالمال أو الشهوات أو المظاهر أو العلم الدنيوي أو أي شيء أو أي قضية غير الله والآخرة ، أما المؤمن فالشاغل الأكبر لمشاعره هو الله والآخرة .

ـ وتغيير الأهداف والهموم معناه أن تتغير أهداف الإنسان من أهداف وطموحات ومشاريع ورغبات لا تعرف غير رغبات الدنيا إلى أن يصبح الطموح الأكبر هو الآخرة ، ومن أماني كالعثور على كنز إلى أماني ورجاء العثور على الكنز الحقيقي (الجنة) لأن كنوز الدنيا تفنى ولا قيمة لها ، ومن توجه تفكير الإنسان في أمور الدنيا فيصبح أكثر تفكيره في أمور الآخرة والدين .

ـ أي يتغير ما يتمناه الإنسان ويحلم به ، فبدلا من أن يتمنى الإنسان المال وأن يكون غنيا ويحلم بذلك ، أو يتمنى المتع المختلفة في الدنيا فإنه يتمنى نعيم الجنة ويحلم به ويتمنى النجاة من النار لأ ن هذا حال من عرف حقيقة الآخرة وعرف ضآلة الدنيا ، وبالتالي هذا حال من آمن بالآخرة إيمانا حقيقيا ، فبدلا من أن يكون أكبر ما يتمناه وأكبر ما يحلم به وأكبر ما يرجوه وأكبر ما يطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر فيه أن يعثر على كنز مثلا أو يصل لمنصب أو شهوات ، ليصبح أكبر ما يتمناه ويطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر فيه هو دخول الجنة والنجاة من النار .

ـ وبمعنى آخر فالتغيير المطلوب هو إخراج الدنيا من القلب ، وهذا ليس أمرا سهلا فإن أخطر ما عند ا لإنسان وأغلى ما يملكه هو مشاعره ، وإن أصعب شيء على الإنسان هو تغيير مشاعره ، وتغيير نظرته إلى قيمة المال والمظاهر والشهوات والعادات من أمور يراها في نفسه عظيمة إلى أمور يراها في نفسه ضئيلة ، وفي نفس الوقت لا مانع أن تبقى الدنيا في يده ، أي تكون الدنيا في يده لا في قلبه ، وقد سئل الإمام أحمد عن الصاحب يكون زاهدا ومعه مائة دينار قال : ((نعم على شريطة إذا زادت لم يفرح وإذا نقصت لم يحزن))[1] وهذا معناه تغير المشاعر تجاه المال وهو أمر ليس سهلا .

ـ العلاقة بين الإحساس بالقيمة والإيمان :

ـ الإيمان معناه هل تقبل الخضوع لله أم لا ؟ ، فالذي يوافق على هذا المبدأ نظريا ولم يخضع هو في الحقيقة لم يوافق عليه وهو أخذ حيلة يداري بها استكباره وهي التغافل عن الأمر ، لذلك فالإيمان الحقيقي ليس مجرد التصديق النظري ولكن هو تصديق نظري مع الخضوع والانقياد والإذعان ، ولن يحدث الخضوع إلا إذا تحقق الإحساس بالقيمة فانتبه لخطورة الأمر ، لذلك فالإيمان الحقيقي هو تصديق نظري مع إحساس بالقيمة ، أما التصديق النظري مع غياب الإحساس بالقيمة هو في الحقيقة تكذيبا .

ـ إذا تحقق الإحساس بالقيمة تحقق الإيمان بالضرورة :

ـ كل من بلغته الدعوة وكان عنده إحساس بالقيمة ، فكانت وظائفه سليمة لم تتعطل (قلبه سليم) ، فإنه يؤمن بالضرورة لأن الرسل جاءت بالبينات والحجج الواضحة ، فالآيات تبين أن القلب إذا كان سليما غير مطبوع عليه فإنه يقبل الإيمان بمجرد أن يعرفه : ((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[2] ، ((وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ))[3] ، (الذين يسمعون) أي الذين ليس على قلوبهم طبع أو غل أو حجاب أو غشاوة فقلوبهم سليمة من ذلك ، ((وَمَا أَنْتَ بِهَادِي

---

(1) الآداب الشرعية - (2 / 230)
(2) الأنعام : 36
(3) البقرة : من الآية 269

الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ))[1] .

ـ لا يمكن تحقيق الايمان مع غياب الإحساس بالقيمة :

ـ إذا فقد الإنسان الإحساس بالقيمة أصبح يسمع ولكن لا يشعر بحقيقة ما يسمعه وأهميته وخطورته فكأنه لا يسمع ، وكذلك كل الوظائف تتعطل وهذا هو الطبع على القلب ، جاء في تفسير القطان : (({ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الموتى وَلَا تُسْمِعُ الصم الدعآء إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ } ، إنك أيها الرسول لا تستطيع هدايتهم ، لأنهم كالموتى في عدم الوعي ، وكالصم في فقدان السمع فليسوا مستعدّين لسماع دعوتك ، فلا أمل في استجابتهم للدعوة ، ولا في قبولهم للحق ، ثم أكد ما سلف وقطع إطماعه في إيمانهم فقال : { وَمَآ أَنتَ بِهَادِي العمي عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ } ولا تستطيع أن تهديَ إلى الحق من عميتْ أبصارُهم وبصائرهم ، ولا يمكنك أن تسمع إلا من يقبل الإيمان بآياتنا فإنهم هم الذين يسمعون منك ويؤمنون برسالتك))[2] .

ـ الإنسان الذي يعيش بغير الإحساس بالقيمة مهما رأى من الآيات فلن تغني عنه شيئا وهناك علماء صعدوا الفضاء واكتشفوا فيه الكثير ولم يغني ذلك عنهم شيئا ، ولو رأى معجزات الرسل بعينه لن تغني عنه شيئا ، بل ولو رأى الآخرة والجنة والنار ثم عاد إلى الدنيا فلن تغني عنه شيئا : ((وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ))[3] ، فهم مثل الذي مات له قريب فاتعظ لحظات ثم إذا مرت الموعظة نسي وعاد كما كان ، فلن يتعظ بأي شيء ففي تفسير ابن كثير : (((وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) أي : تجهلون عظمة الله وجلاله))[4] أي لا يشعرون بعظمة الله ، وهم يعرفون نظريا عظمة الله لأن ذلك من الربوبية ، ((وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[5] .

ـ الإيمان ينقسم إلى قسمين هما :

ـ القسم الأول : الإيمان بربوبية الله وحده وأسماءه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و القدر خيره وشره .

ـ وهو بدوره ينقسم إلى قسمين هما :

1ـ إيمان نظري : أي إيمان نظري بربوبية الله وحده وأسماءه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

2ـ إيمان حقيقي : أي إيمان حقيقي بربوبية الله وحده وأسماءه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله و اليوم الآخر والقدر خيره وشره .

ـ القسم الثاني : الإيمان بألوهية الله وحده .

ـ وهو بدوره ينقسم إلى قسمين هما :

1ـ أثر الإيمان الحقيقي على خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، أي إفراد الله تعالى وحده بخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، والخوف من الآ خرة وحب الجنة ، وانقطاع خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع عن غير الله إلا في الله ، والفصل الخامس هو بيان لذلك .

---

(1) النمل : 81
(2) تفسير القطان - (ج 3 / ص 45)
(3) الأنعام : 28
(4) الأعراف : 138
(5) الزمر : 8

2ـ أثر الإيمان الحقيقي على العمل والحياة : أي إفراد الله تعالى وحده بالطاعة ، والفصل السابع هو بيان لذلك .

ـ الرسل جاءت من أجل أمرين هما :

ـ حيث أن الإيمان النظري موجود عند جميع الناس مسلمين وكافرين ، فالرسل جاءت من أجل أمرين هما :

1ـ إيجاد الإيمان الحقيقي بربوبية الله وحده وأسماءه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، لذلك فالقرآن مليء بأمور التفكر في الكون والزروع والجبال والأشياء والتذكير بنعم الله لأن ذلك يؤدي إلى الإيمان الحقيقي .

2ـ الإيمان الحقيقي بألوهية الله وحده .

ـ (لا إله إلا الله) تشمل كل أنواع التوحيد :

ـ كلمة لا إله إلا الله تشمل كل أنواع التوحيد ، وذلك لأن توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ، فيصبح معنى لا إله إلا الله أمران هما :

1ـ لا رب إلا الله ولا خالق إلا الله ولا عظيم إلا الله ، أي إثبات كل صفات العظمة والكمال لله وحده ، وإثبات كل صفات الضعف والنقص لما سوى الله .

2ـ لا معبود بحق إلا الله ، أي توحيد الألوهية بإفراد العبادة لله وحده .

فلا إله إلا الله تشمل المعنيين معا وليس فقط المعنى الثاني ، وسبق أن أوضحنا أن الرسل جاءت من أجل توحيد الربوبية الحقيقي ومن أجل توحيد الألوهية (وتوحيد الألوهية ينشأ من توحيد الربوبية الحقيقي) .

ـ إذن لا إله إلا الله تعني أمران هما لا عظيم إلا الله ولا معبود بحق إلا الله .

ـ فقد حاسة السمع للإحساس بالقيمة :

ـ في تفسير أبي السعود : ((إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار))[1] .

ـ وفي تفسير القرطبي : ((وهم لا يسمعون أي لا يتدبرون ما سمعوا ولا يفكرون فيه فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق))[2] .

ـ وفي تفسير القرطبي أيضا : ((إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم وتدبر))[3] .

ـ وفي تفسير الطبري : ((وقوله إنك لا تسمع الموتى يقول إنك يا محمد لا تقدر أن تفهم الحق من طبع الله على قلبه فأماته لأن الله قد ختم عليه أن لا يفهمه))[4] .

ـ وفي تفسير أبي السعود : ((إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون أي شأنهم أن يسمعوا الكلام سماع تفهم وإستبصار))[5] .

---

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ محمد بن محمد العمادي أبو السعود ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت : (ج : 7 ، ص : 57)
(2) الجامع لأحكام القرآن : (ج : 7 ، ص : 388) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(3) المرجع السابق : (ج : 14 ، ص : 18)
(4) جامع البيان عن تأويل القرآن : (ج : 20 ، ص : 12) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت .
(5) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ محمد بن محمد العمادي أبو السعود ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت : (ج : 7 ، ص : 57)

ـ وفي تفسير الواحدي : ((ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا سماع قابل وليسوا كذلك يعني المنافقين وقيل أراد المشركين لأنهم سمعوا ولم يتفكروا فيما سمعوا فكانوا بمنزلة من لم يسمع))[1] .

ـ وفي تفسير البغوي : ((ومثل الذين كفروا كمثل الذين ينعق بما لا يسمع .... معناه كما أن البهائم تسمع صوت الراعي ولا تفهم ولا تعقل ما يقال لها كذلك الكافر لا ينتفع بوعظك إنما يسمع صوتك وقيل معناه ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت))[2] .

ـ وفي تفسير فتح القدير : ((إنما يستجيب الذين يسمعون أي إنما يستجيب لك إلى ما تدعو إليه الذين يسمعون سماع تفهم بما تقتضيه العقول وتوجبه الأفهام وهؤلاء ليس كذلك بل هم بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون ولا يعقلون لما جعلنا على قلوبهم من الأكنة وفى آذانهم من الوقر ولهذا قال والموتى يبعثهم الله شبههم بالأموات بجامع أنهم جميعا لا يفهمون الصواب ولا يعقلون الحق))[3] .

ـ وفي تفسير الجلالين : ((وقالوا لو كنا نسمع أي سماع تفهم أو نعقل أي عقل تفكر ما كنا في أصحاب السعير))[4] .

ـ وفي تفسير روح المعاني أيضا : ((قوله سبحانه فهم لا يسمعون أي سماع تفهم واعتبار))[5]

ـ جاء في تفسير القرطبي في تفسير قوله : ((خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ))[6] : ((فالختم على القلوب عدم الوعي عن الحق سبحانه مفهوم مخاطباته والكفر في آياته ، وعلى السمع عدم فهمهم للقرآن إذا تلي عليهم أو دعوا إلى وحدانيته ، وعلى الأبصار عدم هدايتها للنظر في مخلوقاته وعجائب مصنوعاته هذا معنى قول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وغيرهم))[7] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : ((ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء أي ومثلهم في حال دعائهم إلى الإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته ولاتفقه ما يقول))[8] .

ـ وفي تفسير ابن كثير أيضا : ((أو ألقى السمع وهو شهيد أي استمع الكلام فوعاه وتعقله بعقله وتفهمه بلبه))[9] .

ـ وفي تفسير أبي السعود : ((كالذين قالوا سمعنا بمجرد الإدعاء من غير فهم وإذعان كالكفرة و المنافقين الذين يدعون السماع))[10] .

ـ وفي تفسير البغوي : ((وهم لا يسمعون أي يقولون بألسنتهم سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون أي لا يتعظون ولا ينتفعون بسماعهم فكأنهم لم يسمعوا))[11] .

ـ وفي تفسير فتح القدير : ((ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم المشركون أو المنافقون أو اليهود أو

---

(1) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ علي بن أحمد الواحدي ـ دار القلم ـ دمشق : (ج : 1 ، ص : 435)
(2) معالم التنزيل ـ الحسين بن مسعود البغوي ـ دار المعرفة ـ بيروت : (ج : 1 ، ص : 139)
(3) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ دار الفكر ـ بيروت : (ج : 2 ، ص : 112)
(4) المرجع السابق : (ج : 1 ، ص : 755)
(5) المرجع السابق : (ج : 9 ، ص : 14)
(6) البقرة : 7
(7) الجامع لأحكام القرآن (ج : 1 ، ص : 186) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(8) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 2 ، ص : 269)
(9) المرجع السايق : (ج : 4 ، ص : 230)
(10) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـ محمد بن محمد العمادي أبو السعود ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت (ج : 4 ، ص : 15)
(11) معالم التنزيل ـ الحسين بن مسعود البغوي ـ دار المعرفة ـ بيروت (ج : 2 ، ص : 240)

الجميع من هؤلاء فإنهم يسمعون بآذانهم من غير فهم ولا عمل فهم كالذي لم يسمع أصلا لأنه لم ينتفع بما سمعه))[1] .

ـ وفي تفسير الجلالين : ((ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون سماع تدبر واتعاظ وهم المنافقون أو المشركون ، إن شر الدواب عند الله الصم عن سماع الحق البكم عن النطق به الذين لا يعقلون ، ولو علم الله فيهم خيرا صلاحا بسماع الحق لأسمعهم سماع تفهم))[2]

ـ وفي مفتاح دار السعادة : ((لمن كان له قلب واع لأن من لا يعي قلبه فكأنه لا قلب له))[3]

ـ وفي تفسير القرطبي : ((قوله تعالى: (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم) أي إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم ولم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع))[4] .

ـ وفي تفسير البغوي : (({ وَمِنْهُم } يعني من هؤلاء الكفار، { مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ } وهم المنافقون، يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه، تهاونًا به وتغافلا))[5] .

اللباب في علوم الكتاب - (18 / 18)

قوله : (لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ) أي لتُبصِّرَ وتذَكِّر كل عبد منيب : أي راجع التفكر والتذكر والنظر في الدلا ئل)) .

ـ وفي تفسير الطبري : ((عن عكرمة في قوله : " ومثلُ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يَسمع إلا دعاء ونداءً " قال : مَثلُ البعير أو مثل الحمار، تدعوه فيسمع الصوت ولا يفقه ما تقول))[6]

ـ غياب الإحساس بقدر الله والآخرة نفاق أكبر :

ـ إذا غاب الإحساس بالقيمة عند مسلم فهذا يدل على أنه قد طبع على قلبه (تعطيل وظائف الإ نسان) وأنه قد وقع في النفاق الأكبر مع بقاءه مسلما بين الناس لا يشك أحد في إسلامه ، لأن الإ حساس بالقيمة عبارة عن شعور من المشاعر فلا يعلمه إلا الله تعالى ، كما أن الذي لا يشعر بحقائق الأ شياء من حوله هو أيضا لا يشعر بحقيقة نفسه .

ـ كما أن غياب الإحساس بالقيمة يدل على وجود الاستكبار والكفر في القلب متخفي من خلال تعطيل وظائف الإنسان .

ـ كما أن غياب الإحساس بالقيمة يؤدي إلى الغفلة عن الله ونسيان الله والغفلة عن الآخرة ونسيان الآ خرة ، فالله ليس له قدر أو قيمة في شعوره والآخرة كذلك وهذا نفاق أكبر .

ـ ومعلوم أن المنافق لا يحكم عليه بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ولا يشك أحد في إسلامه مطلقا ، رغم أنه في الآخرة يكون مخلدا في قعر جهنم .

ـ فالمسلم الذي يفقد الإحساس بقدر الله والآخرة لا يحكم عليه بكفر ولا بشرك ولا بنفاق ولا يشك أحد في إسلامه مطلقا ، وذلك لأنه لا يستطيع أحد من العالمين أن يعلم على سبيل اليقين هل هو فاقد الشعور بقدر الله أم لا ؟ ، والإنسان في نفسه فقط يعلم ذلك لأن غياب الإحساس بالقيمة هو أمر شعوري لا يستطيع أن يعلمه أحد في غيره ، والإنسان الذي يعلم في نفسه أنه فاقد الإحساس بقدر الله والآخرة يكون فاقد الإحساس بخطورة هذا الأمر فلا يهتم به ويتغافل عنه !! .

---

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي بن محمد الشوكاني ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 2 ، ص : 298)
(2) تفسير الجلالين ـ دار الحديث ـ القاهرة (ج : 1 ص : 230)
(3) مفتاح دار السعادة : [جزء 1 - صفحة 170]
(4) تفسير القرطبي - (ج 13 / ص 81)
(5) تفسير الطبري - (ج 11 / ص 305)
(6) تفسير الطبري - (ج 3 / ص 308)

ـ وفي نفس الوقت فإن غياب الإحساس بالله والآخرة يجعل الإنسان مخلدا في النار وإن كان في الدنيا مسلما لا يشك أحدا في إسلامه ولا هو نفسه يشك في إسلامه .

ـ إذن كيف يكون الإنسان مسلما في الدنيا يحكم له بالإسلام ثم هو يوم القيامة يكون مخلدا في النار ؟ ، ذلك يحدث مع المنافقين فهم في الدنيا مسلمون يحكم لهم بالإسلام ولا يحكم لهم بالنفاق الأكبر ولا بالكفر ولا بالشرك ، رغم أنه يوم القيامة يكون مخلدا في قعر جهنم والعياذ بالله .

ـ ونفس الشيء إذا لم يتحقق عند المسلم حب الله والخضوع له والخوف منه ورجاءه ، فكل هذه الأ مور تجعل المسلم يقع في النفاق الأكبر مع بقاءه مسلما بين الناس لا يشك أحد في إسلامه ، ولا أحد يعلم أنه لم يحقق هذه الأمور في نفسه ، لأن خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوع عبارة عن مشاعر وأحاسيس فلا يعلم وجودها إلا الإنسان في نفسه .

ـ وكذلك إذا كان حب الدنيا أكبر من حب الله والخضوع للدنيا أكبر من الخضوع لله والخوف من الدنيا أكبر من الخوف من الله ورجاء الدنيا أكبر من رجاء الله فذلك نفاق أكبر .

ـ والمسلم مهما عمل من المعاصي وإن ارتكب كل المعاصي التي في الدنيا فلا يؤثر ذلك في الحكم بإسلامه فهو مسلم لا يشك أحد في إسلامه .

ـ إذن فمن الممكن أن أكون أنا أو أنت قد وقعنا في النفاق الأكبر ، وقد يكون الإنسان من أشد الناس التزاما بالدين علما وعملا وحالا ومن أكابر الدعاة وقد وقع في النفاق الأكبر ، لأن الإسلام ليس فقط علما وعملا وحالا ولكن شعورا أيضا ، فتحقيق الإسلام في شعور الإنسان ومشاعره أهم من كل ذلك .

ـ فمثلا قد يظن الإنسان أن حب الله يملأ قلبه وفي الحقيقة ليس في قلبه شعور وإحساس بمشاعر الحب والشوق إلا تجاه امرأة أو شهوة أو أمر من أمور الدنيا .

ـ اليقين الحقيقي هو يقين نظري مع الإحساس بقيمة ما توقن به ، والإحساس بالقيمة مسألة مشاعر ، فالإنسان في نفسه فقط هو الذي يعلم هل اليقين الحقيقي موجود عنده أم لا ؟ .

ـ فمن الناس أموات خارج القبور فهم يأكلون ويشربون ويمشون ولكن ماتت وظائفهم لموت الإ حساس بالقيمة عندهم ، وهؤلاء الأموات إما أن يكونوا كافرين أو مسلمين وقعوا في النفاق الأكبر وهم لا يشعرون ويحسبون أنهم مهتدين وذلك لموت قلوبهم ووظائفهم حيث طبع الله على قلوبهم ، فهؤلاء في الدنيا وعند الناس هم مسلمين وليسوا منافقين ولا كافرين ولكن عند الله هم منافقين ، وحقيقة اليقين عند هؤلاء المسلمين الأموات هي على عكس ما يدعون .

ـ العلاقة بين غياب الإحساس بالقيمة والغباء ونسيان النفس :

ـ المنافق والكافر يوقن نظريا بصدق دعوة الرسل ، ويعلم ما هو عليه من النفاق أو الكفر لكن لا يشعر بخطورة ما هو عليه من النفاق أو الكفر ، وذلك لأنه فقد الإحساس بحقائق الأمور وبحقيقة ما ينفعه مما يضره ، فمثلا هو يعلم في داخله أنه لا يشعر بالخضوع والحب لله ويعلم أن ذلك يدخله النار ، ولكن لا يشعر بخطورة ذلك الأمر لأنه لا يشعر أصلا بخطورة أمر الجنة والنار ، فيتجاهل مسألة أن ما هو عليه من النفاق أو الكفر يدخله النار وكأنها قضية لا تعنيه ، فيتناسى ذلك الأمر أو ينساه .

ـ فيصف الله الكفار بأنهم لا يعقلون : ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ))[1] ، وفي تفسير اللباب في علوم الكتاب : (({ لِمَن كانَ لَهُ قَلْبٌ } قال ابن عباس - (رضي الله عنهما) - : أي عَقل))[2] ، فهو عندئذ لا يعرف مصلحة نفسه معرفة حقيقية ، وما فيه النفع والسعادة لها وما فيه الضرر والشقاء لها ، فلا يعرف أين تكون السعادة التي يبحث عنها الإنسان في حياته ، فيعيش يتخبط حيث يظن

(1) البقرة : من الآية 171
(2) اللباب في علوم الكتاب (ج 14 / ص 363)

السعادة في المال أو الجاه أو السلطان أو الشهوات فلا يجني غير الشقاء ، وهو في يقينه النظري يعلم أنه يسير في طريق لن يصل به إلى السعادة لكنه يتجاهل ذلك ويناساه وينسى نفسه وما يسعدها ، وهذا معناه أنه يتخبط فيسير كأنه لا عقل له أو يسير كالأعمى يتخبط في الظلمات : ((أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[1] .

ـ إن المؤمن يعمل من أجل شهوات النساء والخمور والقصور ، ولكنها شهوات النساء من الحور العين والخمور الكثيرة في أنهار الجنة والقصور في جنة النعيم وليس النساء من الحور الطين ذات الشهوة الضئيلة وخمور الدنيا .

ـ وفي تفسير القطان : ((فأنساهم أنفسهم : بما ابتلاهم من غياب الإحساس بقدر وحب الدنيا ، فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها))[2] ، وفي أيسر التفاسير للجزائري - (ج 4 / ص 76) : { ولكني أراكم قوما تجهلون } : أي حظوظ أنفسكم وما ينبغي لها من الإ ِسعاد والكمال))[3] وفي تفسير البغوي : (({ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ } أي حظوظ أنفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا))[4] فحظوظ النفس ومتعها هي التي في الآخرة ونحن نظن أن حظوظ النفس إنما هي في الدنيا .

ـ فمثلا خمر الجنة يختلف عن خمر الدنيا وعن المواد المخدرة ، فأي إنسان عاقل يبحث عن اللذة ويبتعد عن الألم ، فالعاقل يبحث عن اللذة التي في المخدرات والخمور ولكن اللذة الحقيقية الغير مختلطة بمضار كثيرة واللذة الكبيرة الغير محدودة في خمر الجنة ، ففي تفسير البحر المديد : (({ لا يُصَدّعون عنها } أي : بسببها ، أي : لا يصدر عنها صُداع ، وهو وجع الرأس ، { ولا يُنزَفُونَ } ولا يسكرون ، يقال : نزّف الرجل : ذهب عقله بالسُكر))[5] .

ـ كلمات المعرفة والعلم واليقين والإيمان والتصديق إذا أطلقت على الله والآخرة والقرآن والدين فيقصد بها المعرفة الحقيقية والعلم الحقيقي واليقين الحقيقي والإيمان الحقيقي والتصديق الحقيقي بالله والآخرة والقرآن والدين :

ـ المعرفة الحقيقية بالله هي المعرفة النظرية بالله مع الإحساس بقدر الله ، وعبارة المعرفة بالله يقصد بها المعرفة الحقيقية بالله ، وهكذا .

ـ وكذلك فالإيمان الحقيقي بالله هو الإيمان النظري بالله مع الإحساس بقدر الله ، وعبارة الإيمان بالله يقصد بها الإيمان الحقيقي بالله ، وهكذا .

ـ وكل الناس مسلمين وكافرين عندهم معرفة نظرية وعلم نظري ويقين نظري وإيمان نظري وتصديق نظري بالله والآخرة والقرآن والدين .

ـ كلمات المعرفة والعلم والغفلة والنسيان والجهل والسهو إذا أطلقت على الله والآخرة والقرآن والدين فيقصد بها وجود أو غياب الإحساس بقدر الله والآخرة والقرآن والدين :

ـ نظرا لأن العلم النظري والمعرفة النظرية بالله والآخرة والقرآن والرسل والدين موجودة عند جميع الناس ، فكلمات المعرفة والعلم إذا أطلقت على الله والآخرة والقرآن والدين فيقصد بها الإحساس بقدر الله والآخرة والقرآن والدين .

ـ فالمعرفة الحقيقية بالله يقصد بها الإحساس بقدر الله لأن المعرفة النظرية موجودة ، وكذلك العلم بالله والآخرة والقرآن والدين .

ـ وكذلك الجهل بالله والغفلة عن الله ونسيان الله لا يقصد بها غياب المعرفة النظرية لأنها موجودة

---

(1) الملك : 22
(2) تفسير القطان - (ج 3 / ص 321)
(3) تفسير ابن كثير - (ج 6 / ص 250)
(4) تفسير البغوي : (ج 8 / ص 86)
(5) البحر المديد - (ج 6 / ص 222)

ولكن يقصد بها غياب الإحساس بالقيمة ، وكذلك نسيان الآخرة والقرآن والدين والغفلة عنهم .

ـ ومعنى الجهل بـالله أي كأنه يجهله وكأنه لا يعرفه أي تجاهل الله لأن الأمر الذي لا تشعر بقيمته وقدره أصبح بالنسبة لك ليس ذو قيمة والشيء الذي لا قيمة له يهمله الإنسان فكأنه لا يعرفه .

ـ وكذلك الغفلة عن الله أي كأنه غافل عنه لم يسمع عنه أي يتغافل عن الله ، وكذلك نسيان الله أي كأنه نسيه أي تناسى الله فعامله معاملة الناسي له .

ـ فمثلا الجهل بـالله هو الجهل بعظمة الله أي عدم الإحساس بعظمة الله :

ـ ففي تفسير الطبري : ((وقوله : (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله))[1] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : (({ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } أي : تجهلون عظمة الله وجلاله))[2] .

ـ وفي تفسير القرطبي : (((ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته))[3] .

ـ ومما ورد في القرآن عن النسيان التالي :

ـ نسيان الله كما في قوله : ((نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ))[4] ، ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ))[5] .

ـ ونسيان الآخرة كما في قوله تعالى : ((فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا))[6] ، ((فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ))[7] .

ـ ونسيان القرآن كما في قوله : ((يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ))[8] .

ـ ونسيان الذكر كما في قوله : ((فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ))[9] ، ((وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ))[10] .

ـ ونسيان آيات الله كما في قوله تعالى : ((قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا))[11] .

ـ ومما ورد في القرآن عن الغفلة التالي :

ـ الغفلة عن الآخرة كما في قوله : ((وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ))[12] ، ((اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ))[13] .

ـ والغفلة عن الذكر : ((وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا))[14] .

ـ والغفلة عن ذكر الله ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ

---

(1) تفسير الطبري - (ج 19 / ص 484)
(2) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 467)
(3) تفسير القرطبي - (ج 18 / ص 35)
(4) التوبة : 67
(5) الحشر : 19
(6) الأعراف : 51
(7) السجدة : 14
(8) الأعراف : 53
(9) الأنعام : 44
(10) الفرقان : 18
(11)طه : 126
(12) الروم : 7
(13) الأنبياء : 1
(14) الكهف : 28

وَلَا تكنْ مِنَ الغَافِلِينَ))[1] .

ـ والغفلة عن آيات الله : ((وَالذينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ))[2] ، ((وَإِنّ كثِيرًا مِنَ النّاس عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ))[3] .

ـ والآيات تبين غياب الإحساس بالقيمة ، ففي أيسر التفاسير : (((الذينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ) الذِينَ هُمْ في جَهْلٍ عَمِيقٍ ، وَغَفْلَةٍ عَظِيمةٍ عمّا أُمِرُوا بهِ ، وَهُمْ مَغمُورُونَ بِالأ ـَباطِيلِ وَالأضَالِيلِ والأ وْهَامِ لا يُفِيقُونَ ولا يَسْتَيقظُونَ ، غَمْرةِ : جَهَالةٍ غَامِرَةٍ ، سَاهُونَ : غَافِلُونَ عَمّا أُمِرُوا بِهِ))[4] ، وفي تفسير الخازن : (((الذين هم في غمرة) أي في غفلة وعمى وجهالة (ساهون) أي لاهون غافلون عن أمر الآخرة ، والسهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه))[5] .

ـ وفي تفسير أضواء البيان : (((وقوله : { لَفِي سَكرَتِهِمْ } أي : عماهم وجهلهم وضلالهم ، والعمه : عمى القلب ، فمعنى { يَعْمَهُونَ } يترددون متحيرين لا يعرفون حقاً من باطل ، ولا نافعاً من ضار ، ولا حسناً من قبيح))[6] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : ((فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا أي يقال لأهل النار على سبيل التقريع والتوبيخ ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه <u>وتناسيكم له إذ عاملتموه معاملة من هو ناس له</u> إنا نسيناكم أي <u>سنعاملكم معاملة الناسي</u> لأنه تعالى لا ينسى شيئا ولا يضل عنه شيء بل من باب المقابلة كما قال تعالى فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء))[7]

ـ فالإنسان الذي فقد الإحساس بالقيمة هو غافل عن كل شيء فهو يعيش كأنه ليس له ربا وكأنه لن يموت وكأنه لا آخرة ، ويتجاهل أن هناك رقيب وعتيد وأن الله يراه رغم علمه بذلك ، وكذلك يتجاهل آيات السماء والأرض والنظر فيها فيتناسى هذه الأمور كأن لم تكن ، وكأن أحدا لم يذكرها له ، وكأنه لم يسمع عن شيء إسمه الآخرة أو الموت ، رغم اقتناعه النظري التام بالآخرة وبأنه سيموت ، ويتعالمل مع آيات الله كأنه لا يسمع ولا يرى ولا يتكلم ، ففي تفسير معاني القرآن : ((وقوله جل وعز والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا آية ، أي لم يتغافلوا عنها ويتركوها حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر))[8] ، فهي حالة من فقدان الوعي والإدراك .

ـ وفي موسوعة الدين النصيحة : ((أما المتغافل عن حقيقة وجوده وحكمة خلقه فهو كالذي شبهه الدكتور البوطي برجل دخل مغارة مظلمة في مكان موحش، فوجد عند مدخلها بقايا لجثة إنسان، فما كان منه إلا أن وضع رأسه وأسلم جفنيه للنوم، غير آبه بما يحتمل أن يكون في جوف هذه المغارة من وحوش ضارية ، وهو يمنّي نفسه بالفرار إذا استيقظ ، مع أن الموت قد يفاجئه في أي لحظة))[9] .

ـ العبارات التى تعنى وجود أو غياب السمع والبصر والعقل والقلب والفقه يقصد بها وجود أو غياب الإحساس بالقيمة :

ـ غياب السمع والبصر والعقل والقلب تعني أن الإنسان يرى بغير إحساس بقيمة ما يراه ، ويسمع بغير إحساس بقيمة ما يسمعه ويتكلم بغير إحساس بقيمة ما يتكلم به ، ويعرف ويعلم ويفهم بغير إحساس بقيمة ما يعرفه أو يعلمه أو يفهمه ، ويؤمن ويوقن ويصدق ويقتنع بغير إحساس بقيمة ما

---

(1) الأعراف : 205
(2) يونس : 7
(3) يونس : 92
(4) أيسر التفاسير لأسعد حومد - (1 / 4565)
(5) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع - (6 / 242)
(6) أضواء البيان - (2 / 189)
(7) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 3 ، ص : 459)
(8) تفسير معاني القرآن - (ج 5 / ص 55)
(9) موسوعة الدين النصيحة - (ج 2 / ص 133)

يؤمن به وما يوقن به وما يصدق به وما يقتنع به ، ويحب ويكره بغير إحساس بقيمة ما يحبه وما يكرهه ، ويسعى ويعمل بغير إحساس بقيمة ما يسعى إليه ويعمله .

ـ والإيمان يتحقق مع وجود الإحساس بالقيمة ويصبح إيمانا نظريا فقط مع غياب الإحساس بـ القيمة : ((وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ))[1] ((إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[2] ، ((وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ))[3] ، ((وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ))[4] ، ((فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (52) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ))[5]

ـ جاء في تفسير الكشاف : (((وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ) .. ومن يتعام عن ذكره أي : يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم "))[6] .

ـ وفي تفسير ابن كثير : (({ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي } أي: تعاموا وتغافلوا وتصاموا عن قبول الهدى وإتباع الحق ، كما قال تعالى : { وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ } [الزخرف : 36] وقال هاهنا : { وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } أي : لا يعقلون عن الله أمره ونهيه))[7] .

ـ وفي ظلال القرآن : ((والمقصود هنا هو العماية والإعراض عن تذكر الرحمن واستشعار وجوده ورقابته في الضمير ، { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين } وقد قضت مشيئة الله في خلقة الإنسان ذلك . واقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه ، فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ، ويزين له السوء))[8] .

ـ أصل الكفر بالله والآخرة في القلب هو نسيان الله والآخرة ، أي غياب الإحساس بالقيمة :

ـ لأن كل الناس يؤمنون نظريا بالله والآخرة ، فوجود الإيمان أو عدم وجوده يعني وجود أو عدم وجود الإحساس بالقيمة ، ففي الحديث : ((يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول الله له ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا قال فيقول لا فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني))[9] فالإنسان يوقن بالآخرة ولقاء الله و لا ينسى ذلك ولكنه يتناسى الآخرة ويتشاغل عنها ويتغافل عنها كأنه نسيها ، فيعامله الله بنفس المعاملة أي يتناساه ويهمله ويتركه في العذاب فيعامله معاملة الناسي له ، ومعنى أن الإنسان يتناسى الآخرة أي لا يشعر لها بقيمة في شعوره لأن الأمر التافه هو الذي ينساه الإنسان فتعامل مع ا لآخرة كأنها أم تافه لا قيمة له لذلك تشاغل عن الآخرة .

ـ والله أعطاه النعم لكي يتعرف منها على الخالق ويحبه ولكن بدلا من ذلك تشاغل بها عن الله والآ خرة ، فبدلا من أن تكون سببا لهدايته جعلها هو سببا للخسران ففي تفسير أبي السعود : (((وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) حتى نسوا الذكر أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء اختيارهم ذريعة إلى الغواية))[10] .

ـ المعلومات أربعة أنواع :

---

(1) الملك : 10
(2) الأنعام : 36
(3) البقرة : من الآية 269
(4) النمل : 81
(5) الروم : 52 ، 53
(6) تفسير الكشاف : [جزء 1 - صفحة 1170]
(7) تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 201)
(8) ظلال القرآن - (ج 6 / ص 375)
(9) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ، ج : 4 ، ص : 619 ، برقم : 2428)
(10) تفسير أبي السعود - (6 / 209)

1ـ معلومات لا قيمة لها :

ـ هي معلومات غير مهمة أو غير مؤثرة أو ضئيلة القدر أو التي لا نفع فيها ولا ضرر أو التي لا تحقق سعادة ولا تحقق ألم أو التي لا لذة فيها ولا ألم أو التي فيها لذة ضئيلة أو ألم ضئيل ، فمثلا إذا أخبرتك بأن الحيوان له أربعة أرجل أو بأن الشمس تشرق في الصباح أو بأن الأذن تجعل الإنسان يسمع واللسان يجعله يتكلم وهكذا ، فهذه معلومات لا تثير انتباهك وليست ذات قيمة عندك وليس لها نفع أو ضرر عليك .

2ـ معلومات ذات قيمة عظيمة :

هي معلومات مهمة ومؤثرة أو عظيمة القدر أو التي فيها نفع كبير أو ضرر كبير أو التي تحقق سعادة أو ألم أو التي فيها لذة أو ألم ، فمثلا إذا أخبرتك أن أباك قد مات ، أو أنك قد فزت بجائزة عظيمة ، أو أن بيتك يحترق الآن ، فهذه معلومات تثير انتباهك و ذات قيمة عندك ولها نفع أو ضرر كبير عليك .

3ـ معلومات لا قيمة لها وتبدو كأنها عظيمة القيمة :

ـ وذلك مثل ضآلة الدنيا وضعف الإنسان (ضآلة ما سوى الله) ، فالدنيا عبارة عن قطعة من الطين مغطاة بقشرة من الذهب ، ففيها تزيين وخداع كبير جدا فتبدو للناظر على أنها عظيمة القيمة والقدر ، فلابد من الإحساس بمدى ضآلتها وحقيقتها .

ـ وكذلك الإنسان فهو عبارة عن قطعة مصنوعة من الطين لا تستطيع أن تتحرك ولا أن ترى ولا أن يكون لها روح ولا أن تملك شيئا فكل ذلك لا يتم بواسطتها ومن ذاتها ولكن كل ذلك موضوع فيها وضعه الخالق فيها ، فالإنسان ليس هو الذي جعل نفسه إنسانا ولكنه مصنوع بيد غيره ، فهذه الإ مكانيات الموضوعة في الإنسان من العقل المبهر والإرادة القوية والقوة العضلية كل ذلك فيه تزيين وخداع كبير جدا فيبدو الإنسان لنفسه أنه عظيم القيمة والقدر فيستكبر ويتأله على الله ، فلابد من ا لإحساس بمدى ضعف الإنسان .

ـ فضآلة الدنيا وضعف الإنسان هي معلومات غير مؤثرة لأن الشيء الضئيل أو الضعيف ليس له قيمة أو أهمية ، وهذا يؤدي إلى عدم تأثر مشاعر الإنسان بالدنيا أو بنفسه ، لأن نفسه ذات قيمة ضئيلة لا حول لها ولا قوة ، وهذا معناه الشعور بالخضوع والشعور بالتوكل .

ـ فكل الناس يعرفون أن الدنيا وما فيها إلى زوال ، وأن كل ما فيها من متع فهي ضئيلة ومؤقتة ((مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللهِ بَاقٍ))[1] ، وأن السعادة لا تحقق بالمال ولا بالجاه ، وأن الإنسان مخلوق ضعيف لأنه نشأ من نطفة لا حول لها ولا قوة ثم طفل ضعيف ثم فترة شباب صغيرة ثم ضعف الشيخوخة ثم الوفاة ومفارقة الأحباب والملذات وكل شيء ، كما أنه ضعيف القدرات أمام خلق السماوات والأرض ، وجميع الناس يعرفون ذلك تماما ويوقنون بذلك تماما ، لكن ذلك اليقين عند البعض لا يزيد عن أنه يقين نظري فقط ، أما اليقين الحقيقي عندهم هو عكس ذلك تماما ، فاليقين الحقيقي الذي في شعورهم ومشاعرهم والذي يظهر أثره عليهم هو أن المال والجاه والشهوات و الدنيا ذات قيمة كبيرة وعظيمة في نظرهم ومشاعرهم ، وأنهم خالدين فيها ، وأن كل ما فيها من متع فهي كبيرة ودائمة ، وأن السعادة تحقق بالمال والجاه ، وأن الإنسان مخلوق قوي حر ، فالإحساس بـ القيمة غائب عندهم .

ـ قال تعالى : ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))[2] ، فالدنيا لها زينة خادعة تجعل الزراع

---

(1) النحل : من الآية 96
(2) الحديد : 20

يعجبون بها ثم لا تلبث أن تكون حطاما ، وفي الحديث : ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب للدنيا مثلا فانظر ما يخرج من ابن آدم ـ وإن قزّحه وملحه ـ قد علم إلى ما يصير))[1] فالدنيا مثل الطعام يبدو لذيذا وشهيا في البداية لكنه يتحول إلى براز ، فظاهر الدنيا أنها حلوة خضرة وحقيقتها أنها مثل البراز .

ـ والدنيا مثل النار ، والناس مثل الفراش ، والنار تبدو مضيئة جميلة فيقترب منها الفراش حتى يقعوا فيها فيموتوا ، والرسول (ص) يشد الناس بعيدا عنها وينذرهم وهم يقعون فيها ، ففي الحديث : ((مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها))[2] .

ـ فالدنيا في ظاهرها حلوة لكنها حقيقتها لا تساوى سيئا ، ففي الحديث : ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء))[3] ، وفي حديث آخر : ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع))[4] .

ـ فالشهوات ضئيلة القيمة ولكنها مغلفة بغلاف خادع يجعلها تبدو أنها عظيمة القيمة جدا وبذلك تجذب الناس لها فيقعون فيها وحينئذ لا يجدو غير متع ضئيلة القيمة ، فلابد أن تصل درجة الإ حساس بالقيمة من القوة بحيث أنها تكشف حقيقة هذا الخداع ، ولابد أن يكون هذا الإحساس بـ القيمة من القوة بحيث يؤدي إلى أثره على خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوع .

4ـ معلومات ذات قيمة عظيمة وتبدو كأنها لا قيمة لها :

ـ وذلك مثل عظمة قيمة وخطورة الغيبيات ، فالغيبيات مثل قطعة من الذهب موضوعة داخل كومة من القش ، فالغيبيات هي أمور لا نراها ، فالأمر يبدو كأنه ليس ذو قيمة ، والمطلوب هو الإحساس بمدى قيمتها لأنها كنز عظيم ينبغي الوصول إليه ، أو هي قنبلة داخل كومة قش ، فالأمر يبدو كأنه ليس ذو قيمة فينبغي الاهتمام لها حتى يتجنب عاقبتها .

ـ فمعرفة وجود الله ومدى قدرته وعظمته ، ومعرفة وجود الآخرة ومدي خطورتها وما فيها من أهوال وأنها المستقبل والمصير هي معلومات خطير جدا ، وجميع الناس يعرفون ذلك تماما ويوقنون بذلك تماما ، لكن ذلك اليقين عند البعض لا يزيد عن أنه يقين نظري فقط .

ـ مراحل التعامل مع المعلومات (دعوة الرسل) :

ـ أولا : عند الإنسان الحي ، فإنه يتعامل مع المعلومة كالتالي :

1ـ المرحلة الأولى : ما قبل وصول المعلومة (مرحلة التزيين) :

ـ المعلومة التي تصل للإنسان إما أن تكون لشيء لا يعرفه أو يعرف ضده ، إذا كانت المعلومة لشيء لا يعرفه فقبولها سهل ، أما إذا كانت لشيء يعرف ضده فقبولها يكون صعبا ، فدعوة الرسل هي من النوع الثاني ، أي أنها جاءت على عكس ما يعرفه الناس ، فالناس يعرفون أن الدنيا وما بها من شهوات وملذات هي أمور لها قيمة كبيرة في نفوسهم وأن الدنيا هي دار إقامتهم وأن الموت هو نهاية الحياة ، وهم بما يمتلكونه من شهوات وملذات ونعم ومن مميزات عند البشر غير موجودة عند أي أحد على الأرض فقدرتعم فوق الحيوانات وقدرتهم تتحكم في الأشياء على الأرض لذلك فهم يحسبون أنفسهم أسيادا على الأرض وليسوا عبيدا ، فيرون أنفسهم ذات قيمة كبيرة ، وسبب هذه

(1) التخريج : صحيح (السلسلة الصحيحة : ج : 1 ، ص : 731 ، برقم 382) ، وقزّحه أي وضع عليه التوابل .
(2) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 5858 في صحيح الجامع)
(3) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3240)
(4) حديث صحيح (رواه مسلم ـ برقم 5156)

المعرفة الخاطئة هو أن طبيعة الدنيا هى أنها عبارة عن قطعة من الطين مغطاة بقشرة من الذهب فتبدو كأنها عظيمة القيمة ، فطبيعة الدنيا هي أنها مزينة خادعة ، وما أعطاه الله للإنسان من تكريم وأفضلية هي عطاء من الله وهم يظنون ذلك من ذوات أنفسهم .

2ـ المرحلة الثانية : وصول المعلومة (بلوغ دعوة الرسل) :

ـ لابد أولا أن تصل المعلومات إلي الإنسان سواء بطريق السماع أو بطريق التفكير في الأمر ، فالرسل جاءت لتبين للناس حقيقة الدنيا أنها لا قيمة لها وأن كل ما يملكونه من ممتلكات ومميزات وقدرات ليست ملكا لهم وانما هي مجرد نعم وعطاء من أحد له القدرة عليهم وهو الذي خلقهم أنفسهم وهو الله سبحانه ، وبالتالي هم عبيدا عليهم أن يخضعوا للخالق ويعبدونه ويعيشون له .

3ـ المرحلة الثالثة : المعرفة النظرية واليقين النظري :

ـ جاءت الرسل بالبينات والحجج واضحة فلا يستطيع أي إنسان إلا أن يصدقها طالما أنه غير مجنون أو صبي لم يبلغ الحلم .

ـ فالإنسان يسمع المعلومة ويعرف الحجج والدلائل واضحة على صدق هذه المعلومة ، فيصدق بها بـ الضرورة ، ولكن هذه المعرفة وهذا التصديق لا يزال معرفة نظرية وتصديقا نظريا ، أي من حيث صحة الأدلة فهي صحيحة ، فلا يزال لم يشعر بقيمتها بعد ، فيوقن بذلك تماما من ناحية الأدلة لوجود الدلائل واضحة ، فهذا يقين نظري من حيث الأدلة ومن حيث أن المبدأ صحيح والكلام صحيح ، ولا يستطيع الإنسان أن يمنع عقله من الاقتناع بشيء صحيح من ناحية الأدلة ، فاليقين النظري يحدث بالضرورة لأي إنسان ما لم يكن مجنونا أو صبيا أو مصابا في عقله بأمراض ، وهذا يقين نظري لا يزال لم يشعر بقيمته بعد .

4ـ المرحلة الرابعة : الإحساس بالقيمة (اليقين الحقيقي) .

5ـ المرحلة الخامسة : خوف المهابة من قدرة الله وحب الإعجاب بقدرته .

6ـ المرحلة السادسة : الخضوع خوفا من مهابة الله وحبا في الانتماء له .

7ـ المرحلة السابعة : يقول بالشهادتين وهو يشعر بحقيقة ما يقوله فيكون مؤمنا ، ويعمل الصالحات .

ـ ثانيا : عند الإنسان الميت ، فإنه يتعامل مع المعلومة كالتالى :

1ـ المرحلة الأولى : ما قبل وصول المعلومة (مرحلة التزيين) : كما سبق .

2ـ المرحلة الثانية : وصول المعلومة (بلوغ دعوة الرسل) : كما سبق .

3ـ المرحلة الثالثة : المعرفة النظرية واليقين النظري : كما سبق .

4ـ المرحلة الرابعة : الإستكبار .

4ـ المرحلة الخامسة : تعطيل الإحساس القيمة بتجاهل الأمر والتغافل عنه .

ـ ويحدث التغافل لإخفاء الاستكبار لأنه لا يستطيع أن يرفض المعلومة لأنها صحيحة ولأنه ليس لديه أدلة أو علم على ذلك يدل على أنها خاطئة ، وهو يوقن بأن هذه المعلومة صحيحة تماما ، فيلجأ إلى حيلة ، وهي الهروب والتجاهل والتغافل لهذه المعلومة كأنه لم يسمعها ولا يعرفها لأنه لا يستطيع مواجهتها بالحجج والأدلة أو يجادل بغير علم وهو يعلم أنها حق .

5ـ المرحلة الخامسة : لا يتحقق خوف المهابة من قدرة الله وحب الإعجاب بقدرته .

6ـ المرحلة السادسة : لا يتحقق الخضوع خوفا من مهابة الله وحبا له .

7ـ المرحلة السابعة : إما أن يعلن رفضه لهذه المعلومة فيرفض الإسلام بلسانه فيكون كافرا ، أو يقول بما يقوله المسلمون وهو لا يشعر بخطورة ما يقوله ولا يشعر بخطورة ما عنده من تجاهل وتغافل

فيكون منافقا ، والطريق الوحيد لتحقيق الإيمان الحقيقي عند من وقع في النفاق الأكبر أو الكفر هو إيجاد الإحساس بالقيمة أي عودة السمع والبصر والعقل للعمل بصورة سليمة أي عودة الحياة بعد أن كان ميتا ، فعندئذ يشعر بخطورة وحقيقة ما دعت إليه الرسل فيؤمن إيمانا حقيقيا .

ـ الكلمة التى لا يشعر الإنسان بقيمتها فكأنه لا يعرف معناها وتصبح كأنها لا معنى لها :

ـ إذن الغيبيات عبارة عن أمور خارقة للأسباب فهي معلومات مؤثرة جدا وبالتالي تستجلب الإحساس بالقيمة وتؤثر على مشاعر الإنسان وعمله ، فإذا لم يحدث ذلك فهذا معناه أن الإنسان رفضها استكبارا وتغافل عنها .

ـ فالعقيدة عبارة عن معلومات ، والتعامل مع أي معلومة لا يكون فقط بالاقتناع والتصديق النظري ، فلا يصح اعتقاد الإنسان حتى يتحقق الإحساس بالقيمة لحقيقة ما يعتقد وينشأ عن ذلك مشاعر متعلقة بالله والآخرة ، ولأن بعض كتب العقيدة تتناول العقيدة من جانب الاقتناع والتصديق النظري فقط ، ولذلك فهذا الكتاب الذي بين يديك الآن هو كتاب في العقيدة ، لكنه لا يتناول العقيدة من ناحية الاقتناع والتصديق النظري فقط ولكن من جانب الإحساس بالقيمة لخطورتها ووجودها في مشاعر المؤمن .

ـ إذن التعامل مع أي معلومة لا يتم فقط كمعرفة نظرية ويقين نظري ، وإنما لابد من الإحساس بمقدار ما في المعلومة من أهمية وخطورة أو ألم ولذة ، وبالتالي تكون المعرفة بهذه المعلومة معرفة حقيقية .

ـ فمثلا معنى كلمات : (إله) و(رب) و(الآخرة) و(الموت) و(الرسل) و(القرآن) و(الملائكة) و (القضاء والقدر) و(الموت) و(الدنيا) في اللغة وفي الشرع وفي العقل معروف وموجود عند الجميع ، ولكننا لا نعرف معنى هذه الكلمات في المشاعر !! ، فإن المعنى الذي يهم من معرفة أي شيء هو الشعور بمدى أهميته أو مدى قدره وقيمته أو مدى ما ينشأ عنه من نفع أو ضرر ، وبالتالي مدى تأثيره على المشاعر ، فكلمة الآخرة والسفر إليها تعني الشعور بالخوف والشعور بالغربة ، وكلمة الخالق تعني أن هناك من له سيطرة وقدرة وتحكم فوق كل الناس والكون وهذا يعني الشعور بخوف المهابة وحب الإنتماء إليه فيخضع له خوفا وحبا ، وكلمة رب تعني أنه أوجدك وأقامك وأمدك بما تحتاج وهذا يعني حبه تعالى ، وكلمة مخلوق تعني ضعف المخلوق ونقصه واحتياجه للخالق ليحيا ويقضي حاجاته وخضوعه لهيمنة الخالق وسيطرته ، ولذلك فإن الذي يشعر بعظمة الله وقدره وقدرته فقط هو الذي قد عرف الله وعرف أنه مخلوق معرفة حقيقية وهو الذي يحب الله وهو الذي يجيب على سؤال القبر " من ربك ؟ " ، وإن الذي تكون وجهته في حياته إلى الله هو الذي يجيب على سؤال " ما دينك ؟ " ، وإن الذي يشعر بأن هناك رسالة نزلت من السماء إلى البشر لتقيم الحجة عليه فيحب الرسول (ص) هو الذي يجيب على سؤال " من نبيك ؟ " ، أما الذي تنقطع مشاعره عن الله واليوم الآخر وتتوجه إلى الدنيا ، فالدنيا والشهوة ربه ودينه .

ـ ولذلك عندما نظر الأستاذ المودودي إلى حال بعض الناس ظن خطئا أن المشكلة عندهم هي أنهم لا يفهمون معاني كلمات (الإله) و(الرب) و(العبادة) و(الدين) فقال : ((لما نزل القرآن الكريم في العرب وعرض على الناطقين بالضاد كان كل امرئ منهم يعرف معنى الإله وما المراد بالرب ، لأن كلمتي الإله والرب كانتا مستعملتين في كلامهم من ذي قبل ، وكانوا يحيطون علما بجميع المعاني التي تطلق الكلمتان عليها ، ومن ثم إذا قيل لا إله إلا الله ولا رب سواه ولا شريك له في ألوهيته وربوبيته ، أدركوا ما دعوا إليه تماما ..... وكذلك كانت كلمتا العبادة والدين شائعتين في لغتهم ، وكانوا يعلمون ما العبد وما الحال التي يعبر عنها بالعبودية ..... ولكن القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدل فيها المعاني الأصلية الصحيحة لجميع تلك الكلمات ، تلك المعاني التي كانت شائعة بين القوم عصر نزول القرآن ، حتى أخذت تضيق كل كلمة من تلكم الكلمات الأربع لما كانت تتسع له وتحيط به من قبل ، وعادت منحصرة في معان ضيقة محدودة لمدلولات

غامضة مشتبهة))[1] ، وهذا الكلام خاطئ لأن المشكلة ليست في معاني الكلمات ولكن في المشاعر المصاحبة لتلك الكلمات ، وهذه المشاعر لا يعلم بوجودها إلا الله تعالى ، وقد إعترض الأستاذ حسن الهضيبي على كلام الأستاذ المودودي فقال : ((إن هذا التقرير لا يتفق مع الواقع ، ذلك أنه أيا كانت المعاني التي كانت شائعة في الجاهلية لتلكم الكلمات ، فإن القرآن قد جاء محددا لما يقصده من كل منها ، محددا المفهوم المعني من كل لفظة من ألفاظها))[2] .

ـ ومن هنا نعرف كيف وصف الله الكافرين والمنافقين بأنهم أغبياء لا يفهمون ولا يعقلون رغم أنهم مقتنعون نظريا بصدق الرسول (ص) ، فالكفار يعلمون الحق بعقولهم ويفهمونه جيدا بعقولهم لكن مشاعرهم تأبى الإذعان والاستسلام لذلك وبالتالي فمشاعرهم جاحدة مستكبرة : ((فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ))[3] ، ((وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ))[4] ، ((إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ))[5] .

ـ ونستطيع أن نلخص ذلك بأنه لا يصح الإيمان بالله والآخرة والغيبيات إذا لم يكن لله والآخرة و الغيبيات قيمة ولا قدر في شعورة ، وإذا لم تتأثر مشاعره بخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع .

ـ فمثلا الذي يكون حبه وخضوعه وخوفه ورجاءه للدنيا وليس لله ، فإن يقول بمشاعره : ((إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))[6] ، وإن كان عنده اليقين النظري التام بالله والآ خرة .

ـ ولكن هناك من يتعامل مع المعلومات المؤثرة بدون غياب الإحساس بالقيمة ، فمثلا هناك من ينظر إلى السماء أو الأرض أو المخلوقات على أنها شيء عادي كمعلومات جرداء دون النظر إلى ما وراء الأ شياء ومن وراء هذه الأشياء ، وكذلك ينظر إلى الآخرة كمعلومات دون الإحساس بأهميتها وخطورتها ، وكذلك يتعامل مع الله وصفاته كمعلومات دون الإحساس بتأثيرها وخطورتها على الإنسان وصلتها بـ الإنسان ومصيره ، ودون أن يقدر الله وعظمته ، وعالم الغيب بما فيه من أهوال وعجائب تهز الوجدان والمشاعر ، ذلك المصير المحتوم المخيف الذي في إنتظارك ، وحياتك وبيتك هناك ، فذلك يستحق أن تفكر فيه وتتصوره وتشعر به ، لكنه يتعامل مع الغيبيات على أنها مسألة اقتناع نظري أو عدم اقتناع نظري فقط ، وهو مقتنع نظريا بها وانتهى الأمر على ذلك ، ذلك لأن عالم الغيب لا يمثل عنده أي قضية من أساسه في حقيقة الأمر .

ـ لذلك فقد يكون هناك علماء في كل أمور الدنيا والدين ويعملون بذلك العلم ، ورغم ذلك هم يخلدون في النار لأنهم تعاملوا مع كل أمور الدنيا والدين بدون إحساس بالقيمة لحقيقة ما يعلمون وبدون تأثر مشاعرهم بذلك فهم يعيشون بغير إحساس بالقيمة فبذلك طبع على قلوبهم فهم كالموتى .

ـ فالإيمان بتعبير بسيط جدا عبارة عن اقتناع نظري ومشاعر وعمل ، والمشاعر هي الإحساس بالقيمة وخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع والتوكل ، فالإيمان هو اقتناع نظري بالله والآخرة وأركان الإيمان ، ومشاعر متعلقة بالله والآخرة وأركان الإيمان ، وعمل بالجوارح ، فإذا لم تكن هذه المشاعر موجودة فإن الإنسان يخلد في النار لأن هذه المشاعر من أصل الإيمان ، أما العمل فهو أثر تلقائي لهذه المشاعر .

ـ أمثلة توضيحية تبين أن التعامل مع المعلومات يحتاج إلى الإحساس بقيمتها :

(1) المصطلحات الأربعة ـ الأستاذ المودودي ـ الطبعة الثامنة ـ ص 8 ـ 21
(2) دعاة لا قضاة ـ الأستاذ حسن الهضيبي ـ ص 33 (دار التوزيع والنشر الإسلامية)
(3) الأنعام : من الآية 33
(4) النمل : من الآية 14
(5) غافر : من الآية 56
(6) المؤمنون : 37

ـ مثال (1) : أنت إذا وقفت أمام أسد حقيقي ولم تشعر بخطورة الأمر فلم تشعر بالخوف فهذا معناه أن هذا الأسد في حقيقته بالنسبة لك هو تمثال أو صنم ، والفرق بين الأسد الحقيقي والأسد الصنم أن الأخير لا ينفع ولا يضر ، وهما مشتركان فقط في الإسم ، فالأول له إسم حقيقي والثاني له إسم مخترع ما أنزل الله به من سلطان ، لذلك عاب الله علي قوم يعبدون أصنام لا تنفع ولا تضر ((قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لا يَنْفَعُكُمْ شيئا وَلا يَضُرُّكُمْ))[1] .

ـ فكذلك معنى أن يعلم الإنسان أن له ربا وإلاها يعني أن هناك أحدا غير الإنسان لا تراه ذو قدر وقدرات هائلة فوق قدرات الإنسان وأنت وما تملك عبارة عن جزء من ممتلكاته وكل أمرك بيده ألا يدعوا ذلك إلى أن ترهبه وتخافه وتشعر بالذل والضعف أمامه ، فإذا لم تشعر بالخوف من الله ، فهذا يعني أن الله في نظرك مجرد اسم متشابه مع الاسم الحقيقي ، فالشيء الذي لا يؤثر على مشاعر الإ نسان هو شيء لا ينفع ولا يضر كالصنم ، وعدم الخوف ينشأ من غياب الإحساس بالقيمة .

مثال (2) : لو قالوا لك أن أباك قد مات ، فلو علمت ذلك بطريق الاقتناع النظري فقط فإن هذا الأمر عادي ، فهو مجرد معلومة عرفتها ، ولكن الإنسان الطبيعي يعرف هذا الأمر بطريق الإحساس بقيمتها ، فيشعر بمدي ما في هذا الأمر من أهمية وخطورة وأنه غريب ومفاجئ ، فيشعر بأنه سيحرم من و الده للأبد ، ويتذكر كذا وكذا فيشعر بالذهول والحزن والضيق .

ـ مثال (3) : الوردة قد ينظر إليها الإنسان وهو يعرف بأن ألوانها جميلة لكن لا تلفت انتباهه أصلا ، وقد ينظر إليها آخر فيتذوق مدي ما فيها من جمال فتتفاعل مشاعره ويستمتع بها .

ـ مثال (4) : الذي يدخن وهو مقتنع تماما بأن التدخين ضار جدا بالصحة كما هو مكتوب علي علبة السجائر ، لكنه لا يشعر بمدي خطورة ذلك الأمر ولا يرضى به ولا يعجبه ، لذلك فهو يدخن .

مثال (5) : أنت عندك يقين واقتناع نظري تام بعذاب القبر وسؤال الملكين ، فلو قام إليك أحد الموتى ليخبرك عن ما كان من سؤال الملكين وعذاب القبر فتقول له وأنت بارد القلب : أنا أعرف ذلك وأكثر منه ، فلو جاء بعصاة وضربك بها لكان محقا ويقول لك أنت ليس لديك أي شعور عن عذاب القبر لأنك لا تشعر بمدي خطورة هذا الأمر وألم هذا العذاب .

مثال (6) : الإنسان من الممكن أن يقتنع أن ركعتين خالصتين أفضل من ألف جنيه ، لكن في مشاعره هو لا يشعر بالرضا والارتياح والقبول النفسي لذلك ، فيشعر بأن الألف جنيه أفضل وذلك لأنه لا يشعر بقيمة الركعتان الخالصتان في الآخرة ويقارنها بمدي ضآلة قيمة الأموال وفناءها ، فإن ركعتي الفجر مثلا أفضل من كل أموال الدنيا وما فيها ففي الحديث : « رَكعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا »[2] ، فهناك مَنْ يشعر بذلك بدون حرج في النفس وهناك مَنْ إذا رجع إلى حقيقة ما في نفسه يجد في نفسه حرج .

مثال (7) : هناك من إذا قرأ القرآن تأثرت مشاعره لمجرد أنه شعر أن هذه الآيات هي كلام الله حتى من غير أن يعرف معناها ، وقد يظهر ذلك التأثر في صورة بكاء وقد لا يظهر لكن يهتز الوجدان من الداخل ، في حين أن الكثير يقرءون القرآن وهم على اقتناع نظري تام بأنه كلام الله من غير أن يتأثروا ، ذلك لأن مجرد الاقتناع النظري بأنه كلام الله لا يكفي فلابد من الشعور بأنه كلام الله ، وهناك من الصحابة من أسلم لمجرد سماعه آيات القرآن .

مثال (8) : إذا ذهبت لشراء مشغولات ذهبية من محل صائغ ، وأحضر لك البائع مشغولات ذهبية غاية في الجمال وأشكالها مبدعة ، ولكن بعد أن رجعت إلى البيت اكتشفت أن هذه المشغولات الذهبية ليست ذهبا وانما هي تقليد ، فأنت هنا انبهرت بالشيء الذي تشتريه ولم تشعر بحقيقة هذا الشيء ، فهكذا الدنيا تبدو كأنها مشغولات ذهبية فإذا لم تشعر بحقيقتها فكنت غافلا عن حقيقة ضآلتها فإنك تغتر بها ، فيؤدي هذا التزيين الخادع إلى تأثر خوف المهابة والحب وخوف العقاب

(1) الأنبياء : 66
(2) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 3517 في صحيح الجامع)

ورجاء الثواب والخضوعبها والعمل لها ثم بعد أن تشتريها تكتشف ضآلتها أو تظل غافلا لم تنتبه بعد شراءها ويوم القيامة تكتشف ضآلتها .

مثال (9) : لو عرض عليك إنسان أن تشتري جدي بدرهم واحد فقط ولكن المشكلة أن هذا الجدي ميت فهل توافق ؟ ، طبعا لا لأن هذا الجدي ميت فلا قيمة له ولا فائدة منه فلا تعبأ به لأنه لا قيمة له ولا تتفاعل مشاعرك وهمومك واطمئنانك به ، وهذا ما علمه الرسول (ص) لأصحابه ففي الحديث عن جابر بن عبد الله : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السوق داخلا من بعض العالية و الناس كنفيه فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به قال أتحبون أنه لكم قالوا لا قال ذلك لهم ثلاثا فقالوا لا والله لو كان حيا لكان عيبا فيه أنه أسك ـ والأسك الذي ليس له أذنان ـ فكيف وهو ميت قال فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم))[1] .

ـ الإحساس بالقيمة له أربعة حالات :

ـ يمكن تشبيه القلب بالكوب ، والإحساس بالقيمة بالماء الموضوع في الكوب ، فيكون هناك أربعة حالا ت هي :

1ـ الحالة الأولى :

ـ وهي أن يكون الكوب ممتلئا عن آخره ، ففي هذه الحالة يكون الإحساس بالقيمة كاملا ويكون اليقين الحقيقي كاملا ويصل الإنسان إلى كمال الإيمان ، والمؤمن مطالب بأن يكون على هذه الحالة فيكون قلبه ممتلئا بحب الله والخوف منه والخضوع له ورجاءه ، وذلك من معاني لا إله إلا الله ، أي لا أحب إلا الله ولا أخاف إلا من الله ولا أخضع إلا لله ولا أرجو إلا الله .

2ـ الحالة الثانية :

ـ وهي أن يكون الماء أعلى من نصف الكوب ، فيكون القلب فيه قدر من الماء وقدر من الهواء ، أي أن قدر الإحساس بالقيمة أكبر من قدر غياب الإحساس بالقيمة ، وبذلك يكون اليقين الحقيقي موجودا ولكن ناقصا وليس كاملا ، والإيمان موجودا ولكن ضعيفا وليس كاملا .

3ـ الحالة الثالثة (الشك) :

ـ وهي أن يكون الماء في منتصف الكوب أو أقل منه ، وهذا هو الشك ، فيقع الإنسان في النفاق الأ كبر ويكون مترددا مذبذبا ، ويكون عنده قدر من حب الله وقدر من حب الدنيا ، وحب الدنيا أكبر من حب الله .

4ـ الحالة الرابعة :

ـ وهي أن يكون الكوب فارغا تماما من الماء ، فلا يوجد إحساس بالقيمة ، فيقع الإنسان في النفاق الأ كبر ويكون منافقا خالصا ، ويكون قلبه ممتلئا بحب الدنيا ، وليس في قلبه ذرة من حب الله .

ـ مفهوم الشك :

ـ الشك إما أن يكون في اليقين النظري أو في الإحساس بالقيمة ، وحيث أن اليقين النظري موجود عند جميع الناس ، فالشك يكون في الإحساس بالقيمة ، وقد أوضحنا أن الحالة الثالثة من الإحساس هي الشك ، وفي تفسير الطبري : ((يقول تعالى ذكره : لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون بـ الكفر ويظهرون الإيمان (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) يعني : ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور))[2] ، أي أن المرض الذي في قلوبهم هو الريبة والشك بسبب حبهم للشهوات ، فالريبة والشك هنا مسألة مشاعر وليست في اليقين النظري .

---

(1) قال الشيخ الألباني : ص-ح-ي-ح (الأدب المفرد ج : 1 ، ص : 334 ، برقم : 962)
(2) تفسير الطبري - (ج 20 / ص 326)

ـ التكذيب يكون بطريقتين هما :

1ـ التكذيب بقول باللسان وباليقين النظرى :

ـ التكذيب باللسان هو أن يقول الإنسان بلسانه أنه لا يؤمن بالله أو بالرسل أو بالآخرة أو بالغيبيات ، ولكن التكذيب بالاقتناع النظري فهو مستحيل الوجود لأن أي إنسان غير المجنون والصبي بمجرد أن يسمع دعوة الرسل فإنه يجيبهم لأنها دعوة واضحة بالبينات والحجج ، والملحدين هم في قرارة أنفسهم يؤمنون نظريا بوجود الله وإذا جادلوا فإنهم يجادلون بغير علم وهم يعلمون الحق .

2ـ التكذيب بلسان المشاعر (بغياب الإحساس بالقيمة وخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع) :

ـ الإنسان قد يقول بلغة المشاعر ما لا يقوله بلغة القول باللسان ، فقد يقول الإنسان بلسانه وبيقينه النظري شيء ولكن بمشاعره يقول شيء آخر ، فالمشاعر تكشف حقيقة القول عند الصادق والكاذب في إدعائه الإيمان .

ـ فالمسلم الغافل عن الله والآخرة ليس لله في شعوره قدر ولا قيمة ولا للآخرة ، فهو يقول بلسانه لا إله إلا الله وعنده يقين نظري بذلك ، لكن حقيقة اليقين عنده هو أنه لا إله ولا حياة إلا الحياة الدنيا ، أو لا إله إلا المال أو المظاهر ... الخ .

ـ فمثلا قد يكون عند الإنسان يقين نظري تام بأن قيمة المال ضئيلة ويقول ذلك بلسانه ، لكن إحساسه وانبهاره بعظمة قيمة المال كبير ، فحقيقة اليقين عند هذا الإنسان هو أن المال عظيم القيمة ، ويتضح حقيقة اليقين عند الإنسان من أثر غياب الإحساس بالقيمة على مشاعره وعمله فقد تجد قلبه يتقطع حبا للمال وهمه مشغول بجمعه وكل عمله لتحصيل المال ثم يقول بلسانه واقتناعه النظري أن المال لا قيمة له ، فهذا الإنسان يحاسب يوم القيامة على حقيقة يقينه أن المال عظيم القيمة عنده .

ـ ومثلا كل إنسان عنده اقتناع نظري تمام وبلا أدنى شك أنه قد يصل إلى سن الشيخوخة وتضعف قواه أو أنه قد يتعرض لأمراض أو محنة ، لكن بلسان المشاعر فكأنما يقول : لن أمرض او أضعف أو أصل إلى الشيخوخة أو لا أريد أن أمرض او أضعف أو أصل إلى الشيخوخة ، فهذا في لغة المشاعر هراء ولا يمكن أن يحدث أبدا ! : ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[1] ، إن الإنسان لو شعر فعلا بخطورة أنه قد يتعرض للمرض والمحن لشعر بالخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وشعر بالخضوع لهذه القوة ، ولتغير حاله تماما ، ولذلك من الناس من إذا وصل إلى سن الشيخوخة ، أو من النساء من إذا وصلت إلى سن اليأس ، أو إذا تعرض لمرض أو محنة فإنه يستنكر ذلك ولا يسلم به ويحدث له اكتئاب شديد لأنه لا يريد لنفسه أن يمرض ولا يريد أن يموت رغم أن الناس من حوله يمرضون ويموتون ، فهو بمشاعره يعترض أولا على إمكانية حدوث المرض أو المحنة ، وينشأ عن ذلك أنه يعترض أيضا بمشاعره على الله وأن ذلك مقدر أو بأن هذا ظلم وتعدي من الله عليه بدون وجه حق ، ونفس الشعور قد يحدث له عند خروج الروح لأنه يسلب منه كل شيء ، وذلك رغم الإيمان النظري التام بالقضاء والقدر ، وذلك الإيمان النظري عندئذ لا قيمة له ، ولذلك فالشرع يعبر عن الإيمان بالقضاء والقدر بالرضا بالقضاء والقدر ، والرضا هو شعور داخلي وليس مجرد يقين نظري ، فعدم الرضا هو اعتراض بالمشاعر وإن كان موقنا يقينا نظريا وإن كان يقول بلسانه أنه راض وفي الحقيقة الشعور بالرضا غير موجود فقلبه متسخط .

ـ ومثلا آيات القرآن تبين أن الدنيا لعب ولهو والإنسان يصدق بذلك ، لكن تتأثر مشاعره بشدة بالأعمال الدنيوية ، فهو بذلك يقول بمشاعره أن الأعمال الدنيوية وأمور الدنيا غاية في الأهمية ،

---

(1) البقرة : 96

فحقيقة اليقين عنده أن الدنيا ليست لعب ولهو ، وإن كان يقول بلسان المقال وبلسان الاقتناع أنها لعب ولهو كما تقول الآيات بذلك .

ـ والعكس صحيح مع الغيبيات فإحساسه بقيمة وخطورة الغيبيات وتأثر مشاعره بها غير موجود ، فهو بذلك يقول بلسان المشاعر أن الغيبيات لعب ولهو ، وإن كان يقول بلسان المقال وبلسان الاقتناع أنها غاية في الأهمية والخطورة كما تقول الآيات بذلك ، فغياب الإحساس بالقيمة يؤدي إلى التجاهل والتعامي والتغابي والتناسي والتغافل والتشاغل والتلهي عن الله والآخرة ، وهذا معناه أن الإنسان يقول بلسان المشاعر أنه لا وجود للخالق ولا وجود للآخرة ، رغم وجود المعرفة النظرية التامة بالله والآخرة .

ـ الإنسان الذي لم يحقق اليقين الحقيقي يعلم ذلك في نفسه لكن لا يشعر بخطورة هذا الأمر :

ـ الغافل يتغافل عن أنه غافلا ! ، بمعنى أنه يعلم أنه يتغافل عن الله والآخرة ويعلم أن ذلك الأمر يورده الخلود في النار ، لكنه يتجاهل وقوعه في الغفلة كأنه لم يقع فيها ، ويتجاهل أن الغفلة توردة الخلود في النار ، ولا يشعر بخطورة الغفلة ولا يشعر بخطورة قضية وجود أو عدم وجود الغفلة ، لأنه لا يشعر أصلا بخطورة الجنة والنار ولا يشعر بخطورة ما ينفعه مما يضره ، فهو غافل عن نفسه قد نسي نفسه : ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ))[1] ، فهذا هو المنافق يعلم أنه منافقا لكن يتجاهل أنه منافقا ويتناسى الأمر ولا يشعر بخطورة النفاق كأنه لا مشكلة فيه أي يتجاهل خطورة النفاق ولا يشعر بخطورة قضية وجود النفاق أو عدم وجوده لأنه لا يشعر أصلا بخطورة الجنة والنار ولا يشعر بخطورة ما ينفعه مما يضره ، فهو غافل عن نفسه قد نسي نفسه ، لأنه فقد الإحساس بالقيمة فأصبح كأنه لا عقل له وكأنه ميت لأن وظائفه تعطلت .

ـ إن معرفة هل اليقين الحقيقي موجود عندك أم لا هي قضية خطيرة جدا لأنها يترتب عليها الخلود في الجنة أو الخلود في النار ، وبتعبير آخر هل الإحساس بالقيمة تجاه الله والآخرة الغيبيات موجود أم لا ، وبتعبير آخر هل تشعر بخوف المهابة من الله فعلا وهل تشعر بالحب والخوف من عقابه و الرجاء في ثوابه ؟ ، وبتعبير آخر هل عندك استعداد نفسي للقاء الله ؟ وهل حياتك كالمسافر الذي يستعد للرحيل ؟ ، وبتعبير آخر هل تشعر بحلاوة الإيمان والتي هي علامة تحقيق الإيمان في القلب ؟ .

ـ الإنسان يعرف في نفسه هو فقط الإجابة على هذه الأسئلة ، وبالتالي يعرف هل اليقين الحقيقي موجود عنده أم لا ؟ .

ـ فالإنسان الذي لم يتحقق عنده اليقين الحقيقي يعرف ذلك في نفسه ، ويعرف نظريا أن قضية وجود اليقين الحقيقي خطيرة جدا ، ولكنه لا يشعر بخطورة هذه القضية ، فلا يشعر بخطورة أمر الجنة والنار لأن الإحساس بالقيمة غير موجود عنده ، فكما أنه نسي الله والآخرة ، فهو أيضا نسي نفسه أي لم يعد يشعر بخطورة ما ينفعه مما يضره : ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ))[2] ، لذلك فهو يتغافل ويتجاهل ويتناسى ويتعامى عن مسألة عدم وجود اليقين الحقيقي عنده ولا يلقي لها اهتماما أو بالا ويظل يتلهى عنها بأمور الدنيا حتى يموت .

ـ فهو يعلم تماما أن لا يشعر بحب الله رغم أنه يقسم لك بأنه يحب الله ، وكذلك لا يشعر بالخضوع و لا الخوف ولا الرجاء ويقسم بعكس ذلك وبأنه يعيش من أجل رضا الله : ((وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))[3] ، لأنه لا يريد أن يحرج نفسه أمام الناس أو يتهمه الناس بعدم الإيمان : ((اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ))[4] ، بل إنه يأتي يوم القيامة فيقسم لله بأنه غير مشرك : ((ثُمَّ

(1) الحشر : 19
(2) الحشر : 19
(3) المجادلة : 14
(4) المنافقون : 2

لَمْ تكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ))[1] .

ـ فالإنسان الذي يعيش لنفسه وليس لله يعلم ذلك ويعلم في نفسه أنه يعيش في غفلة عن الله والآ خرة وأنه يتعمد التغافل عن الله والآخرة وأنه لم يحقق في نفسه الخضوع والحب لله تعالى لأنه لا يحب هذا الشعور بالاستسلام لغيره ولا يحب أن يعيش لغير نفسه ودنياه ، ويعلم نظريا أن هذا الأمر خطير لأنه يؤدي به إلى الخلود في النار ، فهو يعلم نظريا خطورة هذا الأمر لكن لا يشعر بخطورة هذا الأمر لأن الله والآخرة ليس لهما قيمة في مشاعره .

ـ وهو لا يستطيع أن يجهر بما يعلمه عن نفسه لأنه أصلا لا يشعر بأنه أمر خطير كما لا يريد أن يحرجه الناس أو يتهموه بالنفاق ، فيلتزم بالإسلام اسما ومظهرا ويؤدي أعمالا إسلامية ، ولأنه لا يشعر بقيمة أي شيء فهو لا يشعر بحقيقة ما يعمله من الأعمال الإسلامية .

ـ فالإنسان إذا نظر إلى نفسه فإنه يعلم أن الله والآخرة والغيبيات ليس لها وجود في مشاعره ، ويعلم أن ذلك يقين نظري هزلي غير جاد وليس بيقين حقيقي لكن لا يهمه الأمر ويتجاهله لأنه ليس لديه إحساس بخطورة القضية .

ـ كما يمكنك أن تعرف في نفسك هل عندك شك وما مقدار اليقين الحقيقي في قلبك ، وذلك بأن تكتشف في نفسك كم يمثل قدر الله وقدرته من الأهمية في شعورك ؟ وكم يمثل قدر الآخرة من الأ همية والخطورة في شعورك ؟ وكم يمثل قدر الدنيا من الضآلة في شعورك ؟ .

ـ كما يمكنك أن تحدد في نفسك بدقة هل في قلبك حب الله والخضوع له والخوف منه ورجاءه و التوكل عليه ، وذلك بأن تعرف هل الحالة النفسية المميزة لكل شعور من هذه المشاعر موجودا عندك أم لا ؟ (وسوف نبينها في الفصل الخامس) ، فإذا لم تكن الحالة النفسية موجودة فهذه المشاعر غير موجودة .

ـ وإذا رأى الإنسان أن المواعظ لم تعد تؤثر فيه ، فيسمع كل يوم عن موت فلان وفلان فلا يتأثر ، ويسمع المواعظ من الخطباء فلا يتأثر ، ويسمع عن عواقب الذنوب في الآخرة فلا يرجع لأنه أصلا لا يشعر بالآخرة ، ولا يحب الحديث عن الموت والآخرة بينما يحب الحديث عن لهو الدنيا : ((وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ))[2] ، ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[3] ، فعندئذ يعلم في نفسه فقط أن قلبه قد مات .

ـ **الناس صنفين** :

1ـ غيبيين أو أخرويين أو ربانيين أو عارفين (عندهم إحساس بالقيمة للغيبيات) : فهؤلاء محور حياتهم يدور حول الغيب ، أي قضيته التي يعيش لها هي قضية غيبية ، وهؤلاء هم العارفين بالله معرفة حقيقية (والإنسان في نفسه فقط يعلم هل المعرفة الحقيقية موجودة في القلب أم لا ؟) ، فكل همهم وتفكيرهم ومشاعرهم هو انتظار مجيء الحياة الأخرى والاستعداد لها ، فإنك عندما تتكلم مع إنسان وتتعايش معه قد تشعر علي سبيل الاحتمال أنه ليس في مشاعره ولا في حساباته شيء اسمه الجنة أو النار أو أن هناك ربا يسمعه ويراه : ((وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ))[4] ، في حين عندما تتكلم مع إنسان آخر وتتعايش معه تشعر بأنه رجل غيبي أخروي رباني بمعنى أن عيشته وفكره وقضيته وسلوكه تدل على أنه يعيش في انتظار حياة أخرى ، ويعيش كأنه يفر من أحد أو يخافه (يفر من الله ويخافه) ويعيش معيشة المسافر الغريب عن وطنه وأهله .

2ـ دنيويين أو علمانيين أو دهريين أو جاهلين (ليس لديهم إحساس بالقيمة للغيبيات) : فهؤلاء لا

(1) الأنعام : 23
(2) الزمر : 45
(3) لقمان : 7
(4) محمد : من الآية 30

يشعرون بالآخرة أو شعورهم بالآخرة أقل من شعورهم بالدنيا ، وهؤلاء جاهلين بقدر الله وعظمته ، وقد يكونوا مسلمين ويعملون أعمالا وعبادات إسلامية لكن يقينهم بالله والآخرة والغيبيات يقين نظري فقط وحقيقة مشاعرهم أنها معرضة عن الشعور بالغيب ، فتعامل مشاعرهم مع الغيب كأنه هزل أو أساطير أو أوهام أو خرافات أو حواديت ، فلا يشعرون بحب الله أو الخوف منه أو الخضوع له أو الخوف من النار أو حب الجنة .

الفصل الثاني
الإحساس بقدر الله (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)

ـ غياب الإحساس بقدر الله ورد في القرآن بتعبيرات مثل النسيان كما في قوله ((نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ))[1] ، ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ))[2] ، وعدم العلم ، ففي تفسير الطبري : ((وقوله : (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) يقول تعالى ذكره : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون قدر عظمة الله))[3] ، والجهل ، ففي تفسير ابن كثير : (({ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ } أي : تجهلون عظمة الله وجلاله))[4] ، وعدم الفقه ، ففي تفسير القرطبي : (((ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته))[5] ، وعدم المهابة ، ففي تفسير الطبري : ((عن مجاهد (مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا) قال : كانوا لا يبالون عظمة الله))[6] ، وعدم التذكر ، ففي تفسير الطبري : ((وقوله : (قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) يقول : تذكّرًا قليلا من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيرا ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته))[7] .

ـ الإنسان الطبيعي لا يمكن أبدا أن ينسى الله والغيبيات ، فالإنسان يعيش طول حياته وهو مراقب في كل لحظة من الله ومن الملكين فهل هذا يمكن نسيانه ؟! ، والإنسان طوال حياته محتاج لمن يمده بما يحتاج من ماء وهواء ورزق وعين تظل تعمل وقلب يظل يدق فهل يمكن نسيان من يقوم لك بهذا ؟! ، والإنسان واقع تحت سيطرة وتصرف أحد يفعل به ما يشاء في كل لحظة هو خالقه من الطين فهل يمكن أن ينسى ذلك ؟! ، والإنسان بعد لحظات قليلة يلاقى أهوال القيامة والجنة والنار فهل يمكن أن ينسى ذلك ؟! .

ـ ولكن الإنسان الميت غاب عنه الإحساس بالقيمة فأصبح يعيش كأنه فاقد الوعي لا يدري ما حوله لذلك فهو ينسى الله وينسى الآخرة .

ـ الإحساس بمعنى كلمة (خالق) أو (رب)

ـ مجرد العلم بأن لنا خالقا فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا خاضعين للخالق وأننا عبيدا خاضعين تحت سيطرته وقهره .

ـ إن الذي يوقن أن له خالقا يقدر عليه ويسيطر عليه ويرزقه ويملكه ، ثم لا يشعر بمدى قدرة الخالق عليه ويشعر بأنه خاضع وواقع تحت سيطرة وهيمنة الخالق عليه ، ويشعر بأنه ضعيف لا يقدر على شيء ولا يملك شيئا ولا يملك من أمر نفسه شيء إذ أن القدرة كلها للخالق والملك كله للخالق ، وأنه بغير الخالق لا يستطيع أن يعيش أو يتنفس لأن الخالق هو الذي يرزقه ويمده بما يحتاجه ، فيشعر بـ الخضوع له وبالحب له ، كل هذا يشعر به الإنسان لمجرد أن يوقن يقينا حقيقيا بأن له خالقا ، فإذا لم يتحقق هذا الإحساس بأهمية وخطورة معنى أن له خالقا فقد أفرغ الكلمة من معناها الحقيقي ، أي أصبحت كلمة (خالق) مفرغة من الأهمية والخطورة كأنها لا نفع فيها ولا ضرر ولا لذة ولا ألم ، فهو في حقيقة الأمر لا يعرف شيئا إسمه (الخالق) ولا يؤمن به إيمانا حقيقيا حيث أصبحت كلمة مفرغة من الأهمية والتأثير .

---

(1) التوبة : 67
(2) الحشر : 19
(3) تفسير الطبري - (ج 19 / ص 484)
(4) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 467)
(5) تفسير القرطبي - (ج 18 / ص 35)
(6) تفسير الطبري - (ج 23 / ص 634)
(7) تفسير الطبري - (ج 19 / ص 485)

ـ فالموافقة على الإسلام يعني قبول الاستسلام والذل طوال الحياة للخالق ، فالإسلام معناه الاستسلام ، ومعنى أن الإنسان مسلما هو أنه يقبل أن يعيش حياته عبدا كالخادم عند سيده ، فيعترف بأن كل صفات العظمة والقوة والكمال والمحامد هي لله فقط وكل صفات الضعف والنقص والعجز والذل هي للإنسان ولكل شيء غير الله تعالى ، وهذا من معاني " لا إله إلا الله " .

ـ تحدث الرسول (ص) عن عظمة الله فكان من شدة تأثره أنه كان يتمايل فيتحرك المنبر حتى كاد يسقط ففي الحديث عن عبد الله بن عمر قال : ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال ويتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم))[1] ، وعن ابن أبي مليكة قال جلسنا إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الحجر فقال : ((ابكوا فإن لم تجدوا بكاء فتباكوا لو تعلموا العلم لصلى أحدكم حتى ينكسر ظهره ولبكى حتى ينقطع صوته))[2] ، إن عظمة الله يقشعر منها جلود المؤمنين : ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ))[3] .

ـ فلابد أن تشعر بمدى الفرق الهائل بين صفات الله وصفات البشر مثل القدرة والقوة والعلم ... الخ ، فصفات القدرة والقوة والعزة والعظمة والكبرياء والكمال للخالق تعني صفات الضعف والنقص والعجز والذل والخضوع للمخلوق فعندئذ تشعر بمدى قدرة الله ومدى ضعفك فتشعر بمدى قدرة الله عليك ، إذن لابد من الشعور بضآلة وضعف الإنسان والشعور بعظمة الله وقدرته عليه ، فعندئذ يشعر الإنسان بالخضوع ، كما يشعر بالحب لله لاتصافه بصفات القوة والعظمة والجمال والكمال ، فإذا لم يشعر الإنسان بضعفه ونقصه وأنه لا يستطيع أن يقوم بأمر نفسه ويحتاج إلى من يقوم بأمره فهو لا يشعر بأن له خالقا ، فالمعنى الحقيقي لكلمة (خالق) أي الذي له القدرة والغلبة والقوة والقهر عليك والذي يمدك بكل ما تحتاجه ، والذي لا تستطيع أن تعيش بغيره ، ومعنى كلمة (مخلوق) أي الضعيف الخاضع تحت سيطرة وهيمنة الخالق ، وهذه المعاني ينبغي أن تكون في شعور الإنسان وليس كمعرفة نظرية .

ـ لا يتحقق الإيمان حتى يكون الإحساس بقدر الله أكبر من الإحساس بقدر الدنيا ، وحتى يكون الإحساس بقيمة الآخرة والنفع فيها أكبر من الإحساس بقيمة الدنيا والنفع فيها ، فالله في الاقتناع النظري أكبر وأعظم من كل شيء ، وكل إنسان يفهم ذلك جيدا ، لكن في المشاعر فقيمة الدنيا والنفع فيها أكبر ، كذلك لا يتحقق الإيمان عند الإنسان حتى يكون الله والآخرة أكبر إطمئنانه وطموحاته وحتى يكون الله والآخرة لهما وجود في همومه ، فما بالك إذا لم يكن الإحساس بقدر الله موجود أصلا ولم يكن الله والآخرة ضمن إطمئنانه أصلا .

ـ فلابد من الشعور بالمقارنة بين الخالق والمخلوق ، أي الشعور بأن هناك أحدا لا نراه وأنه ليس أحدا مثل البشر ولكنه أعظم وأكبر في قدراته عن قدرات البشر وأنه أعظم من أي قدرات يعرفها البشر ، فإن الخالق ذو قدر عظيم وقدرات وصفات أعظم من كل قدرات وصفات البشر أي أنه أكبر من الإنسان في قوته وإمكانياته وقدراته بحيث أنه استطاع أن يصنع كل هذا الكون فهو خارق للأسباب .

ـ إن الذي خلق البشر وخلق فيهم الحياة وجعل لهم سمع وبصرا وقوة ... الخ ، فهو أولى بهذه الصفات ، ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[4] ، فهي عند البشر صفات ضعيفة

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1429 ، برقم 4275)
(2) التخريج : صحيح موقوف (أي أن هذا هو قول عبد الله بن عمرو) (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3328) .
(3) الزمر : 23
(4) فصلت : من الآية 15

ناقصة ، والله له صفات الكمال ، وهذا يعني الخضوع لمن له الصفات الأعلى والأعظم فهو الأعلى وهو العظيم في صفاته والله أكبر من كل شيء ، وهذا يعني الإحتياج إليه وحب الانتساب إليه .

ـ فلابد من الشعور بأن لك خالقا هو الذي صنعك أنت وكل ما حولك ، وأنك وكل ما تملك عبارة عن جزء من ممتلكاته وكل أمرك بيده وأنت في يده ويستطيع أن يفعل بك ما يشاء ، وأنك لست حرا تدير نفسك بنفسك وأن عليك الاستسلام والخضوع ، ألا يدعوا ذلك إلى الإحساس بالذل والحاجة إليه وحبه والرهبة والخوف منه ! ، إن هذا يعني أنه ليس أحدا عاديا مثل البشر ، فالإنسان يحب أن يكون حرا مستقلا بمعنى أنه لا يحب أن يتحكم فيه أحد ولا يسيطر عليه أحد ، أما معنى أنه عبد أي أن هناك من يسيطر عليه ويتحكم فيه .

ـ فالقضية أن كلمات (خالق) و(رب) و(إله) في مشاعر البعض هو أمر عادي ، فكون أن له خالقا وإلاها هو أمر عادي ليس له تأثير في المشاعر ، وليس لهذه الكلمات أهمية أو خطورة تذكر من ناحية المشاعر ، إذن في الاقتناع فان الله هو ربنا وإلاهنا وهو العظيم والكريم والعظيم والقادر وكل صفات الجلال والكمال ، لكن في المشاعر لا يوجد شعور بما تعنيه هذه الكلمات من الهيبة والرهبة و الخشية والخضوع والخوف منه سبحانه ، إن صفات الخالق تعالي ليست صفات عادية مثل صفات البشر ، فان قدرة الخالق مبهرة تفوق كل التصورات وليست عادية فلماذا لا تنبهر ، وقدرته على أن يصنعك أنت فهذا أمر معجز وغاية في العجب ، فلماذا لا تشعر بالهيبة والانبهار والعجب والإعجاب و الدهشة والغرابة والخشية والرهبة والخوف والخضوع والحب لله تعالي ، فهذا معناه أن شعور المرء بصفات الخالق مثل شعوره بصفات البشر ، أي إذا لم يشعر الإنسان بعظمة الخالق في قلبه فهذا وقوع في النفاق الأكبر لأنه يسوي بينه وبين البشر : ((إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ))[1] ، وإن كان في ا لاقتناع النظري أن الله له كل صفات الجلال والكمال ، فنحن نتعامل مع صفات الخالق بدون أن نشعر بمدي عظمتها ومدي خطورتها ومدى تأثيرها وأثرها ، فإذا كان قدر الخالق وقدرته في شعور الإ نسان يساوي صفرا ، وقدر ما يصدر عنه من نفع أو ضرر في شعور الإنسان يساوي صفرا (فالشيء الذي لا ينفع ولا يضر لا تتفاعل به المشاعر) ، فلا تتأثر ولا تتعلق به المشاعر .

ـ فغياب الإحساس بقدر معنى كلمة (خالق) أو (إله) أو (رب) معناه غياب الإحساس بقدر ضآلة حجم الإنسان وضآلة قدرته وضآلة حجم الكون رغم اتساعه العظيم جدا ، فإن الله سبحانه يمسك السماوات كلها على إصبع واحد فقط من أصابع الرحمن سبحانه ، وكذلك الأرضين كلها على إصبع واحد فقط من أصابع الرحمن ، وكذلك الجبال الهائلة والأشجار جميعا على إصبع ، وكذلك كل الماء و الثرى في الكون على إصبع ، ففي هذا بيان لضآلة حجم كل ذلك ، ثم يبين الله مدى قدرته أمام كل ذلك بشيء بسيط جدا وهو أن يهزهن جميعا مما يعنى أن كل قوى البشر وكل قوى الجبال وكل قوى الكون ذليلة مهانة ، فأين المتكبرون ؟ ، ففي الحديث : ((جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع و الجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ، ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)))[2] .

ـ والله يرينا قدرته في الزلازل والبراكين وغيرها ، وانظر إلى أننا نعيش على قشرة أرضية عائمة على نار تغلي من صخور ذائبة فإننا نعيش على بحار من نار دون أن ندري !! .

ـ ومن لم يتحقق عنده المعرفة الحقيقية بمعنى كلمة (الخالق) يعيش حياته كالأعمى لا يفقه شيئا وفي القبر إذا سئل : من ربك ؟ قال : هاه هاه لا أدري لأنه فعلا لا يدري دراية حقيقية ومعرفة حقيقية بما يعنيه أن له ربا وخالقا .

---

(1) الشعراء : 98
(2) متفق عليه : (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5524)

ـ وهذا يؤدي بالضرورة إلى المشاعر التالية :

ـ الشعور بأننا واقعون تحت سيطرة قوة قاهرة أكبر من قوى العالم ، وهذا يعني أننا لسنا أحرارا ولكننا مملوكين عبيدا تابعين وهذا يعني بالضرورة الشعور بخوف المهابة من مدى قدرة الله ، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع خوفا من مهابة الله تعالى .

ـ والشعور بأننا ضعفاء لا نملك شيئا ولا حتى أنفسنا ، ولا نستطيع أن نجلب أي نفع لأنفسنا ، وأن ما عندنا من صفات كالقوة والإرادة والسمع والبصر ...إلخ هي أمور مخلوقة فينا ولنا وهذا يعني بـ الضرورة حب الخالق سبحانه والخضوع له والتوكل عليه ورجاؤه .

ـ والشعور بأن الله له القدرة على أن يحميك من أي خطر ، ويأتيك بكل نفع فتحبه ، كما أن له القدرة على أن يسلب منك أي نعمة أو يفعل بك أي شيء فتخافه [وله الحق في أن يفعل بك أي شيء لأن مالك الشيء يفعل به ما يشاء فلا تكرهه ولكن تحبه وإن قطعك إربا إربا لأن في ذلك خير لك أنت لا تعلمه : (بِيَدِكَ الخَيْرُ)[1] ، وفي الحديث : (يَوَدُّ أَهْلُ العَافِيَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ)[2] ـ أنظر الشعور بأن الله هو المالك] .

ـ الشعور بالطمأنينة والشعور بالعزة بـالله : فأنظر إلى أعظم قوة في العالم فالخالق هو الأعلى فلا تخاف ، أنظر إلى مَنْ يكيد لك وكيده أعلي منك فالخالق هو الأعلى الذي يمكر بالماكرين فلا يستطيعوا أن يمكروا بك ، أنظر إلى أي ملك من الملوك فـالله هو الأعلى ، ومن هنا العزة بـالله ((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ))[3] ، ((أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ))[4] ، وكل صفة قوة أو صفة حميدة في البشر فـالله هو الذي خلقها وهو أولي بها وأعلي .

ـ أنت إذا عرفت الله فلابد أن تحبه وتخضع له وتخافه ، لأن ذلك يعني أن هناك أحدا غير الإنسان لا تراه ذو قدر وقدرات هائلة فوق الإنسان وأنت وما تملك عبارة عن جزء من ممتلكاته وكل أمرك بيده ألا يدعوا ذلك إلى أن ترهبه وتخافه وتشعر بالذل والحاجة إليه وحبه ! ، فعندما يتصور الإنسان ويشعر بإنعام الله عليه وبصفاته فإنه يشعر بحب الله لأنه ينعم عليه ، ويشعر بالخضوع لله لاحتياجه لنعمه ، ويشعر بالتوكل علي الله لأنه وحده الذي يعطيه النعم ، ويشعر بالخوف من الله من أن يسلب منه النعمة ، ويشعر بالرجاء في الله أن يعطيه النعمة ، ويشعر بالذل إلى العزيز ، ويشعر بالضعف إلى القوي ويشعر بالأنس إلى المعين والوكيل ، ويشعر بالرهبة والخوف من الجبار المتكبر ، ويشعر بالفقر والاحتياج إلى الغني ، ويشعر بحب الكريم لأنه يعطيه ، ويشعر بالوجل والرهبة من مدي عظمة الله سبحانه ، ويشعر بالأنس إلى المعين والوكيل لأنه يعينه ويتودد إليه (فهو الودود) ويقضي حاجاته ، ويشعر بالاحتياج إلى الصمد (الصمد أي الذي يحتاج إليه الناس) ، ويشعر بالرغبة إلى لقاء الله من حبه له ، ويشعر بالعزة بالقوي ، ويشعر بالضعف والخضوع للقوي لأن الله يقدر عليه وطمعا في أن يعطيه ، ويشعر بالرضا إذا سلب الله منه نعمة لأنها ملك لله تعالي وإنما أعطاه إياها كعارية يستردها ، ويشعر بالرضا بما عنده والقناعة لأن الله هو الكافي الذي يعطيه ما يكفيه ، فإذا لم تتأثر مشاعر الإ نسان فإن هذا الإنسان كأنه لم يسمع عن شيء اسمه رب أو إله ، وهذا هو مفهوم الطبع أي يطبع الله على أفهامهم فلا يفهمون حقيقة ما يعنيه الأمر ويطبع على آذانهم وعقولهم وقلوبهم فلا يتصورون ويتدبرون خطورة الأمر حتى ولو كان يعرف ويفهم كل هذا فهذه هي معرفة نظرية وفهم نظري لأن المشاعر لم تتحرك .

ـ الإحساس بمعنى كلمة (مخلوق) :

---

(1) آل عمران : من الآية 26
(2) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 603 ، برقم 2402)
(3) فصلت : 15
(4) النحل : 17

ـ الإنسان بدون الروح هو قطعة من اللحم والعظم ، هذه الروح هي التي تجعل هذه القطعة من اللحم والعظم بشر يتحرك ، تم تركيب هذه الروح بهذه القطعة بطريقة معينة ، فأنت عبارة عن تركيبة معينة مصنوعة ، والارادة أيضا مصنوعة وفق مراد الصانع ، فكل شيء يتم وفق الصانع وليس وفق المادة المصنوعة ، فالفارق بين الخالق والمخلوق مثل الفارق بين الصانع والمادة المصنوعة ، فعليك أن تستلم للخالق وتتوكل عليه يفعل بك ما يشاء .

ـ الإنسان لا يملك شيئا ولا يسمع ولا يبصر وليست فيه روح يتحرك بها ، فلا يزيد الإنسان عن أنه مجرد قطعة من الطين لا تتحرك ، أما ما عند الإنسان من روح يتحرك بها وسمع وبصر وممتلكات من أموال ومسكن وأولاد ومناصب وملابس كل ذلك هو نعم من الله على الإنسان وهي أمانة أو هدية وليست ملكا للإنسان ، فالإنسان يتحرك ويسمع ويبصر بأمر الخالق فإذا تخلى الله عنه لحظة لم يعد يسمع أو يبصر وهلك ، فالإنسان لو تركه الله وحده فلن يسمع ولن يبصر ، فكل شيء يعمله الإنسان ويملكه هو بحول الله وقوته .

ـ فالعلم بأن الإنسان مصنوع وليس صانعا وليس مستقلا بذاته وأنه جزء من ممتلكات صاحب هذا الكون ، وبتعبير آخر فالعلم بأن الإنسان وكل شيء مخلوق لابد أن يكون اقتناعا حقيقيا وليس مجرد اقتناعا نظريا .

ـ نسيان نعم الله معناه أن الإنسان يتحرك كما لو كان مالكا ، فإذا سلب الله منه نعمة حزن وتضايق ، فأنت لك حق أن تحزن فقط إذا ظلمك أحد بأن أخذ منك شيئا مما تمتلكه أنت فأخذ منك شيئا هو حقك ، أما إذا أخذ الله منك شيئا كان قد أقرضك إياه لفترة ثم يسترد ما يملك فهذا حقه ، بل إننا إذا عرّفنا الإنسان على أنه قطعة من الطين وأن كل ما يزيد عن ذلك من روح وسمع وبصر وأموال هو نعم من الله علي الإنسان وملك لله تعالى لم نكن محقين لأن قطعة الطين هذه هي ذاتها ملك لله تعالى ، لذلك لو عذب الله جميع خلقه لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأنهم شيئا من ملكه ومالك الشيء يفعل بما يملك ما يشاء .

ـ فإذا عرف الإنسان ذلك معرفة حقيقية حدث له توكل تام على الله في كل شيء ، وحدث له شعور بـ الخضوع لأنه ضعيف والضعيف يخضع للقوى ، وحدث له شعور بحب الله لما أعطاه من عظيم النعم ، وحدث له خوف من مهابة مدى عظمة الله وقدرته عليه ، وحدث له رجاء وطمع فيما عند الله ليعطيه .

ـ إحساس الإنسان بأنه مخلوق معناه شعوره بأنه واقع تحت سيطرة وهيمنة أحد له القوة والقدرة الكاملة عليه ، وأنه أسير وليس حرا فهو خاضع تحت أمر وتصرف سيده ، والشعور بضعفه ونقصه واحتياجه للخالق ليحيا ويقضي حاجاته ، فإذا لم يشعر الإنسان بذلك فهو غافل عن معنى أنه مخلوق وإن كان موقنا بذلك تماما لأن ذلك اليقين عندئذ هو يقين نظري فقط .

ـ أما من عرف ذلك معرفة نظرية فقط عاش في غرور بما عنده ظنا منه أنه يملك ما عنده وحزن إذا سلبت منه نعمة ولم تتأثر مشاعره بالتوكل والخضوع والحب والخوف من الله تعالى .

ـ الفرق بين اليقين النظرى بمجيئ الله وبنزوله واليقين الحقيقى بمجيء الله وبنزوله :

ـ يوم القيامة يقف الخلق جميعاً في أرض المحشر ينظرون إلى السماء، ينتظرون مجيء الله سبحانه : ((وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا))[1] ، ((هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ))[2] ، يقول الشيخ محمد حسان : ((ينزل أهل السماء الأولى من الملائكة بضعف من في الأرض من الجن والإنس، فتحيط الملائكة بالخلائق في أرض المحشر، فإذا ما نظرت الخلائق إلى الملائكة قالوا : أفيكم ربنا ؟! فتقول الملائكة : كلا ، وهو آت ، أي : إتياناً يليق بكماله وجلاله ... ثم يتنزل حملة عرش الملك جل وعلا وهم يحملون العرش ويسبحون الله سبحانه .... ويضع الحق

(1) الفجر : 22
(2) البقرة : 210

جل جلاله عرشه حيث شاء من أرضه))[1].

ـ وفي الحديث : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له))[2]

ـ اليقين النظري بمجيئ الله وبنزوله معناه أن الإنسان يثبت حدوث هذا الأمر نظريا لأن الشرع يقول بذلك ، لكن ذلك لا يكفي فلابد من الإحساس بقيمة هذا المجيء وهذا النزول لأنه أمر خطير جدا ، فهذا المجيء وهذا النزول لخالق الكون نفسه العظيم ، فإذا لم يبعث ذلك في النفس الهيبة وخوف المهابة فهذا معناه أن مشاعر الإنسان تقول بأن هذا المجيء وهذا النزول لا يحدث أو لا قيمة له ، فعدم وجود هذا الإحساس بالمهابة يدل على أن اليقين بمجيء الله ونزوله هو يقين نظري فقط .

ـ وهذا المجيء والنزول لا نتخيله ولا نتصوره في الذهن ولا نسأل عن كيفيته ولا نمثله ولا نشبهه و لا نعطله ، وكل ذلك لا علاقة له بالشعور بالمهابة من ذلك الأمر ، فلا يكفي فقط أن نثبت المجيء و النزول نظريا بغير الشعور بخوف المهابة .

ـ الفرق بين اليقين النظرى بوجود الله والإحساس بوجود الله :

ـ اليقين الحقيقي بأن الله في السماء فوق الكون يعطي للإنسان إحساس بأن وجود الله حقيقة واقعة وفعلية وقائمة ، فإذا الإنسان نظر في السماء فأنه يتجه بنظره إلى الخالق العظيم فوق هذه السماء فيشعر بخوف المهابة ، فالطبيعي أن الإنسان إذا نظر إلى أعلى فإنه يرى الشمس ويرى القمر ويرى النجوم وأيضا يرى الله ولكن يوجد حجاب يمنع من رؤية الله ولا يوجد حجاب يمنع من رؤية الشمس والقمر في السماء لذلك نرى الشمس والقمر ولا نرى الله سبحانه ، ففي الحديث ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[3] ، فإذا نظر الإنسان إلى أعلى يعلم أن وراء هذا الحجاب الله ، فهو في السماء فوق الكون والمخلوقات ، ووجود هذا الحجاب أو عدم وجوده لا يؤثر في حقيقة وجوده سبحانه ، فإذا نظر الإنسان إلى أعلى فكأنه يرى الله فيعيش ا لإنسان حياته في ذهابه وإيابه وفي كل وقت كأنه يرى الله بذاته كما لا يشك في رؤية القمر و الشمس في ذهابه وإيابه كلما رفع بصره في السماء ، وبالتالي كلما عمل عملا لله يتجه ذهنه إلى أعلى إلى من هو في السماء وإذا لم يتجه ذهنه لأعلى فلمن يعمل هذا العمل إذن ؟ ، فالمشركون كانوا يركعون لأصنامهم وأصنامهم أمامهم ، فأنت عندما تركع يكون أمامك الله يتجه ذهنك إليه لأعلى ، وعندما تقرأ القرآن تشعر بمَنْ يخاطبك ويخاطب الناس وإلا فمَنْ الذي يكلمك فلابد أن تشعر بالمتكلم (الله سبحانه) وتشعر بالمخاطب وهو أنت أو الناس ، وإلا فأنت لا تشعر بمَنْ قائل هذا الكلام ولمَنْ يقوله ، وعندما تعمل أي عمل فلابد أن تشعر بمَنْ تعمل له هذا العمل وإلا فأنت تعمل هذا العمل لنفسك أو لغير أحد ، فإنك عندما تعمل عند أحد كأن تصلح له شيئا في بيته وهو يقف أمامك يراقبك طول الوقت فأنت لا يهمك إصلاح الشيء لذاته ولكن لهذا الرجل ، فأنت اخترت أن تعمل عبدا لله وغيرك لم يختر هذا ، فلابد أن تشعر بمَنْ تقدم له العمل ليراه حينما تقوم به له .

ـ وهذا الأمر يختلف عن مرتبة الإحسان وهو أن يعبد الله كأنه يراه ، لأنها تعنى زيادة اليقين النظري مع زيادة الإحساس بالقيمة .

ـ فالعلم الحقيقي بأن لله يدين ووجه وعينين وأن له سمع وبصر وقوة يعطي للإنسان شعور بأن وجوده سبحانه حقيقة واقعة ، فيشعر بخوف المهابة ، ففي كتاب شرح عدة متون في العقيدة : ((ق ال أهل السنة وأصحاب الحديث إن الله ليس بجسم ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش كما قال : الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى ? [طه:5] ، ولا نتقدم بين يدي الله في القول؛ بل نقول استوى بلا كيف، وأن له وجها كما قال : وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ [الرحمن:127] ، وأن له يدين كما ق

---

(1) خطب ومحاضرات للشيخ محمد حسان - (22 / 4)

(2) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن أبي داود ، ج : 2 ، ص : 34 ، برقم : 1315)

(3) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 1860 في صحيح الجامع)

ال : خَلَقْتُ بِيَدَيّ [ص:75]، وأن له عينين كما قال ?تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا [القمر:14]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته كما قال ?وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ? [الفجر:22] وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث))[1] .

ـ الفرق بين الدعاء النظري والدعاء الحقيقي :

ـ إنك عندما تدعوا الله يجب أن تشعر تشعر بِمَنْ تخاطبه وإلا فمع مَنْ تتكلم ؟! ، فأنت تكلم نفسك ، ففي الحديث : ((... وَاعْلَمُوا أَنّ اللهَ لا َ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لا َهٍ))[2] .

ـ الدعاء يساعدك على أن تستشعر وجود الله ، كما أن الإنسان إذا دعا الله وطلب منه طلبا ما ، وتحقق هذا الطلب فهذا يدل بصورة مباشرة على وجود الخالق وإجابته للدعاء ، ومن هنا تعرف أهمية الدعاء فهو مخ العبادة أو هو العبادة ففي الحديث : ((الدعاء هو العبادة ثم قرأ { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }))[3] .

ـ فالذي يدعو الله وهو يشعر بمن يدعوه فهذا تحقيق عملي للشعور بوجود الله وعظمته ، ولذلك يثيب الله على ذلك ثوابا عظيما ، ففي الحديث : ((إن عبدا أصاب ذنبا فقال يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره فقال له ربه **علم عبدي أن له ربا** يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر ـ وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر ـ فقال يا رب إني أذنبت ذنبا آخر فاغفره لي ، قال ربه **علم عبدي أن له ربا** يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبا آخر ـ وربما قال ثم أذنب ذنبا آخر ـ فقال يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي فقال ربه **علم عبدي أن له ربا** يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه غفرت لعبدي فليعمل ما شاء))[4] .

ـ الفرق بين اليقين النظري بوجود الملائكة والجن ووجود الجنة والإحساس بوجودهم :

ـ وكذلك إذا نظر الإنسان حوله فإنه يتصور وجود ملكين ملازمان له في كل وقت ويتصور وجود الشياطين والملائكة من حوله ، وإذا نظر إلى أعلى أيضا يتصور وجود ملائكة تصعد وتهبط من السماء ووجود ملائكة تملأ السماء فما من موضع أربع إصابع إلا وعليه ملك ففي الحديث : ((إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا ملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله والله لوددت أني شجرة تعضد))[5] وذلك لأنه منظر مخيف جدا ومرعب أن ترى ملائكة فوقك تملأ السماء ، فلابد أن تشعر بخوف المهابة من وجود الملا ئكة والجن حولك .

ـ وإذا لم يشعر الإنسان بأن وجود الجن والملائكة حقيقة واقعة حوله الآن في هذه اللحظة وفي كل وقت فهذا يعنى عدم وجود الإيمان الحقيقي بوجود الملائكة والجن ، ولا يمكن لإنسان عاقل أن تغيب صورة هذه الملائكة والشياطين عن ذهن الإنسان في أي وقت أبدا إلا أن يكون مجنونا أو غير مؤمن بوجودها وأنها تعيش معه وتلازمه .

ـ وكذلك إذا نظر الإنسان فوقه فإنه يرى الجنة وما بها من الحور العين لولا الحجاب ، فالجنة حجمها هائل جدا ، فعرض الجنة عَرْضُهَا كَعَرْضِ السمآء والأرض ، وفي الحديث : ((الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلى الجنة وأوسطها وفوقه عرش الرحمن))[6] .

ـ الفرق بين اليقين النظري واليقين الحقيقي بلقاء الله :

---

(1) شرح عدة متون في العقيدة - (18 / 72)
(2) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 517 ، برقم 3479)
(3) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 374 ، برقم : 3247)
(4) حديث صحيح : رواه البخاري ومسلم : (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم 3140)
(5) التخريج : حسن (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3380)
(6) التخريج : حسن (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3380)

ـ إنك علي موعد مع الله نفسه تكلمه ليس بينك وبينه واسطة ولا مترجم ولا حجاب يحجبك عنه ، ففي الحديث : ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا ّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلا َ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ))[1] ، فيحاسبك ويكلمك ويسألك وتجيب عليه وتكلمه ، فالذي يشعر بهذا اللقاء يشعر بخوف المهابة والخضوع لله بدليل الآية : ((وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إليه رَاجِعُونَ))[2] فمعني (يظنون) أي يوقنون ، و اليقين هنا ليس مجرد الاقتناع النظري فقط وإنما هو شعور بلقاء الله ، فمجرد الاقتناع النظري بلقاء الله لا يعطي الإنسان الشعور بالخشوع في الصلاة ولكن فقط الذي يشعر بلقاء الله يشعر بالهيبة والرهبة والخشوع والخضوع لله تعالى ، فإنه لقاء مهيب ورهيب لو تصورته وشعرت به ، فالآية تربط بين الخشوع في الصلاة والإحساس بقدر لقاء الله فكلاهما وقوف بين يدي الله ، فيقول ابن القيم : ((للعبد بين يدي الله موقفان : موقف بين يديه في الصلاة, وموقف بين يديه يوم لقائه. فمن قام بحق الموقف الأول هوّن عليه الموقف الآخر, ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفّه حقه, شدّد عليه ذلك الموقف. قال تعالى:{ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (26) إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا } (الإنسان : 26 ، 27)))[3] ، كما أن الذي يشعر بلقاء الله فذلك يجعله يتحمل ويصبر : ((قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ))[4] و(يظنون) أي يوقنون واليقين هنا أيضا ليس بمعني يقتنعون نظريا فقط فكل مَنْ خرج مع طالوت هم مقتنعون نظريا بلقاء الله وكانوا يريدون الجهاد في سبيل الله ، ولكن لا يكفي أبدا أن يتحمل أحد ويصبر لمجرد اقتناعه نظريا بلقاء الله ، ولكن فقط مَنْ يشعر بلقاء الله فإنه يتحمل .

ـ الشعور بأن الله هو السميع البصير العليم الرقيب (الإحساس بالمراقبة)

ـ هناك فرق بين الاقتناع النظري بأن الله سميع عليم رقيب ، وبين الشعور بأن الله يسمعك الآن ويراك ، فتخيل أن هناك كاميرات سرية موضوعة لك في كل مكان وأنت يتم رصدك وتسجيل كل تصرفاتك وحركاتك وسكناتك بل وما تفكر فيه ، ألا تشعر بالخوف والقلق فإن الله يسمعك ويراك ويراقبك ، إذن لابد أن تشعر أن أحدا ما يراقبك ليلا ونهارا ويري كل ما تفعله وهذا معناه أن تظل هذه المراقبة علي بالك وفي همك دائما ، فإذا لم تشعر بمراقبة الله لك فهذا يعني أن شعورك بأن الله سميع وبصير غير موجود ، وإن كنت علي اقتناع نظري تام بأن الله سميع وبصير .

ـ إذا لم يتحقق الإحساس بقدر الله ، فلن يشعر الانسان بقيمة رؤية الله له لأن قدر الله عنده مثل قدر أحد من الناس فجعل رؤية الله له مثل رؤية أحد من الناس له وفي هذا استهزاء بقدر الله تعالى (وهذا نفاق أكبر) .

ـ كل الناس مسلمين وكافرين يوقنون بأن الله عليم بكل شيء : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ))[5] ، ولكن هذا عند بعض المسلمين ليس إلا يقين نظري فقط فهم غافلون غير منتبهين لخطورة أن الله العظيم يعلم ما يفعلونه ، فحقيقة اليقين عند هؤلاء هو أن الله لا يعلم كثيرا مما يعملون : ((وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (22) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[6] ، فهم غافلون عن نظر الله إليهم لأن الإنسان لو كان منتبها لعلم الله بما يصنعه ما وقع في الذنوب ، ففي الحديث : ((لا يزني الزاني حين يزني

---

(1) البخاري (7533)
(2) البقرة : 45 ، 46
(3) الفوائد لابن القيم - (1 / 221)
(4) البقرة : من الآية 249
(5) الزخرف : 9
(6) فصلت : 22 ، 23

وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولكن التوبة معروضة))[1] ، فالمعاصي تحدث لغياب الإحساس بقدر الله (وهذا نفاق أكبر) أو لضعف الإحساس بقدر الله تعالى (والإيمان هنا موجود لكنه ضعيف) ، والله هو الذي يعلم هل هذه المعاصي ناشئة من غياب أم من ضعف الإ حساس بقدره سبحانه .

ـ عندما تتفكر في مدى الدقة المتناهية في مقادير الأشياء بحيث لو نقصت أو زادت ولو بمقدار ذرة حدث خلل كبير ، فوظائف الكون وحركته ووظائف جسم الإنسان والكائنات كلها مصممة بمنتهى الدقة ، فهذا يدل على حكمة عالية جدا وعلم كبير جدا فوق مستوى الخيال ، وإدارة عجيبة جدا لكل هذه الأشياء معا في نفس الوقت وفي كل لحظة ، فالذي خلق الأشياء بهذه الدقة والتفصيلات لابد أن يكون سميعا بصيرا عليما وحيا فالذي يصنع شيئا (مروحة مثلا) لابد أن يكون لديه علم وحكمة بهذا الشيء ، ولو تركت الأشياء بدون تدبيرها وتصميم عملها وإدارتها للحظة واحدة لفسدت : ((إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا))[2] ، فهو قيوم السماوات والأرض ، فلا يغفل عن تدبير شئون الكون لحظة واحدة ، لأ نه لو غفل لحظة لصرنا عدما ولتلاشينا ولم يبق للكون أثر .

****

ـ الشعور بأن الله هو المالك

ـ مفهوم أن الله هو المالك :

ـ إن هذا الكون الهائل لابد له من خالق ، والذي يخلق شيئا فإنه يملكه ، إذن فهو المالك ، هذه المعلومة البسيطة لا نتعامل معها كمعرفة نظرية ولكن نعرفها معرفة حقيقية حيث يحدث إحساس بـ القيمة لخطورة هذه المعلومة وخطورة ما تعنيه ، لأن هذا يعني أن عقود التمليك التي عندنا في الدنيا مجازية للتعامل بيننا في الدنيا فقط وليست عقود حقيقية لأنه في الحقيقة لا أحد يملك شيئا فالله هو المالك لكل شيء وإنما هي أمانة وعارية ملك لله ويستردها الله منا وقتما يشاء ، لذلك فمَنْ اعتقد أنه يملك شيئاً ملكا حقيقيا فقد أشرك : ((لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ))[3] ، ((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ))[4] ، ((أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ))[5] ، ((وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ))[6] .

ـ إن كل ما عندك وكل ما معك من مال ومسكن وزوجة وأولاد ومنصب وجاه وكل النعم وكل شيء ملكا لله تعالى بل أنت نفسك ملكا لله ، لأن الذي خلق شيئا فهو يملكه ، وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من تكريم ومن أفضلية ومن سمع ومن بصر وإرادة وعقل وقدرات ، ولكن الإنسان يظن أن ما به من يد وعين وأنف ....إلخ ملكا له ، فإن الله هو المالك لأنه الخالق ويتضح ذلك كالتالي :

ـ المال ملك لله : ((وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ))[7] ، ((وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ))[8] ، والمال تشتري به طعام وشراب ...الخ ، وأي شيء تشتريه مصدره النبات أو الحيوان وذلك ملك لله تعالى ، كما أن المال رزق الله وليس من كدك وتعبك ، فلا يجوز للإنسان أن يتصرف في المال كيفما يشاء لأنه ليس ملكا له وإنما هو ملك لله ، فيتصرف فيه كيفما يريده الله منه لأنه مالك هذا المال .

---

(1) قال الشيخ الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 15 ، برقم 2625)
(2) فاطر : 41
(3) غافر : من الآية 16
(4) الفتح : من الآية 14
(5)يونس : 66
(6)النمل : 91
(7) الحديد : من الآية 7
(8) النور : من الآية 33

ـ كل ما يصنعه الإنسان هو من مادة الأرض أو نبات أو حيوان ، وكل ذلك ملك لله تعالى وليس لك فضل في تصنيعه فالله هو الذي صنعه : ففي تفسير الطبري : ((عن قتادة والله خلقكم وما تعملون[1] بأيديكم))[2] ، وقابلية تحويل المواد من مادة إلى مادة أخرى هي من خواص أودعها الله فيها فقد سخرها الله للإنسان لتقبل التحويل إلى مادة أخرى ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ))[3] ، ((وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[4] ، والمخترعات تنشأ من تطويع مواد الأرض وهي ملك لله ، والله الذي سخرها وعلم الإ نسان كيف يستفيد من تسخيرها ، والطاقة التي تدير الموتور هي من صنع الله سبحانه فلا يغتر الإ نسان بذلك .

ـ القوة في الجسم رزق أيضا وليس معني أنك تأخذ بأسباب القوة أنك صاحب ومالك هذه القوة أو أنك جلبتها لنفسك ، فالعمليات التي تتم داخل الجسم لتحويل الطعام إلى عضلات هي من أمر الله ، وكذلك كل ما يكتسبه الإنسان من تكريم ومن أفضلية ومن سمع ومن بصر وإرادة وعقل وقدرات .

ـ أعضاء الإنسان من أنف وعين وكلية .. الخ هي ملك لله وليست ملكا لصاحبها لذلك أفتى بعض العلماء بعدم جواز بيعها ففي كتاب بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة : ((القول الثاني : لا يجوز بيع الأعضاء وهو ما أفتى به المجمع الفقهي ، الأدلة على التحريم أن أعضاء الإنسان ليست ملكاً له ، ولم يؤذن له ببيعها شرعاً فيكون بيعها داخلا ً في بيع الإنسان مالا يملك))[5] .

ـ والإنسان ليس حرا في جسده يفعل به ما يشاء لأن جسده ليس ملكا له لذلك فالتدخين حرام لأن فيه ضرر لشيء أنت لا تملكه ففيه إفساد لما خلقه الله : ((وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ))[6] ، ((وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ))[7] .

ـ والطعام الذي تأكله ليس ملكا لك ولم تحضره من كدك وتعبك إنما هو ملكا لله وهو الذي أنعم به عليك ، وكذلك الملابس التي تلبسها هي ملكا لله وليست ملكا لك وقد أنعم الله بها عليك ، لذلك ففي الحديث : ((من أكل طعاما ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر))[8] ، فإذا قال هذا الدعاء وهو يشعر أن هذا الطعام فعلا أطعمه الله به وما يلبسه إنما كساه الله به من غير كده وتعبه ومن غير حول منه ولا قوة فإن الله يغفر له ذنوبه ، وهو عندئذ قد حقق الشعور بأن الله هو المالك وبأن له صفات الإنعام فيخضع له ويحبه ويطيعه ، فالأصل أن كل الناس جائعين والله يطعمهم ، عراه والله يكسيهم ، ض الين والله يهديهم ، ففي الحديث القدسي : ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم))[9] .

ـ الشهوات التي يتمتع بها الإنسان بالحلال هي نعم يتمتع بها الإنسان وهي ملك لله تعالى ، واللذة التي يجدها الإنسان في نفسه هي من صناعة الله وهي ملك لله فهذا الأمر المعنوي هو ملك لله تعالى .

---

(1) الصافات : 96
(2) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 23 ، ص : 75) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(3) الحج : من الآية 65
(4) الجاثـية : 13
(5) بحوث لبعض النوازل الفقهية المعاصرة - (ج 13 / ص 2)
(6) البقرة : من الآية 195
(7) النساء : من الآية 29
(8) تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم: 6086 في صحيح الجامع .|
(9) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 4345 في صحيح الجامع .||

ـ الجاه والمنصب ملك لله : المنصب والجاه رزق مثلما المال رزق وليس من أخذك بالأسباب وكدك وتعبك أو الحصول علي شهادة (وكذلك المكانة العلمية رزق من الله تعالى) .

ـ العائلة : الذي يجعل العائلة لها إسم كبير وشرف وجاه هو المنصب لمَنْ فيها أو المال لمَنْ فيها أو الممتلكات وكل ذلك هو ملك لله تعالى .

ـ والله وحده الذي يملك الرحمة ففي الحديث : ((جَعَلَ اللهُ الرّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ تَتَرَاحَمُ الخَلَائِقُ حَتَى تَرْفَعَ الدّابّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ))[1] .

ـ والعلم يملكه الله : ((وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ))[2] ، ((وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شيئا))[3] ، فالعلم والحكمة نعم يؤتيها الله للإنسان : ((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلمِ إلا قَلِيلاً))[4] ، ((يُؤْتِي الحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذّكّرُ إلا أُولُو الأَلْبَابِ))[5] ، فمن الناس من يعبد عقله فهو يظن أنه يصنع الكثير من وسائل التقدم العلمي والتكنولوجيا بعلمه فيظن أن لا أحد أعطاه هذا العلم وأنه اكتسبه من نفسه وأنه هو الذي سخر هذه الأشياء لصالحه وليس أنها مسخرة ومجهزة لخدمة الإنسان .

ـ الهداية والأعمال الصالحة نعم من الله على العبد ، وأعمال الإنسان مخلوقة ، ففي كتاب الحجة في بيان المحجة : (((قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ القَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ) الأعمال مخلوقة لله تعالى مكتسبة من العباد ، فالآية الأولى وهي قوله : (كل من عند الله) دلت على أنها من الله خلقاً وتقديراً وقضاء ، والآية الثانية دلت على أنها من العباد كسباً وفعلاً))[6] .

ـ الصفات الخلقية مثل الكرم والشجاعة هي نعم من الله وليست من قبيل ((إِنّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي))[7] ، لذلك فالله هو الكريم وحده لأن الإنسان لا يملك شيئا ليكرم غيره به ، فلا كريم كرما حقيقيا إلا الله ، ولا قوي إلا الله لأن القوة التي عند الإنسان هي نعمة من الله وعارية يستردها ، فلا قوي قوة حقيقية إلا الله ، ولا غني إلا الله لأن المال الذي عند الإنسان الغني إنما هو نعمة من الله وعارية يستردها الله ، فلا غني غنى حقيقي إلا الله وكل الناس فقراء محتاجون ، ولا يستطيع أحد أن ينفع أحد أو يؤذيه ويضره لأن الله وحده هو النافع الضار ، وهكذا .

ـ الإنسان نفسه ملك لله تعالى لأن الله خالقه ، وخالق الشيء فهو يملكه .

ـ فما عند بعض الناس من مال أو جاه أو جمال ... الخ هو في الحقيقة نعم من الله عليهم وليس شيئا من عند أنفسهم ، لذلك لا تجب محبتهم لما عندهم ، وبالتالي من الولاء والبراء ألا تحب الناس لما عندهم من الدنيا ولكن لما عندهم من الدين ، فيكون قدر محبتك للإنسان بقدر ما عنده من الدين وقدر بغضك له بقدر بعده عن الدين .

ـ السعادة مخلوقة وهي ملك لله تعالى :

ـ الإحساس باللذة والمتعة والسعادة أو بالألم والضيق والعذاب هو عبارة عن إشارات عصبية يتم ترجمتها في المخ فيحس الإنسان بالألم مثلا ، فإن الله هو الذي صنع هذه الطريقة وهذه الأجهزة كما أنه يستطيع أن يجعلك تشعر بالسعادة بغير هذه الطريقة وبدون سبب إذا أراد ، إن الناس يسعون إلى

---

(1) رواه مسلم (7148)
(2) البقرة : من الآية 216
(3) النحل : من الآية 78
(4) الإسراء : من الآية 85
(5) البقرة : 269
(6) الحجة في بيان المحجة - (2 / 64)
(7) القصص : من الآية 78

الشهوات لما يجدون فيها من الإحساس باللذة والمتعة والسعادة ، فإن الله هو الذي خلق لك هذه الترجمة في المخ لتشعر باللذة ، وهذا يعني الشعور بالاستسلام والخضوع لله ، ويعني التوكل على الله ، فهو وحده الذي بيده سعادتك ، فإن الله هو الذي يملك السعادة فيعطيها فقط للمؤمن لأن السعادة الحقيقية هي السعادة النفسية وهي فقط للمؤمن ، فما بال ملوك الأرض ؟ والأرض كلها والأموال بين أيديهم و المعيشة الضنك لهم ! ، لذلك قال أحد العارفين بالله : لو يعلم الملوك ما نحن عليه لقاتلونا عليها بالسيوف : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))[1] ، فإن معنى (رب) أي يعطيك النعم ويتكفل برعايتك ويمدك بما تحتاج ، فإذا كنت تبحث عن السعادة في المال فأنت تعبد المال ، وهكذا يظن بعض الناس أن هذه الأشياء هي التي تجلب لهم ما يسعدهم فيبتغون في هذه الأسباب الرزق والسعادة ، لذلك يقول تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ))[2] ، والسعادة رزق من الله فقط لعباده المؤمنين الصادقين في إيمانهم : ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ))[3] ، ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ))[4] ، ((مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ))[5] ، أما غيرهم فمحرومون من السعادة النفسية : ((وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى))[6] .

ـ الشعور بأن الله هو المالك :

ـ إن معني أن الله هو المالك وأن الإنسان لا يملك شيئا هو أن يتنازل الإنسان عن كل شيء يملكه (يتنازل عن نفسه وممتلكاته وأهله وكل شيء) وينسبه إلى الله وهذا هو أصعب شيء علي الإنسان ، فالنعم فيها متع للإنسان ، كما أن التنازل عن كل شيء معناه الاستسلام والشعور بالخضوع والذل لمَنْ يملك روحك ، وأن تقبل الذل في أن ما عندك إنما هو محض تكرم وإنعام ومنة من الله عليك .

ـ تخيل أنك تعيش في مسكن أحد الناس وتأكل من طعامه وينفق عليك من ماله فبماذا تشعر وكيف يكون حالك ؟ ، وكذلك الحال فالمسكن الذي تسكن فيه ليس ملكا لك ، إنما هو ملك لله ، وكذلك المال الذي معك إنما أعطاك إياه الله وهو مال الله ، ولذلك إذا أردت أن تعصي الله فاخرج من تحت سماءه ومن فوق أرضه واخرج من ملكه إن استطعت !! .

ـ فالنفس تأبي أن تنكسر وتريد أن تكون هي المالكة ولا تريد أن يمن أحد عليها بعطاء أو يتكرم عليها بفضل ، وأصعب شعور علي النفس هو الذل فلا تريد أن تركع وتسجد ، فالركوع والسجود معناه الإقرار بالذل والإعتراف بالنقص ، لذلك قد يركع الإنسان ويسجد بجسده لكن النفس تأبى أن تركع وتسجد أي تأبى أن تقر بالذل وتعترف بالنقص ، وركوع الجسد عندئذ وسجوده لا قيمة له .

ـ والإنسان يظن أنه هو الذي جلب هذه النعم لنفسه لذلك فهو يخضع لنفسه وهواه : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً))[7] .

ـ الإنسان ليس صاحب النعمة ولا الذي أنعم بها علي نفسه ، فالإنسان قد يظن أنه هو الذي جلب

---

(1) الأنعام : 82
(2) العنكبوت : من الآية 17
(3) محمد : الآية 2
(4) الأنعام : الآية 82
(5) النحل : الآية 124 ـ 126
(6) طه : من الآية 17
(7) الفرقان : 43

النعمة لنفسه من عقله وكده وتعبه كما قال قارون : ((إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي))[1] كالمال و المسكن والعمل والجاه والسلطان فيظن أنها ملكا له وأنه مستحق لها ، لذلك عند الموت فلا يريد أن يترك النعم كالمال والمسكن والزوجة والأولاد والجاه والسلطان أو نعم كالعين والآنف والصحة ...الخ ، ولأنه يظن أنها ملكا له ولا يحق لأحد أن يأخذها وإلا كان ظالما ولذلك عند الموت تخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم ، ويكره مَنْ يقبض روحه لأنه لا يشعر بأنها أمانة أو عارية يستردها صاحبها (وهو الله سبحانه) ، ولا يشعر أنه هو نفسه ملك لله تعالى ، ولذلك علمنا الرسول (ص) أن نقول إذا توفي أحد : ((لله ما أخذ وما أعطى وكل شيء عنده إلى أجل))[2] .

ـ فيجب أن يشعر الإنسان بقيمة الماء الذي يشربه فهو محض نعمة عظيمة من الله على العبد ولكننا لا نشعر بعظمة النعم واحتياجنا إليها وأنها محض تكرم من الله وأنها ليست ملكا لنا ولا حقا لنا ففي الحديث : ((لما نزلت { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال الزبير وأي نعيم نسأل عنه وإنما هو الأ سودان التمر والماء قال أما إنه سيكون))[3] أي سيكون من النعيم أن تسأل عن هذا التمر والماء ، وفي الحديث : ((يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقال له ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا فيقول لا فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني))[4] ، وفي حديث آخر : ((... فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى أي رب فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول إني أنساك كما نسيتني ...))[5] .

ـ ما يعمله الإنسان ليس جلب للرزق فهو فقط يسقي الأرض فيخرج الزرع ، ويحفر الأرض ليستخرج المعادن والبترول ويقوم بالصناعة ، فهو لم يصنع الماء والتراب والبذور التي تنبت الزرع ، ولم يصنع المعادن والبترول الذي في باطن الأرض ، والزراعة والصناعة هي من الرزق : ((أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (66) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (67) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70) أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ (71) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (72)))[6] ، ولو كان الرزق موجود في شكل جبل عند مكان ما ، لذهب الناس ليأخذوه كله ويبعثروه ويضروا أنفسهم بكثرة الطعام والشراب وغير ذلك ، ولكن الرزق موجود بشكل معين بحيث كلما احتاج الإنسان أخذ نصيبه الذي يحتاجه .

ـ والإنسان يظن أن ما به من روح هو أمر عادي وأن هذه الروح ملكا له وبها حياته الخاصة .

ـ الإنسان لا يملك سمعه ولا بصره : ((قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمر فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ))[7] .

ـ المالك يعني أن الله له ملكية كل شيء ، فإذا ما تنازل الإنسان عن كل ما يملك وعن نفسه لينسب ذلك إلى الله المالك الحقيقي فيشعر أن ذلك محض تكرم وإنعام فيحبه ويذل لعطاءه مدين له بالولاء مرهونا وأسيرا لفضله منكسر النفس غير حر لأنه عنده النقص والعوز معترفا بذلك غير قادر على أن يقيت نفسه (فالله هو المقيت أى الذي يعطيه القوت) والله يمده باللقمة التي يأكلها وهو أسير وعبد لإحسانه منكسر المشاعر يشعر بالعجز أمامه ويشعر بأنه ما له حول ولا قوة ، ومن هنا يحدث

---

(1) القصص : من الآية 78
(2) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن أبو داود ج : 3 ، ص : 193 ، برقم 3125)
(3) قال الشيخ الألباني : حسن (سنن ابن ماجة ، ج : 2 ، ص : 1392 ، برقم 4158)
(4) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع : برقم 7997)
(5) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع : برقم 7032)
(6) الواقعة : 63 ـ 72
(7) يونس : 31

كمال الحب والخضوع لله ، كما أن المالك يفعل فيما يملك ما يشاء فله حق الأمر والنهي ، وقد جاء في تفسير معنى (إنا لله) في الآية : ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[1] أي : ((علموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء))[2] وبالتالي الخضوع لأمر الله ونهيه .

ـ صعوبة الشعور بأن الله هو المالك :

ـ ما يملكه الإنسان من ممتلكات يمثل حياة الإنسان وراحته ويجد فيها متعه وشهواته ، وبالتالي أصعب شيء على الإنسان هو أن يتجرد من كل ما يملك لينسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه (أي الشعور بأن الله هو المالك) كما يتجرد من كل الصفات التي يعتز بها كالقوة والإرادة والسمع و البصر لينسب كل الأشياء إلى مالكها الحقيقي وهو الله سبحانه ، أي ينسب الإنسان لنفسه كل صفات النقص والعوز والعجز والحاجة والضعف ، وينسب كل صفات الكمال لله ، وهذا معناه النقص و الضعف والإحتياج إلى الله ، والنفس لا تريد أن تكون تابعة لغيرها ، تريد أن تكون مستقلة متحررة ذاتية معتمدة علي نفسها لا معتمدة علي غيرها (الله) فلا تريد أن تكون فيها نقص أو عوز كما تريد أن تكون مالكة تدير نفسها وترزق نفسها ، والإنسان يظن أنه غير محتاج لغيره ، والله هو الصمد أي الذي يحتاجه الناس ، والنفس لا تريد أن تخضع وتركع لمن يمن عليها ولمن له قدرة عليها كما ترفض أن تعترف بعجزها أمام من هو أقوى ، فالنفس تريد أن تتصرف كما لو كانت هي التي أوجدت نفسها أو أنه لا أحد أوجدها ، رغم أنه في الاقتناع النظري تعلم بأن لها خالق : ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ))[3] ، فالنفس تريد أن ينصرف الذهن والقلب لها لا لغيرها ، والإنسان يظن أنه هو الذي يملك ويظن أنه هو العليم الحكيم الذي يستطيع أن يدير نفسه بنفسه ، ولا يحتاج لعلم غيره وهو بذلك لا يشعر بأن الله هو الصمد (الصمد أي الذي يحتاج إليه الناس في كل شيء) .

ـ الله هو المالك سواء في الدنيا أو في الآخرة فهو المالك دائما وأبدا ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ))[4] ، ((فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى))[5] ففي الآخرة أيضا لا أحد يملك شيئا فالجنة والنار ملك لله تعالى ، وما يعطيه الله لأهل الجنة هو عطاء من عنده وليس ملكا لهم وليس يأخذونه كحق لهم ليملكوه نظير عملهم ، والله يفعل بملكه ما يشاء ، فانظر إلى الآيات : ((أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ))[6] فالجنة رزق ومحض إنعام وتكرم ، وفي الحديث : ((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ ، قَالُوا وَلا ـَ أنت يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : لا ـَ ، وَلا ـَ أنَا إِلا ـّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِى اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ...))[7] ، ولن يأتي أحد في الجنة ويقول هذا القصر إنما أوتيته علي علم وهو ملك لي ، فإنما هو نعمة من الله وملك له ، وبالتالي فأصحاب الجنة يظل عندهم الخضوع والحب والذل لله مثل الملائكة وكل شيء ، أما أهل النار فلم يكن عندهم الحب و الخضوع لله تعالي فهذا جزاؤهم ، إن معني أن الله هو المالك وأن الإنسان لا يملك شيئا هو أن يتنازل الإنسان عن كل شيء يملكه (يتنازل عن نفسه وممتلكاته وأهله وكل شيء) وينسبه إلى الله وهذا هو أصعب شيء علي الإنسان ، فالنعم فيها متع للإنسان ، كما أن التنازل عن كل شيء معناه الا ستسلام والشعور بالخضوع والذل لمَنْ يملك روحك ، وأن تقبل الذل في أن ما عندك إنما هو محض تكرم وإنعام ومنة من الله عليك .

ـ من أهم المشاعر الناشئة عن اليقين الحقيقي بأن الله هو المالك هو عدم الخوف من أي إبتلاء ولو فقد كل شيء دفعة واحدة لأن الإنسان إذا فقد شيئا لا يخصه ولا يملكه لم يبكي عليه ، فما عنده من أمانة يأخذها صاحبها وليست تضيع منك لأنها تكون تحت تصرف صاحبها سواء بقيت معك أو

---

(1) البقرة : 156
(2) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 1 ، ص : 198)
(3) الطور:35
(4) الفاتحة : 4
(5) النجم : 25
(6) الصافات :41
(7) رواه البخاري (5735)

أخذها منك ، أما إذا حزن الإنسان على فقد أشياء من ممتلكاته المزعومة سواء من صحته أو ماله أو وظيفته أو أسرته وكان حزنه أكبر من رضاه فهذا يدل على أنه يوقن بأن هذه الأشياء ملكا له ولا يوقن بأن الله هو المالك ولا يوقن بالقضاء والقدر ويدل على عدم رضاه عن أفعال الله رغم يقينه النظري التام بأن الله هو المالك وبالقضاء والقدر وبأن الإنسان لا يملك شيئا ، وإذا كان عنده حزن لكن رضاه أكبر من حزنه فهذا يدل على أن يقينه بأن الله هو المالك موجود ولكنه ضعيف ناقص ، وإذا اختفى حزنه كان يقينه بأن الله هو المالك يقينا كاملا تاما ، فالمؤمن يجب أن يكون يقينه تام فلا يحزن لفقد شيء إلا أن يكون حزن في الله أى يحزن على فقد شيء لكونه يحرمه من طاعة مثلا (ويستثنى من ذلك المشاعر الجبلية الفطرية التي هي خارج إرادة الإنسان) .

****
****

ـ الرضا بالقضاء والقدر

ـ الله سبحانه لا يسأل عما يفعل : ((لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))[1] ، ففي تفسير البحر المديد : (({ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } ؟ أي : أيُّ شيءٍ أراد بهذا العدد المستغرَب استغراب المثل ؟ .. أو : أيُّ حكمة في جعل الملائكة تسعة عشر ، لا أكثر أو أقل ؟))[2] ، إذن فلابد من الشعور بالتسليم والرضا بما أراد الله وقدر لكل شيء ولكل واحد من رزق وأجل ، وفي الحديث : ((إن الله تبارك وتعالى يبتلي عبده بما أعطاه فمن رضي بما قسم الله عز وجل له بارك الله له فيه ووسعه ومن لم يرض لم يبارك له فيه))[3] ، فكل الأمور وكل شيء يخضع لهيمنة الله وسيطرته خضوعا كاملا وسيطرة كاملة ، فأنت وكل شيء خاضع لهيمنة الله وسيطرته الكاملة ، وعلى الناس تنفيذ مراد الله منهم ، والله لا يُسأل لماذا ؟ ولا يحاسبه أحد ، لماذا هذا ولماذا هذا ؟ ، كما أن الله هو الذي خلق عقولنا وأفهامنا التي نفهم بها وخلق الأسباب التي نتعامل بها ، والله فوق الأسباب والناس مقهورون تحت سلطانه ، ولا يفهمون إلا ما أفهمهم الله ، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله ، إذن فالشعور بالرضا بالقضاء والقدر معناه كمال الخضوع لله ، فمَنْ لم يشعر بكمال الخضوع والاستسلام لله ، فهو لا يشعر بالرضا الكامل بسلطان الله علي كل شيء وتحكمه في كل شيء وهيمنته علي كل شيء وأي شيء ، أي لا يشعر بالرضا بقضاء الله وقدره ، وإن كان مقتنعا نظريا تماما بقضاء الله وقدره سبحانه .

ـ إن الشعور بهيمنة الله تعالى على كل شيء يؤدي إلى أن يخضع العقل والقلب لله ، فمقياس الصواب والخطأ ليس العقل وإنما الله من خلال شرعه وأمره ، ومقياس ما يجعل الإنسان يفرح أو يحزن هو ما وافق أو خالف أمر الله ، أما مَنْ لا يشعر بالخضوع لهيمنة الله تعالي فمقياس الصواب والخطأ عنده هو عقله ورأيه فهو يعبد عقله ، ومقياس ما يجعله يفرح أو يحزن هو شهواته ودنياه فهو يعبد هواه : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا))[4] .

ـ الفرق بين الاقتناع النظري بالقضاء والقدر وبين الشعور والرضا به :

ـ إن مفهوم القضاء والقدر يعني أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ ، وأن العبد له مشيئة مقيدة ، فمشيئة العبد وإرادته واختياره هي جزء من قدَر الله الذي كتبه ، وأعمالنا مخلوقة وكل ما نصنعه وما نبنيه هو مخلوق لله ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))[5] ، وهذا يعني الشعور بالاستسلام والانقياد والخضوع لله والشعور بالرضا والصبر وغياب الإحساس بقدر عظمة الله في هيمنته وتحكمه في كل شيء ، فكل شيء سواء كان أو سيكون فهو وفق مشيئته ، فالله بيده الأمر كله ، وكل الناس علي اقتناع نظري تام بالقضاء والقدر ، أما في لغة المشاعر فلا تجد الشعور بالاستسلام والانقياد و الخضوع لله والشعور بالرضا والصبر ، وقد يحدث للإنسان مصيبة فيقول الحمد لله ولكن قلبه ساخط غير راضي وإن قال : أنا راضي ، وهو على اقتناع نظري تام بالقضاء والقدر ، وعلى اقتناع نظري تام بأنه راضي !! ، وتجده يقول (الحمد لله) لكنه من باب الروتين والتعود في الكلام ، وفي الحقيقة قلبه ساخط ، ونحن قد ندعي الصبر ، فما ورد في القرآن هو الصبر الجميل وهو حبس القلب عن التسخط وحبس اللسان عن الشكوى ، و هو أن تتجرع المر وأنت مبتسم في منتهي الأريحية والانبساط ، فيتقبل الإنسان المصيبة برضا ، وهو سكون القلب تحت مدار الأحكام واطمئنان للعاقبة

---

(1) الأنبياء : 23
(2) البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (8 / 272)
(3) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة : ج : 4 ، ص : 215 ، برقم : 1658)
(4) الفرقان : 43
(5) الصافات : 96

وانتظار للفرج واحتساب للأجر .

ـ الشعور بأن الله هو المالك يؤدى إلى الشعور والرضا بالقضاء والقدر : إن الذي يشعر بأن الله هو المالك لكل النعم فإنه يصبر علي سلب النعمة لأنها ليست ملكا له وليست حقا له ويرضى بذلك ، فقد جاء في تفسير قوله تعالي : ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ))[1] شرح ابن كثير معنى (إنا لله) : ((علموا أنهم ملك لله يتصرف في عبيده بما يشاء))[2] ، فمالك الشيء يفعل به ما يشاء ، فلا ضير أن يفعل الله بما يملك ما يشاء ، فلو قطعك إربا إربا فإنك ترضي لأنك نفسك ملكا له خاضعا له ، ومالك الشيء له الحق في أن يفعل بما يملك ما يشاء ، بل إن الله لو عذب جميع الخلق لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأنه مالكهم له الحق أن يفعل بما يملك ما يشاء : ((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً))[3] ، ((لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))[4] ، وفي الحديث : ((لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أحد ذهبا أو مثل جبل أحد ذهبا تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار))[5] ، إن الذي يشعر بأن حياته وكل شيء ملك لله وإنما هي نعم وعارية يستردها مالكها فعند الموت يكون راضيا لأن الله يأخذ ما يملكه ويكون شاكرا لله لأنه أعطاه هذه النعم طوال هذه المدة تنعم بها بغير استحقاق فتخرج الروح سهلة ، لكن الإنسان قد يشعر أنه هو الذي جلب النعمة لنفسه من عقله وكده وتعبه ، لذلك عند الموت فلا يريد أن يترك النعم فتخرج روحه بصعوبة لتعلقها بهذه النعم ، ويكره مَنْ يقبض روحه ، فعندما يأتيه الموت يكره هذا القدر .

ـ الحالة النفسية للشعور بالرضا : عندما يشعر الإنسان أن كل شيء بقدر الله ومشيئته ، وأن الخالق من حقه أن يفعل بمخلوقه ما يشاء ، فإنه يرضى بما يفعله الله ويسلم نفسه لله يفعل بها ما يشاء ، فيعيش في حالة من الارتياح والسعادة النفسية ، فهو لا يقلق بشأن ما حدث أو ما سيحدث فكله بقدر الله ، فيعمل وهو هادئ مطمئن قد أسلم أمره لله وتوكل عليه سبحانه .

****
****

ـ الشعور بأن الله هو المتكبر والعزيز والقوى

ـ الخالق لابد أن تكون له صفات الكمال في القدرة والقوة والعلم ، والمخلوق له صفات الضعف و العجز ، فهذا يجعل الإنسان يخاف من مهابة قدرة الله وبالتالي يخضع ويذل خوفا من مهابته ، و العكس مع الخالق ، فهذا أيضا يجعل الخالق العزيز الذي يذل له الناس والمتكبر الذي يخضع له الناس .

ـ الفرق بين اليقين النظرى واليقين الحقيقى بأن الله هو العزيز :

ـ اليقين النظري بأن الله هو العزيز موجود عند الكفار وكل الناس : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ))[6] ، ورغم ذلك فالكفار يتخذون أصناما لتكون لهم عزا ، ويبتغون العزة في أصنامهم : ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً))[7] ، ((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ

---

(1) البقرة : 156
(2) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 1 ، ص : 198)
(3) الفتح : 14
(4) الأنبياء : 23
(5) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج : 1 ، ص : 29 ، برقم 77)
(6) الزخرف : 9
(7) مريم : 81

الكافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزّةَ فَإِنّ العِزّةَ لِلهِ جَمِيعاً))[1] .

ـ أما اليقين الحقيقي بأن الله هو المتكبر والعزيز يؤدي بالضرورة إلى الخضوع من خوف المهابة لقدرته والحب لله تعالى . والذل والاستسلام .

ـ كما أن اليقين الحقيقي بأن الله هو المتكبر والعزيز والقوي يؤدي إلي حب الانتساب إلى الله لينال العزة ، فيذل أمام الله ولا يذل لغيره ، أي اختار أن يكون الله سيداً له أي اختار أن يكون عبدا لله حبا لينال العزة فيشعر بالعزة بالله (فإن القوة عند سيدك قوة لك والعزة عند سيدك عزة لك) ، والشعور بالعزة هو شعور بالانتماء والانتساب إلى شيء يجد فيه النفع له ومصلحته ويستمد منه ما ينفعه ويعلي من شأنه ، فإن كان يشعر أن غير الله لا ينفع ولا يضر ويشعر أن الله وحده هو النافع الضار فلن يرتكن ويلجأ وينتسب إلى غير الله ، وعندئذ يشعر بالعزة بالله ، ومن العزة أن الإنسان يرى تحصيل الحسنات أكثر حبا وفرحا من تحصيل الأموال لأنه يعرف (معرفة حقيقية بالمشاعر) قيمة الحسنات لأنه يشعر بقيمة خطورة الآخرة وخطورتها .

ـ ولذلك تأمر الآيات بالعلم بأن الله هو العزيز : ((وَاعْلَمْ أَنّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[2] ، ((فَاعْلَمُوا أَنّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ))[3] .

ـ وقد أوضحنا معنى الشعور بخوف المهابة وبالحب لله تعالى بالفصل الخامس .

ـ اليقين الحقيقى بأن الله هو العزيز يؤدى إلى الشعور بخوف المهابة : ((فَلِلهِ العِزّةُ جَمِيعاً))[4] :

ـ عكس التكبر الخضوع وعكس العزة الذل وعكس القوة الضعف ، فالذي يكون متكبرا عزيزا قويا بحق يكون إلها ، والذي يكون خاضعا ذليلا ضعيفا يكون عبدا .

ـ فالله هو القهار المسيطر ، والعبد يكون مقهورا واقعا تحت سيطرته ، والله يكون قادرا والعبد لا يقدر على شيء ، فالذي يستطيع أن يسيطر على غيره ويقدر عليه ، ويستطيع أن يعطيه أو يمنعه ويحرمه فهو قوي مسيطر والآخر ضعيف خاضع ، فالله هو الملك على كل الناس وكل شيء ، و المسيطر على كل الناس وكل شيء ، ويستطيع أن يهلك الناس أو يعطيهم أو يمنعهم ، وهذا يستلزم قدرة وعلم على عمل ذلك الأمر .

ـ فالكبرياء والعزة من أخص خصائص الإله ، فالإله هو الذي يكون فيه هاتين الصفتين ، والعبد هو الذي تكون فيه صفة الخضوع والذل ، ففي الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه : ((قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعزة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في النار))[5] ، وفي حديث آخر : ((قال الله عز وجل الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار))[6] .

ـ إذن فالإله هو الذي تخضع له لأنه يقدر عليك فأنت ضعيف وهو قوي ، ((وَلَوْ يَرَى الذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ العَذَابَ أَنّ القُوّةَ لِلهِ جَمِيعاً))[7] .

ـ الإنسان إما أن يعترف بضعفه أو يدعي القوة ، ويكون ذلك كالتالي :

1ـ إما أن يدعى القوة فهو يدعي أنه يملك أسباب القوة من مال وجاه وسلطان وشهوات ، بحيث يكون هذا الأمر في شعوره فهو بذلك يدعي بمشاعره وليس بلسانه أنه ليس عبدا وإن كان على يقين تام بأنه عبد لله .

---

(1) النساء : 139
(2) البقرة : من الآية 260
(3) البقرة : من الآية 209
(4) فاطر : من الآية 10
(5) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة ج : 2 ، ص : 79 ، برقم : 541) .
(6) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن أبي داود ج : 4 ، ص : 59 ، برقم : 4090) .
(7) البقرة : من الآية 165

2ـ أو يعترف بضعفه ويعترف بأن الله هو صاحب القوة ، فهو يستمد العزة من انتسابه إلى الله ، و هذا هو الذي يعبد الله تعالى .

ـ اليقين الحقيقى بأن الله هو العزيز يؤدى إلى العزة بالله وبالتالى حب الله تعالى : ((فَلِلهِ العِزّةَ جَمِيعاً))[1] :

ـ أسباب القوة والعزة والكبرياء هي ملك لله وليست ملكا للإنسان ، وبالتالي فالله هو القوى العزيز المتكبر وليس الإنسان ، فالإنسان يعتز بما عنده من مال أو جاه أو سلطان .. الخ ، والله صاحب كل النعم فهو العزيز والناس أذلاء ، والإنسان يظن أنه غني بما عنده من مال أو جاه أو سلطان ... إلخ ، و الله صاحب كل هذه النعم فهو الغني والناس الفقراء ، والإنسان يتكبر علي غيره بما عنده من مال أو جاه أو سلطان .. فالله صاحب كل هذه النعم ، فالله هو المتكبر والناس جميعا عبيد إحسانه أذلاء إليه فقراء إليه محتاجون إليه ، إن كل ما ينفع الإنسان فهو نعمة والله صاحب كل النعم ، إذن غير الله لا ينفع ولا يضر ، فالله هو النافع الضار ، والإنسان يعتز بما ينفعه ولا ينفعه إلا الله ، إذن لا يعتز الإنسان إلا بالله وبدينه ، وقد جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمتى ابتغينا بغير الإسلام أذلنا الله))[2] ، فينبغي أن ينظر المرء إلى الناس بقدر اتصالهم بالله فينظر إلى الإنسان الذي يرى أنه موصولا بالله باحترام وتوقير وحب في الله وإن كان لا يملك من الدنيا شيئا ، وينظر إلى صاحب الدنيا (من مال وجاه ... الخ) الذي يبدوا عليه أنه بعيد عن الله بغير احترام ولا تقدير في نفسه ، كما ينظر بعزة إلى الإنسان البسيط الذي لا يملك قدرات أو كفاءات أو خبرات ، ينظر إليه باعتزاز إذا كان يراه يتجه بقلبه إلى الله ويعيش من أجل الآخرة ، كما يعتز الإنسان بدينه فيشعر بأن اكتسابه للحسنات أفضل من الدنيا وما فيها .

ـ إن العزيز هو الذي تستمد منه العزة والفخر لتجد فيه عزتك ، فمن الناس مَنْ يجد عزته وفخره بما عنده من مال أو جاه أو سلطان أو وضع اجتماعي .... الخ ونبين ذلك كالتالي :

ـ قد يعتز المرء بنفسه (عزة النفس أو كرامة النفس أو الكبر) ، وطالما أن الإنسان هو نفسه ملك لله تعالى فلا يعتز بنفسه ، وإنما يعتز بالله ، فالإنسان لا يجب أن يغضب لنفسه أو ينتصر لنفسه ولكن يغضب لله وينتصر لله ، فهو يعمل لمصلحته ومصلحته في الجنة ، وهذا هو المحرك للعمل ، وقد يعتز بالمكان أو الوطن أو الزمان أو العصر الذي يعيش فيه ، فالزمان والمكان مخلوقين وملك لله تعالى ، وقد يعتز المرء بالأصحاب وإن الأصحاب نعمة وملك لله تعالى ، فالله مالك كل شيء ، إذن لا يأنس المرء إلا بالله ، وقد تعتز المرأة بجمالها ، فالجمال نعمة وملك لله تعالى ورزق من الله ، فلا معني لأن يعتز المرء بما لا يملك ، وقد يعتز المرء بقوته أو صحته أو ما يصنعه من تكنولوجيا ومخترعات فكل ذلك ملك لله تعالى (راجع الشعور بأن الله هو المالك) .

ـ الانتماء إلى الوطن أو القومية أو حضارة معينة كالفرعونية أو الجنس أو النسب أو العائلة أو المكانة الاجتماعية أو الشهادات العلمية والألقاب أو فريق كوره ... الخ بحيث يستمد الإنسان شرفه وعزه وفخره في هذه الأشياء وينسب نفسه إليها فذلك ذنب من الذنوب قد يصغر فيصبح صغيرة من صغائر الذنوب ، وقد يكبر حتى يصبح ابتغاء للعزة في هذه الأشياء واتخاذهم آلهة ليكونوا لهم عزا ، وذلك رغم اليقين التام بأن الله وحده هو العزيز وأنهم لا يجدون العزة إلا في الله ولكن كل ذلك يقين نظري وليس حقيقي ، فهم إذا وصلوا إلى هذا الحد من تعلق مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم بذلك وابتغاءهم العزة في غير الله فقد وقعوا في النفاق الأكبر من غير أن يشعروا بخطورة ما وقعوا فيه : ((وَاتخَذوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكونوا لهُمْ عِزّاً))[3] ، ((الذينَ يَتّخِذونَ الكافِرينَ أوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ أيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ العِزّةَ فَإنّ العِزّةَ لِلهِ جَمِيعاً))[4] .

---

(1) فاطر : من الآية 10
(2) تفسير ابن كثير - (ج 4 / ص 40)
(3) مريم : 81
(4) النساء : 139

ـ وكذلك من يعتز بما معه من مال ، أي يفرح بما معه من مال ، أي يحس في نفسه بالسعادة بما يمتلك من المال وذلك مثلما فعل قارون : ((إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحِينَ))[1] ، وكذلك من يفرح في نفسه بما معه من الدنيا والشهوات أو بالابتلاءات التي تحدث لغيره من الناس .

ـ وكذلك من يعتز بقوة جسمه أو بما عنده من علم وخبرة أو بجماله أو بما يمتلك من حطام الدنيا الفانية أو بآباءه أو أقاربه بما عندهم من سلطان وجاه وبما لهم من صلاحيات وقدرات ، وكذلك التشبه بممثلين أو مغنيين أو لاعبين اعتزازا بهم وتفاخرا بالإنتماء إليهم ...... الخ ، فكل ذلك ذنوب تصغر لتصبح من صغائر الذنوب وتكبر لتصبح وقوع النفاق الأكبر لأنه يشعر بذلك أن العزة عند غير الله فيطلب العزة من غير الله .

ـ وكذلك الإنتساب إلى الآخرين ومودتهم لما عندهم من أسباب القوة كالشهرة أو المال أو القدرة على الحرب أو الجاه أو السلطان كموالاة المشركين ومودتهم لما عندهم من قوة ابتغاء العزة بهم ونصرتهم .

ـ ولأن كل أسباب القوة من مال وجاه وسلطان ... الخ هي ملك لله فلا يحق لأحد أن يدعي العزة عنده أو عند غيره (لما عنده من أسباب القوة أو لما عند غيره من أسباب القوة) ، فالعزة كلها لله لأن القوة كلها لله تعالى .

ـ وكذلك من يعتز بما اكتسبه من خبرة في عمله ، أو بما اجتازه من نجاحات أو عقبات مرت به في حياته ، أو من علم ، فيشعر أن الفضل يرجع له ، خاصة عندما تكون له كفاءات ليست عند غيره من الناس ، ويشعر أن ما يتميز به عن غيره من الكثير من الناس أو بعضهم هو من كده وتعبه والفضل يرجع لذكائه مثلا أو لقدراته أو لخبرته ، والمشكلة من ناحيتين هما أنه يضخم من حجم هذه الأمور الدنيوية البسيطة ، وأنه يشعر بأن الفضل يرجع له ، ويغتر بما عنده من قدرات ، فينسى الإنسان قدره الحقيقي ، وينسى ما كان عليه قبل أن يحقق هذه الأمور سواء من نجاحات أو اجتياز عقبات ، وينسى أن ما في الدنيا من سعادة أو شقاء ليس بشيء لأن السعادة أو الشقاء إنما هي في الآخرة و الدنيا زائلة بما فيها من سعادة أو شقاء ضئيلة وزائلة ، فلا يفرح الإنسان بشيء من الدنيا ، فمشكلة قارون أنه كان يفرح ويعتز بما عنده من مال ويظن أنه من كسب يده وبفضله هو : ((إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (77) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي))[2] ، فكل ما يعمله الإنسان أو يصنعه من تكنولوجيا مثلا أو يكتسبه من خبرة أو علم هو من الله ففي تفسير الطبري : ((عن قتادة " والله خلقكم وما تعملون[3] " بأيديكم))[4] أي الله خلقك وخلق ما تعمله أنت بيدك ، فليس لك فضل في شيء ، فالأمر كله لله و الفضل كله لله تعالى ، فلابد ألا ينسى الإنسان الحكمة التي تقول : (رحم الله إمرءا عرف قدر نفسه) ، ورغم أن الإنسان مطالب بالأخذ بهذه الأسباب إلا أنها لا تنفع ولا تضر ، فمن ناحية أنها لا تنفع ولا تضر فهي لعب ولهو ، لأن الشيء الذي لا ينفع ولا يضر هو لعب ولهو ، ولكن الله أمر بها كنوع من الا ختبار ليرى هل سيفرح الإنسان بها ويعتز بها فتجعله يغفل عن الله أم يعملها وهو يعلم أنها لهو ولعب لا تجلب رزقا ولا تقدم ولا تؤخر ؟ ، ففي تفسير ابن كثير : (({ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى } أي : الكافرة { أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا } أي : عذابنا ونكالنا { بياتا } أي : ليلا { وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ } أي: في حال شغلهم وغفلتهم))[5] .

---

(1) القصص : من الآية 76
(2) القصص : 76 ـ 78
(3) الصافات : 96
(4) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 23 ، ص : 75) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(5) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 451)

ـ وكذلك الشعور بالمهانة والذل بسبب الفقر أو عدم وجود المكانة الاجتماعية أو الشهادة العلمية ... الخ ، فهو بذلك يرى العزة في هذه الأمور الدنيوية رغم أنه لا يملك شيئا منها ، والتحسر عند ذكر أصحاب الثروات أو النفوذ أو الدنيا ، ويرى في نفسه الأنفة والكبر عن أن يصاحب فقراء أو من هم أقل منه في المكانة الاجتماعية ، ويتبرأ من الأصحاب الذين هم أقل من مستواه الدنيوي ، ويشعر بالخزي والعار إذا كان له أقارب فقراء أو لا يملكون شيئا من حطام الدنيا ، وهكذا ، وفي تفسير ابن كثير : ((وقوله : { وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ } أي : ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض { لِيَقُولُوا أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غالب من اتبعه في أول البعثه ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل ، كما قال قومُ نوح لنوح : { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ } الآية [هود : 27] ، وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل ، فقال له : فهل اتبعه ضعفاء الناس أو أشرافهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم فقال : هم إتباع الرسل ، والغرض : أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفائهم ، ويعذبون من يقدرون عليه منهم ، وكانوا يقولون : { أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا } ؟ أي : ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير - لو كان ما صاروا إليه خيرا – ويدعنا ، كما قالوا : { لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ } [الأحقاف : 11] ، وكما قال تعالى : { وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا } [مريم : 73] ، قال الله تعالى في جواب ذلك : { وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا } [مريم : 74]))[1] ، وفي تفسير ابن كثير أيضا : (({ فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ } والملأ هم : السادة والكبراء من الكافرين منهم : { مَا نَرَاكَ إِلا بَشَرًا مِثْلَنَا } أي : لست بملك ، ولكنك بشر ، فكيف أوحي إليك من دوننا ؟ ثم ما نراك اتبعك إلا أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا))[2] .

ـ فمقياس القوة والضعف عند المؤمن هو مقدار ما عنده من إيمان بالله وانتساب إليه وليس بامتلاك أمور الدنيا ، فالقوة والعزة والعلو عند المؤمن هي قدر الإيمان عنده ، والكافر والمنافق ضعيف ذليل لأنه لا إيمان عنده : ((وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))[3] ، ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ))[4] ، ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا))[5] ، فالمسلم يستمد العزة من العزيز ويستمد العلو من الأعلى ، لذلك فالمؤمن ينظر إلى الكافر على أنه ضعيف مسكين وإن كان يمتلك كل الدنيا ، كما ينظر إلى حاله في الآخرة فيراه مسكين قد أهلك نفسه .

ـ العزة نوعين إما عزة بالله أو عزة بالدنيا ، فتؤدى إلى حب الله أو حب الدنيا :

ـ من الناس من يفرح بأنه متدين لأنه يرى الدين أمر عظيم فيحبه ويحب أن ينسب نفسه له ويؤيده ويعتز بانتسابه له ، فلا يرى الدين أعباء ولكن يراه خير له وكنز عظيم .

ـ ومن الناس من يفرح بأصحاب الثروات أو المناصب أو الشهوات أو يفرح بالثروات والمناصب و الشهوات ، لأن يرى أن هذه الأمور عظيمة القدر فيحبهم ويحب أن ينسب نفسه إليهم ويؤيدهم ويعتز بانتسابه لهم .

ـ سبب العزة بغير الله هو التزيين والغرور :

ـ الإنسان يشعر بالانتماء إلى القومية أو الحضارة أو التكنولوجيا أو المال أو الشهوات أو الكورة .... الخ ، وذلك لأن الشيطان يزين للإنسان أن هذه الأمور ذات قيمة كبيرة في حين أنها ذات قيمة صغيرة ، كما يجعل الإنسان ينسى قدر الله ، فإذا وصل الأمر لدرجة أن يكون شعوره بقدر القومية أو الحضارة .... الخ أكبر من شعوره بقدر الله وانتماءه لله فهذا معناه وقوع الإنسان في العزة بغير الله

(1) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 261)
(2) تفسير ابن كثير - (ج 4 / ص 316)
(3) آل عمران : 139
(4) المنافقون : 8
(5) فاطر : 10

التي هي وقوع في النفاق الأكبر .

ـ فالعزة معناها الفرح ، فهناك من يفرح بالمال إذا زين له الشيطان أن فوائد المال عظيمة : ((إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ))[1] ، وهناك من يفرح بالله عندما يشعر بفضله وبرحمته : ((قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ))[2] .

ـ فالعزة بالله من أهم موجبات حب الله تعالى ، فالإنسان بفطرته يحب أن يكون فيه صفات الكمال والجمال فإذا لم تكن فيه أحب الانتماء إلى من له هذه الصفات فيعتز ويفرح بانتمائه إليه ولأنه يرى قوة القوى قوة له ولأنه يستمد منه العزة والقوة .

ـ الضعيف يحتمي بالقوى ويعتبر ذلك قوة له ضد غيره ممن لا يحتمي بهذا القوى ، فإذا أراد أن يعتدي عليه أحد لجأ إلى القوى الذي يحتمي به لينصره عليه ، فهو يخضع للقوى خوفا من مهابته وحبا له في ذات الوقت لأنه يستمد منه القوة ، لذلك فالخضوع الناشئ عن خوف المهابة والحب أساس العبادة .

ـ أما الذي يرى نفسه قويا فهو لا يحتاج إلى أحد فهو يخضع لنفسه ويحب نفسه في نفس الوقت ، فهو يعبد نفسه وفي نفس الوقت يجعل من نفسه إلها وكلاهما شيء واحد .

ـ حب صفات الكمال يؤدى إلى الخضوع حبا لله لينال العزة بالله :

ـ الله له كل الصفات المحمودة ، والإنسان بطبعه يحب هذه الصفات ويحب من يتصف بها ، ويعجب بها .

ـ فأنت مثلا إذا رأيت ساحرا يقوم بأعمال سحر فأنت تعجب به وتنبهر بما يعمله ، فإن قدرة الله أكبر مما يعمله الساحر في أنها قدرة كبيرة على عمل أي شيء ، وفي أنها قدرة حقيقية وليست سحرا وخيالا ، فمثلا عندما خرجت ناقة صالح من الصخرة لم تكن خيالا حتى أنهم ذبحوها وأكلوها ، وقدرة الله على خلق السماوات أعجب من السحر ولكنها حقيقة وليست سحرا .

ـ والإنسان يحب أكثر من تتميز هذه الصفات الحميدة عنده فتكون أعلى من الناس ، فيحب من يضرب به المثل في الإنفاق أو أعمال الخير ، ويحب من يحقق رقما قياسيا في بطولة رياضية مثلا ، ويحب الانتماء إليه ومودته والعزة به ، وقد يعلق صوره في بيته ويكثر من الحديث عنه وينسب نفسه إليه ويفتخر بقدرة ذلك الإنسان الذي جعله مثلا أعلى له .

ـ ولأن الله هو الأعلى في كل الصفات الحميدة ، فمن شعر بالعلو والكمال في هذه الصفات لله تعالى شعر بحب الله وحب الانتماء إليه والحديث عنه وعن فضله ، فيعتز بانتسابه إلى الإسلام ، ويستمد فخره وشرفه وقوته من انتسابه إلى الإسلام .

ـ ولأن الرسول (ص) هو أعلى الناس في الصفات الحميدة كما أنه أرشد الناس وعرفهم بطريق النجاة (وهذه أعظم نعمة) ، فمن شعر بهذه الصفات للرسول (ص) شعر بحب الرسول (ص) وحب الانتماء إليه والحديث عنه وعن فضله ، فيعتز بانتسابه إلى الرسول (ص) ، ويستمد فخره وشرفه وقوته من انتسابه إلى الإسلام ، ويفرح بانتسابه إلى الله ورسوله والمؤمنين : ((وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ))[3] .

ـ الشعور بأن الإنسان هو القوى العزيز المتكبر معناه أن الإنسان يقول بمشاعره أنه إله وليس عبدا :

ـ صفة القوة والعزة والنصر والقهر لله وحده ، وصفة الضعف والذل والهزيمة للمخلوقات جميعا :

(1) القصص : من الآية 76
(2) يونس : 58
(3) المنافقون : من الآية 8

((أنّ القوّة لِلهِ جَمِيعا))[1] ، ((فَلِلهِ العِزّة جَمِيعا))[2] ، وغير الله لا ينفع ولا يضر ، وهذه الصفات تكون أيضا لما يتصل بـالله باعتبار نسبتها إلى الله تعالى ، فالقوة والنصر والعزة لكلمة الله وللإسلام وللمؤمنين باعتبار صفة الإيمان التي فيهم وليس لذوات أنفسهم ، فالقوة للدين وليست للأشخاص ، فهناك فرق بين الذين يريدون القوة لأنفسهم وبين الذين يريدون القوة للدين ، فهناك من يخدع نفسه بأنه يطلب العزة والنصر والقوة للإسلام وهو في الحقيقة يطلب العزة والنصر والقوة لنفسه ليستمتع بها أو انتصارا لنفسه ، فعندما يتحقق النصر فإنه يتحقق للإسلام وليس لذوات الأشخاص ولذلك ففي سورة النصر خير دليل : ((إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ ، وَرَأيْتَ النّاسَ يَدْخُلونَ فِي دِينِ اللهِ أفوَاجاً ، فَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ وَاسْتَغفِرْهُ إنّهُ كانَ توّابا))[3] ، فالنصر تحقق للإسلام لكن التقصير لا يزال فيهم وهم يحتاجون إلى استغفار وتوبة ، وبنفس القياس فالولاء والبراء يكون على الدين وليس على ذوات الأشخاص ، والنصر ليس على ذوات الأعداء ولكن على غياب الإيمان منهم .

ـ فالعزة بالإيمان وليست العزة بالنصر والغلبة ، فالمؤمنون وهم مغلوبون هم أعزاء : ((وَأنْتمُ الأعْلوْنَ إنْ كنْتمْ مُؤْمِنِينَ))[4] ، فالمؤمن لا يعتز بالنصر أو بأنه سوف ينتصر ولكن يعتز بإيمانه الذي في قلبه وأنه يسلك الطريق إلى معرفة الله ورضوانه .

ـ فالإنسان قد يرى أنه القوي فيرفض الخضوع : ((وَقالوا مَنْ أشَدّ مِنّا قوّة أوَلمْ يَرَوْا أنّ اللهَ الذِي خَلقهُمْ هُوَ أشَدّ مِنْهُمْ قوّة))[5] .

****

******

ـ الشعور بصفات الإنعام

ـ صفات الإنعام تشمل : الرزاق والوهاب والوكيل والكفيل ... الخ .

ـ لكي يتحقق الشعور بأن الله له صفات الإنعام لابد من تحقيق ثلاثة أمور هي :

1ـ الإحساس بالقيمة لمعنى النعم ، أي الشعور بأن كل شيء مسخر وفيه فوائد للإنسان وبالتالي هو نعم للإنسان ، والإحساس بمدى فائدة النعم للإنسان واحتياجه إليها وأنه بدونها لا تقوم حياته ، أي الشعور بلذة التمتع بها ، والشعور بألم الخوف من فقدها ، ولا يشعر الإنسان بقيمة النعمة إلا إذا فقدها .

2ـ الإحساس بأن هذه النعم ليست ملكا للإنسان وليست موجودة بذاتها وأن الإنسان لا يستحقها وأنه لم يأتي بها من كده وتعبه .

3ـ والشعور بأن هناك من خلقها بشكل معين بحيث يقصد أن يكون فيها النفع للإنسان .

ـ الفرق بين اليقين النظرى النظرى واليقين الحقيقى بأن الله له صفات الإنعام :

ـ كل الناس يعرفون نعم الله تعالى ويوقنون بها ، لكنها معرفة نظرية ويقين نظري عند البعض ، حيث يتجاهلون ويتناسون ويتغافلون عن فوائد هذه النعم واحتياجهم إليها ، كما يتجاهلون ويتناسون ويتغافلون عن أنها ملكا لله وليست ملكا لهم ، ويشعرون كأنهم هم الذين يرزقون أنفسهم بكدهم وعملهم .

ـ اليقين الحقيقي بصفات الإنعام لله تعالى يؤدي إلى الخضوع والحب لله تعالى ، فمن علم أنه لا يملك شيئا وأنه في أشد الحاجة إلى من يمده بما يحتاجه فإنه يذل نفسه لمن عنده النعمة ليعطيه ،

(1) البقرة : من الآية 165 |
(2) فاطر : من الآية 10
(3) النصر : 1 ـ 3
(4) آل عمران : من الآية 139
(5) فصلت : من الآية 15

وهو أيضا ذليل لمن يعطيه لأن الحاجة ضعف والعطاء قوة فه عبد لإحسان الله إليه ، وفي نفس الوقت هو محب لمن يعطيه لعطائه بغير استحقاق فهو محض فضل من الله ، فكان من الممكن أن يوجدك الله ويتركك بلا عطاء فتهلك ولكن أنعم عليك .

ـ العطاء والكرم صورة من صور القوة :

ـ العطاء والكرم صورة من صور القوة ، والاحتياج والعوز صورة من صور الضعف ، فالذي يعطيك من غير أن تستحق فهو متكبر عليك بحق وأنت مستذل وذليل له بحق ، فالمذموم هو التكبر بغير حق ، ولأن القوة كلها لله فهو المتكبر ، والضعف كله للمخلوقات فهي الذليلة ، ففي تفسير الرازي : ((قوله : { المتكبر } ففيه وجوه أحدها : قال ابن عباس : الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله ..... والكبرياء عند العرب : الملك ، ومنه قوله تعالى : { وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبرياء فِي الأرض } [يونس : 78] ، واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم ، لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ، لأنه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذباً ، فكان ذلك مذموماً في حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال : { سبحان الله عَمّا يُشْرِكُونَ } كأنه قيل : إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم ، فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي ، أما الحق سبحانه فله العلو والعزة ، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال ، فسبحان الله عما يشركون في إثبات صفة المتكبرية للخالق))[1] ، وفي تفسير الطبري : ((ويعني بقوله : " القاهر" المذلِل المستعبد خلقه))[2] .

ـ لا يعرف النعمة إلا من فقدها :

ـ إذا لم يشعر الإنسان بفوائد وأهمية النعم له ، فهو لا يعرف شيء اسمه (نعمة) أصلا ، وبالتالي لن يشعر بحب الخالق والخضوع لإنعامه .

ـ وأيضا إذا لم يشعر بمدى احتياجه إلى هذه النعم وأن حياته لا تقوم بغيرها ، فلا تهمه النعم فهو مستغني عنها ، وبالتالي لن يشعر بحب الخالق والخضوع لإنعامه .

ـ والنعم لها فوائد عظيمة جدا ولكن لا يشعر بها إلا من فقدها ، فمثلا الصحة تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى ، وهكذا ، فالإنسان لا يشعر بقيمة قطرة المياه إلا إذا حرم منها ، فالأصل أن الإنسان محروم من كل النعم ثم أعطاه الله هذه النعم ، وإذا حرم الإنسان من كل النعم فهو ميت أو عدم لأن كل شيء هو نعم للإنسان : ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[3] ، ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ))[4] ، فالأصل أنك أعمى ثم أبصرت ، فانظر كيف يشعر إنسان أعمى إذا أبصر ، إنه عندئذ فقط يشعر بنعمة البصر ، ويشعر بحب عميق جدا لمن أنعم عليه بأن جعله يبصر ، وهكذا .

ـ فيتحقق الشعور بأن الله هو المالك وأن له صفات الإنعام بأن يشعر الإنسان بعظمة نعم الله عليه ، وبمدى احتياجه إلى هذه النعم وأنه لا تقوم حياته بغيرها وأنه غير مستحق لأي منها ، وأنه لم يحصل عليها لا من كسب ولا كد ولا تعب فهذه مجرد أسباب وإنما هذه النعم هي محض تكرم وإنعام من الله العظيم إلى العبد الفقير المعدوم الذي لا يملك حتى نفسه .

ـ ومن نعم الله أن سخر له كل شيء كالشمس والقمر والهواء ، وسخر الأشياء فينشأ عن ذلك التقدم

---

(1) تفسير الرازي - (ج 15 / ص 315)
(2) تفسير الطبري - (ج 11 / ص 288)
(3) البقرة : 28
(4) البقرة : 243

العلمي والتكنولوجي لراحة الإنسان .

ـ أنت إذا طلب منك أن تبيع عينك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق ؟ طبعا لا ، وإذا طلب منك أن تبيع سمعك مقابل مائة ألف جنيه فهل توافق ؟ طبعا لا ، وهكذا ، إذن أنت تملك مئات الآلاف من الجنيهات ، ولا يعرف قيمة النعمة إلا من فقدها ، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراها إلا المرضى .

ـ ومع ذلك هناك من يفقد النعمة ثم تعود إليه النعمة فينسى : ((فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ))(1) .

ـ قد أوضحنا أن الإنسان لا يملك شيئا وأن المالك هو الله فكل ما عند الإنسان من مال وممتلكات بل هو نفسه ملك لله ، إن كل ما خلقه الله هو نعم للإنسان فإن الله سخر له ما في السموات والأرض ، و النعمة هي كل ما فيه نفع أو فائدة للإنسان ، وقد أوضحنا أن الإنسان ليس هو الذي يجلب ويأتي بـ النعم والنفع لنفسه وإنما الذي يعطي النعم والنفع هو الله ، فالله له كل صفات الإنعام فلا ينفع غيره .

ـ هناك فرق بين صفات العبد وصفات الرب ، فالفرق بين كرم العبد وكرم الرب أن الله يكرم فيما يملك أما العبد فلا يملك شيئا وهكذا .

ـ لو لم يكن الله الرزاق لأتى العبد يوم القيامة وقال يا ربي انشغلت بجلب الرزق وغلاء المعيشة وأداء الحقوق عن معرفتك وعبادتك فتكون له حجة ، ولكن الله هو الرزاق فلا حجة لأحد بأن يعيش حياته في جلب الرزق .

ـ نسيان نعم الله هو نسيان للمنعم والرزاق فهو نسيان لله لأن كلمة (الرب) تعني أساسا صفات الإ نعام والرزق وأن الله هو الوكيل والكفيل وكلها صفات عطاء ونعم للإنسان .

ـ عندما يكون الإنسان في محنة ثم ينجو منها ينسى عطاء الله عليه ، فإذا نسي هذه النعمة ونعمة أخرى وثالثة ورابعة فينسى نعم الله جميعا بكل صورها وعندئذ يكون إيمانه بأن الله هو ربنا الرزاق والوكيل والكفيل هو مجرد اقتناع نظري ولم يتحقق في المشاعر .

ـ أفضل نعم الله أنه أرسل إلى البشر رسلا تعرفهم أن هناك نارا وترشدهم إلى طريق الخلاص منها لأ ن الله لو عذب الناس جميعا لعذبهم وهو غير ظالم لهم لأنهم عبيده وملكه ، وصاحب الشيء يفعل بما يملك ما يشاء ، لكن الله من رحمته لم يرد ذلك وأرسل الرسل لتعرف الناس بطريق النجاه .

ـ فإذا لم يشعر الإنسان أنه يأخذ ما هو في أمس الحاجة إليه حيث لا تقوم حياته بغير نعم الله عليه ، وأن ما يأخذه ليس حقا له وإنما محض من وتكرم ، فلم يشعر بقيمة اللقمة التي يأكلها ويقنع بها ويخجل من طلب المزيد ويحب الرزاق ، فهو لا يشعر عندئذ بأن الله له صفات الإنعام وإن كان على يقين نظري تام بذلك .

ـ إذا لم تكن تملك شيئا على الإطلاق من طعام أو شراب وأتاك أحد بشربة ماء فأنت حينئذ تكون ممتنا شاكرا ، وهذا الماء بالنسبة لك هو نعيم ونعمة كبيرة لأنه جاءك ولم تكن تستحقه وهو ذو قيمة كبيرة واحتياج كبير لك ، لذلك ففي الحديث : ((لما نزلت { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } قال الزبير وأي نعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون))(2) ، فلابد أن تشعر بأنك تعيش في نعيم مهما كان حالك من الفقر والمرض ، ولذلك عندما يسألك أحد : " كيف حالك ؟ " ، فتقول : " الحمد لله ، أو تقول : " في نعمة والحمد لله " مهما كان حالك ، ولكن يجب أن يقول ذلك بلسان مشاعرك أيضا ، وهذا هو مفهوم الرضا القلبي .

ـ الكفر القلبي بنعمة الله :

(1) الزمر : 49

(2) قال الشيخ الألباني : حسن (سنن ابن ماجة ج : 2 ، ص : 1392 ، برقم : 4158)

ـ الكفر القلبي بنعمة الله معناه عدم وجود الإحساس بقدر صفات الإنعام للخالق ، ففي أيسر التفاسير للجزائري : (({ ليكفروا بما آتيناهم) أي ليؤول أمرهم الى كفران ونسيان ما آتاهم الله من نعمٍ وما أنجاهم من محن))[1] ، وقارون كفر بنعم الله وذلك بأن شعر بأن ما عنده إنما هو من كده وتعبه ، ففي تفسير الشعراوي : (({ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ آتَيْنَاهُمْ . . . } ، أي : مُسْتعظمين كقارون الذي قال : { إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ على عِلْمٍ عنديا } [القصص : 78] ، أخذتُ هذا بَجْهدي وعملي . . ومثله مَنْ تقول له : الحمد لله الذي وفّقك في الامتحان ، فيقول : أنا كنت مُجِداً . . ذاكرتُ وسهرتُ . . نعم أنت ذاكرتَ ، وأيضاً غيرك ذاكر وجَدّ واجتهد ، ولكن أصابه مرض ليلة الامتحان فأقعده ، وربما كنت مثله))[2] .

ـ الإحساس بقدر صفات الإنعام يؤدي إلى حب الله تعالى :

ـ تصور لو أنك ذهبت إلى مكان ما وقيل لك أن مصاريف الإقامة والطعام والشراب والملبس علي حساب فلان ، تصور فعلا أن إقامتك في هذه الدنيا مدفوعة الحساب (فأنت لا تملك أن تدفع حساب شربة ماء واحدة ، ولا تستطيع أن تقيت نفسك) إذا لماذا لا تحب الله ؟ ولماذا تتوكل علي غير الله كأن تعتمد علي نفسك ؟ ، ولماذا يكون كل همك في إحضار الرزق ؟ .

ـ استشعار الملكية لله يؤدي إلى الإحساس بقدر صفات الإنعام ، فأنت إذا أكلت أكلة أو شربت شربة فإنك تستشعر أن هذه الأكلة أو هذه الشربة هي ملك لله ليس لك فيها حق ، ولم تستطع أن تأكل اللقمة أو تشرب الشربة إلا بعد أن أذن الله لك بذلك ، وكذلك تستشعر أن السكن الذي تسكن فيه ليس خاص بك وملكا لك وإنما هو ملك لله ومحض تكرم من الله عليك ، بل إن يدك وجسمك ليس ملكا لك وإنما هو ملك لله تعالى وكونه معك فهو محض تكرم من الله عليك (راجع الشعور بأن الله هو المالك) .

ـ نعم الله ورزقه لك ، ورعاية الله لك ورحمته بك ، وهو يسترك وأنت تعصيه رغم أنه يستطيع أن ينتقم منك وينسفك نسفا إذا عصيته ، فإذا به يغفر لك ذنبك إذا تبت واستغفرت ، ويتودد إليك ويرشدك إلى طريق السعادة ، وييسر لك : ((يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ))[3] ، ((وَاللّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً))[4] ، ((يُرِيدُ اللّهُ أَنْ يُخَفِّفَ))[5] ، ((مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[6] ، والقرآن مليء بضرب الأمثال والإيضاحات التي تذلل لك العقبات وتوضح لك الطريق ، بل إن الله أخبرك بما يكون في المستقبل من أمر الآخرة حتى تكون على بصيرة ، كما أرسل رسولا من البشر ليكون نموذج إرشادي تطبيقي عملي يواجه نفس ما يواجهه البشر ، فكل هذا رحمة من الله تعالى ، كما أن الذي خلق كل هذا الكم من الجمال في الخلق والمخلوقات وبالتالي عنده من الجمال ما هو أكبر من مجموع ما أعطى من الجمال للخلق والمخلوقات منذ خلق الكون والبشر والمخلوقات إلى يوم القيامة ، وبالتالي فلذة النظر إلى وجه الله أعظم من مجموع كل جمال الدنيا ، وبالمثل كل الصفات المحمودة من الكرم والرحمة وغيرها فالله خلقها وهي عند الله أعظم فلله الكمال في الجمال والصفات ، كما أن الله يعطي للبشر حقا عليه أن يدخلهم جنات بها نعيم بلا حدود إذا لم يشركوا به ويعطيهم لذة الإيمان في الدنيا التي هي أعظم من كل لذات الدنيا ، رغم أنه ليس لبشر حق على الخالق إلا أنه حق أخذه الله على نفسه ، كما يبارك لهم في أرزاقهم ويجيب دعاءهم ، كما أنه يجيب دعوة المضطرين ويفرج الكربات ، ويعطي الناس من كل ما سألوه : ((وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإنسان لَظَلُومٌ كَفَّارٌ))[7] .

---

(1) أيسر التفاسير للجزائري : (ج 2 : ص 303)
(2) تفسير الشعراوي : (ج 1 / ص 4937)
(3) البقرة : من الآية 185
(4) النساء : 27
(5) النساء : من الآية 28
(6) المائدة : من الآية 6
(7) إبراهيم :34

ـ أهم المشاعر التي تنشأ عن الإحساس بصفات الإنعام هي الشعور بحب الله تعالى ، فإذا لم يشعر الإ نسان بحب الله تعالى فهذا يعني عدم شعوره بأن له ربا (فإن كلمة رب تعني صفات الإنعام والمالك والخالق والعزيز ، أي الربوبية) ، ومن هنا نعرف الفرق بين اقتناع المرء نظريا بأن له ربا وشعوره بأن له ربا ، كما ينشأ عن الإحساس بقدر صفات الإنعام التوكل على الله لأنه الرزاق والكريم والوهاب ولا أحد غيره يرزق أو ينفع أو يضر .

ـ اليقين الحقيقى بصفات الإنعام يؤدى إلى الشعور بالحياء من الله :

ـ عندما يشعر الإنسان بكرم الله وفضله عليه فإنه يستحي أن يعصيه أو يفعل ما يغضبه ، فيعبد الله حياءا منه ، وفي الحديث : ((استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله إنا نستحيي و الحمد لله قال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى **ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا** فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء))[1] ، فالإنسان يترك الذنب خشية أنه عندما يقف أمام الله فماذا يقول له ؟ فهو يستحي أن يضع نفسه في هذا الموقف المخجل حيث يأكل من رزق الله ويعيش على أرضه وينعم بنعمه ثم يقف أمامه وقد عصاه فما يقول له ؟!! ، ومن لم يشعر بالحياء من الله لم يشعر بأن الله له صفات الإ نعام .

****
****

ـ الشعور بأن الله وحده هو النافع الضار

ـ لكي يتحقق الشعور بأن الله هو النافع الضار لابد من تحقيق ثلاثة أمور هي :

1ـ الإحساس بقيمة النفع أو الضرر ، فيشعر بأهمية ما عنده من نعم كالماء والهواء ويشعر بخطورة سلب هذه النعم ، والنفع والضر في الدنيا ضئيل ، وأكبر النفع وأكبر الضرر هما الجنة والنار .

2ـ الإحساس أن ذات الشيء لا يضر ولا ينفع ، والله هو الذي وضع فيه خاصية النفع أو خاصية الضرر ، فالنار لا تضر من ذاتها ولكن الله وضع فيها خاصية الضرر ، لذلك فالخوف لا يكون من ذات النار ولكن الخوف من الله الذي يعاقب بالنار ، وحب الجنة ليس لذاتها ولكنه حب لله لأنها من ثواب الله والله جعلها تنفع ، لذلك فالخوف من الآخرة هو خوف في الله ، فالمؤمن لا يخاف إلا من الله .

3ـ الإحساس بأن النفع أو الضرر ليس من صنع الإنسان ولا يحدث من تلقاء نفسه وليست الأسباب هي التي تحدث النفع أو الضرر ولا الأيام ولا الزمان ، فكل ما سوى الله لا ينفع أو يضر أحد فضلا عن أن ينفع أو يضر نفسه ، ولكن الله وحده هو النافع الضار ، فما يكون من نفع فمن فضل الله وليس بسبب طاعة الطائع ، وما يكون من ضرر فهو عقاب من الله على تقصير العبد .

ـ اليقين الحقيقى بأن الله وحده هو النافع الضار يؤدى إلى توحيد الخوف والحب والرجاء و الخضوع :

ـ الشيء الذي لا ينفع ولا يضر هو شيء ليس له قيمة فهو أمر تافه سواء كان شيئا معنويا أو شيئا ماديا ، فلا يهتم به أحد ولا ينشغل به ولا يتأثر به أحد .

ـ إذن كل شيء سوى الله لا قيمة له فيجب أن لا تتعلق به مشاعر الإنسان ، ولكن ذلك ينطبق على ذات الشيء وليس على ما يستمده من الله أو يتصف به ، فمثلا الرسول (ص) هو عظيم القدر لا رتباطه بـالله ولأن الله أرسله ولإيمانه وتقواه ، فلا يحب لذاته إلا الله تعالى ، فحب الرسول (ص) هو حب في الله ، وكذلك العزة بـالله ، فالمؤمن يستمد عزته من اتصاله بـالله والدين ، فالمؤمن لا يحب شيء ولا يكره شيء ولا يخاف من شيء إلا في الله .

(1) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458)

ـ إذن المؤمن ينظر إلى صاحب الصولجان والجاه والسلطان في الدنيا على أنه تافه لا قيمة له ما لم يكن متصلا بـالله فيحب ما فيه من صلة بـالله وليس يحب ذاته .

ـ إذن فالمؤمن لا يحب إلا الله ولا يخاف إلا من الله ولا يخضع إلا لله ولا يرجو إلا الله ولا يتوكل إلا على الله ، وهذا هو ما يسمى بتوحيد خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع

. فاليقين الحقيقي بأن الله وحده هو النافع الضار يؤدي الشعور بالتسليم والخضوع حيث يعلم الإ نسان أنه ضعيف لا يملك لنفسه حول ولا قوة ولا يملك لنفسه نفع ولا ضرر .

ـ كما يؤدي إلى التوكل على الله والشعور بالاحتياج إليه والاعتماد عليه لأن الإنسان لا يستطيع أن يجلب لنفسه النفع ويبعد عن نفسه الضر ويحتاج إلى من يجلب له النفع ويبعد عنه الضرر .

ـ كما يؤدي أيضا إلى عدم وجود مشاعر أو هموم أو أهداف متعلقة بالدنيا أو أي شيء غير الله ، لأن الشيء الذي لا ينفع ولا يضر لا قيمة له ولا يهتم به أحد ، فلا يخاف من بطش أحد ، ((يقول الإمام أحمد : لو صححت قلبك لم تخف أحدا ، [وهذا العز بن عبد السلام يتقدم أمام أحد الملوك الطغاة ، ويتكلم عليه بكلام شديد ، فلما مضى قال له الناس : أما خفت يا إمام ، فقال : تصورت عظمة الله ، فأصبح عندي كالهر ، والآن نرى من الناس من يخاف من : المسئول والضابط وغيرهما أكثر من خوفه من الله ، وهذا لا شك دخن في قلب صاحبه ، والعاقل خصيم نفسه]))[1] .

ـ فإذا لم تكن هذه المشاعر السابقة موجودة فهذا يعني أن الاقتناع والإيمان بأن الله هو النافع الضار هو إيمان نظري فقط وليس إيمانا حقيقيا بأن الله هو النافع الضار .

****

ـ الفرق بين اليقين النظري واليقين الحقيقي بأن الله هو الخالق والمالك والملك والمسيطر والمهيمن والقهار والجبار والمتكبر :

ـ القيادة لها صور مختلفة فقد يكون الإنسان رئيسا أو زعيما أو ملكا من ملوك الدنيا أو مديرا لشركة مثلا أو حتى مسئولا عن أسرته وأولاده ، وفي الحقيقة فإن كل صور القيادة بين الناس هي مجازية فقط ، وجميع صور القيادة على وجه الحقيقة هي لله ، فـالله وحده الذي يعطي هذا ويمنع هذا ، وهو وحده الذي يتكفل بأمر كل شيء ، وهو وحده الذي يأمر وينهى (وإنما طاعة الرسول وأولى الأ مر تابعة لطاعة الله) ، وكما أن القيادة يكون لصاحبها شرف وعزة ومكانة ، فلا أحد له شرف أو عزة أو مكانة أو كبرياء ، فالعزة كلها والكبرياء كله لله ، وجميع الناس أذلاء فقراء مقهورين ضعفاء .

ـ إذا تصورنا أن الكرة الأرضية عبارة عن دولة واحدة لها ملك واحد ، وهذا الملك له كل الصلاحيات وكل السلطات وجميع المناصب وهو الذي يدير كل شيء ويدبر كل شيء في مملكته ، فهذا التصور يليق بالبشر فقط أما الله فليس ملكا على الأرض فحسب ولكن على الكون كله وبيده الأمر كله ، وهو أيضا المالك الحقيقي لكل شيء في الأرض من مال أو مساكن أو متاجر أو شركات أو جبال !! .

ـ وإذا تصورنا أن هناك دولة لها حاكم يملك كل شيء في مملكته والناس كلهم خدام وعبيد عند هذا الحاكم ليس عندهم مال ولا يملكون حتى الملابس التي يلبسونها ، والحاكم لا يعطيهم الطعام و الشراب في مقابل خدمته وطاعته وإنما هو مجرد من وعطاء وتكرم ومحض فضل فهم لا يستحقون شيء ولا يملكون شيء ، فهذا التصور يليق بالبشر فقط أما الله فهو الملك المتكبر والناس عبيد إحسانه أذلاء لمنه وعطاءه ، وهو صنعهم من الطين ولكن ليس ليتسلى بهم كما يتسلى الإنسان بـ الدمى التي يصنعها وإنما خلقهم لحكمة وغاية هي عبادته .

ـ ومن هنا تفهم أيضا أن " لا إله إلا الله " تعني سلب كل صفة حميدة من الإنسان وإثبات كل الصفات الحميدة والكمال فيها لله ، وما عند الإنسان من صفات حميدة إنما هو مما أعطاه الله له ، فالإنسان لا

---

(1) امتحان القلوب - (ج 1 / ص 39)

قدرة له ولا علم له ولا إرادة له ولا شيء له إلا مما أعطاه الله إياه ، وما أعطاه الله للإنسان لا يساوى قطرة من محيط مما عند الله ، كما أنه لا يتحرك متحرك ولا يسكن ساكن إلا بأمر الله تعالى ، فلا يستطيع أحد أو شيء أن يعتمد على نفسه في حركته أو سكونه فيحتاج إلى الله ليتحرك ويحتاج إلى الله ليسكن ، والنفس الذي تتنفسه هو من عند الله والماء الذي تشربه هو من عند الله تعالى .

ـ ولذلك عندما يمرض الإنسان فإن الله وحده هو الذي يشفي فيكون توكل الإنسان على الله ولجوءه إلى الله ثم يأخذ بالسبب طاعة لله ، وكذلك إذا احتاج أمرا من رئيسه مثلا فإنه يلجأ إلى الله ويدعوه أولا لأن رئيسه لا يملك نفعا ولا ضرا فلا يتوكل عليه أو يخاف منه ، ومن هنا تفهم مدى أهمية الدعاء ففي الحديث : ((الدعاء هو العبادة ثم قرأ { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين }))[1] .

ـ فالذي يوقن يقينا حقيقيا بأن الله هو الملك فإنه يشعر بخوف المهابة منه والخضوع خوفا من مهابته والخضوع لأمره والرجاء في عطاءه والخوف من منعه والحب لما أعطاه وحب الانتساب إليه والعزة به والتوكل عليه والخضوع حبا له .

ـ فمعنى أنك توقن أن لك ملكا له السيادة الكاملة عليك ، فهذا معناه أن له وحده حق الأمر والنهي ، وهذا معناه أنك تعيش خاضعا لأمره تبعا لما يريده هو ، ولست تعيش تبعا لما تريده أنت وترغبه ، وليس تبعا لما يريده أي أحد آخر ويرغبه ، وحيث أنه يرعاك ويحميك ويعطيك وأوامره فيها النفع لك في الدنيا والآخرة وهو سبحانه لا يستفيد لنفسه شيء من هذه الأوامر فهو الغني عن الناس وكل شيء فأنت تحبه وتحب أوامره ، فغياب الإحساس بأن الله هو الملك المسيطر المهيمن تؤدي إلى عدم المبالاة بأوامر الدين وعدم أخذها بجدية والتفريط فيها .

ـ فإذا لم يشعر الإنسان بألم الخضوع خوفا من مهابته ولذة الخضوع حبا له فهذا معناه أن يقينه بأن الله هو الخالق والمالك والملك والمسيطر والمهيمن والقهار والجبار والمتكبر هو يقينا نظريا فقط وليس يقينا حقيقيا ، أي أن الإنسان لا يؤمن إيمانا حقيقيا بأن له إله ، لأن كلمة إله تعني في الأصل أن هناك من هو ملك عليك ومسيطر عليك ومهيمن عليك وقاهر لك ومتكبر عليك وجبار له القدر الهائلة عليك ، وكل هذا مفهوم بديهيا من أنه الخالق لك الذي صنعك فهو المالك لك الذي أنت جزءا من ممتلكاته .

ـ وفي تفسير ابن كثير : (({ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } أي : هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوه وقدرته الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه وتحت حكمه وقهره))[2] .

****
*****

ـ الشعور بأن الله هو القادر

ـ إذا استشعر الإنسان المقارنة بين الكون والكرسي ، فالكون كله بالنسبة إلى الكرسي مثل حلقة وضعت في صحراء ، وفوق الكرسي العرش وهو أيضا هائل جدا بحيث أن حجم الكرسي إلى العرش مثل حلقة وضعت في الصحراء ففي الحديث : ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض ف لاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة))[3] ، والله سبحانه فوق العرش .

ـ فالسماوات كلها ضئيلة جدا أمام عظمة خالقها ، ففي الحديث : ((يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم

---

(1) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 374 ، برقم 3247)
(2) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 244)
(3) التخريج : صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 223 ، برقم : 109)

يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون))[1] ، وفي حديث آخر : ((يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض))[2] ، وفي حديث آخر : ((جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ، ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)))[3] .

ـ عندما تتفكر في مدى عظمة هذا الكون من نجوم حجمها هائل جدا فوق مستوى الخيال ، ومدى بعدها الهائل جدا فوق مستوى الخيال ، هنا تشعر بأن قدرة الخالق فوق مستوى الخيال ، وهنا فقط تشعر بمعنى قدرة الله ، فلابد أن يكون شعورك مبهرا متعجبا من مدى قدرة الله .

ـ لو سمعت أن رجلا خارقا يستطيع أن ينقل الجبال أو يستطيع أن يبيد الناس في لحظة أو .....الخ ، بماذا تشعر ؟ ، إنك تشعر بالهيبة والخشية والرهبة ، فان الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك : ((وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً))[4] ، ويستطيع أن يبيد كل البشرية في أقل من لحظة ، فلماذا لا تشعر بنفس الشعور السابق ؟ ، إن الشعور بأن الله هو القادر يعني الشعور بالخوف من مهابته ، والشعور بالخوف من عقابه ، والشعور بالخضوع لله تعالى والتسليم بقدرته ، ويعني حب الانتساب إلي القادر والعزة به والتوكل عليه ، وحب إعجاب بقدرته ، لأنك إذا استعنت به فلن يستطيع أي أحد أو أي شيء أن يقف أمامك .

ـ أنظر إلى مدي ضعف الإنسان ومدى قدرة الله عليه ، فالإنسان ضعيف في قوته وسمعه وبصره وعقله وعلمه وفي كل شيء والله له القدرة علي أن يفعل أي شيء وكل شيء ، فإن الله سبحانه يقدر علي أن يلغي الزمان أو المكان أو يلغي الأسباب ومع الله لا تقل كيف ؟ ، والإنسان ضعيف محتاج إلى نعم الله تعالى ، فأكثر النعم نحن في غفلة عنها وعن قيمتها واحتياجنا لها إلا إذا سلبت منا ، ولن نعرف عظمة المنعم الوهاب إلا إذا عرفنا قيمة وقدر هذه النعم ، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير هذه النعم التي أنعم الله بها عليه كالماء والهواء ، ولا يستطيع أن يقوم هو بنفسه فالله القيوم ، فانظر إلى عظمة احتياجك إلى الله ، فالله الصمد أي الذي يحتاجه الناس ، والإنسان ضعيف ، والله هو القادر علي أن يرزق كل الناس في وقت واحد ، والقادر علي أن يعطي كل الناس مسألتهم في وقت واحد ، وهذا معناه الخوف من سلب هذه النعم ، والشعور بالضعف والنقص لأن هذه النعم التي لا تعيش بغيرها ليست في يدك ولا ملكا لك فالله هو المالك وأنت جزء من ملكه .

ـ لو قيل أن إنسان خارق يستطيع أن يحمل قطار بماذا تشعر ؟ وإن قيل يستطيع أن يحمل جبلا بماذا تشعر ؟ ، وأنت تعلم أن الله يستطيع أن يعمل كل شيء يمكن تصوره وأيضا ما لا يمكن تصوره ، فالله يستطيع أن يلغي الزمان والمكان ، فهذا يعني الشعور بالخوف .

ـ قدرة الله تعالى ليست محكومة بالأسباب فالله سبحانه هو الذي يشفي وهو الذي يعطى ويمنع وهو الذي خلق الأسباب وخلق القانون الذي تسير به الأسباب ، فمثلا الإنسان قد يموت بدون أي سبب عضوي مطلقا وقد يشفى من مرض كذلك بدون أي أسباب .

ـ الحكمة من وجود الزلازل والبراكين وخسوف الشمس وإهلاك الأمم كعاد وثمود ومعجزات الرسل وغير ذلك من عجائب قدرة الله هو أن الله يظهر للناس بعضا يسيرا من قدرته حتى يشعروا بمدى قدرة الله فيخافوا من مهابة قدرة الله سبحانه ، ففي الحديث : ((خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعا يخشى أن تكون الساعة فقام حتى أتى المسجد فقام يصلي بأطول قيام وركوع

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 8101 في صحيح الجامع .
(2) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 8125 في صحيح الجامع .
(3) التخريج : متفق عليه (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5524)
(4) طـه : 105

وسجود ما رأيته يفعله في صلاته قط ثم قال إن هذه الآيات التي يرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته ولكن الله يرسلها يخوف بها عباده فإذا رأيتم منها شيئا فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره))[1] ، ولذلك يقول تعالى : ((وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تخويفاً))[2] ، فالله يخوف الناس بهذه الآيات التي تظهر قدرته ولكن هناك من لا يخاف من مهابته : ((وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً))[3] .

ـ وقد أهلك الله الذين اغتروا بقدرتهم وإمكانياتهم ومدنيتهم :

ـ فقوم عاد كان عندهم من صور القوة والمدنية الكثير : ((فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ))[4] ، ((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ))[5] فكان مصيرهم : ((وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ، سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى القَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ))[6] ، وهذا هو مصير الذين يعظمون الدنيا فيغترون بما فيها : ((أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ))[7] ، ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ))[8] ، ((وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِئْياً))[9] ، ((فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ))[10] ، ((وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ))[11] ، ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ ، التِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي البِلَادِ ، وَثَمُودَ الذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ ، وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ، الذِينَ طَغَوْا فِي البِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ))[12] .

ـ ملحوظة :

ـ جاء في الحديث : ((أسرف عبد على نفسه حتى حضرته الوفاة قال لأهله إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في الريح في البحر فوالله لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا لا يعذبه أحداً من خلقه قال ففعل أهله ذلك قال الله عز وجل لكل شيء أخذ منه شيئا أد ما أخذت فإذا هو قائم قال الله عز وجل ما حملك على ما صنعت قال خشيتك فغفر الله له))[13] فهذا الرجل لا هو حقق المعرفة النظرية بقدرة الله على كل شيء ولا حقق الشعور بقدر ذلك ورغم ذلك كان من أهل الجنة ولبيان ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فَمِنْ شَرْطِ الإيمان وُجُودُ العِلْمِ التَّامِّ وَلِهَذَا كَانَ الصَّوَابُ أَنَّ الجَهْلَ بِبَعْضِ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ لَا يَكُونُ صَاحِبُهُ كَافِرًا إِذَا كَانَ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَبْلُغْهُ مَا يُوجِبُ العِلْمَ بِمَا جَهِلَهُ عَلَى وَجْهٍ يَقْتَضِي كُفْرَهُ إِذَا لَمْ يَعْلَمْهُ كَحَدِيثِ الذِي أمر

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 153 ، برقم : 1503)
(2) الإسراء : من الآية 59
(3) الإسراء : من الآية 60
(4) فصلت : 15
(5) الشعراء : 128 ، 129
(6) الحاقة : 7
(7) الروم : 9
(8) الأنعام : 6
(9) مريم : 74
(10) غافر : من الآية 83
(11) الأحقاف : 26
(12) الفجر : 6 ـ 13
(13) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح (سنن النسائي ج : 4 ، ص : 112 ، برقم 2079)

أَهْلَهُ بِتَحْرِيقِهِ ثُمّ تَذْرِيَتِهِ ؛ بَلْ الْعُلَمَاءُ بِاَللَّهِ يَتَفَاضَلُونَ فِي العِلمِ بِهِ . وَلِهَذَا يُوصَفُ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ بِالْجَهْلِ وَعَدَمِ العِلمِ . قَالَ تَعَالَى : { إنّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ }))[1] أي لكي يتحقق الشعور بأن الله هو القادر على كل شيء لابد من مرحلتين هما : المرحلة الأولى وهي أن يصل إلى علمه بأن الله قادر على كل شيء فيوقن نظريا بذلك (المعرفة النظرية) ، ثم المرحلة الثانية أن يشعر بذلك ، فإذا لم تتحقق المرحلة الأولى بحيث لم يصل إلى علمه أن الله قادر على كل شيء وبالتالي فلا يوقن بذلك وبالتالي لا يشعر بذلك فهو عندئذ معذور بجهله لأنه لم يصل إلى علمه ذلك الأمر أصلا ، أما إذا وصل إلى علمه أن الله قادر ولم يوقن يقينا حقيقيا فقد وقع في النفاق الأكبر ، ولاحظ أن هذا الرجل المذكور في الحديث يوقن يقينا حقيقيا بأن الله قادر على العقاب وعلى خلق الكون وخلق الجنة والنار لذلك فهو يخافه .

****
*****

ـ تحقيق الشعور بوجود الخالق

ـ الفرق بين الميت والحي :

ـ لو أن تمثالا مصنوعا من الطين نفخت فيه الروح فأصبح بشرا يتحرك ، ماذا يمكن أن يقول ويفعل ؟ ، إن أو شيء يعمله هو أن يسأل نفسه من أنا ؟ ، ومن أي شيء أتيت ؟ ولماذا ؟ ، وينظر إلى نفسه فيجد نفسه بعد أن كان طينا أصبح يتحرك فيسأل نفسه ما سر هذه الروح ومن أوجدها ولماذا ؟ ، وينظر حوله فيجد أرض وجبال وسماء وأشياء فيسأل ما هذا ؟ ومن الذي أوجده ؟ ولماذا ؟ .

ـ هذه الأسئلة لابد أن يسألها أي إنسان تدب فيه الروح ، وأي إنسان لم يسأل نفسه هذه الأسئلة هو إنسان ميت لم تدب فيه الروح بعد ، فلا يزال تمثالا من الطين أو هو يتحرك لكن تعطلت وظائفه فصار كالميت ، فهذا هو الفرق بين الميت والحي ، وفي تفسير الطبري : ((ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن قدرة الله فيها وحججه ، فهو في الآخرة أعمى))[2] .

ـ جميع الناس يعرفون الإجابة على هذه الأسئلة معرفة نظرية وليست معرفة حقيقية ، فيعرفون نظريا أنه لا يمكن أن تكون هذه الأشياء من تلقاء ذاتها كما أن البشر وباقي الكائنات ليس لديها القدرة على إيجاد كل هذه الأشياء ، فلابد من وجود قوة خارجية هي التي أوجدت هذه الأشياء وهذه القوة هي الخالق .

ـ أما المعرفة الحقيقية للإجابة على هذا الأسئلة فهي الإحساس بخطورة خلق الأشياء ، فإيجاد هذه ا لأشياء أمر خارق للأسباب معجز لا يستطيعه بشر ولا يخضع لقانون الأسباب وفوق مستوى فهم وقدرات البشر ويدل على قدرة هائلة جدا لمن أوجد هذه الأشياء وعلم كبير جدا لمن أوجد كل هذه ا لأشياء بمنتهى الدقة في كل شيء ، فهذا الأمر أشد من السحر لأن السحر خيال أما هذا فحقيقة ، وفوق مستوى الخيال .

ـ كل هذا يجعل الإنسان يشعر بالهيبة والانبهار والعجب والإعجاب والدهشة والغرابة والخشية و الرهبة وخوف المهابة من الأمر ، فيقع في الإنسان شعور بالانهزام والاستسلام لأن عقله يعجز عن أن يفسر هذه الأمور الخارقة للأسباب ويشعر بالخضوع والخوف من مهابة هذا الخالق العظيم القدرة الذي استطاع أن يوجد كل هذا الكون العظيم جدا في علمه الذي استطاع أن يدير كل هذا الكون ويدبر كل حركة وسكنة بمقدار محدد في منتهى الدقة بحيث لو زاد قليلا أو قل لتعطل وحدث خلل وفساد كبير ، والحب لهذا الخالق الذي أوجد لك هذه الروح فأصبحت لك حركة كما تريدها أنت وأوجد لك هذه اليد والعين وكل هذه النعم .

---

(1) مجموع الفتاوى - (ج 7 / ص 538)
(2) تفسير الطبري - (ج 17 / ص 504)

ـ فإذا تحققت هذه المشاعر في الإنسان فهو عندئذ قد عرف معرفة حقيقية بوجود الخالق ، وإذا لم تتحقق هذه المشاعر فهو إنسان ميت ؟ .

ـ فيظل الإنسان يتغافل عن هذه الأسئلة ويتلهى عنها بأمور الدنيا حتى يموت ، لأنه لا يشعر لهذه الأ سئلة بقيمة ويعتبرها فلسفة ومضيعة للوقت فلا يشعر بقيمة للخالق في مشاعره .

ـ إذن فهناك من يسأل نفسه لماذا نموت ؟ ومن الذي يميتنا ؟ ومن الذي أعطانا هذه الروح التي نتحرك بها ؟ ولماذا أتينا إلى هذه الدنيا ؟ ، وكيف وجدت هذه الدنيا ؟ ، ويشعر بأنها أسئلة خطيرة ومخيفة ، أما غيره فيتجاهل الأمر ويعيش حياته هكذا كما هو ، فهذا غبي وجاهل يتناسى حقائق وجوده ويتجاهلها دون أن يتساءل عنها ، خاصة إذا كان قد بلغ سنوات كثيرة من عمره من الرقي و الترقي الدنيوي والرقي والترقي الديني فيصعب عليه أن ينزل مستويات هائلة حتى مرحلة الطفولة لأن المطلوب أن يسأل نفسه هذه الأسئلة ويعرف الإجابة عليها معرفة حقيقية .

ـ كيف يتحقق الشعور بوجود خالق للأشياء ؟ :

ـ لو أن رجل يقوم ببناء بيت له وقد أتم بناء الحوائط والسقف ولكن ليس في البيت كهرباء ولا ماء و لا مفروشات ، ودخل بيته ذات مره فوجد البيت فيه كهرباء وماء ورأى منضدة كبيرة في الصالة موضوع عليها طعام وشراب ووجد سرير موضوع في حجرة النوم ووجد كرة موضوعة في البيت ، فإذا به يأكل من الطعام ويلعب الكرة وينام على السرير دون أن يسأل من أحضر كل هذه الأشياء ومن أدخل الكهرباء والماء إلى المنزل ولم يشعر بأي تعجب أو ذهول أو غرابة وكأن كل شيء عادى ، وكل شيء موجود لأنه موجود كما هو ، وظل على ذلك سنوات عمره كل يوم إذا دخل بيته يجد الطعام موضوع فيأكل ويلعب وينام ، فهذا حال الإنسان الميت الذي ماتت وظائفه .

ـ وإذا كان هذا الرجل حي ورأى ذلك فإنه يفاجئ ويندهش ويشعر بالرهبة من غرابة الأمر ويشعر بـ الحب لمن أحضر هذا .

ـ إن الله ينبت الزروع من الأرض ليأكل الإنسان كأنها منضدة أعدت ليوضع عليها الطعام للإنسان ، وا لأنهار تحمل المياه العذبة له ، والشمس والقمر والنجوم تضيء له نهارا وليلا ، والإنسان خرج من بطن أمه وكبر وعاش سنوات عمره كأن كل هذه الأشياء أمور عادية هو الذي وضعها لنفسه كأنه هو الذي جعل الأرض تنبت وصمم نظام السحاب بحيث يتجمع الماء العذب في الأنهار وجعل نظام إضاءة فصنع الشمس والقمر حتى لا يعيش في الظلام ! ، أو كأن الزرع يخرج من تلقاء نفسه ليفيد الإنسان ، وكأن الماء والهواء هو الذي أوجد نفسه ويفيد الإنسان من تلقاء نفسه : ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ))[1] ، ففي تفسير روح المعاني : ((أي إذا سئلوا من خلقكم وخلق السماوات والأرض قـ الوا : الله وهم غير موقنين بما قالوا إذ لو كانوا موقنين لما أعرضوا عن عبادته تعالى فإن من عرف خالقه وأيقن به امتثل أمره وانقاد له))[2] .

ـ الإحساس بوجود الخالق معناه الإحساس بخرق الأسباب :

ـ الذي يستطيع أن يخرق الأسباب يكون إلها ، والذي يكون محكوما بالأسباب يكون عبدا لمن وضع هذه الأسباب ، فمثلا سيدنا موسى جاء ليثبت أن الله هو الإله الحق عن طريق أن يثبت أن الله يستطيع خرق الأسباب التي يعهدها البشر فوضع العصا فإذا هي حية حقيقية ، فكل شيء لا يستطيعه الإنسان أو الكائنات الأخرى يدل على وجود قوة خارجية لها قدرة أعظم من الإنسان تستطيع عمل ذلك ، فذلك يدل على الله سبحانه ، فالإنسان لا يستطيع إيجاد التراب ولا الماء ولا نفسه ، إذن فالذي أوجد التراب والماء والبشر هو إله له قدرة خارقة للأسباب ، فقدرته فوق قدرة البشر ، وكذلك الإنسان يحدث في داخله أمور أكبر من مستوى علمه وأكبر من مستوى قدرته وتتم

---

(1) الطور : 35 - 37

(2) روح المعاني - (27 / 38)

عن غير إرادته ، وكذلك خلق الكون أكبر من مستوى قدرة الإنسان ، والدقة المتناهية في كل شيء أكبر من مستوى علم الإنسان ، فيشعر بأن هناك قوة خارجية مهيمنة هي التي تسيطر على كل شيء وهي التي تفعل كل هذه الأمور .

ـ مسألة خرق الأسباب أشد من السحر لأن السحر خيال وليس خرق للأسباب ، فإذا كان الإنسان عندما يرى السحر أمام عينه فإنه يشعر بالتحير والانزعاج والدهشة والتعجب والاستغراب والانبهار و الذهول والدهشة من روعة ما يرى ، فإن ذلك يكون أشد إذا كان هذا السحر حقيقة .

ـ فالإله هو الذي تشعر له بهذه المشاعر ، أي أن التأله معناه التحير والانزعاج والدهشة والتعجب والا نبهار والذهول والاستغراب والدهشة من روعة ما يرى ، وهذه المشاعر هي الحالة النفسية المميزة للشعور بخرق الأسباب فإذا لم تكن هذه المشاعر موجودة فهذا يعني عدم وجود الشعور بخرق الأ سباب وبالتالي عدم الشعور بالغيبيات وبالتالي عدم وجود الإيمان الحقيقي بالغيبيات ، فالإنسان إذا رأى أمرا خارقا للأسباب ولم يتحير ويتعجب دل ذلك على أن لا عقل له وكأنه ليس بإنسان وكأنه ميت لأنه يخالف صفات البشر ، وكل شيء حول الإنسان هو أمر خارق للأسباب لأن وجوده فوق قدرة البشر ، بل إن وجود الإنسان نفسه لا يستطيعه البشر فهو أمر خارق للأسباب ، ومع ذلك يعيش كأنه لا شيء : ((أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ))[1] .

ـ فمعنى كلمة (إله) في اللغة أي الذي يجعلك تحير وتندهش وتتعجب وتعجب وتنبهر من مدى عظمة الخالق التي تتمثل في خرق الأسباب ، ففي النهاية في غريب الأثر : (({ أله } في حديث وُهَيْب بن الوَرْد [إذا وقع العبد في أَلْهَانِيّة الربّ لم يجد أحداً يأخذ بقلبه] هو مأخوذ من إلاهِ وتقديرُها فُعلانية بالضم : يقول إلا ـَهٌ بيّن الإلاهية والأ ـُلهَانِيّة . وأصله من أَلِهَ يأْلَهُ إذا تحَيّر . يُريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها أبْغَض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد))[2] ، وفي تاج العروس : ((وفي حديثِ وهب بنِ الوَرْدِ : (إذا وَقَعَ العَبْدُ في *!أُلْهانِيّةِ الرّبِّ ، ومُهَيْمِنِيّة الصِّدّيقِيْن ورَهْبَانِيّةِ الأبْرارِ لم يَجِدْ أحَداً يَأْخُذ بقلبِه) ، أي لم يَجِدْ أحَداً يَعجبُه ولم يُحِبّ إلا ـّ اللهَ سبحانه ، قالَ ابنُ الأثيرِ : هو فُعْلانِيّة مِن أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تحَيّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفاتِ الرُّبُوبيّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قَلْبُه إلى أحَدٍ))[3] ، وفي غريب الحديث لابن قتيبة : ((أَلِهَ يَأْله إذا تحيّر كأنّ القُلوب تأْلَهُ عند التفكر في عَظَمة الله وقال الأ ـَخطل : من الطويل : ونحنُ قسمنا الأ ـَرض نِصْفَين : نِصفها ... لنا وترامي أنْ تكون لنا مَعَا ... بتسعينَ ألفاً تأله العيْن وسْطَها ... متى ترَها عين الطّرامة تدْمَعا ... ، أي : تتَحيّر فتدمع . يقول : إذا وَقع العبد في عَظمَة الله وجلا ـَله وغير ذلك من صِفات الرُّبُوبيّة والمُهَيْمنيّة : الأمانة . وقال الله جلّ وعزّ : ومُهَيْمَناً عليه أي : أميناً عليه . ويقال : شاهِداً عليه وهما مُتَقاربان ، يقول : إذا وَقَع العَبْد في هذه الدّرجَة لم يُعْجِبهُ أحد ولم يُحبّ إلا ـّ الله عز وجلّ ـّ))[4] .

ـ ووجود الملائكة والآخرة هي من خرق الله للأسباب ، فالإنسان يتحير من عجائب وغرائب الآخرة ووجود ملائكة حولنا الآن ، ألا يدعو ذلك إلى التعجب من قدرة الله على إيجاد هذه الحياة الأخروية وإيجاد الملائكة والجن حولنا .

ـ الإيمان بالغيبيات المقصود به الشعور بخرق الأسباب (الشعور بالإعجاز) ! :

الإيمان بالغيبيات المقصود به الشعور بخرق الأسباب (الشعور بالإعجاز) ! ، فالقرآن معجزة ونزول الوحي معجزة ووجود الملائكة معجزة ووجود الآخرة معجزة والقضاء والقدر أمر معجز ، والأمور

(1) الطور : 35 ، 36
(2) النهاية في غريب الأثر - (1 / 156)
(3) تاج العروس من جواهر القاموس - (36 / 322)
(4) غريب الحديث لابن قتيبة - (3 / 728 ـ 728)

المعجزة من معجزات الرسل وإعجاز القرآن والسنة وإعجاز الكون والأشياء دليل على الخالق .

ـ وخرق الأسباب أو الإعجاز معناه أنه أمر فوق قدرات البشر وفوق علمهم وهم عاجزون عن القيام به أو تفسيره في إطار الأسباب ، وبالتالي عجز قدرة البشر وعجز علمهم فيخضع البشر لمن له القدرة فوقهم والهيمنة عليهم .

ـ فالإيمان بالخالق المقصود به الإيمان بوجود من له القدرة على خرق الأسباب ، والإيمان النظري بخرق الأسباب موجود عند جميع الناس ، والإيمان الحقيقي بخرق الأسباب هو الشعور بخرق الأ سباب .

ـ وكذلك الإيمان بالملائكة المقصود به الإيمان بوجود كائنات لا نراها وتعيش معنا وفي السماء ، وهذا أمر خارق للأسباب ، فالإيمان الحقيقي بالملائكة هو الشعور بخرق الأسباب بوجود هذه الكائنات .

ـ وكذلك الإيمان بالرسل المقصود به الإيمان بوجود أحد الكائنات التي لا نراها مرسلة من عند الخالق إلى بعض البشر من سكان الكرة الأرضية ، وهذه الكائن هو الوحي وهو مرسل إلى بعض البشر وهم الرسل ، فهذا الأمر خارق للأسباب ، فالرسول هو مثل باقي البشر ، والذي جعله رسولا هو الوحي ، ووجود الوحي ونزوله هو أمر خارق للأسباب ، فالإيمان الحقيقي بالرسل هو الشعور بخرق الأسباب بوجود الوحي ونزوله .

ـ وكذلك الإيمان بالقرآن المقصود به الإيمان بوصول كلام الخالق إلى البشر من سكان الكرة الأرضية ، حيث يسمعه الرسول من الوحي وينقله للناس ، فالله لم يتكلم مباشرة إلى الناس فيسمعوا كلامه بآذانهم ولكن عن طريق الوحي ليصل إلى جميع الناس وتكفل الله بحفظه ، فهذا الأمر خارق للأسباب ، فالإيمان الحقيقي بالقرآن هو الشعور بخرق الأسباب بوجود كلام الخالق نفسه بين يديك تقرأه ! .

ـ وكذلك الإيمان بالخالق المقصود به الإيمان بخرق الأسباب في الأمور التي نراها ونعلمها من معجزات الرسل والإعجاز في آيات الله المرئية من الكون والأشياء وآيات الله المقروءة (القرآن) ، وهذه الأمور تسمى بـ (آيات الله) ، فالإيمان بالخالق هو الشعور بخرق الأسباب في الأمور التي نراها ونسمعها ونعلمها ، أي الشعور بالأدلة على الخالق وليس فقط المعرفة النظرية بالأدلة على الخالق .

ـ إذن فعدم الشعور بخرق الأسباب في وجود الوحي هو كفر بالرسل ، وعدم الشعور بخرق الأسباب بوصول كلام الخالق من فوق سبع سماوات إلى البشر بلغتهم هو كفر بالكتب السماوية ، وعدم الشعور بخرق الأسباب بوجود كائنات غير مرئية تعيش معنا وتصعد وتنزل من السماء إلى الأرض ولها قدرات هائلة فوق قدرات البشر هو كفر بوجود الملائكة والجن ، وعدم الشعور بخرق الأسباب في آيات الله الدالة عليه هو كفر بوجود الله سبحانه ، وذلك رغم وجود اليقين النظري التام بخرق الأ سباب وبالتالي اليقين النظري التام بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

ـ وغياب الشعور بخرق الأسباب إذا كان عند مسلم فهذا يعني أنه وقع في النفاق الأكبر .

ـ لذلك قد يعبر عن الكفر بالله في القرآن بـ (الكفر بآيات الله) : وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[1] ، ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[2] ، ومعنى الكفر بآيات الله أي عدم الإيمان بخرق الأسباب في إعجاز القرآن أو إعجاز السنة أو آيات الله المنظورة من الكون والأشياء ، أي عدم الشعور بخرق الأ سباب في هذه الأمور .

ـ وكذلك قد يعبر عن الإيمان بالله في القرآن بـ (الإيمان بآيات الله) : وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

---

(1) الأعراف : 147
(2) العنكبوت : 23

بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ))[1] ، ((فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ))[2] .

ـ الأمور الخارقة للأسباب (آيات الله) هي أمور ملفتة جدا وتدعو أي إنسان تدب في الروح أن يشعر بها فيتحير عقله لما فيها من إعجاز فيشعر أن من وراءها له قدرة خارقة لأسباب البشر وإمكانيات البشر وعلم البشر فبذلك يؤمن بالخالق ، أما الإنسان الميت فليس لديه إحساس بقيمة الأشياء ، فهذه الأمور الملفتة جدا يتجاهلها كأنه لم يسمع شيئا ولم يرى شيئا : ((وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ))[3] .

ـ الفرق بين المعرفة النظرية بخرق الأسباب والشعور بخرق الأسباب :

ـ خرق الأسباب معناه تحير العقل وعجزه عن إيجاد تفسير للأمر لأنه أمر لا يخضع للأسباب ، وبالتالي المعرفة بوجود من له قدرة على خرق الأسباب .

ـ الأدلة على وجود الخالق ، أي الآيات الدالة على الله ، أي آيات الله ، ويتمثل في ثلاثة أمور هي : معجزات الرسل ، وآيات القرآن ، وآيات الله المنظورة في الكون والأشياء ، وهذه الأدلة أو هذه الآيات هي خرق للأسباب .

ـ المعرفة النظرية بالأدلة على الخالق موجود عند جميع الناس ، فمجرد وجود الأشياء دليل على الخالق .

ـ الشعور بخرق الأسباب معناه شعور الإنسان بعدم قدرته عن القيام بهذا الأمر الخارق وعدم قدرة عقله عن تفسير الأمر لأنه خارج قانون الأسباب وبالتالي استسلام الإنسان وخضوعه لمن له هذه القدرة وهذا العلم الخارق للأسباب لأن هذا معناه أن له قدرة يستطيع أن يسيطر بها على الإنسان وكذلك له علم فوق علم الإنسان ، والقانون الفطري يقول أن الضعيف يخضع للقوى .

ـ فعندما يشعر الإنسان بوجود من له قدرة خارقة للأسباب يشعر بالمقارنة بين علم الإنسان وقدرته وبين علم الخالق وقدرته ، فعلم الإنسان وقدرته وقوته محدودة بالأسباب ، فإذا وجد الإنسان قدرة وقوة وعلم فوق قدرة وعلم البشر ، أي قوة وقدرة خارقة للأسباب ، فهذا يعني أن هذه القدرة وهذا العلم صادر من أحد غير البشر له صفات خارقة فوق صفات البشر ، فإذا شعر الإنسان بذلك فقد شعر بوجود الخالق ، أي فقد عرف الخالق معرفة حقيقية .

ـ فيؤدي ذلك بالضرورة إلى الشعور بخوف المهابة والعظمة والخوف من العقاب والخضوع والحب و الرجاء ، وأهم شعور ينشأ عن اليقين الحقيقي بآيات الله هو الخوف ، فإذا لم يشعر الإنسان بالخوف من الله فهو لم يؤمن بآيات الله إيمانا حقيقياً وبذلك قد وقع في النفاق الأكبر فيقول تعالى : ((وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً))[4] ، ((وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَاناً كَبِيراً))[5] .

ـ إذن المشكلة هي عدم وجود الإحساس بقيمة خرق الأسباب ، فخرق الأسباب أمر خطير جدا جدا ، ولكن قد يتعامل معه البعض كمعرفة نظرية وليس كمعرفة حقيقية .

ـ الغفلة عن آيات الله معناها عدم الشعور بخرق الأسباب :

ـ آيات الله ، أي الآيات الدالة على الله ويتمثل في ثلاثة أمور هي : معجزات الرسل ، وآيات القرآن ، وآيات الله المنظورة في الكون والأشياء ، وهي أمور خارقة للأسباب فتدل على وجود الخالق .

ـ الكفر بالله أي آيات الله معناه عدم وجود الشعور بآيات الله ، أي عدم وجود الخضوع والاستسلام

---

(1) الأنعام : 54
(2) الأنعام : 118
(3) النمل : 81
(4) الإسراء : من الآية 59
(5) الإسراء : من الآية 60

للخالق ، أي عدم شعور الإنسان بأنه واقع تحت سيطرة وهيمنة الخالق ، وإذا حدث ذلك عند مسلم فهذا يعني وقوعه في النفاق الأكبر .

ـ الكفر بآيات الله يرد في القرآن بألفاظ كثيرة منها :

ـ الغفلة عن آيات الله كما في قوله : ((وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ))[1] .

ـ ونسيان آيات الله كما في قوله تعالى : ((قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا))[2] .

ـ والكفر بآيات الله كما في قوله : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))[3] .

ـ والتكذيب بآيات الله كما في قوله : ((وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ))[4] .

ـ والإعراض عن آيات الله كما في قوله : ((وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ))[5] .

ـ واتخاذ آيات الله هزوا كما في قوله : ((ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ))[6] .

ـ والجحود بآيات الله كما في قوله : ((ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ))[7] .

ـ والاستكبار عن آيات الله كما في قوله : ((وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[8] .

ـ عدم الإيمان بآيات الله : ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[9] .

ـ والتعامل مع آيات الله كأن لم يسمعها : ((وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (7) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[10] .

ـ وعدم اليقين بآيات الله : ((وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ))[11] .

ـ والإلحاد في آيات الله : إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا))[12] .

ـ الهدف من التفكر هو أن يؤدي إلى الشعور بوجود الخالق وليس اليقين النظري بوجود الخالق :

ـ يظن البعض أن وظيفة التفكر هي إيجاد الاقتناع النظري بوجود الله وصفات الربوبية وذلك موجود عند جميع الناس ، لذلك لا يرى أنه يحتاج إلى التفكر ، ولكن التفكر مع استحضار القلب يؤدي إلى الإحساس بوجود الله وذلك من خلال اقتناع آخر يضاف على ما عند الإنسان من اقتناع نظري بوجود الله لأن التفكر مع استحضار القلب يؤدي إلى الاقتناع الحقيقي بجود الله وبصفات الربوبية .

---

(1) يونس : 92
(2) طه : 126
(3) الزمر : 63
(4) الأعراف : 64
(5) الأنبياء : 32
(6) الجاثية : 34 ، 35
(7) فصلت : 28
(8) الأعراف : 36
(9) النحل : 104
(10) الجاثية : 7 ، 8
(11) النمل : 80 - 82
(12) فصلت : 40

ـ فإذا نظر الإنسان إلى قيمة الشيء نظرة انتباه واستشعار لحقيقته تحقق عنده الإحساس بقيمة ما يراه ، أما أعمى القلب فمهما نظر وتفكر فلن يشعر بشيء .

ـ ويقول ابن القيم : ((فها هنا خمسة أمور الفكر وثمرته العلم وثمرتهما الحالة التي تحدث للقلب وثمرة ذلك الإرادة وثمرتها العمل فالفكر إذا هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها وهذا يكشف لك عن فضل التفكر وشرفه وانه من أفضل أعمال القلب وانفعها له حتى قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة فالفكر هو الذى ينقل من موت الفطنة الى حياة اليقظة))[1] .

ـ ولقد نشأ الأنبياء على التفكر لمعرفة الله ، فلقد كان رسول الله (ص) يصعد إلى غار حراء ليتفكر وجاءه الوحي في نفس المكان الذي كان يتفكر فيه ، ففي الحديث : ((... وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك))[2] .

ـ وبالمثل نشأ سيدنا إبراهيم : ((وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ))[3] .

ـ فالإنسان يكفيه أن يشعر بالإعجاز في آية واحدة من آيات الله المنظورة وعندئذ تتغير مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه مائة وثمانين درجة ولن يحتاج أكثر من آية واحدة سواء في السماء أو في الأرض أو في نفسه أو في أحوال الدنيا ومصائر السابقين أو أي شيء .

ـ فالإنسان الميت قد يفكر في أمور الدين والحياة وتفاصيل الأشياء دون التفكير في أصول الأشياء وحقائق الأمور كحقيقة الدنيا وحقيقة الموت ، فإن فطرة الإنسان تدعوه لمعرفة لغز الموت والحياة ومعرفة أسرار الكون من حوله ، وحقيقة نفسه وقضيته التي يعيش من أجلها وحقيقة مشاعره ، فمثلا هو يعرف أنه سيموت لكنه لا يتدبر حقيقة ما يعني أنه سيموت ، ويعرف ضآلة الدنيا ، لكنه لا يتدبر حقيقة ما تعنيه هذه الدنيا وحقيقة ما بها من زخرف وشهوات ، وتكون له طموحات ، ولا يتدبر حقيقة ومصير هذه الطموحات ، ويعمل ولا يتدبر حقيقة ما يعمله ، ويعرف أن هناك كون ونجوم ، ولكن لا يتدبر ما تعنيه وما حقيقتها ، ويسمع ويعرف أن هناك آخرة وجنة ونار ، ولكن لا يتدبر حقيقة ذلك ، ولا يتدبر حقيقة ما يعني أن لهذا الكون ربا والاها ، وإذا تدبر كل هذا فهو تدبر بغير حضور قلب وإحساس بقيمة ما يتدبره ، لذلك فالقرآن يركز تماما على قضية إعمال السمع والبصر والتفكر و التدبر والاتعاظ والعبرة .

ـ فمن الناس مَنْ فكر في كل شيء في الدنيا والدين وأجاد في كل أمور الدنيا والدين ، وتمتع بعقلية وذكاء خارق ، ولديه خبرات هائلة وعلوم هائلة في الدين والدنيا ، لكنه لم يتفكر في أمور بديهية جدا والتي تمثل أصل وجوده ودينه ، لم يتفكر فيما وراء الأشياء ، فكل شيء تنظر إليه تجد في داخله يقول لك أنظر إلى من خلقني ، فالسماوات والأرض أمر ملفت للإحساس بالقيمة ، وكون أننا نعيش على كرة معلقة بنا في الفضاء أمر غاية في العجب ، ومدى عظمة الله أمر يحير ، ورغم ذلك فكل هذا لا يؤثر ولا ينفع فيمن لا يشعر بخطورة هذه الأمور ، فهناك من عاش حياته دون أن يسأل نفسه عن سر وجوده وسر وجود الكون من حوله فهذا هو الغافل الذي طبع على قلبه فهو لا يفقه ، وهناك من أخذ يفسر سر وجوده ووجود الكون من حوله مع الإحساس بالقيمة لذلك فشعر بحقيقة الحياة المؤقتة على كوكب الأرض وشعر بقدر الله والآخرة فانشغل بذلك همه ومشاعره وحياته وعاش لذلك ، فهذا هو البصير العاقل .

ـ أمثلة تبين الشعور بخرق الأسباب :

ـ التفكر في أي شيء معين يكون في ناحيتين هما :

1ـ أن هذا الشيء موجود فلابد له من خالق لأنه لا يستطيع إيجاد نفسه ، وأن هذا الشيء يقوم

---

(1) مفتاح دار السعادة - (ج 1 / ص 183)
(2) متفق عليه (مشكاة المصابيح برقم 5841) .
(3) الأنعام : 75 - 80

بوظائف أكبر من قدراته إذن فهناك إرادة قاصدة مريدة هي التي تفعل ذلك ، هي إرادة الخالق سبحانه ، فالوظائف التي تقوم بها الأشياء معقدة للغاية وبدقة متناهية بحيث لا يستطيع أن يقوم بهذا أحد غير من له قدرة خارقة وعلم عظيم ، وهذا يعني ضعف ذلك الشيء وأنه خاضع للخالق ، و كذلك الإنسان لا يستطيع إيجاد نفسه وتتم في داخله وظائف أكبر من قدرات وعلم الإنسان فليس هو الذي يقوم بها ، إذن لابد من وجود قوة خارجية هي التي تقوم بذلك ، هي قوة الخالق وقدرته سبحانه ، وهذا يؤدي إلى الشعور بالخضوع للخالق والشعور بالخوف من هيبته .

2ـ أن هذا الشيء فيه فوائد للإنسان وبالتالي فهو مصمم بطريقة تفيد الإنسان ، فهناك من سخره للإ نسان بقصد الإنعام على الإنسان ، فكل شيء مسخر وفيه فوائد للإنسان وبالتالي هو نعم للإنسان ، و الإنسان النعم في حاجه شديدة إليها وبدونها لا تقوم حياته ، وهذا يؤدي إلى الشعور بحب الخالق سبحانه .

ـ والأمثلة التالية تبين صور من خرق الأسباب فيحدث للإنسان إحساس بقيمة وخطورة هذا الإعجاز وشعور بالتحير والتعجب من مدى قدرة الخالق على خرق هذه الأسباب وينشأ عن ذلك شعور بـ الخضوع للخالق وشعور بخوف المهابة من قدرته وشعور بحبه ، فإذا لم يحدث للإنسان إحساس بـ القيمة وشعور بخوف المهابة والخضوع والحب فهذا يدل على أن الإيمان بوجود الخالق هو إيمان نظري فقط وليس إيمانا حقيقيا ، ويصبح أمر وجود الخالق لا معنى له ولا قيمة له في شعور الإنسان رغم وجود اليقين النظري التام بالخالق ، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

مثال (1) :

ـ كل شيء حول الإنسان عبارة عن آية تدل على الخالق ، فكل شيء هو آية في كتاب الله المنظور وليس في كتاب الله المقروء ، لأن كل شيء عبارة عن إعجاز ، سواء من الجمادات أو الكائنات الحية ، بداية من أتفه وأحقر المخلوقات وحتى أعقدها في التركيب والوظيفة ، فمثلا التراب الذي تسير عليه هو معجزة لأنه عبارة عن ذرات بداخلها إلكترونات تتحرك بسرعات رهيبة وبدقة متناهية فمن من البشر يستطيع أن يصنع بها ذلك ، فلابد أن هناك قوة خارقة خارجية هي التي تصنع ذلك ، وكذلك البعوضة والصرصار والحشرة الحقيرة التي تدوس عليها بالحذاء لتقتلها وتتخلص منها وأنت مشمئز منها ، إنها معقدة في تركيبها ووظيفتها وفيها روح لا يعرف الإنسان ما الذي يجعلها تسير وتتحرك ومن الذي وضع فيها هذه الروح ، فهذا يدل على أن هناك خالق له قدرة هائلة وعلم وحكمة كبيرة ، فمن كان عنده إحساس (فمن كان حيا) فإنه يشعر أنه مقهور تحت هذا الإعجاز الذي خرق هذه الأسباب وأوجد هذه المخلوقات فهذا هو المؤمن ، وأما من كان معدوم الإحساس (كان ميتا) فإنه يعلم ذلك علما نظريا فقط أو يتجاهل القضية فهذا هو المنافق أو الكافر : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (73) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))[1] .

مثال (2) :

ـ أشجار الفاكهة لمن تخرج هذه الفاكهة ؟ إنه أمر مقصود ليتناوله الإنسان ، وهل تدري هذه الأشجار بـ الإنسان ، ولماذا تقصد وتعد له هذه الفاكهة المناسبة لتكون طعاما له ؟ وكيف تستطيع أصلا أن تصنع هذه الفاكهة وهي من مادة مختلفة تماما عن مادة البذرة ومادة الأرض التي نبتت منها ، إن هذه الأ شجار لا يمكن أن يكون لها هذا العقل الهائل وهذه القدرة الهائلة ، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت أن تكون هذه الفاكهة وتصنعها للإنسان ، فإن الله أراد ذلك فقال تعالى : ((وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (34) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ))[2] ، وكذلك العشب مقصود إنباته للحيوان ، والحيوان مقصود لخدمة ا

---

(1) الحج : 73 ، 74

(2) يس : 34 ، 35

لإنسان من ركوب أو طعام ، فإن ذلك يعني حب الخالق الذي قصد لك هذا الغذاء ويعني الخضوع وخوف المهابة لقدرته الفائقة في صنع ذلك .

مثال (3) :

ـ وأيضا البقرة لمن تخرج هذه الكمية من اللبن الزائدة عن حاجة أولادها ، هل البقرة تعي الإنسان وتريد له ذلك ؟ طبعا لا ، وهل أصلا تستطيع البقرة وتفهم هذه المصانع المعقدة في جسمها والتي تقوم بتصنيع ذلك اللبن ؟ طبعا لا ، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت ذلك فقال تعالى ((نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ))[1] فقال (نسقيكم) أي هو سبحانه الذي قصد ذلك للإنسان وصنع ذلك له ، فذلك يعني حب من صنع لك هذا الغذاء وقصـ ـده لك والخضوع والمهابة من عظيم قدرته على فعل ذلك ومدى هذا العلم ، إذن لابد من وجود قوة خارجية قاصدة مريدة هي التي أرادت ذلك ، وهي التي سخرت هذه الشجرة من أجل الإنسان ، وهي التي تمد الإنسان بما يحتاجه .

مثال (4) :

ـ وكذلك أنظر إلى نعمة الجمال في صنعة الله في الفاكهة والزروع وألوانها ومذاق كل واحدة ، إنه لا يمكن لسمكة زينة أن يكون في داخلها أنظمة هي التي تختار هذه الألوان بطلاقة وعناية ودقة فائقة ثم كيف يتشابه نفس هذه الأنظمة في جميع الأسماك من نفس النوع ، إنها ليست مسألة داخل الجسم ولكنها إرادة خارجية من قوة خارقة هي التي صممت هذا الجمال والإبداع ، وأنت تجد ثمرة الفاكهة مثلا ليست مربعة وعليها قشرة لحمايتها إذن هناك علم وقصد فيمن صنعها لتبقي محفوظة وهذا يعني الخضوع لقدرة الله .

مثال (5) :

ـ التشابه بين الأشياء يدل على وحدانية الخالق ، فكل واحد من البشر له نفس الأعضاء في جسمه ف الكلية والرئة والمعدة ... الخ لها نفس الشكل والتركيب حتى في أدق التفاصيل ، إذن الذي صنع هذا هو الذي صنع هذا ، وكذلك هناك تشابه بين جميع الكائنات الحية ففيها أعضاء تنفس وهضم وإخراج ... الخ ، بل إن جميع الأشياء تتكون من ذرات وجميع الذرات عبارة عن نواة تدور حولها إلكترونات ، فهذا يدل على عظمة قدرة الخالق في إيجاد كل هذا الكون وكل شيء وبالتالي الخضوع لقدرته .

مثال (6) :

ـ الكائنات الحية تعمل أشياء أكبر من مستوى قدرتها وإمكانياتها وعلمها مما يدل على أن هناك قوة خارجية هي التي تعمل ذلك ، فمثلا الجنين فور الولادة يتجه لثدي أمه ويرضع فمن علمه ذلك ؟ ، و الحيوانات تقوم بأعمال تحميها من العدو ، وبعض النباتات تتحور بشكل يحافظ عليها ، فتقوم الكائنات بأعمال فطرية هي لا تعقلها رغم أنها في منتهى العقل والحكمة فلابد أن هناك من علمها ذلك وأن هناك قوة خارجية هي التي تحركها وتعلمها ، والأمثلة على ذلك لا حصر لها ، وذلك مصداقا لقوله تعالى : ((قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))[2] ، كما أن أعضاء الإنسان متناسبة لتمكنه من القيام بوظائفه ، والكرة الأرضية متناسبة في البعد عن الشمس بحيث لا تكون جليدا ولا تكون منصهرة من الحرارة حتى تكون متناسبة لمعيشة الإنسان ، وهكذا ، فكل ذلك يدل على أن كل هذه ا لأمور موضوعة بحكمة وبقصد وأن هناك من رتب لها ذلك ، فكل شيء محسوب بحسابات في منتهى الدقة بحيث لو زادت أو قلت ذرة واحدة لاختل الامر سواء في جسم الانسان او في الاجرام السماوية او في أي شيء فهذا يدل على وجود صانع عليم حكيم خبير .

ـ ولاحظ أن المعلومات السابقة ليس الغرض منها تحقيق المعرفة النظرية ولكن لكي يشعر الإنسان

---

(1) النحل : من الآية 66
(2) طـه :50

بأنها أعجب من السحر ويشعر بضعف قدرته عن أن تعمل مثل هذه الأشياء وبالتالي يشعر بضعفه واستسلامه للخالق .

مثال (7) :

ـ الإنسان له قدرات وحركة إرادية ، لكنه ينام رغما عنه ويموت رغما عنه ويسلب عندئذ السمع والبصر والحركة فمن الذي أجبره على ذلك ، إذن هناك من هو أقوى منه ، وفي استطاعته سلب صفاته وقدراته ، ولا يستطيع أحد من البشر عمل ذلك ، إذن هناك أحدا لا نراه هو أقوى من الإنسان وله قدرات أكبر ، وبديهي أن يكون هو الذي صنع هذا الجسد وأمده بهذه الصفات فكما وضع هذه الصفات فهو يستطيع نزعها : ((اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[1] ، ((وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ))[2] .

ـ لكن الإنسان ينام ويتجاهل قضية النوم ويتجاهل ما يحدث له ومن يفعل به ذلك وكأنه لا شيء رغم أنه أمر خارق للأسباب .

مثال (8) :

ـ الإبتلاءات تدل على وجود قوة أعلى من الإنسان استطاعت أن تقهره وتغلبه وتسلب منه نعمة من النعم ، وهو لم يستطع أن يمنع ذلك ولا يستطيع أن يدافع عن نفسه أو أن ينتقم لنفسه ، فيشعر بأنه ضعيف وليس بقوي وأن عليه أن يستسلم لصاحب القوة الذي قدر عليه ، ويشعر بالمهابة من عظمة قوة من فعل ذلك ، ويزول الغرور عن نفسه .

ـ لذلك فبعض الناس اهتدوا بسبب أنهم رأوا أحدا مات فتأثرت مشاعرهم وأيقنوا بالموت وبأنهم سيموتون وأنهم لا يستطيعون مقاومة الموت ولا الدفاع عن أنفسهم ، والذي يستطيع أن يميتهم يستطيع أن يفعل بهم أي شيء لأن الموت هو أشد الضرر فيخضعوا لمن يستطيع أن يتوفاهم : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ))[3] ، خاصة لو كان الذي مات صديقا حميما وكان شابا صغيرا ، فهؤلاء حدث عندهم إحساس بالقيمة وتدبر ووعي لحقيقة الموت ، فشعروا بضعفهم وبعظمة الله وبأنهم ملاقوه ، وكذلك بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم تعرضوا لمحنة فاكتشفوا فيها ضعف أنفسهم واحتياجهم إلى الله وقدرة الله عليهم ، فمنهم من استمر شعوره بهذه المحنة التي هي آية تدل على الله فاستمرت هدايته ، ومنهم من نسي هذه الآية فترك الهداية بمجرد أن مرت المحنة .

ـ تحقيق الشعور بوجود خالق للأسباب :

ـ عندما تتفكر في أي أمر ينبغي عدم التوقف عند الحدود المادية للأسباب ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ عندما تتفكر في أي أمر تجد له مبررات علمية لحدوثه ، فتبحث عن سبب هذه المبررات فتجد لها مبررات أخري وهكذا ، وعليك أن تستمر في هذا حتى يعجز العلم المادي ويقول هذه لا أجد لها مبررات فتعرف أن هناك قوة خفية خارجية خارقة للأسباب هي التي أحدثت ذلك الأمر ، وعندئذ تشعر أن هناك قوة قاهرة تهيمن على كل شيء وتسيطر علي كل شيء سيطرة كاملة وهيمنة كاملة وعلى الجميع الاستسلام والخضوع الكامل للخالق ، كما تؤدي إلى شعور بالخوف من هذه القدرة الهائلة الخارقة للأسباب ، فالإنسان ينظر إلى الأشياء بعين الأسباب فيجد أن وراء كل سبب سبب آخر ، فإذا استمر في النظر اكتشف عجز هذه الأسباب عن تفسير الأمر ، وبالتالي فهناك يد خفية وراء هذه الأسباب ، فيشعر بالخضوع لِمَنْ هو مسبب الأسباب : ((ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ

---

(1) الزمر : 42
(2) الروم : 23
(3) يونس : من الآية 104

البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ))[1] ، أما التوقف عند الحدود المادية للأسباب يجعل الإنسان يشعر أن الأ سباب هي التي أوجدت وصنعت وخلقت هذه الأمور ، وإن كان مقتنعا نظريا أن الخالق هو الذي أوجدها ، فيعيش بمشاعره في دنيا الأسباب ، دون أن تخرج مشاعره عن التعلق بالأسباب ، فينبغي أن تكون نظرة الإنسان إلى كل شيء على هذا النحو .

ـ فالأسباب عبارة عن قوانين تسير بها الأشياء فمن الذي وضع هذه القوانين ؟ ، فالله هو الذي خلق القانون الذي يسير به الكون ، ففي تفسير الشعراوي : ((فلا تظن أن الكون قائم على قانون يُديره ، بل على القيومية القائمة على كل أمر من أمور الكون))[2] ، فالإنسان إما أن يؤمن بالله الذي يخرق الأسباب وإما أن يؤمن بالأسباب فيكون مادي ، فإما أن يعبد الله وإما أن يعبد الأسباب .

ـ فالمشكلة أننا نتوقف عند الأسباب ونفسر حدوث كل شيء بالأسباب العلمية ونتجاهل عدم مقدرة ا لأسباب عن تفسير الأمر ، فمثلا خروج النبات من الأرض هو معجزة وأمر خارق للأسباب ولكننا نفسر أي عملية تحدث في النبات لوجود شيء معين هو الذي يؤدي إلى ذلك ، وإذا سألنا عن سبب وجود ذلك الشيء نكتشف أن هناك شيء آخر أدى إليه وهكذا حتى نصل إلى أن العلم يعجز عن تفسير ذلك الأمر ، هنا نكتشف أن القضية كلها خرق للأسباب وأن هناك قوة خارجية هي التي تصنع ذلك الأمر ، والمشكلة أننا لا نترك أنفسنا نصل إلى عجز العلم عن تفسير الأمر ونتفكر في هذه النقطة لكن تفكيرنا يتوقف عند حدود الأسباب العلمية .

ـ وهكذا في أبسط وأوضح آيات الله المنظورة وهي السماء من فوقنا فيها نجوم عالية لا تقع علينا ، فتفسير ذلك عندنا هو وجود قوى طرد مركزي مع وجود قوى جذب مثلا ، ثم نسأل ما سبب قوى الطرد والجذب هذه فيقولون لوجود أشياء معينة ، وما سبب هذه الأشياء المعينة ، وهنا يعجز العلم عن تفسير الأمر ، فنستنتج أن عدم سقوط النجوم هو إعجاز وأمر خارق للأسباب ، وهذا ما يستنتجه الإنسان الفطري بمجرد النظر في السماء بدون معرفة النظريات العلمية ، وهكذا ينظر الإنسان الفطري إلى الزرع وكل شيء من الذرة إلى المجرة فيراه إعجاز فهو موجود أو مصنوع بكيفية دقيقة جدا لا يمكن أن تنشأ من داخل ذلك الشيء فلابد من وجود قوة خارجية لها مقدرة هائلة وعلم كبير بحيث تستطيع أن تصنع هذا الشيء .

ـ فمثلا : الإنسان مولود من أمه ، وأمه من جدته وهكذا ، فلابد أن أول بشر موجود من لا شيء ، وهذا أمر لا يقدر عليه أحد إلا من يستطيع أن يخرق الأسباب فهو الخالق ، كما أن الأشياء المصنوعة جاءت من خامات ، وهذه الخامات من خامات أخرى ، فلابد أن هناك خامات أو أشياء بدأت من العدم ، وهذا لا يقدر عليه غير الخالق سبحانه ، فالإنسان لا يستطيع إيجاد نفسه ، والأشياء لا تستطيع إيجاد نفسها .

ـ فالأسباب هي قوانين مخلوقة لا تنفع ولا تضر ، فهذه القوانين عند البشر فقط وليست عند الله ، ف البشر لا يستطيع أن يلغي الأسباب ولكن الله يستطيع أن يلغي الأسباب لأنه هو الذي خلقها ووضعها .

ـ فمثلا قانون الجاذبية هو الذي يجعلك إذا سقط شيء من يدك أن يقع على الأرض ، فهذا القانون مخلوق يلزمك أنت ولكن لا يلزم الله ، فالله إذا أراد أن لا يقع على الأرض ما يسقط من يدك لفعل ، كما أن قانون الجاذبية لا يستطيع أن يفعل شيء فليس هو الفاعل الحقيقي ، ولكن الفاعل هو الله سبحانه ، فإذا سقط شيء من يدك فوقع على الأرض فنقول أن سبب ذلك قانون الجاذبية مجازا لكن في الحقيقة الله هو الذي أوقع ما سقط من يدك على الأرض لأن الله هو الذي صمم هذا القانون .

ـ وكذلك فالدواء لا يشفي والشافي هو الله ، فالله هو الذي جعل الدواء يؤدي إلى الشفاء لكن الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه لأنه هو الذي خلق القانون الذي به يستطيع الدواء أن يؤدي إلى الشفاء ، أي أن الله هو الذي خلق الخواص المعينة التي في الدواء ، والخواص المعينة الموجودة في الجسم

---

(1) الملك : 4
(2) تفسير الشعراوي - (/ 2299)

بحيث إذا وضع الدواء نتج الشفاء ، والإنسان فقط يكتشف ويعرف ما هو موجود فيستفيد من خواصه وليس يخترع ويبتكر الخواص التي تؤدي الى الشفاء .

ـ بل إن الإيمان والهداية والعمل الصالح هو من توفيق الله ودخول الجنة ليس في مقابل هذه الأمور ، ففي تفسير البحر المديد : (({ما أصابك من حسنة} أي : نعمة { فمن الله } فضلا ً وإحسانًا ، وأما طاعة العبد فلا تفي بشكر نعمة واحدة ، ولذلك قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " لن يَدخلَ أحدُكمُ الجنةَ بعملهِ " ، قيلَ : ولا أنتَ يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا ، إلا أن يتَغمدني الله برَحمته " {وما أصابك} أيها الإنسان {من سيئة} أي : بلية {فمن نفسك} أي : شؤم ذنبك ، وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : " مَا مِن خَدش بعُود ولا اختلاج عرق ولا غيره إلا بذنب ، وما يَعفوا الله عنه أكثرُ " فلا ينافي قوله : {قل كلٌ من عند الله} ؛ فإن الكل منه إيجاداً واختراعًا ، غير أن الحسنة إحسانٌ ، و السيئة مُجَازاة وانتقام. كما قالت عائشة ـ رضي الله عنهاـ : " مَا مِن مُسلمٍ يُصيبه وَصَبٌ ولا نَصَبٌ ، حتى الشوكة يُشَاكها ، وحتى انقطاع شِسع نَعلهِ ، إلا بذنب ، وما يعفوا الله عنه أكثر "))[1] ، لذلك سبق أن ذكرنا أن أصل ما مطلوب من الإنسان لكي يدخل الجنة هو أن يكون حيا ، ولن يكون حيا إلا إذا أراد الله له ذلك ، لذلك فالأصل أن يدعو الإنسان الله أن يهديه وأن يوفقه للأعمال الصالحات .

ـ إذن قد يكون الإنسان على اقتناع نظري تام وإيمان كامل بأن الله هو النافع الضار الشافي الرازق الوكيل الكفيل وأن كل شيء بيد الله وأنه متوكل على الله تماما ، لكن حقيقة مشاعره تقول أن كل شيء بالأسباب ، وأن كل شيء يمكن صناعته بالعمل ، وكل شيء يمكن شراءه بالمال ، وأنه يحصل على المال من كده وتعبه ، وأن الأسباب هي التي تفعل كل شيء ، فشعوره بالخضوع يكون للأسباب وشعوره بالخوف متعلق بالأسباب وشعوره بالحب للأسباب ، لذلك فهو يعيش في عالم الأسباب كل شيء عنده بالحساب وبالتخطيط وبالإستقراء وبالمعادلات الرياضية ، فهو رجل مادي لا مشاعر له ، ويرى أن المشاعر نفسها يمكن صناعتها بالأسباب .

ـ بل إنه لا يشعر بأنه يمكن أن يكون هناك شيء خارق للأسباب ، فيرى أن الأسباب هي التي أوجدت كل شيء ، فمثل هذا الإنسان هو في حقيقته لا يؤمن إيمانا حقيقيا بوجود الله لأن وجود الله يعني ا لإحساس بوجود قوة خارجية خارقة للأسباب .

ـ والذي يعبد الأسباب لا يشعر بالثواب والعقاب الأخروي وإنما يشعر بالنتائج التي هي في الدنيا و التي هي ثمرة العمل والأسباب ، فهو يشعر فقط بما هو محسوس وبالأسباب والنتائج ، فهو يقوم بِ العمل على أساس المكسب والخسارة الدنيوية ، فالآخرة موجودة عنده فقط في الاقتناع والمعرفة النظرية فقط وليس للآخرة وجود في مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه وحساباته ، فهو علماني في مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه ، وفي قصة قارون خير دليل على ما نقول حيث قال : ((قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي))[2] .

ـ اليقين التام بأنه لا توجد أي علاقة بين الأخذ بالأسباب وبين الرزق ، وما يبدو ظاهريا من علاقة هو للامتحان :

ـ الأخذ بالأسباب طاعة من الطاعات شأنها شأن الصلاة والصوم والصدقة وغيرها مما أمر الله به ، وعدم القيام بهذه الطاعة معناه معصية يأثم عليها الإنسان ، لكن لا توجد أي علاقة أبدا بين الأخذ بالأ سباب وبين الرزق ، فمهما قصر الإنسان في الأخذ بالأسباب فسيأتيه رزقه لا يزيد ولا ينقص ، ولو ترك الإنسان الأخذ بالأسباب فسيأتيه رزقه لا يزيد ولا ينقص ، ولو هرب الإنسان من الرزق فسوف يأتيه رغم أنفه ففي الحديث : ((لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت))[3] ، وفي حديث آخر : ((إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله))[4] .

---

(1) تفسير البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (2 / 103)
(2) القصص : من الآية 78
(3) تحقيق الألباني (حسن) [صحيح الجامع برقم 5240)
(4) صحيح الجامع (1630)

ـ ومن الفتن التي يبتلى الله بها الناس ليبتليهم هو أنه قد يجعل ترك الأخذ بالأسباب مصاحبا لعدم وجود المال ـ وقد لا يكون مصاحبا لذلك ـ فيظن البعض أن عدم الأخذ بالأسباب هو سبب المنع ، لذلك لا يجب الربط بين الأخذ بالأسباب وبين الرزق وذلك من باب (كذب المنجمون ولو صدقوا) فإذا ذهب الناس إلى العرافين ووجدوا أن ما يقولونه يحدث في معظم الأحيان فلا يجب أن يصدقوهم رغم ذلك ، كما أن مفهوم الرزق أوسع من مفهوم المال فحسب ، فالمال نعمة من بين النعم وهناك نعم أخرى كثيرة كنعمة الماء والهواء والعين والأنف وغير ذلك ، وهناك نعمة السعادة النفسية التي يقذفها الله في قلوب المؤمنين ، وغير ذلك ، ولو افترضنا أن إنسان امتنع عن الأخذ بالأسباب حتى مات من الجوع ، فليس سبب موته وسبب جوعه أنه لم يأخذ بالأسباب ، ولكن سبب موته أن رزقه المكتوب له قد انتهى ، وسبب جوعه أنه ليس من رزقه طعام ، وهو رغم ذلك مقصر مذنب يأثم شرعا بتركه الأخذ بالأسباب .

ـ فإذا كان تعلق القلب بالأسباب أكبر من تعلقه بـالله مسبب الأسباب فهذا وقوع في النفاق الأكبر ، وإذا كان تعلق القلب بالأسباب أقل من تعلقه بـالله مسبب الأسباب فهذا نقص في الإيمان .

ـ عبادة الأسباب :

ـ قد يكون الإنسان على اقتناع تام بأنه متوكل على الله وأن كل شيء بأمر الله ، لكن في حقيقة الأ مر يعتمد على عقله ويعتمد على الأسباب حيث تتعلق مشاعره وهمومه وتفكيره وأمانيه بالأسباب أكبر من تعلقها بـالله فإن مشاعره تقول : الأسباب هي التي تنفع وتضر ، والأسباب هي التي ترزق ، فبغير الأسباب ينقطع الرزق ، وما مع الإنسان من مال هو من كد يده فحصل عليه من سعيه ، والعقل والتخطيط هو الذي يقي الإنسان من المشاكل ، وفلان هو الواسطة الذي جلب لي الوظيفة المعينة ، والأسباب هي التي تصنع كل شيء ، فمثل هذا يعبد الأسباب ، وإن كان على اقتناع تام بأنه متوكل على الله تعالى ؟!! .

ـ فرجاؤه في الأسباب أكبر من رجاؤه في الله ، وخوفه من الأسباب أكبر من خوفه من الله ، وخضوعه لقانون الأسباب أكبر من خضوعه لله ، فلا يشعر أن الأسباب مخلوقة ولا تملك نفعا و لا ضرا .

ـ فكل حزنه وفرحه وهمه وأمله في الأسباب ، فتأثر مشاعره يعتمد ويتوقف على الأسباب لا على الله .

ـ التوكل على الله والتوكل على الأسباب :

ـ التوكل على الأسباب هو أثر لعبادة الأسباب ، والتوكل على الله هو أثر لعبادة الله ، فالتوكل على الأ سباب ينشأ من عبادة الأسباب أو من ضعف الإيمان بـالله .

ـ التوكل على الله معناه أن تترك نفسك لله يفعل بها ما يشاء ، فعندما يشعر الإنسان بأن الدنيا وما فيها من مال ومتاع ليس لها قيمة ، وأنها لا تنفع ولا تضر ، فهو يشعر بأنه في استغناء عنها وعدم الا حتياج لها ويشعر بالزهد فيها ، وعندما يشعر بضآلة الإنسان وأن كل الناس لا يملكون نفعا ولا ضرا ، فهو يشعر بأنه في إستغناء عنهم وعدم الإحتياج لهم ، وعندما يشعر بعظمة الله وأنه وحده النافع الضار ، فهو يشعر بأنه في إحتياج إلى الله وحده والإعتماد عليه وحده .

ـ مفهوم التوكل على الله :

ـ أصل القضية ليس التوكل على الله ولكن اليقين الحقيقي بأن الله هو الوكيل ، حيث إذا لم يتحقق هذا اليقين لم يتحقق الإيمان ، وكيف يكون الإنسان موقنا بأن الله هو الوكيل ثم لا يتوكل عليه ؟! ، فمثلا كيف يكون الإنسان موقنا بأن أمامه طعام شهي وهو جائع ثم هو لا يأكل ؟! ، فذلك يدل على أنه غير موقنا يقينا حقيقيا بأن أمامه طعام شهي أو أن يقينه ضعيف جدا .

ـ إن الإنسان عبارة عن مادة مصنوعة تتحرك وفق أمر الصانع ومصنوعة بالكيفية التي صنعها بها ، ف

لابد أن تشعر أنك مادة مصنوعة في يد غيرك يفعل بك ما يشاء ، ويشكلك كيف يشاء : ((فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ))[1] ، وتصميم شكل الإنسان أن تكون عينه هنا ، وأنفه بهذا الشكل وهكذا هو تصميم وتشكيل من صنـ ـعه وشكـ ـله ، ولم يدعي أحد من البشر أن قام بشيء من هذا التصميم ، وهناك برنامج داخلي موضوع لكيفية عمل هذا الأجهزة بالجسم فهذا البرنامج أيضا وضعه صانع هذه المادة المتحركة والمسماه بالإنسان ، وأيضا الخالق هو الذي سمى هذه المادة المتحركة بالإنسان ، ومن هنا وبمنتهى البساطة يتحقق التوكل والخضوع والحب والخوف من الخالق بصورة تلقائية .

ـ فالتوكل معناه أن يسلم الإنسان أمره لله ، ويسلم نفسه لله يفعل بها ما يشاء ، فيبيع نفسه لله فلم تعد ملكا له ، فلا يعيش من أجل نفسه ولكن من أجل أحد غيره هو الله سبحانه .

ـ يوضح ابن القيم رحمه الله معنى التوكل فيقول : ((قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب ومعنى ذلك : أنه عمل قلبي ليس بقول اللسان ولا عمل الجوارح ولا هو من باب العلوم والإدراكات ، ومن الناس : من يجعله من باب المعارف والعلوم فيقول : هو علم القلب بكفاية الرب للعبد ، ومنهم : من يفسره بالسكون وخمود حركة القلب فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء وهو ترك الاختيار والاسترسال مع مجاري الأقدار .. وقال ذو النون : خلع الأرباب وقطع الأسباب يريد قطعها من تعلق القلب بها لا من ملابسة الجوارح لها .. وقيل : التوكل قطع علائق القلب بغير الله ، وسئل سهل عن التوكل فقال : قلب عاش مع الله بلا علاقة[2] ، وقيل : التوكل هجر العلائق ومواصلة الحقائق وقيل : التوكل أن يستوي عندك الإكثار والإقلال ، وهذا من موجباته وآثاره لأنه حقيقته))[3] .

ـ ومما يحقق التوكل شعور العبد بأن مشيئته مقيدة ، فمشيئة العبد وإرادته واختياره هي جزء من قدَرِ الله الذي كتبه ، وأعمالنا مخلوقة وكل ما نصنعه وما نبنيه هو مخلوق لله ((وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ))[4] ، وهذا يعني الشعور بالاستسلام والانقياد والخضوع لله والتوكل عليه ، فالله بيده الأمر كله .

ـ ((قيل لحاتم الأصم : على ما بنيت أمرك هذا من التوكل ؟ قال : على أربع خلال : علمت أن رزقي لا يأكله غيري فلست أهتم له ، وعلمت أن علمي لا يعمله غيري فأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أني بعين الله في كل حال فأنا أستحيي منه))[5] .

ـ ارتياح الإنسان واطمئنانه الناشئ عن أن له دخل ثابت في عمل حكومي أو من عقار أو أرض يؤجرها لأحد أو غير ذلك مما يدر عليه دخل ثابت أو شبه ثابت ، أو ارتياحه الناشئ عن وجود معاش أو تأمين في حال المرض أو تأمين على الممتلكات ، فهذا الارتياح دليل على أنه متوكل على هذه الأسباب ومعتمد عليها ، فلو أن هذه الأمور غير موجودة فستجده خائف مضطرب على رزقه وصحته وممتلكاته ، في حين المؤمن يوقن يقينا حقيقيا بأن رزقه من عند الله وأنه ثابت لا يتغير ومضمون في كل وقت وكل حال .

ـ فقدر الرزق الذي يأتيك أنت لست مسئولا عنه سواء كان كثيرا أم قليلا ، ولست أنت الذي ترزق نفسك أو عيالك وزوجتك .

ـ والعكس صحيح ، فقلق الإنسان من عدم وجود عمل يتكسب منه ، أو خوفا من أنه قد يترك العمل ... الخ ، فكل ذلك يدل على عدم توكله على الله (يستثنى القلق الفطري الخارج عن إرادة الإنسان) .

---

(1) الإنفطار : 8

(2) يقصد بلا علاقة مع غير الله تعالى .

(3) مدارج السالكين - (ج 2 / ص : 114 ـ 116) .

(4) الصافات : 96

(5) شعب الإيمان : [جزء 2 - صفحة 97]

ـ وكذلك من سرق مليما فليس بمتوكل ، لأنه استعجل رزقه الذي كان سوف يأتيه حتما ، والإنسان إذا أخذ مليما ليس من رزقه فلن يستطيع إنفاقه أو يـ ـضيع منه أو يصرفه في شيء لا قيمة له أو يمرض أو يمرض أحد من أبناؤه فيصرفه في العلاج ، أو يصاب بابتلاء بفقد شيء من ممتلكاته .... الخ .

ـ ملحوظة :

ـ القلب منقطع عن الأسباب والجوارح تأخذ بالأسباب ، وليس في هذا تعارض لأن الأخذ بالأسباب لا يعني العمل من أجل الحصول على الرزق أو بنية الحصول على الرزق ، لأن العمل ليس هو الذي يجلب الرزق وليس واسطة للحصول على الرزق ، إنما العمل بالأخذ بالأسباب طاعة لله لأنه أمر بالأ خذ بالأسباب ، فأنت تأخذ بالأسباب ليس لجلب الرزق ولكن لأن الله أمرك بهذا ، ولذلك ففي الحديث : ((إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها))[1] ، فلو كان يقصد أن هذا السبب يجلب الرزق لما زرعها ولكن الأخذ بالأسباب طاعة لله ، فلو أمرك الله بعمل ما وهذا العمل لا تأخذ عليه راتبا فعليك بالعمل ، ولابد أن تكون هذه هي النية في أي عمل تعمله لأن الراتب ما هو إلا صورة من صور الرزق الذي يأتيك من عند الله تعالى .

ـ البعض يظن أن سبب تخلف المسلمين هو عدم الأخذ بالأسباب فقط ، وفي هذا مغالطة من ناحيتين هما :

أولا : أن أصل التخلف هو البعد عن الله وليس أصل التخلف هو التخلف المادي .

ثانيا : التوكل شيء والأخذ بالأسباب شيء آخر يختلف عنه ، وكلاهما مطلوب تحقيقه شرعا ، وترك التوكل فساد في العقيدة وترك الأخذ بالأسباب معصية ، والتوكل هو شعور من المشاعر ، والأخذ بالأ سباب هو عمل بالجوارح ، وكلاهما غير موجود عند بعض المسلمين ، والمطلوب الأهم هو إيجاد التوكل الذي هو شعور قلبي ، والمطلوب الأقل أهمية هو الأخذ بالأسباب .

ـ فينبغي عدم الربط بين العمل للكسب وبين الرزق ، فالناس كلهم عاطلين عالة على الله ، وما يعملونه للكسب هو مجرد لعب ولهو من ناحية علاقته بالرزق ، وهو طاعة من الطاعات من حيث أن تركه معصية .

ـ الإحساس بقيمة الآيات الكونية :

ـ لكي يتحقق الإحساس بقيمة الآيات الكونية لابد من أربعة أمور هي :

1ـ لابد أن تشعر بالمقارنة بين البشر وبين الكون ، أو بين البشر وبين الكرة الأرضية ، أو بين البشر وبين الشمس مثلا ، وهذه المقارنة من حيث الحجم ومن حيث القدرة ، فمن حيث الحجم يتبين مدى ضآلة حجم الإنسان بالنسبة إلى حجم الكرة الأرضية أو الشمس أو الكون ، ومن حيث القدرة فا لشمس تستطيع أن تبتلع الكرة الأرضية بمن عليها من البشر ومثلها مليون مرة ، والزلازل والبراكين و العواصف والفيضانات وغيرها تستطيع أن تنسف آلاف البشر في لحظة واحدة ، والبشر يعيشون في خطر دائم ومن الممكن أن ينسفوا في لحظة ، والبشر جميعا محمولون على كرة تطير بهم في الفضاء وكأن الكرة الأرضية تفعل بهم ما تشاء فهي أعظم في حركتها وسرعتها من قدرة البشر ، والإنسان لا يستطيع أن يصنع ماء أو هواء أو جبل ولا يستطيع أن يصنع ذبابة التي أحقر الحشرات ، بل إنه لا يستطيع أصلا أن يصل إلى شيء من مليارات الكرات الأرضية (الكواكب) في مليارات المجرات ، بل إن النجوم الموجودة في السماء على ضخامتها مجرد زينة ، ومليارات الكرات الأرضية موجودة بلا بشر فالإنسان يفتخر بالأرض التي عليها ويظن أنها ملكه فما هي بشيء أمام الكواكب الأخرى : ((لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أكبر مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ))[2] .

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1424 في صحيح الجامع .
(2) غافر : 57

2ـ ثم تشعر بالمقارنة بين عظمة الكون وعظمة الخالق ، فإذا كان الكون عظيما إلى هذه الدرجة فما بـ
الك بعظمة الخالق ، فالكون ما هو إلا مخلوق لا حول له ولا قوة ، ففي الحديث : ((يقبض الله الأ
رض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض))[1] ، وفي
حديث آخر : ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة))[2] .

3ـ ثم تشعر بالمقارنة بين ضآلة البشر وعظمة الله ، فإذا كانت قيمة البشر ضئيلة أمام عظمة الكون ،
فما بالك بقيمة البشر أمام عظمة الله وقدرته وهيمنته عليه .

4ـ فينشأ عن ذلك الشعور بالخوف والخضوع والحب والرجاء .

ـ إذن من لم يعرف عظمة الكون بالمقارنة مع قدرات الإنسان وإمكانياته لم يعرف عظمة الخالق
وضعف الإنسان .

ـ إن نظرة واحدة متأملة في الكون وحقائق الأشياء قد تضع في النفس من الإيمان ما يغير حياة الإ
نسان مائة وثمانين درجة ، مثلا كأن ينظر إلى الكرة الأرضية وهي هباءة بين الأجرام فيعرف الإنسان
معرفة حقيقية بضآلة حجمه ، في حين لو تعلم الإنسان كل علوم الدين والدنيا طوال عمره فلن
يتكون في نفسه شيء من مشاعر الإيمان (خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و
الخضوع) .

ـ ونوضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

ـ مثال (1) :

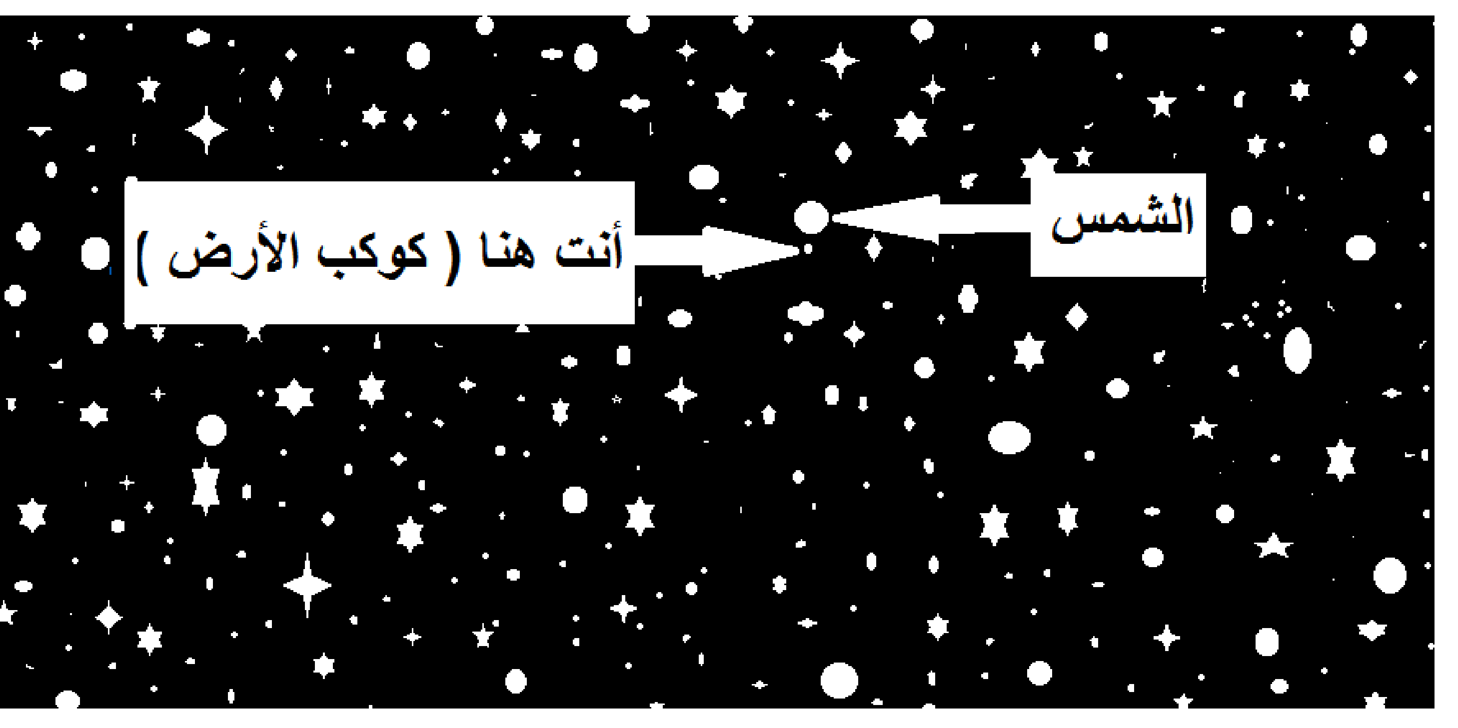
ـ هل تصدق أننا نعيش وسط النجوم ؟! ، نحن نعيش وسط النجوم وهذا الأمر يحتاج إلى تصور
ذهني وتخيل لمكان الكرة الأرضية بالنسبة للنجوم ، فالكون عبارة عن فضاء تسبح فيه نجوم هائلة
العدد ، وكل نجم تدور حوله بعض الكواكب ، ومن بين هذه النجوم والكواكب الهائلة العدد في الكون
يوجد نجم اسمه الشمس وكوكب اسمه الأرض ، فكوكب الأرض هو كرة معلقة في الفضاء يحيط بها
النجوم من كل اتجاه ، فالنجوم ليست فقط فوق الأرض ولكنها تحيط بالكرة الأرضية من كل اتجاه .

ـ إذن نحن نعيش في الفضاء على ظهر كرة تسبح بنا في الفضاء وحولنا النجوم من كل اتجاه ! .

ـ تخيل لو أن الكرة الأرضية لم تعد معلقة في الفضاء وسقطت فأين تذهب ؟ ، إن تحت الكرة الأ
رضية فضاء ونجوم ! .

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 8125 في صحيح الجامع .
(2) التخريج : صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 223 ، برقم : 109)



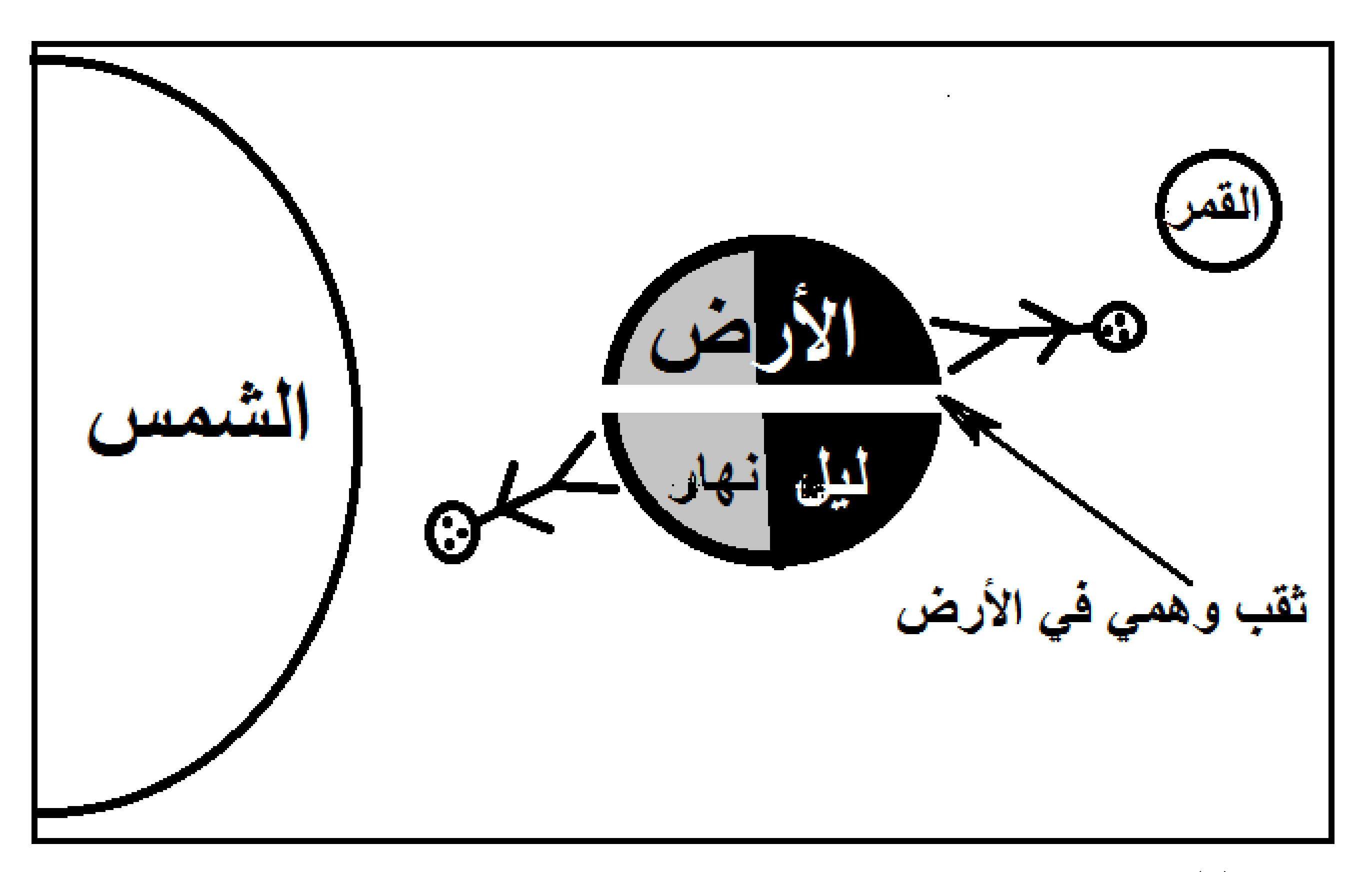
ـ عندما صعدت سفن الفضاء في الفضاء البعيد التقطت صورة للأرض وحولها الشمس والنجوم ، فكانت الأرض عبارة عن نقطة زرقاء باهتة وسط النجوم (والصورة التوضيحية تبين ذلك) .

ـ إن هذه الدنيا التي نعيشها بكل ما فيها ليست إلا حياة ضئيلة جدا موضوعة على نقطة زرقاء باهتة وسط الفضاء والنجوم ، فالأرض ومن عليها من البشر مجرد جزء صغير جدا من منظومة كبيرة جدا هي الكون حيث هناك إله يحكم هذا الكون ويتحكم فيه كيف شاء وكل هذا الكون ملك له ، فيتكون شعور بضعف البشر وعجزهم وشعور بمدى عظمة هذا الكون واتساعه فلا يقدر البشر على إيجاد شيئا منه ولا التحكم فيه وبالتالي الشعور بمدى قدرة وعظمة خالق الكون .

ـ مثال (2) :

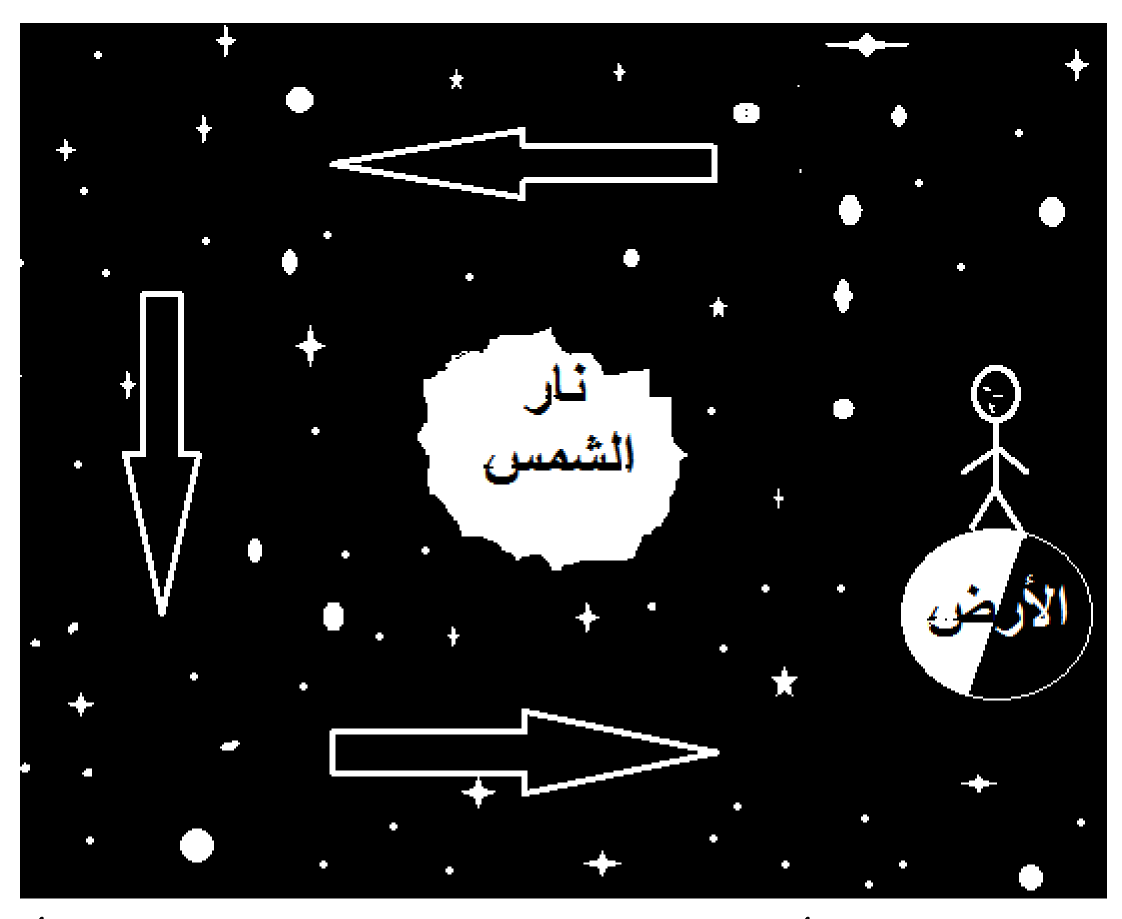
ـ تصور وضعك مع حركة الأرض حول نفسها ، وحدوث الليل والنهار ، فهذا يؤدي إلى الشعور بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وتؤدي إلى الشعور بضآلة الإنسان ، وبالتالي الشعور بالا ستسلام والخضوع للخالق .

ـ تخيل لو أنك كنت بالليل وقمت بعمل ثقب في الكرة الأرضية فسيصل إليك نور الشمس ! .



ـ مثال (3) :

هل تصدق أن هناك نارا هائلة جدا معلقة في الفضاء وأننا ندور حولها مثلما يدور الفراش حول النار المشتعلة ؟! ، إن الشمس عبارة عن كتلة من النار هائلة مشتعلة في الفضاء ونحن الآن ندور حولها على ظهر مركبة فضائية تطير بنا في الفضاء المظلم هي الأرض في رحلة تستغرق عام كامل ، ففي اللحظة التي تقرأون أنتم فيها هذه السطور تدور الأرض في مدارها حول الشمس في رحلة طولها 950 مليون كم نقطعها في سفر سنة ثم تبدأ من جديد دون توقف ، وحر الصيف وبرد الشتاء يحدث بسبب اقترابنا أو بعدنا عن نار الشمس أثناء هذه الرحلة .



فنحن نسير الآن بسرعة 108 ألف كيلو متر في الساعة (30 كم في الثانية) ، ويمكنكم أن تعرفوا ضخامة هذه السرعة على النحو التالي : إن أقصى سرعة يمكنكم أن تصلوا إليها عند قيادة سيارة عادية هي 200 كيلو متر، يعني أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة تبلغ 540 مرة بحجم سرعة السيارة ، ويمكن أن نفهم الأمر بشكل أوضح من خلال هذا المثال أيضا : فسرعة الرصاصة تبلغ 1800 كيلو متر في الساعة ، وسرعة الأرض في دورانها حول الشمس تبلغ 60 مرة حجم سرعة الرصاصة·فبسرعة الأرض الهائلة هذه ، تكون قوة جاذبية الشمس غاية في الأهمية ، فلو أنه حصل نقص في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تضيع في الفضاء بسرعة غير عادية ، وذلك يمثل نهايتها ، والعكس أيضا صحيح ، بمعنى أنه لو حدثت زيادة في قوة جاذبية الشمس فإن الأرض تتجه نحو الشمس بسرعة هائلة وتذوب وتتبخر ، وبالتأكيد فنحن أيضا سوف نتبخر معها ، ولو كانت جاذبية الأ رض أقل مما هي عليه الآن لطاشَ كلّ شيء ولطشنا نحن أيضا في الفضاء .

ـ فنحن الآن نطير في الفضاء حول هذه النار في دورة كل عام ، إن في هذا شعور بالرهبة والخوف ، والشعور بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وغياب الإحساس بقدر مدى ضآلة الإنسان ، وبالتالي الشعور بالاستسلام والخضوع للخالق .

ـ مثال (4) :

ـ عندما صعد العلماء إلى القمر رأوا الأرض صغيرة وكأنها القمر بالنسبة لهم ، تخيل نفسك هناك علي سطح القمر وتشير إلى الأرض من بعيد: هناك بيتي وأولادي وأهلي في انتظاري حتى أعود ، إن الآ خرة مثل ذلك ، وانظر كيف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء ! .



ـ مثال (5) :

ـ الضوء يقطع المسافة بيننا وبين أقرب نجم إلينا في مدة أربع سنوات وربع ، ومنها ما يبعد عنا مسافة يقطعها الضوء في مائة سنة ، ومنها ما يسافر منها الضوء إليها في ألف سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة مليون سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في (340) مليون سنة ، ومنها ما يبقى الضوء مسافراً منها إلينا في مدة ملايين السنين !! [سرعة الضوء (300) ألف كيلومتر في الثانية] : ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ))[1] .

ـ وأيضا تأمل أن الفضاء كله ظلام ، والنور موجود فقط في قشرة طفيفة على الأرض ، وتدبر أن الكون لا نهاية له ، وهذا مضاد وخارق للأسباب التي يعرفها الإنسان ، وهذا يعني أن هناك من يستطيع خرق الأسباب .

ـ الفرق بين التصديق النظري والتصديق الحقيقي بالحقائق العلمية :

ـ إذا علم الإنسان حقائق علمية مثل اكتشاف أن الأرض كرة معلقة في الفضاء أو دوران الأرض حول نفسها أو دورانها حول الشمس ، وكل هذه أمور عجيبة ومذهلة وأعجب من السحر ولكن لا يشعر بخطورتها إلا من كان له إحساس بقيمة هذه الحقائق العلمية .

ـ فإذا لم يشعر الانسان بالتعجب والتحير ويشعر بضآلة الإنسان أمام عظمة هذا الكون وأنه أشد ضآلة أمام خالق الكون فيشعر بالخضوع والاستسلام لله فإنه بذلك يكذب بمشاعره أن الأرض كرة في الفضاء أو أنها تدور حول الشمس ، وذلك رغم التصديق النظري التام بكل الحقائق العلمية ، فهو يتغافل عن خطورة هذه الأمور ويتجاهلها وهو في الحقيقة لا عقل له .

ـ إذن فالذي يتعامل مع هذه الحقائق العلمية كمعرفة نظرية فقط هو في الحقيقة يُكَذِّبْ بهذه الحقيقة غير موقنا بها يقينا حقيقيا ، فهو يتغافل ويتجاهل هذه الآيات من آيات الله الدالة عليه ، فإذا كان تعامله كذلك مع كل ما يعرفه ويراه من آيات الله من أرض وسماء وزرع وجبال وكائنات فهو قد كفر بآيات الله رغم يقينه النظري التام بآيات الله تعالى أي أنه لا يوقن بها يقينا حقيقيا .

الفصل الثالث
الإحساس بقدر الآخرة (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)

(1)

ـ الغفلة التامة عن الخطر العظيم (الآخرة) !! :

ـ ((لَقدْ كنت في غفلة من هَذَا فَكشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَوْمَ حَدِيدٌ))[1] ، ((قَدْ خَسِرَ الّذِينَ كَذّبُوا بِلِقاءِ اللهِ حَتّى إِذَا جَاءَتهُمُ السّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ))[2] ، ((وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذ قُضِيَ الأمر وهم في غفلة وهم لا يُؤْمِنُونَ))[3] ، ((اقْتَرَبَ لِلنّاسِ حِسَابُهُمْ وهم في غفلة معرضون))[4] ، ((وَاقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الّذِينَ كفَرُوا يَا وَيْلَنَا قد كنا في غفلة من هَذَا بَلْ كُنّا ظَالِمِينَ))[5] ، ((فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))[6] ، وفي تفسير البحر المحيط : (((إِنْ حِسَابُهُمْ إِلّا عَلَى رَبّي لَوْ تَشْعُرُونَ) { لو تشعرون } ، أي بأن المعاد حق ، والحساب حق))[7] .

ـ مجرد العلم بأن هناك آخرة فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا مترقبين ليوم المعاد ، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبوبة أو في حالة سكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي ينتظره ولا يدري بما هو صائر إليه بعد لحظات من الخطر العظيم .

ـ فنحن مقبلون على خطر عظيم وحدث هام جدا ، والعد التنازلي مستمر الآن ، ويوشك أن نلحق بالآخرة ، لكننا لا نشعر بذلك ، ونظن أن الأيام طويلة والعمر مديد ، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الإحساس بقدر الآخرة فتكون درجة شعوره ودرجة إفاقته لا تتناسب أبدا مع خطورة الحدث .

ـ فلابد أن تشعر بمدى الفرق الهائل بين الدنيا والآخرة ، فعندئذ تشعر بمدى خطورة الآخرة ومدى ضآلة الدنيا فتشعر بالخوف من ذلك الخطر العظيم (الآخرة) .

ـ إن تصور لحظة واحدة من الحياة في القبر أو الحياة في الآخرة يجعل الإنسان ينسى الحياة الدنيا ، وبالتالي فالعاقل هو الذي يتجه تفكيره واهتمامه وتصوره إلى الحياة في الآخرة وليس الدنيا .

ـ فلو أن رجلا عاد إلينا من الآخرة ، ماذا يمكن أن يقوله ؟ ، إن هذا الكتاب عبارة عن تصور لما يمكن أن يقوله ذلك الرجل ، إنه سوف يجد الناس علي يقين واقتناع نظري تام بالله واليوم الآخر وكل ثوابت الدين ، وربما عندهم تفاصيل قد أيقنوا بها أكثر منه هو ، ورغم ذلك فالله والآخرة ليس لهما وجود في شعور البعض ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ، إنه سوف يَعجب من هذا الانفصام التام الذي يتمثل في وجود مسلمين يقرون بالغيبيات ، ولكنهم علمانيين في شعورهم ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم حيث أن الغيبيات غائبة تماما من شعورهم ومشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ، فكيف يوقن الإنسان بالآخرة التي هي المستقبل والمصير ثم لا يشعر بخوف المهابة وخوف العقاب وكيف لا يشعر بالغربة وهو مسافر إليها ؟! ، وكيف يوقن الإنسان بالله الذي صنع بقدرته كل البشر و الكون وهم مقهورون تحت قدرته ثم لا يشعر بخوف المهابة والحب إعجابا بقدرته والخضوع وخوف العقاب ورجاء الثواب ؟! ، ذلك لأن هذا اليقين نظري فقط .

ـ نحن نعيش في هروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتغافل عن الله ،

---

(1) ق : 22
(2) الأنعام : 31
(3) مريم : 39
(4) الأنبياء : 1
(5) الأنبياء : 97
(6) السجدة : 14
(7) تفسير البحر المحيط - (ج 8 / ص 419)

وهذا الهروب وهذا التجاهل والتغافل لن يغير من حقائق الأمور شيء فالخطر قائم ونحن مقبلون عليه رضينا أم أبينا والأمر خطير وعظيم : ((قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ))[1] ، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضيت أم لم ترضي شعرت بذلك أم لم تشعر وقد سبقك الكثير إلى هناك ، فكل الناس سوف يذهبون إلى الآخرة ، فإذا لم يعجبك الأمر فامتنع عن الذهاب إلى الآخرة إن استطعت ! ، فيجب عليك أن توقن بالآخرة يقينا حقيقيا ، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟! .

ـ وفي أحد الخطب لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب حذر الناس من التغافل عن الآخرة : ((أما بعدُ فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى حقّ التقوى ، وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى . فقد طال إعراضُكم عن النبأ العظيم تغافلا وجهلا ، وكثر اشتغالكم بالعَرض الخسيس الأدنى))[2] .

ـ نحن نعيش في غيبوبة مثل السُّكْرَان الذي لا يدري ما الذي ينتظره ، ففي تفسير زاد المسير : ((... { إنهم لفي سكرتهم يعمهون } ، وفي المراد بهذه السكرة قولان : أحدهما : أنها بمعنى الضلالة ، قاله قتادة ، **والثاني : بمعنى الغفلة** ، قاله الأعمش))[3] ، وفي تفسير فتح القدير : ((ومعنى { إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ } : لفي غوايتهم يتحيرون ، جعل الغواية ، لكونها تذهب بعقل صاحبها كما تذهب به الخمر سكرة))[4] ، وفي تفسير التحرير والتنوير : (((لاهية قلوبهم) حال من المبتدأ في جملة (وهم يلعبون) وهي احتراس لجملة (استمعوه) أي استماعا لا وعي معه))[5] .

ـ فنحن مقبلون على خطر عظيم وحدث هام جدا ، والعد التنازلي مستمر الآن ، ويوشك أن نلحق بالآخرة ، لكننا لا نشعر بذلك ، ونظن أن الأيام طويلة والعمر مديد ، وإذا كان هناك أحد عنده شيء من الشعور بالآخرة فتكون درجة إفاقته لا تتناسب أبدا مع خطورة الحدث .

ـ المسلم لا ينكر وجود الآخرة ، لكنه قد يتجاهل ما بها من ألم وخطر وأهمية فتصبح كأنها لا قيمة لها ، فهي عندئذ غير موجودة في شعوره ، وهو بذلك قد أفرغ الكلمة من محتواها ، مثل الطفل الذي في يده أسد مصنوع من البلاستيك فهو يلعب به رغم أنه يوقن تماما أنه أسد لكنه مسلوب القوة ، وكل إنسان حر له أن يفعل ما يشاء ، فإما أن يتجاهل الآخرة وذلك بتجاهل ما بها من ألم ، وإما أن يعترف بذلك في نفسه فيشعر بما في الآخرة من ألم وخطر ، ولكن تجاهل الإنسان للآخرة وألمها لن يغير من حقائق الأمور شيء ، فالآخرة قادمة وشيكة والألم شديد والموت قادم ، فهو عندئذ مثل النعامة التي تضع رأسها في التراب حتى لا يراها الأعداء ، أي كأنها تقول لنفسها أنه طالما أنها لا ترى الأعداء إذن فهم غير موجودون ولا أحد يطاردها ! .

ـ لا يصح اليقين بالآخرة بغير وجود خوف حقيقي من الآخرة ، لأن عدم الخوف من الآخرة دليل غياب الإحساس بالآخرة والطبع على القلب بدليل ما جاء في تفسير ابن كثير : ((وقوله { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا } أي : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه ، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده ، اتبعك فأفلح وأنجح))[6] ، وفي تفسير زاد المسير : (({ إنما أنت منذر من يخشاها } وقرأ أبو جعفر « منذر ٌ » بالتنوين ، ومعنى الكلام : إنما أنت مُخَوّفٌ من يخافها ، و المعنى : إنما ينفع إنذارك من يخافها))[7] .

ـ الآخرة هي الحقيقة الكبرى المرعبة : ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

---

(1) صّ : 67 ، 68
(2) موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب - (ج 14 / ص 7)
(3) تفسير زاد المسير - (ج 4 / ص 69)
(4) فتح القدير - (ج 4 / ص 189)
(5) التحرير والتنوير : [جزء 1 - صفحة 2691]
(6) تفسير ابن كثير - (ج 8 / ص 318)
(7) زاد المسير - (ج 6 / ص 121)

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ))[1] ، وقد سبقنا إليها الكثير والدور علينا ، ورغم ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الآخرة وأمور الدين فاترة باردة ، في حين تتفاعل مشاعرهم وانفعالاتهم تجاه أمور الدنيا الفانية ، فالآخرة أمر جاد جدا وخطير جدا ولا يحتمل التراخي ، ونحن نتعامل معه بلا مبالاة وفتور شديد بغير جدية وإدراك لخطورته ، هذا معناه أن هناك غفلة تامة عن الخطر العظيم الذي نحن مقبلون عليه ، إن الآخرة هي خطر عظيم جدا نحن مقبلون عليه حتما بعد وقت ضئيل جدا يمر سريعا دون أن ندري ، إن الرسول (ص) جاء إلى الناس لينذرهم ويحذرهم ، ويمكن تشبيه ذلك بأن الرسول (ص) جاء إلى الناس ليحذرهم من أن هناك خطر عظيم سوف يجتاحهم ، هذا الخطر هو جيش جرار جاء ليقضي عليهم ، فكان طائفة منهم عندهم لا مبالاة ولم يتأثروا ولم ينتبهوا لخطورة الأمر ولم يشعروا بالخوف والرعب ، ومن أثر ذلك أنهم لم يتحركوا من مكانهم ولم يهربوا وكأن شيئا لم يكن وكأنهم لم يسمعوا وكأنهم كالحائط الذي لا يحس ، وبقوا مكانهم منشغلين بحياتهم وطعامهم وشرابهم ، فهؤلاء جاء الجيش إليهم فقضى عليهم ، وطائفة أخرى تحركت مشاعرهم وشعروا بالخوف ولاذوا بالفرار فنجو من الجيش ، وهذا المثل هو ما أوضحه الرسول (ص) ففي الحديث : ((إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق))[2] ، وكان الرسول (ص) إذا خطب على المنبر فذكر الآخرة تحركت مشاعره وانفعل بشدة ففي الحديث : ((وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش يقول صبحكم مساكم))[3] ، فقد جاء الرسول (ص) إلى الناس ليقول لهم (أيها الناس : أنقذوا أنفسكم من النار !!) وهذا ما جاء في الحديث : ((لما نزلت { وأنذر عشيرتك الأقربين } جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فخص وعم فقال يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني قصي أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا ، إن لك رحما سأبلها ببلالها))[4] ، وفي حديث آخر : ((مثلي كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي يقعن في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيقتحمن فيها فذلك مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبوني فتقتحمون فيها))[5] ، وعن ابن عباس قال لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد النبي صلى الله عليه وسلم الصفا فجعل ينادي : ((يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، فقال أبو لهب تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت (تبت يدا أبي لهب وتب)))[6] ، وفي رواية : ((يا بني عبد مناف يا بني عبد مناف إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه إلى أهله فجعل يهتف يا صباحاه يا صباحاه أتيتم أتيتم))[7] ، وفي حديث آخر : ((خذوا جُنّتكم ! ، قالوا يا رسول الله عدو حضر قال لا ولكن جنتكم من النار قولوا سبحان الله و الحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات وهن الباقيات

---

(1) الحج : 2
(2) متفق عليه (مشكاة المصابيح ج :1، برقم 148، وهو أيضا في صحيح الجامع برقم 5860)
(3) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 188 ، برقم 1578)
(4) حديث صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 338 ، برقم 3185)
(5) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 5858) .
(6) متفق عليه : (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5372)
(7) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع برقم : 7901)

الصالحات))[1] وفي الحديث : ((الجَنّةُ أقْرَبُ إلى أحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنّارُ مِثْلُ ذَلِكَ))[2] ، فابقي كما أنت تؤمل في متع وملذات ولكن في متع وملذات الجنة ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : ((مَرّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصّاً لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ((مَا أُرَى الأمر إلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ))[3] أي الآخرة قريبة ووشيكة حتى كأنه لا وقت للانشغال بشيء غيرها .

ـ وكان أبو الدرداء يقول : ((لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت، ما أكلتم طعاماً على شهوة ،ولا شربتم شراباً على شهوة أبداً ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ، ولخرجتم إلى الصعيد تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ، ولوددت أنى شجرة تعضد ثم تؤكل))[4].

ـ وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : ((ابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه ـ ورغم ذلك فلا يزال البعض يتغافلون عن الآخرة))[5].

ـ فمتى تزول الغشاوة عن هذا الخطر القريب الخطير ؟! .

ـ الفرق بين اليقين النظري واليقين الحقيقي بالآخرة :

ـ إن الآخرة تعني الأهوال والمصير والمستقبل ، فكيف لإنسان عاقل يصدق بهذا ولا تنشغل مشاعره بمصيره ومستقبله ، ذلك لأن الآخرة ليس لها وجود حقيقي في مشاعره ، إن الذي يعرف أن هناك آخرة هي مستقبله ومصيره وأنه مسافر إليها ثم لا يشعر بالغربة لأنه مسافر إلى الآخرة ولا يشعر بـ الخوف والقلق في حين تتعلق مشاعره بالدنيا مع علمه بفنائها وضآلتها فهذا الإنسان لا يوقن الآخرة يقينا حقيقيا ، فالذي يقول بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الحياة والمتع الحقيقية ثم تجد مشاعره منقطعة عن الآخرة ومتجهة إلى الدنيا فهو كذاب ، ولو كان صادقا فيما يقول لتعلقت مشاعره بالآخرة ، لأن الدنيا في مشاعره هي الحياة والمستقبل والمصير ، ومن هنا نستطيع أن نفهم معنى الصدق الحقيقي (صدق المشاعر) ، فإن اقتناعه بأن الدنيا ضئيلة فانية والآخرة هي الباقية هو اقتناع كاذب ، وإنما هو يقول بمشاعره : ((إِنْ هِيَ إِلّا حَيَاتُنَا الدّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))[6] رغم أن الاقتناع النظري تام بالآخرة إلا أنه اقتناع كاذب ، فالآخرة في الاقتناع النظري عنده خطيرة ومصيرية لكنها في المشاعر ودودة أليفة لا مشكلة فيها وليس لها تأثير حقيقي علي المشاعر ، وغدا سوف يفاجئ بيوم القيامة كأنها مفاجأة لم يكن يعرفها كأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة لأنه لم يكن يشعر بخطورة الآخرة ، لأن الذي يشعر بخطورة الآخرة يعيش وعنده تهيئة نفسية فلا يفاجئ بالآخرة وإنما هو منتظر مجيئها ومنتظر تحقيق وعد الله تعالى .

ـ عالم الغيب فوق مستوى الخيال وأشد رعبا من كابوس مرعب وأشد رعبا من رؤية أشباح وأعجب من السحر :

عالم الغيب عالم رهيب وعجيب وخطير جدا لكنه في المشاعر عالم عادي جدا لا خطورة منه ولا مشكلة فيه ، إن عالم الغيب في مشاعر البعض مثل حواديت ، فمثل هؤلاء يفاجئون بعد الموت بعالم حقيقي أخطر وأعجب وأغرب من هذه الأشياء ، فيرون الملائكة ويفاجئون بالحساب والجنة والنار : ((وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَإِذَا هُم مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبّهِمْ يَنْسِلُونَ (51) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ))[7] ، لذلك قد تستخدم النار لتخويف الأطفال ، أما

---

(1) حديث حسن : (صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم : 1567) .
(2) رواه البخاري (6567)
(3) رواه ابن ماجه (4299) وفي صحيح الترغيب والترهيب (3)
(4) تزكية النفوس - (1 / 74)
(5) إحياء علوم الدين - (4 / 163)
(6) المؤمنون : 37
(7) يس : 51، 52

مثل هؤلاء الكبار فلا تستخدم النار لتخويفهم لأنهم ناضجين لا تتأثر مشاعرهم بهذه الأساطير ؟!! ، فهؤلاء مشاعرهم تقول : ((إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ))[1] وإن كان عندهم اقتناع ويقين تام وجازم بكل الغيبيات ولكنه اقتناعا ويقينا نظريا فقط .

ـ إن الذين يؤمنون بالخرافات والخزعبلات والأساطير أفضل حالا من الماديين الذين لا يؤمنون بما لا يرونه ، وذلك لأن عالم الغيب أعجب وأغرب من عالم الخرافات والخزعبلات ، وبالتالي تصور عالم الغيب أصعب من تصور الخرافات والخزعبلات ، إلا أن الخرافات والخزعبلات لا دليل لها ، فمثلا الذي يؤمن بوجود أشباح في أسطورة معينة أفضل حالا من الذي لا يؤمن بها من باب أنه لا يؤمن بغير ما يرى .

ـ عندما يرى الإنسان كابوس مرعب فإنه قد لا ينام عدة أيام فإنه كلما نام رأى الكابوس ، ويكون في حياته قلقا متوترا خائفا منزعجا وصورة الكابوس لا تفارق عينه ولا يستطيع أن ينساها ، فالآخرة أشد في خطورتها من أي كابوس لأن فيها أهوال أشد من أي كابوس ، فضلا عن أنها حقيقة وليس كابوسا ، فالذي يوقن بالآخرة يقينا حقيقيا دائما لا تفارق صورة الآخرة ذهنه : ((كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (5) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ))[2] .

ـ ربما تسمع أساطير عن إنسان رأى عفاريت وأشباح أو أن مكانا معينا مسكونا بالعفاريت ، هذه أمور مرعبة ، فالملائكة والجن من حولنا الآن أشد رعبا من هذه العفاريت فضلا عن أنها حقيقة ، فأي عاقل يوقن يقينا حقيقيا بأنه يعيش وحوله كائنات أكثر رعبا من العفاريت ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابتها ، وأي عاقل يوقن يقينا حقيقيا بأنه سوف يرى هذه الملائكة ويرى الأهوال ثم لا يشعر بالقلق والخوف من مهابة الأمر .

ـ والساحر يسحر لك أشياء تدعو للدهشة والعجب وقد تكون أشياء مخيفة أو مرعبة ، أما عالم الغيب فهو أعجب من ذلك لأنه أشد غرابة من السحر فضلا عن أنه حقيقة وليس سحرا .

ـ الحياة الدنيا تافهة ولا قيمة لها وأقل من أن تستحق الإهتمام بها وذلك بالمقارنة بالآخرة :

ـ على العكس مما سبق تماما ، فكل ما في الدنيا من أمور هامة وخطيرة ومشاغل كبرى وانجازات رهيبة ومسئوليات وتبعات ونظم إدارية ضخمة وشهوات وأموال ومتع ورفاهيات وتكنولوجيا رهيبة ومدنية حديثة فكل ذلك لعب ولهو وكم مهمل ولحظات وجيزة جدا ، ففي الحديث : ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء))[3] ، ففي الحديث : ((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع))[4] ، وفي حديث آخر : ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير))[5] .

ـ تصور قيمة الحياة الدنيوية الأرض وما بها في نظر أهل الآخرة :

ـ الإنسان عندما يذهب إلى الآخرة فيعيش حياة القبر ثم يعيش أهوال يوم الحساب ثم يعيش الحياة في الجنة أو في النار ، الإنسان في أي مرحلة من هذه المراحل يرى أيام عمره في الحياة الدنيوية ضئيلة وحقيرة ويندم على ما كان عليه من اهتمام بهذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض وهي لا تساوى شيئا ويتحسر على تفريطه .

ـ قيمة الحياة الدنيوية بين من يعيش في الدنيا من أجل الآخرة وبين من يعيش في الدنيا من أجل الدنيا :

---

(1) المؤمنون : من الآية 83
(2) التكاثر : 5 ، 6
(3) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3240)
(4) حديث صحيح (رواه مسلم ـ برقم 5156)
(5) تحقيق الألباني : حسن (صحيح الجامع برقم 2195)

ـ المؤمن يعيش الحياة الدنيوية وكل نظره على الآخرة وكل شيء يقيسه على أساس قيمته في الآخرة ، فهو يرى المتمتع بهذه الحياة ويعيش في شهواتها على أنه غير متمتع بل أنه يورد نفسه موارد الهلاك لأن هذه المتع تنقلب عليه عذابا فضلا عن أنها في حقيقتها متع ضئيلة زائلة مؤقتة ، وهو يرى المعصية التي فيها لذة هي في الحقيقة فيها عذاب لأنها تجره إلى ألم شديد في الآخرة .

ـ المؤمن يحدث دائما في ذهنه تصور عن الآخرة مرات عديدة في يومه وليله ، فهو مشغول بالآخرة باستمرار ، فالمؤمن يعيش الآخرة وهو في هذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض ، أما الذين يعبدون هذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض ويعبدون أهواءهم فيحدث دائما في ذهنه تصور عن هموم هذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض ومشاغلها وما يتعلق بالمال أو الشهوات أو المظاهر مرات عديدة في يومه وليله ، فهو مشغول بهذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض باستمرار .

ـ قيمة هذه الحياة الدنيوية بين إنسان عاد من الآخرة إلى الدنيا وبين من يعيشون فى الدنيا اليوم :

ـ تصور لو أن رجلا عاد من الآخرة إلى الناس ماذا يمكن أن يقول لهم ؟ إنه سوف يجد الناس يعتبرون هذه الحياة الدنيوية معيشتهم وأن حياتهم هنا في هذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض ، ويجد أمورا يراها الناس عظيمة جدا مثل أمور التقدم والتكنولوجيا الهائلة لكنه يراها لعب ولهو أمام أمور الآخرة .

ـ أصل الخلل هو غياب الإحساس بالغيبيات :

إذا أردنا أن نحدد بدقة متناهية تماما أصل أصول الخلل فنقول هو غياب الإحساس بالغيبيات ، فمحور حياة الإنسان وعمله وقيامه وقعوده وكل حركته وكل مشاعره من فرح وحزن وخوف ورجاء ... إلخ يدور حول واحد من اثنين لا ثالث لهما هما :

1ـ محور ما يراه الإنسان فقط ، أي محور الدنيا ، فهذا الإنسان محور حياته وفرحه وحزنه وردود أفعاله وكل شيء في حياته يدور حول أمور الدنيا من مال وطعام وشراب ومظاهر ....الخ ، وقد يكون محور حياته يدور حول واحدة من أمور الدنيا وليس كلها ، فقد تدور حياته حول محور الموضة أو المال أو ... الخ ، وهذا الإنسان يعبد الشهوة والدنيا من دون الله ، وهذا الإنسان دنيوي أي قضيته التي يعيش لها هي الدنيا .

2ـ محور ما لا يراه الإنسان ، أي الغيب ، فهذا الإنسان محور حياته وفرحه وحزنه وردود أفعاله وكل شيء في حياته يدور حول الغيب ، وهذا الإنسان يعبد الله ، وهذا الإنسان غيبي أو أخروي أو رباني أي قضيته التي يعيش لها هي قضية غيبية .

ـ ومعنى كلمة (دين) أو (عبادة) أي المحور الذي يدور حوله الإنسان بمشاعره وأيضا بعمله ، فإذا كان ذلك المحور الدنيا فالإنسان يعبد الشهوة ، وإذا كان ذلك المحور الغيب فالإنسان يعبد الله ، فأصل الدين أو العبادة هو خوف المهابة والحب والخضوع وخوف العقاب والرجاء ، فإذا توجه خوف المهابة والحب والخضوع وخوف العقاب والرجاء لله فذلك عبادة الله ، وإذا توجه للمال أو الدنيا فذلك عبادة الهوى .

ـ وكل إنسان أدرى بنفسه ، لكن لا يستطيع أحد أن يحدد هل فلان غيره محور حياته الدنيا أم الآخرة لأنها مسألة مشاعر لا يعرفها غير الإنسان في نفسه .

ـ الفرق بين اليقين النظرى واليقين الحقيقى بالبعث :

ـ لو أن إنسان مات منذ سنين وبلي جسمه ثم أخبروك أنه سوف يقوم حيا يسعى إليك وتراه وتتحدث معه ، إنه أمر مرعب يجعلك ترتعد وتخاف ، وسبب هذا الرعب أن ذلك الأمر خارق للأسباب ، إن هذا الأمر سوف يحدث بالفعل لجميع الناس ولكن أنت ستكون واحدا من هؤلاء الذين يقومون بعد أن ماتوا وفنيت أجسامهم ، إن هذا الأمر حقيقة فعلية وقادمة قريبا فلماذا لا تصاب بالخوف من مهابة هذا الأمر ولماذا لا تنشغل به ، ذلك لأن قضية البعث ليس لها قيمة في مشاعرك فأنت غافل

عنها كأنها لن تحدث على وجه الحقيقة .

ـ بل إنك كنت ميتا ثم أحياك الله ، فكنت نطفة ميتة لا روح فيها في رحم أمك ثم نفخ الله فيك الروح فأصبحت حيا ، وهذا ما تراه كل يوم لجميع الناس حيث يخلق الله الأطفال في الأرحام وينفخ فيها الروح ، إن ذلك أشد عجبا وغرابة وليس سحرا ولكنه حقيقة وخرق للأسباب ، فلماذا لا تشعر بالتحير والتعجب من مدى عظمة الخالق وقدرته فتشعر بالاستسلام والخضوع لقدرة الله : ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[1] ، وتشعر بضعفك وضآلتك حيث يفعل الله بك ما يشاء فيحييك ثم يميتك ثم يحييك : ((قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ))[2] .

ـ والزروع تراها أمام عينك بذور ميتة تتحول إلى أشجار حية تتنفس وتكبر ثم تموت ، فإذا لم يؤثر كل هذا في الإنسان فيشعر بالرهبة من أمر البعث وخطورته ويشعر بالخضوع والاستسلام لله ، فهذا معناه أن الإيمان بالبعث هو إيمان نظري فقط وليس إيمانا حقيقيا .

ـ فلو أن إنسان وضع في يده حفنة من التراب ثم قال لك انظر إلى هذا التراب فلما نظرت إليه وجدته يتحول إلى برتقالة ! ، إنك تقول إن هذا الإنسان ساحر ، إن هذا الأمر يحدث بالفعل ولكن الساحر هنا ليس إنسان ولكنه بذرة البرتقال حيث تستطيع بذرة شجرة البرتقال أن تستخدم تراب الأ رض وتحوله إلى برتقال ! ، وهكذا كل النباتات والزروع ، وفي الحقيقة فإن بذرة البرتقال ليس لديها القدرة على عمل ذلك ولكن هناك قوة خارجية خفية هي التي تمكن بذرة البرتقال من هذا العمل .

ـ فالتراب الذي هو جماد تحول إلى كائن حي (نبات) : ((وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ))[3] .

****
****

ـ الإحساس بخطورة السفر إلى الآخرة

ـ نحن مسافرون من كوكب الأرض في المجموعة الشمسية إلى أرض المحشر حيث نترك هذه الحياة المؤقتة على كوكب الأرض إلى الحياة الجديدة والإقامة الدائمة وتبدأ الرحلة من حيث الموت ! وتنتهي بالوصول إلى أرض المحشر ثم الانتقال إلى عالم المتع والشهوات (الجنة) أو المعيشة الدائمة داخل نار محرقة .

ـ الإحساس بالموت :

ـ الموت معناه تسليم الأمانة لصاحبها ! ، فالله هو المالك لكل شيء ، فأنت تعيش في ملك الله وعلى أرض الله ، والهواء الذي يتنفسه ملك لله ، والشقة التي تسكن فيها هي ملك لله ، وأنت نفسك وجسمه ويدك وزوجتك وأولادك ملك لله تعالى ، وكل ذلك أعطاك الله إياها كأمانه يستردها في موعد محدد ، هذا الموعد هو الموت ، فالموت هو سلب لكل النعم ، والإبتلاء هو سلب لبعض النعم ، فـ الموت معناه أن تترك كل شيء مالك وأهلك ووظيفتك وأعضاؤك وروحك التي تجعلك تتحرك ، وكل ذلك ليس ملكا لك وإنما أمانة يستردها الله منك ، فهذا هو معنى الموت ، فمن عرف معنى الموت معرفة حقيقية فإنه لا يفزع من الموت لأنه إعطاء الأمانة لصاحبها وأنت محبا له لأنه جعلك تستفيد منها طوال هذه المدة التي عشتها في الدنيا .

ـ لا يتحقق الإيمان بغير الإيمان بالموت ففي الحديث : ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالموت ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر

---

(1) البقرة : 28
(2) عبس : 17 ـ 19
(3) العنكبوت : 63

خيره وشره))[1] .

ـ إن كل إنسان عنده اقتناع نظري تمام وبلا أدنى شك أنه سيموت ويترك كل شيء ، لكن بلسان المشاعر فكأنما يقول : لن أموت أو لا أريد أن أموت ، خاصة إذا كان صاحب جاه ومنصب ودنيا وممتلكات فكون أنه يموت ويكون تحت التراب فهذا في لغة المشاعر هراء ولا يمكن أبدا ! ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[2] ، إن الإنسان لو شعر فعلا بالموت لشعر بـ الخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلي من الإنسان هي التي تميته و تفعل به ما تشاء هي قوة الله تعالى ، وشعر بالخضوع لمن له هذه القوة ، ولتغير حاله تماما ، كما أن الناس لو شعروا بالموت لما نظروا إلى أصحاب الجاه والمناصب والممتلكات نظرة تعظيم ، ولكن الموت في مشاعر البعض كلمة عادية روتينية فلا يشعر بما تعنيه الكلمة من خطر ، حيث كلمة الموت في لغة المشاعر تعني فقدان كل شيء وتعني ذهاب عن الدنيا بلا رجعة ، إن الرسول (ص) يأمرنا بـ الذهاب إلى المقابر لا لنعرف ونقتنع بأننا سنموت فكل إنسان علي اقتناع نظري تام بالموت ولكن لنشعر بالموت ونتصوره ، إن الإحساس بخطورة الموت يؤدي إلى شعور بضآلة الدنيا وشعور بغباء مَنْ يسعى لها ، فأيهما يفضل الإنسان ويريد ؟ حياة الدنيا أم حياة الآخرة ؟ : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى))[3] ، كما أن الذي يشعر بالموت لا يهمه كل مصائب الدنيا لأ نها أقل من مصيبة الموت ، ولأن مصائب الدنيا تعني ترك جزء مما تملك من صحة أو مال أو ممتلكات .. إلخ ، أما الموت فهو ترك كل شيء ، إذن سواء تركت شيئا مما تملك في حياتك أم لم تترك فالنهاية واحدة هي أنك تترك كل شيء عند الموت ، فهذا يعني عدم الاكتراث وعدم السخط و الغضب علي مصائب الدنيا ، والذي يوقن يقينا حقيقيا بالموت فإنه يعيش حياته يعبد الذي يميته : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ))[4] ، فهناك من وضع للإنسان شيء اسمه الشيخوخة لكي يعلم الإنسان أنه لا يمكن أن يخلد في الدنيا وأن هناك من قد ّرَ عليه الموت : ((وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ))[5] ، ومهما حاول الإنسان التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضي أم لم يرضى ، شعر بذلك أم لم يشعر ، وقد سبقه الكثير إلى هناك ولكن من عنده مشاعر يحس بها ؟ ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ))[6] ، وإنه غدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟ .ا

ـ والموت يسمى هاذم اللذات لأن من يشعر بأنه سيموت يوما ما فإن حياته وما فيها من متع ولذات سوف تتكدر ، وفي الحديث : ((أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت))[7] ، وفي حديث آخر : ((أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا ، قال فأي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الأكياس))[8] ، فكيف يفرح الإنسان بشيء هو مفارقه : ((ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي أن يتذكر في الحال أنه لابد له من مفارقته ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها ثم بكى فقال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته))[9] ، وفي الحديث : ((استحيوا من الله حق الحياء قال قلنا يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله قال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ولتذكر الموت

---

(1) تحقيق الألباني (صحيح) : (صحيح الجامع برقم 7584)
(2) البقرة : 96
(3) النازعـات : 37
(4) يونس : من الآية 104
(5) يـس : 68
(6) قّ : 37
(7) تحقيق الألباني (صحيح) : (صحيح الجامع : برقم 1210)
(8) حديث حسن : (صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 3 ، برقم : 3335)
(9) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (ج 7 / ص 141)

والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء))[1] ، وفي الحديث : ((اذكر الموت في صلاتك فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحري أن يحسن صلاته وصل صلاة رجل لا يظن أنه يصلي صلاة غيرها وإياك وكل أمر يعتذر منه))[2] ، وفي الحديث : ((اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واحسب نفسك مع الموتى واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة))[3] ، وفي رواية أخرى : ((اعبد الله كأنك تراه وعد نفسك في الموتى))[4] ، وفي الحديث : ((ما حق امرئ مسلم تمر عليه ثلاث ليال إلا وعنده وصيته قال عبد الله بن عمر ما مرت علي منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي))[5] ، ولذلك يقول تعالى : ((إنك ميت وإنهم ميتون))[6] ولم يقل إنك ستموت وإنهم سيموتون حتى يعد الإنسان نفسه من الموتى .

ـ ورد عن حذيفة بن اليمان كان يقول : ((ما من صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي : يا أيها الناس الرحيل الرحيل ، وإن تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل : إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم قال : في الموت أو يتأخر قال : في الموت))[7] .

ـ الإنسان إذا نظر إلى ما هو الذي يريده من الدنيا في مستقبله ، هل يأكل ويشرب ويحصل على المال والدنيا والشهوات والمظاهر ؟ ولكن ثم ماذا بعد ؟ ماذا بعد أن يحقق ذلك كله ؟ ، إنه يترك كل ذلك ويموت ، فإذا تفكر الإنسان في ذلك فإنه يصفو قلبه ويتحرر من عبادة الهوى وتزول الغشاوة من على قلبه فيفيق وينتبه ويتيقظ لحقيقة ما ينتظره في الآخرة ، إذن الذي يوقن يقينا حقيقيا بالموت والآخرة فإنه لا يلهث وراء الدنيا ويعبدها ، وفي الحديث : ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا))[8] .

ـ فالموت عند المؤمن هو اليوم المنتظر ، فهو يعيش عمره ينتظر هذا اليوم الذي بعده السعادة الأبدية ، أما المنافق فيتجاهل ذلك اليوم فلا يريد أن يلقى الله : ((إِنّ الذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُنْيَا وَاطْمَأنُوا بِهَا وَالذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أولئِكَ مَأوَاهُمُ النّارُ بِمَا كانُوا يَكسِبُونَ))[9] ، ((بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً))[10] ، ((إِنّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً))[11] .

ـ فنسيان الموت وتجاهله مثل نسيان الآخرة ونسيان الله ، فإن جميع الناس يؤمنون بالموت ويوقنون به تماما لكن لا يتأثرون بالموت مطلقا كأنه شيء غير مؤثر وكأنه غير موجود ، كذلك الإيمان واليقين بالله وبالآخرة موجود لكنه يقين نظري بلا أثر في النفس أو الهم أو المشاعر ، بل إن البعض قد يعجب : وهل معرفة الإنسان بالله والآخرة أمور مؤثرة ؟!! وكأن عظمة الله الهائلة وقدرته الفائقة وعلمه الهائل وأهوال القيامة ونعيم الجنة كل ذلك مسألة معلومات يقتنع بها الإنسان فحسب !! .

ـ بعض الناس اهتدوا بسبب أنهم رأوا أحدا مات فتأثرت مشاعرهم وأيقنوا بالموت وبأنهم سيموتون ، خاصة لو كان صديقا حميما وكان شابا صغيرا .

ـ كل الناس يحبون المال ويكرهون الموت وهذا أمر مذموم ، ولكن تزيد محبة المال وتزيد كراهية الموت حتى تصبح ذنبا عظيما ، وهو ما يقع فيه الناس اليوم ففي الحديث : ((يوشك الأمم أن

---

(1) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458)
(2) تحقيق الألباني : حسن (صحيح الجامع برقم : 849)
(3) تحقيق الألباني : حسن (صحيح الجامع برقم : 1037)
(4) تحقيق الألباني : حسن (صحيح الجامع برقم : 1038)
(5) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 6 ، ص : 239 ، برقم : 3618)
(6) الزمر : 30
(7) الزهد – لابن أبي الدنيا : (ج 1 / ص 54)
(8) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458)
(9) يونس : 7 ، 8
(10) الفرقان : من الآية 40
(11) النبأ : 27

تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت))[1] ، وحب الدنيا قد يكبر ليصبح عبادة للدنيا ، وكراهية الموت قد تكبر لتصبح كفرا بالموت .

ـ فالإنسان يعيش ولا يريد أن يموت كأنه سيخلد في الدنيا ويحب المال حبا كبيرا ففي الحديث : ((يهرم بن آدم ويشب منه اثنتان الحرص على العمر والحرص على المال))[2] ، وفي تفسير الخازن : (({ وتحبون المال حباً جمّاً } أي كثيراً والمعنى يحبون جمع المال ، ويولعون به ، وبحبه ، { كلا } أي لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا ، من الحرص على جمع المال وحبه))[3] ، فهذه الآيات والأحاديث تبين أن هناك مرضا خطيرا متفشي بين الناس وهو الحرص على العمر وحب الدنيا حبا جما وكراهية الموت إلى درجة الرعب ، وليست تبين ذلك على أنه طبيعة فطرية في الإنسان معذور بها ، ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ))[4] ، ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[5] ، ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ))[6] .

ـ من الآثار التي تدل على عدم وجود الإيمان بالموت ، هو أن البعض يعيش حياته كأنه لن يموت ، فيهتم بمسكنه الذي يسكن فيه اهتمام من هو خالد فيه كأنه دار إقامته غير مبالي أن داره ليست هنا ، ويهتم بصحته اهتمام من هو خالد كأنه لن يموت ، ويهتم بممتلكاته اهتمام من هو خالد كأنه يأخذها معه عند رحيله من الدنيا ، ويهتم بأمور الدنيا اهتمام من هو خالد فيها كأن الدنيا هي دار إقامته ، ولذلك ففي تفسير الرازي : (({ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } المصانع مآخذ الماء ، وقيل القصور المشيدة والحصون { لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ } ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد ، وفي مصحف أبي : (كأنكم) ، وقرأ (تخلدون) بضم التاء مخففاً ومشدداً ، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف ، أو على الخيلاء ، والثاني : إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر))[7] ، أما الإنسان الذي يوقن يقينا حقيقيا بأنه سيموت ويلقى الله فإنه يعيش مثل الذي يعيش في غربة في بلد ما ، فليست قضيته واهتمامه الأكبر أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فإن الذي يري أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، ففي الحديث : ((عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها))[8] ، فالرسول (ص) بذلك لم يكن يرفض التكنولوجيا والعلم الحديث والذي كان يتمثل في عهده في فراش لين بدلا من الحصير ، لكن ذلك ليس الذي يشغل همه وفكره ومشاعره ، وإنما الهم الأكبر الذي كان يشغل همه وفكره ومشاعره هو الآخرة ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : ((مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌّ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن أبي داود ، ج : 4 ، ص : 111 ، برقم : 4297)
(2) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ، ج : 4 ، ص : 570 ، برقم : 2339)
(3) تفسير الخازن - (ج 6 / ص 262)
(4) الجمعة : من الآية 8
(5) البقرة : 96
(6) ق : 19
(7) تفسير الرازي - (ج 11 / ص 494)
(8) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3283)

وسلم : مَا أرَى الأمر إلا أعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ))[1] ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : ((إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل))[2] .

ـ فالإنسان يعيش حياته وهو يتناسى الموت ويتغافل عنه ويتجاهله كأنه لن يموت ، رغم أن يعرف ذلك ويوقن به (يقينا نظريا) لكنه يتغابى ويتشاغل ويتلهى عنه .

ـ الشعور بأن الموت متوقع في أي وقت الآن :

ـ هناك فرق بين المعرفة النظرية بأن الموت يأتي بغتة في أي لحظة وبين الإحساس بذلك ، فالشعور بأن الموت يأتي بغتة في أي لحظة يعني شعور مستمر بالقلق والخوف وتوقع الموت في أي لحظة ، وبالتالي القلق والخوف من أنك تنتقل إلى الآخرة في أي لحظة ، فالإنسان بطبيعته يحب الحياة و الموت مخيف بالنسبة له ، والآخرة مخيفة أكثر ، ويقول أبو حامد الغزالي : ((قال الحسن رحمه الله تعالى : فضح الموت الدنيا فلم يترك لذى لب فرحا .... ، وقال إبراهيم التيمي : شيئان قطعا عني لذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل ، وقال كعب : **من عرف الموت** هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها))[3] ، وأنت تسمع كل أن مات فلان ومات فلان وسوف يأتي اليوم الذي ينادى فيه باسمك !! .

ـ الإحساس بالشيخوخة والتعرض للأمراض والمحن :

ـ إن كل إنسان عنده اقتناع نظري تمام وبلا أدنى شك أنه قد يصل إلى سن الشيخوخة وتضعف قواه أو أنه قد يتعرض لأمراض أو محنة ، لكن بلسان المشاعر فكأنما يقول : لن أمرض او أضعف أو أصل إلى الشيخوخة أو لا أريد أن أمرض او أضعف أو أصل إلى الشيخوخة ، فهذا في لغة المشاعر هراء و لا يمكن أن يحدث أبدا ! ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[4] ، إن الإنسان لو انتبه فعلا بأنه قد يتعرض للمرض والمحن لشعر بالخوف والقلق وشعر بمدي ضعف الإنسان وشعر بأن هناك قوة أعلي من الإنسان تفعل به ما تشاء ، وشعر بالخضوع لهذه القوة ، ولتغير حاله تماما ، ولذلك من الناس من إذا وصل إلى سن الشيخوخة ، أو من النساء من إذا وصلت إلى سن اليأس ، أو إذا تعرض لمرض أو محنة فإنه يستنكر ذلك ولا يسلم به ويحدث له اكتئاب شديد لأنه لا يريد لنفسه أن يمرض ولا يريد أن يموت رغم أن الناس من حوله يمرضون ويموتون ، فهو بمشاعره يعترض أولا على إمكانية حدوث المرض أو المحنة ، وينشأ عن ذلك أنه يعترض أيضا بمشاعره على الله وأن ذلك مقدر أو بأن هذا ظلم وتعدي من الله عليه بدون وجه حق ، ونفس الشعور قد يحدث له عند خروج الروح لأنه يُسلب كل شيء .

ـ خوف المهابة من الموت (الشعور بألم الفراق) :

ـ هو شعور بالخوف والإشفاق من هيبة الفراق ومن ترقب يوم الفراق حيث يسلب منه كل شيء ، وهذا الشعور هو المميز لوجود اليقين الحقيقي بالموت .

ـ ألم الفراق يحدث بعد أن يفارق الإنسان ما يحبه وما يعتاد عليه ، ويحدث أيضا قبل أن يفارق الإنسان ما يحبه وما يعتاد عليه إذا أيقن يقينا حقيقيا بأنه سيفارقه من هيبة ما سيحدث ، خاصة إذا علم أن فراقه قد اقترب .

ـ الإنسان في الدنيا لا يزال لم يفارق أحد ، لكنه يوقن بأنه حتما سيفارق الدنيا ، ويوقن بأن الدنيا ما هي إلا أيام معدودة وأنه يقترب من الموت وفراق الدنيا ، وفي الحديث : ((أتاني جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به واعلم

---

(1) رواه ابن ماجه (4299) وفي صحيح الترغيب والترهيب (3)
(2) سير أعلام النبلاء (ج : 11 ، ص : 215) ، وفي صفوة الصفوة (ج : 2 ، ص : 345)
(3) إحياء علوم الدين ومعه تخريج الحافظ العراقي - (ج 7 / ص 138)
(4) البقرة : 96

أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس))[1] . |

ـ فإذا لم يشعر بألم الفراق ، فهذا يعني أنه مطمئن بالدنيا ، وأن يقينه بأنه سيموت هو فقط يقين نظري وليس حقيقي ، وهذا يعني غياب الإحساس بالموت ، فالمؤمن عنده استعداد نفسي لأن يترك أهله وزوجته وأولاده وأصحابه ووطنه وأعماله التي تعود عليها وماله وكل شيء ، وهو يشعر أن ذلك وشيك وسوف يحدث خلال أيام قليلة هي ما بقي له من أيام الدنيا القليلة ، وهذا الشعور فيه إحساس بألم الفراق .

ـ عدم الشعور بألم الفراق معناه الشعور بالرضا والاطمئنان بالأهل والمال والدنيا : ((إِنّ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدّنْيَا وَاطمَأنوا بِهَا وَالّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النّارُ بِمَا كانوا يَكْسِبُونَ))[2] .

ـ الحالة النفسية للشعور بألم الفراق :

ـ هناك قدر من الحب الفطري للإنسان وارتباط بالمال والأهل والدنيا ، فمفارقة ذلك أمر خطير يستدعي خوف المهابة .

ـ فالشعور بألم الفراق هو شعور بالقلق وعدم الارتياح النفسي ، وبمعنى آخر : الإنسان الذي حكم عليه بالإعدام واقترب موعد تنفيذ الحكم بماذا يشعر ؟ ، إنه يشعر بألم الفراق ، هذه الحالة النفسية التي عند هذا الرجل هي معنى الشعور بألم الفراق ، وكل الناس قد حكم الله عليهم بالإعدام فقضى عليهم بالموت ، واقترب موعد تنفيذ ذلك الحكم ، فمن لم يشعر بهذه الحالة النفسية التي عند الرجل الذي ينتظر تنفيذ حكم الإعدام فيه ، أو حتى شيئا من هذه الحالة النفسية فهو لا يوقن يقينا حقيقيا بأنه سيموت وبأن موعد الموت قد اقترب .

ـ وكذلك السجين يشعر بألم الفراق والإبتعاد عن أهله ولو مؤقتا ، فمن لم يشعر بشيء من هذه الحالة النفسية التي عند هذا الرجل فهو لا يوقن يقينا حقيقيا بأنه سيموت وبأن موعد الموت قد اقترب .

ـ الإحساس بخطورة أننا مسافرون :

ـ لو قيل أن بعض الناس يستعدون للسفر إلى كوكب آخر عبر الفضاء لكان ذلك العجب والدهشة ، فهل تتصور أننا مسافرون لما هو أعجب من ذلك وأبعد من ذلك إلى الدار الآخرة ؟! ، فهل أنت في انتظار حياة غير الحياة التي تعيشها الآن وطعاما غير الطعام الذي تأكله ؟! ، وسكنا غير السكن الذي تسكن فيه ؟! ، وهل تشعر أن البيت الذي تسكن فيه ليس هو بيتك ، إنما بيتك هناك ، وأن هناك مَنْ ينتظرك الآن من الحور العين (إن شاء الله تعالى) ؟! ، هل في شعورك أن الطعام الذي تأكله هو طعام مؤقت ، وأن السكن الذي تسكن فيه هو سكن مؤقت ، أم أنك تشعر أنه سكن دائم ؟! ، إن الذي يري أن طعامه إنما هو في الآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : ((إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل))[3] ، فهل تشعر بالترقب والانتظار ليوم العودة إلى وطنك وأهلك ؟! ، وهل تشعر أنك تعيش الآن في بلد الغربة (الدنيا) ؟! ، وهل عندك شعور بأنك مفارق الناس وكل ما تملك ، وهل تشعر بالترقب والانتظار لمجيء اليوم الذي تصل فيه إلى بيتك بعد سفر طويل ؟! ، إن الذي يشعر فعلا بعالم الغيب فإنه يشعر بالموت علي أنه مجرد مرحلة ينتقل به إلى حياة أخري فلا يكره الموت ولا يكن مرعوبا منه ، وعندما يأتيه الموت فإنما يأتيه مَنْ كان ينتظره علي موعد وأنه ليس النهاية وإنما هو البداية للحياة الحقيقية ، أما الذي لا يشعر بعالم الغيب فإنه يعيش كأنه لن يموت ، فالموت عنده مجرد اقتناع نظري ، وعندما يأتيه الموت يشعر أنه هو النهاية ، ولا يريد أن يموت ، ويكره مَنْ يقبض روحه ، لأنه يرى الدنيا دار سعادة ويرى في الموت النهاية

(1) تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : 73 في صحيح الجامع .
(2) يونس : 7 ، 8
(3) سير أعلام النبلاء (ج : 11 ، ص : 215) ، وفي صفوة الصفوة (ج : 2 ، ص : 345)

وليس بداية الحياة الحقيقية (في الآخرة) وهذا يمثل الحقيقة الموجودة في مشاعره ، وإن كان في اقتناعه عكس ذلك تماما فهو على يقين تام بأن الدنيا فانية ضئيلة وأن الموت مجرد انتقال إلى الحياة الباقية لكنه يقين نظري فقط ، فهل لديك شعور بأن هذا السفر هو سفر نهائي وأنه سفر بلا عوده ؟! ، وقد سبقك إليه الكثيرون والدور في انتظارك ، والرحيل مفاجئ وفوري وبلا رجعة ، ف القضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟ ، إنها ليست موعظة ورقائق ولكنها حقائق ومشاعر حقيقية في النفس ، يتضح الآن أن عالم الغيب في نظرك ليس إلا اقتناع نظري وليس له وجود في مشاعرك ، فمشاعرك تقول أننا لسنا في دار غربة ولسنا على سفر ، ومشاعرك تقول : ((إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))[1] رغم أن الاقتناع النظري تام بالآخرة ، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضيت أم لم ترضى أعجبك الأمر أم لم يعجبك شعرت بذلك أم لم تشعر ، ومهما كانت الظروف والأوضاع من الفقر أو الغنى من الراحة أو التعب من طاعات أو معاصي ، ومهما تبدلت الظروف والأوضاع فذلك لن يغير من حقائق الأمور شيء ، وقد سبقك الكثير إلى هناك والدور في انتظارك قد أوشك فعلا وتكاد تصل ، وهذا التغافل والتعامي لن يغير من حقائق الأمر شيء فالملكين من حولك والله ناظر إليك والآخرة أمامك سواء رضيت أم لم ترضى سواء أخذت تبرر لنفسك ما تفعل أم لم تأخذ ، فالحقائق الغيبية التي نعيش فيها والتي في انتظارنا رهيبة ولكن أين مَنْ عنده مشاعر يحس بها : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ))[2] ، فإنك تظن أنك تفر من الموت بأن تتغافل عن أن تشعر به وإن كنت مقتنعا به تماما وأنه ملاقيك ، ففي الحديث : ((أتاني جبريل فقال يا محمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب مَنْ شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس))[3] .

ـ فالدنيا هي دار فرار والآخرة هي دار القرار : ((فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ))[4] ، ف المسلم يعيش حياته مثل الهارب الذي يفر من العدو الذي يطارده ويلاحقه ويتربص به فهو دائما في حالة فرار إلى الله ، إذن أنت واقع الآن في خطر وعليك أن تفر من هذا الخطر ، والفرار هو الجري السريع بعيدا عن العدو في خوف لأنه لو أدركك لقتلك ، فأنت واقع في خطر هو الشيطان والدنيا ، وعليك أن تفر أيضا من الله إلى الله لأنه شديد العذاب لأنه لن ينجيك من عذابه ومن الشيطان ومن الدنيا إلا الله سبحانه ، وعن مالك بن دينار قال : ((إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم ، ففي الدنيا حييتم ولغيرها خلقتم ؛ إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه ، ومثل الدنيا مثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوي إليها الصبيان بأيديهم))[5] ، ولاحظ أن الآية لم تقل واجه العدو ولكن قالت : (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ) ، فلا تكن من المتنافسين على الدنيا المتهالكين عليها ودعهم يتنافسون عليها ، فهؤلاء مثل الكلاب المسعورة تتنافس على جيفة قذرة ! ، ففي تفسير البحر المديد : ((الاستعاذة الحقيقية من الشيطان هي الغيبة عنه في ذكر الله أو شهوده ، فلا ينجح في دفع الشيطان إلا الفرار منه إلى الرحمن . قال تعالى : { ففروا إلى الله } ، فإن الشيطان كالكلب ، كلما اشتغلت بدفعه قوي نبحه عليك ، فإما أن يخرق الثياب ، أو يقطع الإهاب ، فإذا رفعت أمره إلى مولاه كفه عنك ، وقد قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه : عداوة العدو حقًا هو اشتغالك بمحبة الحبيب حقا ، وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو ، فاتتك محبة الحبيب ، ونال مراده منك))[6] ، وفي تفسير اللباب : (({ ففروا إلى الله

---

(1) المؤمنون : 37
(2) قٓ : 37
(3) السلسلة الصحيحة (831)
(4) الذاريات : 50
(5) مختصر صفة الصفوة - (ج 1 / ص 308)
(6) البحر المديد - (ج 3 / ص 297)

لله } أي فاهربُوا من عذاب الله إلى ثوابه بالإيمان والطاعة ، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : فروا منه إليه واعملوا بطاعته ، وقال سهل بن عبد الله : فروا ممّا سوى الله إلى الله))[1] .

ـ الناس صنفين هما :

1ـ الصنف الأول : هم الذين يتطلعون ويترقبون وينتظرون ويتوقعون ويرجون الموت والآخرة ولقاء الله تعالى :

ـ فهؤلاء يعيشون في الدنيا معيشة من يقف في مكان ما ينتظر أحدا على موعد لمقابلته وهو قلق ينظر في الساعة دائما ويتلفت يمينا وشمالا لعل من ينتظره قادم الآن ، فلحظات الانتظار هذه هي فترة عمره يبقى طوال حياته الدنيوية في حالة ترقب وانتظار وتوقع مجيء الموت والآخرة ولقاء الله في أي لحظة وإعلان النتيجة لما يصنعه في الدنيا .

ـ فهؤلاء يعيشون سنوات عمرهم في حالة تأهب وترقب واستعداد نفسي متطلعين إلى اليوم المحتوم الذي يعيشون من أجله منتظرين مجيء اليوم الذي يصلون فيه إلى بيتهم بعد سفر طويل !
.

ـ وهؤلاء يعيشون حياتهم معيشة المسافر عابر السبيل الذي ينظر إلى الحياة الدنيوية على أنها مؤقتة فانية وأنه راحل إلى حياة الخلود حيث داره وأهله ومعيشته .

ـ وهؤلاء عندهم شعور بالترقب والانتظار والتطلع والطموح إلى الآخرة ولقاء الله ، فذلك هدفهم وغايتهم التي يعيشون من أجلها .

ـ وهؤلاء يريدون الآخرة ولا يريدون الدنيا ، يعيشون معيشة المتوقع المنتظر مجيء الموت والآخرة ولقاء الله .

ـ وهؤلاء يعيشون في حالة قلق وإشفاق وخوف من الآخرة ، ويستمر ذلك طوال حياتهم وأثناء أداءهم للأعمال ، وبالتالي عندهم صبر على ما في الدنيا من آلام أو من ترك الشهوات انتظارا لشهوات أخرى بديلة هي أعظم ولا تنتهي .

ـ فاليقين الحقيقي بالآخرة يؤدي إلى شعور باقتراب الآخرة وشعور بالترقب والانتظار والتطلع إلى الآخرة ولقاء الله ، وهذا الانتظار فيه قلق وإشفاق وخوف وفيه أيضا طموح وأمل في الجنة ، ويكون عنده استعداد نفسي وتأهب للموت واستعداد نفسي لترك الأهل والمال والطعام والشراب ، ويكون عنده خوف من الآخرة وحب للجنة وخوف من النار .

ـ وهؤلاء عندهم صبر طويل ، فهم يصبرون على الدنيا منتظرين الآخرة ، والصبر على الدنيا معناه أن يصبر الإنسان مدة الستين سنة أو أكثر أو أقل حسب عمر الإنسان باعتبار أن هذه السنوات ما هي إلا لحظات منتهية ضئيلة في عمر الآخرة ، فالذي يوقن فعلا بالآخرة ويشعر بها فإنه يصبر على أيام هذه الدنيا حتى تنقضي ، لأن الإنسان منشغل عن الدنيا بانتظار الآخرة ، ولأنه يشعر بأن الدنيا عابرة وتمر سريعا : ((فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً ، إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً ، وَنَرَاهُ قَرِيباً))[2] .

ـ وعدم وجود هذا الشعور بالاستعداد والتأهب والتطلع إلى الآخرة معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة .

ـ وفي تفسير أبي السعود : ((وارجوا اليوم الأخر أي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الأهوال وافعلوا اليوم من الأعمال ما تأمنون غائلته))[3] .

---

(1) اللباب في علوم الكتاب - (ج 14 / ص 402)
(2) المعارج : 5 ـ 7
(3) تفسير أبي السعود - (7 / 39)

ـ ((فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))[1] ، ((مَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ اللهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ))[2] .

ـ إذا كان اليقين الحقيقي بأن الآخرة دار استقرار فلابد من وجود الشعور بقلق الانتظار .

2ـ الصنف الثاني : وهم الذين لا يتطلعون ولا يترقبون ولا ينتظرون الموت والآخرة ولقاء الله تعالى ، فيعيشون حياة التلهي بالدنيا والاندماج والاطمئنان بأمور لعبها ولهوها :

ـ هؤلاء لا يريدون أن يموتوا فيعيشون كأن الموت لن يأتيهم ، وهم مشغولون بالدنيا لا يترقبون الآ خرة .

ـ ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ (7) أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كانُوا يَكْسِبُونَ))[3] ، وفي أيسر التفاسير للجزائري : ((لا يرجون لقاءنا : أي لا ينتظرون ولا يؤملون في لقاء الله تعالى يوم القيامة ، ورضوا بالحياة الدنيا : أي بدلا ً عن الآخرة فلم يفكروا في الدار الآخرة ، واطمأنوا بها : أي سكنوا إليها وركنوا فلم يروا غيرها حياة يُعمل لها ، غافلون : لا ينظرون إليها ولا يفكرون فيها))[4]. وفي تفسير التسهيل لعلوم التنزيل : ((إن الذين لا يرجون لقاءنا ... وقيل لا يرجون لا يتوقعون أصلا ولا يخطر ببالهم ورضوا بالحياة الدنيا أي قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم واطمأنوا بها أي سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها والذين هم عن آياتنا غافلون))[5] ، وفي تفسير البحر المديد : (({ إن الذين لا يرجون لقاءَنا } أي : لا يتوقعونه))[6] .

ـ ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ))[7] ، ((بَلْ كانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا))[8] ، ((إِنَّهُمْ كانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا))[9] ، ((مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا))[10] .

ـ لاحظ أن الكفار عندهم انتظار أيضا ولكن ليس للآخرة فهو انتظار لعدم مجيء الآخرة في نظرهم ، وبالتالي هذا الانتظار لن يؤثر على مشاعرهم ولا همومهم في شيء لأنهم ينتظرون شيئا لن يحدث في نظرهم فيعيشون مطمئنين للدنيا غير منتظرين الآخرة : ((فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ))[11] ، كأنهم يقولون نحن ننتظر عذاب النار الذي تزعم بوجوده فإنه لا يأتينا .

ـ وعدم وجود هذا الشعور بالاستعداد والتأهب والتطلع إلى الآخرة يعني عدم وجود الإحساس بقدر الآخرة ، وفي تفسير القرطبي : ((والذين كفروا عما أنذروا معرضون مولون لاهون غير مستعدين له ويجوز أن تكون ما مصدرية أي عن إنذارهم ذلك اليوم))[12] ، وفي تفسير الطبري : ((القول في تأويل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون .... وهم في غفلة معرضون يقول وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة وعن دنو محاسبته إياهم منهم واقترابه لهم في سهو وغفلة وقد أعرضوا عن ذلك فتركوا الفكر فيه والاستعداد له والتأهب جهلا منهم بما هم لا

(1) الكهف : 110
(2) العنكبوت : 5
(3) يونس : 7 ، 8
(4) أيسر التفاسير للجزائري - (2 / 450)
(5) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى - (1 / 480)
(6) البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (3 / 194)
(7) يونس : 15
(8) الفرقان : 40
(9) النبأ : 27
(10) نوح : 13
(11) السجدة : 30
(12) الجامع لأحكام القرآن (ج : 16 ، ص : 179) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .

اقوه عند ذلك من عظيم البلاء وشديد الأهوال))[1] .

ـ الإحساس بمدى الخطر في الآخرة :

ـ إن كلمة الآخرة تعني المصير المرعب والمخيف الذي أنت مقبل عليه ، وتعني الأهوال العظيمة ، فلماذا لا تشعر بخوف المهابة والقلق من أهوال القيامة ؟ فمن أسماء الآخرة (يوم الحسرة) و(يوم الزلزلة) و(يوم تشخص فيه الأبصار) ، و(الغاشية) وفي تفسير البحر المحيط : (({ هل أتاك حديث الغاشية } والغاشية : الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يوم القيامة))[2] ، وهو ((يَوْماً يَجْعَلُ الوِلدَانَ شِيباً))[3] ، إن الآخرة هي أخطر شيء في حياة الإنسان ، وأهوال القيامة من أشد ما يمكن ومن أخطر ما يمكن ، وما نشعر به من ذلك الخطر لا يساوي واحد علي مليون أبدا ، فالأمر يقابله البعض ببرود في حين أن أي أمر من أمور الدنيا تجد المشاعر تتفاعل والخوف شديد ، وأنظر إلى شدة خوف الرسول (ص) والصحابة والتابعين والصالحين من الآخرة ، فلو جاء إلينا إنسان من ا لآخرة فرأي حالنا لأصابته سكتة قلبية من حال البعض وبرود أعصابهم تجاه هذا الخطر المحدق ، أنظر كيف يعبر القرآن عن هذا الخطر ((يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ))[4] ، فهل رأيت إنسان أصابه السكر من شدة العذاب ، إن الذي يقول أن ما يحدث في الآخرة هو خيال لا يصدق هو أفضل حالا من الغافل عن الآخرة ، وإن الذي يشعر بخطورة الآخرة علي أنها فيلم مرعب يثير الفزع والرعب فهو رغم خطأه الفادح أفضل حالا ممَنْ تكون الآخرة في شعوره عادي ، فلابد أن تشعر بمدي ما أنت مقبل عليه ، وكيف لا يهتم إنسان بأن يشعر بما هو مقبل عليه ، إن الآخرة التي في مشاعر البعض تختلف عن الآخرة الحقيقية ، فإن الآخرة التي في مشاعر بعض الناس اليوم هي آخرة أليفة ودودة لا مشكلة فيها ولا خطر فيها ، وإن شعورهم بالآخرة مثل شعورهم بأي شيء عادي ! ، إنك لو قارنت بين خطر الآخرة وبين أي أخطار أو مخاوف في الدنيا فسوف تجد أن الآخرة لا تمثل في مشاعرك خطر حقيقي أو أهمية حقيقية مثل أي خطر تواجهه أو تتعرض له في الدنيا ، فتجد المشاعر متفاعلة به والبال مشغول ، وذلك رغم الفارق العظيم بين كل أخطار ومخاوف الدنيا وبين خطر الآ خرة ، إن الذي لا يتأثر بشيء مؤثر جدا فإنه لا يعي ولا يشعر بحقيقة ما في هذا الشيء من خطورة ، فهو ميت القلب قد تعطلت وظائفه ، إن الآخرة أمر مؤثر جدا وخطير جدا ولكن لا يوجد تأثر بها !! .

ـ كلمة (الآخرة) عند من لم يشعر بخطورتها تختلف عن كلمة (الآخرة) عند من يشعر بخطورتها وأنها أمر فعلي حقيقي وحقيقة ماثلة فعلا ، فالأول يراها أمرا عاديا ومجيئها لا يمثل خطورة والثاني خائف منها : ((يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ))[5] ، والأول سوف يفاجئ المفاجأة الرهيبة بيوم القيامة كأنها مفاجأة لم يكن يعرفها كأنه لم يسمع عن شيء اسمه الآخرة لأنه لم يكن يشعر بخطورة ا لآخرة ، أما الثاني فكان يعيش وعنده تهيئة نفسية فلا يفاجئ بالآخرة وإنما هو منتظر مجيئها ومنتظر تحقيق وعد الله تعالى .

ـ الإحساس بمعنى الخلود في الآخرة :

ـ قارن بين قصر العمر في الدنيا وطول العمر الأبدي في الآخرة ((أَفَرَأَيتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ، ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ، مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ))[6] ، فالعمر ما هو إلا يومان يوم ذهب

(1) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 17 ، ص : 1) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت .
(2) البحر المحيط - (ج 10 / ص 480)
(3) المزمل : من الآية 17
(4) الحج : 2
(5) الشورى : 18
(6) الشعراء : 205 ـ 207

وباقي يوم وفي الحديث : ((الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ))[1] .

ـ الخلود في الآخرة ليس أمر بسيط يمكن أن نمر عليه مر الكرام ، فالخلود في النار معناه أن يظل الإ نسان في العذاب داخل النار ليس لمدة ساعة ـ وإن كان ذلك مروع جدا ـ وليس لمدة يوم كامل ، ولا لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مليار سنة ولكن للأبد من غير أن يموت ، فمقارنة ذلك بأيام الدنيا وآلامها تكون الدنيا لحظات ، حتى لو عاش الإنسان في الدنيا مائة عام تكون لحظات تمضي سريعة ، وكذلك الخلود في نعيم الجنة وملذات الجنة ليس لمدة يوم ـ وإن كان ذلك غاية في المتعة ـ وليس لمدة شهر ولا سنة ولا مائة سنة ولا مليون سنة ولا مليار سنة ولكن للأبد من غير أن يموت ، فمقارنة ذلك بأيام الدنيا ومتاعها الضئيل تكون الدنيا لحظات ، حتى لو عاش الإنسان في الدنيا مائة عام تكون لحظات تمضي سريعة ، لذلك من شعر بمعنى الخلود في الآخرة لم يهتم بالدنيا وما فيها وانصرف همه عنها ولم يعبأ بما يلقاه فيها من ألم أو نعيم ، ولذلك من انشغل همه وفكره ومشاعره بالدنيا على حساب انشغال همه وفكره ومشاعره بالآخرة فهو لا يؤمن بالخلود في الآخرة إيمانا حقيقيا ، وإيمانه بالآخرة عندئذ هو إيمان نظري فقط ، لأنه لو شعر بالخلود في الآخرة لما انشغل بالدنيا عن الآخرة ، وكذلك الحال لمن شعر بالمقارنة بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة ، وبين آلام الدنيا وآلام الآخرة فإنه عندئذ لا يعبأ بآلام الدنيا ولا بنعيمها .

ـ إن كل شيء منتهي فهو ضئيل ، وكل شيء خالد فهو عظيم ، فالدنيا زائلة ومنتهية وليس فيها خلود ، والمتع والشهوات التي تنتهي لا قيمة لها ، ولكي يشعر الإنسان بذلك يسال نفسه : وماذا بعد أن يأكل ويشرب وينام ويعمل ويتمتع ويقوم بأمور الدنيا ؟ ، فالإجابة أن كل ذلك إلى زوال وبعد ذلك القيامة .

ـ قال مالك بن دينار : ((لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى فكيف والآخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى ؟))[2] .

ـ فمهما حقق الإنسان في الدنيا من طموحات ، ومهما حصّل من نعم في الأموال وفي المناصب وفي المتع والملذات فكل ذلك ضئيل القيمة لأن كل ذلك مصيره إلى الزوال ويُحرم الإنسان منه بعد ذلك ، فعلى الإنسان أن يسال نفسه : وماذا بعد أن يحقق الطموحات ؟ إن كل شيء سوف يفنى ، فالشيء الذي يفنى مهما كان عظيما فانه ضئيل القيمة لأنه يفنى ، أما المتع في الآخرة فهي باقية ، ولو عاش الإنسان في الدنيا ألف سنة فلا تعادل لحظة من عمره اللا نهائي في الآخرة .

ـ وكذلك فآلام الدنيا ضئيلة لأنها فانية ، وآلام النار في الآخرة عظيمة وخطيرة لأنها أبدية .

كما أن نعيم الدنيا ليس فقط يفنى بالموت ولكن قد يفنى لأي سبب آخر كمرض أو ابتلاءات .

ـ الشعور بأن الدنيا دار مؤقتة :

ـ الشيطان يزين للإنسان أن الحياة في الدنيا طويلة ، وأن الستين سنة (مثلا) التي يحياها في الدنيا أعمار طويلة ، وينسيه الموت ، فيزين له الدنيا كأن فيها الخلود وأن فيها السعادة : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[3] .

ـ من الناس مَنْ يأكل ويشرب ويتمتع بقدر ما يستطيع لأنه إذا فاته الطعام والشراب والمتع فلن يجد طعاما غيره ولا متعا غيرها حيث لا يشعر أن هناك طعاما آخر ومتعا أخرى وحياة أخرى في الآخرة ، وفي الحديث : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[4] ، ولذلك يقول ابن مسعود : ((الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له))[5] ، وكما يقولون في المثل : (الدنيا أشغال

(1) رواه البخاري : (6567)
(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - (ج 8 / ص 504)
(3) طـه : 120
(4) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324)
(5) الزهد ـ ابن أبي الدنيا : (ج 1 / ص 17)

شاقة وآخرتها الإعدام) ، فهو لا يشعر أن الطعام والمتع والحياة الحقيقية في الجنة ، ولا يشعر أن هذه الحياة التي نعيشها كاذبة : ((وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدّنْيَا إلا لهْوٌ وَلعِبٌ وَإنّ الدّارَ الآخرة لهِيَ الحَيَوَانُ لوْ كانُوا يَعْلمُونَ))[1] ، " الحيوان " أي الحياة الحقيقية وفي الآية : ((يَقولُ يَا ليْتَنِي قدّمْتُ لِحَيَاتِي))[2] أي لحياته في الآخرة ، فإن الآخرة هي الحياة الحقيقية ، أما الحياة الدنيوية التي نعيشها الآن فهي حياة مؤقتة ، ويمكن تسميتها بمرحلة ما قبل الحياة ، أو بالمرحلة التي يعيشها عابر السبيل ، أما الذي يشعر أن الآخرة هي الحياة الحقيقية فإنه لا يكون حريصا علي ألا يفوته طعام الدنيا أو متعها لأنها مؤقتة ، وإن فاتته فهناك في انتظاره طعام آخر ومتع أخري ، فالذي يشعر أن الدنيا مؤقتة يكون طعامه وأمور دنياه كيفما اتفق ، فمن الناس مَنْ كل همه أن يكون حريصا علي ألا يموت ، وكل همه صحته ومتعته ودنياه ((وَلتَجِدَنّهُمْ أحْرَصَ النّاس عَلى حَيَاةٍ وَمِنَ الذِينَ أشْرَكوا يَوَدّ أحَدُهُمْ لوْ يُعَمّرُ ألفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ العَذَابِ أنْ يُعَمّرَ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلونَ))[3] وكلمة (حياة) نكرة تدل علي أنهم يبحثون عن أي حياه .

ـ إن الذي لا يشعر بخطورة الآخرة فإنه يعيش دنياه ، وتأخذه أمور الحياة وما بها ويطمئن بها ، ويغفل عن الآخرة : ((إنّ الذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدّنْيَا وَاطمَأنّوا بِهَا وَالذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غافِلونَ ، أولئِكَ مَأوَاهُمُ النّارُ بِمَا كانُوا يَكسِبُونَ))[4] ، ((بَلْ كانُوا لا يَرْجُونَ نُشُورا))[5] ، ((إنّهُمْ كانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابا))[6] .

ـ فالدنيا لا تصلح لأن تكون دار إقامة لأننا لا نرى فيها الجزاء لمن عبد الله والعقاب لمن عصى الله فلا بد من دار فيها الثواب والعقاب ، فالله يرزق المؤمن والكافر ويعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، فلابد من دار للثواب والعقاب : ((وَيَتَفكّرُونَ فِي خَلقِ السّمَاوَاتِ وَالأرْض رَبّنَا مَا خَلقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فقِنَا عَذَابَ النّار))[7] .

ـ الشعور بأن الدنيا دار تعب وشقاء :

ـ كل شيء حلو في الدنيا هو مر في الآخرة ، وكل شيء مر في الدنيا هو حلو في الآخرة ، ففي الحديث : ((حلوة الدنيا مرة الآخرة ومرة الدنيا حلوة الآخرة))[8] ، وفي الحديث القدسي : ((وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة))[9] ، وفي حديث آخر : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[10] ، وفي حديث آخر : ((إن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا))[11] ، وفي رواية أخرى : ((تجشأ[12] رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة))[13] ، وفي الحديث : ((يُؤْتَى يَوْمَ القِيَامَةِ بِأنْعَمِ أهْلِ الدّنْيَا مِنَ الكفّارِ فيُقالُ اغمِسُوهُ في النّارِ غمْسَةً ، فيُغمَسُ فيهَا ثمّ يُقالُ لهُ أيْ فلانُ هَلْ أصَابَكَ نَعِيمٌ قطّ ، فيَقولُ لا مَا أصَابَنِي نَعِيمٌ قطّ ، وَيُؤْتَى بِأشَدِّ المُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاءً ، فيُقالُ اغمِسُوهُ غمْسَةً في الجَنّةِ ، فيُغمَسُ فِيهَا غمْسَةً فيُقالُ لهُ أيْ فلانُ هَلْ أصَابَكَ ضُرٌّ قطّ أوْ بَلاءٌ

(1) العنكبوت : 64
(2) الفجر : 24
(3) البقرة :96
(4) يونس : 7 ، 8
(5) الفرقان : من الآية 40
(6) النبأ : 27
(7) آل عمران : من الآية 191
(8) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3155 في صحيح الجامع .
(9) السلسلة الصحيحة (2666)
(10) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324)
(11) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة ج : 7 ، برقم : 3372)
(12) هو خروج صوت من الحلق يدل على الشبع وبالعامية أي (تكرع) .
(13) قال الشيخ الألباني : حسن (ج : 4 ، ص : 649 ، برقم : 2478)

فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلا بَلاءٌ))[1] .

ـ فالدنيا دار تعب ، ومتعها قليلة وبها كدر ، وهذا من رحمة الله ، فلو جعل الله الدنيا مليئة بالمتع ورفع عنها التعب لفسد الناس جميعا وكفروا : ((وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ))[2] ، ((وَلَوْلا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ، وَزُخْرُفاً وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخرة عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ))[3] ، ومعنى (أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) أي في الكفر ، أي يكفر جميع الناس عندما يجدوا أن مَنْ يكفر يكون له هذا النعيم في الدنيا (وهم لا يشعرون أن نعيم الدنيا زائل ولا قيمة له) ، ولذلك ففي الحديث : ((تنزل المعونة من السماء على قدر المئونة وينزل الصبر على قدر المصيبة))[4] .

ـ فهذه الحياة هي حياة مؤقتة عابرة وليست دار إقامة ومعيشة ، فهذه الحياة غير مصممة وغير صالحة لتكون دار إقامة واستقرار ومعيشة لكي يبحث الإنسان فيها عن السعادة فالله خلقها بحيث تكون مرحلة مؤقتة وجيزة جدا (رغم أن الإنسان يحسبها طويلة جدا) ، لذلك فسباق الدنيا سباق خاسر لأنك مهما حاولت البحث عن السعادة فلن تجد ، فلقد شاء الله أن تكون الحياة كلها تعب وليس فيها راحة : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ))[5] أي أن الله يبين أن الدنيا دار تعب ونصب ولكنك تريد أن تجعلها دار سعادة وتبحث فيها عن السعادة ! ، فمهما حاولت أن تجمل في الدنيا وتدعي أن فيها سعادة فهي دار تعب ولن تستطيع أن تجعلها دار سعادة ، واسأل مَنْ جمعوا الأموال لم تحقق لهم السعادة ، ومهما حاولت أن تجعل الدنيا دار إقامة فلن تستطيع ، وإنك تجد من يبحث عن الاستقرار فليس هنا دار استقرار فإنها دار مؤقتة ، وكذلك مَنْ تجد همه في أن يبحث عن الراحة وفي أن يتخلص من تعب ومشاكل وأعباء الدنيا وتكاليفها المعيشية ولن يجد الراحة لأن الله قال : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ)) ، فإنك لن تسعد مهما أكلت أو شربت ، فالله حكم أنها دار شقاء وتعب وليست دار سعادة ، ولكن هناك من لا يزال يتسابق في جمع الدنيا من الأموال والأولاد و المناصب والشهوات ، فهو كمن يخبط رأسه في الحائط لأنه لن يجني شيء ، أما دار السعادة فهي في الآخرة ، إن الذي يشعر بأن الدنيا دار مؤقتة والآخرة دار إقامة وأنه يعيش في غربة يرضي بما عنده من طعام وشراب ومسكن .... الخ ويقنع به ولا يكون عنده طول أمل وطموحات في جلب المزيد من الطعام والشراب والسكن والمتع والشهوات لأنه في غربة ، فالذي يعيش مغتربا في بلد ما فإنه لا يبالي بالطعام والشراب ..الخ ، فيكون طعامه وشرابه كيفما اتفق لأن طعامه وشرابه ومتعه عندما يعود إلى وطنه ومسكنه في دار الآخرة .

ـ فالذي يبحث عن شهوة النساء الفاتنات لا يجب أن يبحث عنها في الدنيا وإنما يبحث عنها في الجنة ، والذي يتطلع إلى النظر إلى العورات يتطلع إلى ذلك في الجنة وليس في الدنيا ، والذي يتطلع إلى مسكن فاره أو قصر مشيد يتطلع إلى ذلك في الجنة ، والذي يتطلع إلى أن يشرب الخمور ويرقص مع النساء يتطلع إلى ذلك في الجنة ، وهكذا ، إذن فالإسلام جميل جدا ولذيذ وليس أعباء وتكاليف ويحقق للإنسان السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة حيث السعادة النفسية وراحة البال في الدنيا مع الحياة الطيبة ففي تفسير ابن كثير : (({ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } ، هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا ـ وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه من ذكر أو أنثى من بني آدم ، وقلبه مؤمن ب الله ورسوله ، وإن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله ـ بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321)
(2) الشورى : 27
(3) الزخرف : 33 ـ 35
(4) تحقيق الألباني صحيح (صحيح الجامع برقم : 3001)
(5) البلد : 4

وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة))[1] .

ـ الإحساس بأننا نعيش الآن في حالة امتحان :

ـ الذي يصنع شيئا ثم يتركه فهو قد صنعه عبثا ، فالله لم يخلقنا ثم يتركنا يعيش كل واحد كيفما يريد وكل واحد يفعل ما يريد ، ولم يخلق الله الناس ويحدث ما يحدث بينهم ويتركهم وشأنهم ، ف الله صنع الإنسان من الطين ولكن ليس ليتسلى بهم كما يتسلى الإنسان بالدمى التي يصنعها وإنما خلقهم لحكمة وغاية هي أن يعيشوا وفق ما يريده الله أي لعبادته : ((أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ))[2] .

ـ إن الدنيا مزرعة للآخرة ، فإن السبب من وجود هذه الحياة في الدنيا هو ابتلاء واختبار ، ونحن نعيش هذه الحياة من أجل هذا الاختبار ، فالدنيا كلها بمثابة امتحان ، فلم تخلق الدنيا لتكون مناسبة لنعيش ونقيم فيها ونبحث فيها عن السعادة وإنما هي دار اختبار ، فيكون هم المؤمن وشعوره طيلة حياته مثل شعور الطالب قبل الامتحان بل أعظم بكثير ، فنحن نعيش الآن في مرحلة اختبار هي أيام عمرنا في هذه الحياة . والمطلوب تحديدا حتى نكون من أهل الجنة هو النجاح في اختبار الدنيا .

ـ لابد أن يشعر الإنسان أنه داخل في مسابقة لها جوائز ، ولكن وجه الاختلاف عن مسابقات الدنيا أن كل ناجح في المسابقة ينال جائزة كبيرة ، وكل خاسر عليه عقاب شديد ، وأن هذا السباق ينتهي فجأة ، فمرحلة الدنيا هي مرحلة سباق وتنافس في تحصيل الإيمان وجمع الحسنات : ((سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ))[3] ، ((وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ))[4] .

ـ الإنسان أثناء السباق أو أثناء الامتحان لابد أن يشعر بالقلق والترقب ، ولابد أن يشعر بالتحمس و التحفز كلما قطع خطوات ، ويشعر بالضيق كلما أخطأ ، وهذا السباق خطير ومصيري لأنه يترتب عليه العذاب الأليم أو النعيم المقيم ، وبالتالي إذا لم يشعر الإنسان بالقلق وبالمشاعر التي يشعر بها أي إنسان أثناء الاختبار فهذا معناه أن اليقين بأنه يعيش حياته الآن في مرحلة اختبار غير موجود ، وبالتالي فاليقين الحقيقي بالآخرة غير موجود ، وعدم شعور الإنسان بأنه في حالة اختبار فهذا معناه أنه يقول بمشاعره أننا خلقنا عبثا رغم وجود اليقين النظري التام بأن الدنيا دار اختبار .

ـ وسواء رضينا أم لم نرضي ، وسواء شعرنا بذلك أم لم نشعر ، فنحن دخلنا الآن في لجنة امتحان منذ سن البلوغ ، ونحن واقعين الآن وفي أثناء هذه اللحظة وفي كل اللحظات تحت رقابة تامة ومتابعة تامة لما يحدث في عقولنا من التفكير والتصور ، وما يحدث في مشاعرنا ، وما يحدث في أعمال الجوارح ، وهذه الرقابة التامة من الخالق نفسه ومن الملكين الرقيب والعتيد ، ويتم تسجيل كل شيء بمنتهى الدقة ، ومدة الامتحان هي كل فترة عمرنا في هذه الدنيا ، وينتهي الامتحان فجأة في أي لحظة ويبدأ بعدها فورا الحساب حيث احتساب الدرجات والنتيجة ، ويوم القيامة تتطاير الصحف لكل إنسان كتاب مدون فيه كل شيء فعلته أو اعتقدته لحظة بلحظه فمن أخذ كتابه بيمينه كان من أهل الجنة ومن أخذه بشماله كان من أهل النار .

ـ إن الله لم يخلق السماوات والأرض والإنسان عبثا ولكن لكي يختبره هل يعرف الخالق فيطيعه أم يغفل عن الله ، فالله خلق الإنسان على هذه الأرض ليس من أجل أن يعيش ويقيم فيها ولكن لتكون حياته كلها على الأرض عبارة عن اختبار ، ويتم تسجيل كل ما يفعله ويعتقده لحظة بلحظة ثم يحاسب عن كل شيء : ((فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))[5] ،

---

(1) تفسير ابن كثير - (ج 4 / ص 601)
(2) المؤمنون : 115
(3) الحديد : من الآية 21
(4) المطففين : من الآية 26
(5) الزلزلة : 7 ، 8

وهذه هي الأمانة التي عرضها الله على الإنسان فتحملها ، ففي أضواء البيان : ((قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسان إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولا } ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة ، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال ، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها، أي: خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهنّ من ذلك عذاب الله وسخطه))[1] ، فالأرض ليست مكان الإنسان الذي يعيش فيه ولكن مكانه المعد لسكنه وإقامته هو في الجنة أو النار ، وانما الغرض من الحياة الدنيوية هو للاختبار فقط ثم يعود الإنسان لسكنه .

ـ إن البعض قد يرى منافسة ما في مباراة كرة أنها مصيرية وحاسمة فتحوذ على اهتمامه وتؤثر على أعصابه ومشاعره ، ألا يرى هؤلاء أننا نعيش في حالة منافسة مصيرية أشد من هذه المباراة هي الا متحان الذي نعيشه في الدنيا والذي ينتهي بالخلود في الجنة أو الخلود في النار فكيف لا يؤثر ذلك على أعصابه ومشاعره ، فأي المنافستين أشد وأخطر وأهم .

ـ عدم وجود الحالة النفسية للطالب في الامتحان معناه عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة :

ـ إذا لم نكن نشعر بما يشعر به الطالب وهو في لجنة الامتحان ، فهذا يعني عدم شعورنا بأننا نعيش في حالة امتحان ، وهذا يعني عدم شعورنا بمجيء الآخرة وأنها دار الجزاء على امتحان الدنيا .

ـ وكذلك إذا لم نكن نشعر بما يشعر به الطالب وهو في لجنة الامتحان من وجود مراقبين ولجنة تصحيح تحدد له الدرجات لكل شيء فهذا يعني عدم شعورنا برقابة الله والملكين ، وهذا يعني عدم شعورنا بوجود الله وبالملكين .

ـ وحيث أن هذا الامتحان خطير جدا ، فلابد أن يكون شعور الطالب في لجنة الامتحان رهيب من القلق والحرص على وضع الإجابات الصحيحة ، فإذا لم نكن نشعر بما يشعر به الطالب وهو في لجنة امتحان يترتب عليه مصيره ، فهذا يعني عدم شعورنا بأننا نعيش في حالة امتحان ، وهذا يعني عدم وجود الشعور بقدر الله والآخرة ، رغم وجود المعرفة النظرية التامة بأن الدنيا دار اختبار ، ورغم وجود المعرفة النظرية التامة بالله والآخرة .

ـ فالإنسان الذي يوقن يقينا حقيقيا بأنه في حالة اختبار فإنه يكون منتبها لذلك ومنتبها لرقابة الله و الملكين فهذا التصور لا يفارق ذهنه ، وينشأ عن ذلك مشاعر الخوف والقلق والترقب ، ويشغل ذلك الأ مر همه ولا يكون همه الأكبر لأمور الدنيا ، ويكون هدفه الأكبر النجاح في الاختبار وليس تحصيل أمور الدنيا ، وتكون مشاعره وهمومه وأهدافه المتعلقة بهذا الاختبار أكبر بكثير من مشاعره وهمومه وأهدافه المتعلقة بالدنيا ، وينشأ عن ذلك أن يهتم بكل ما يخص هذا الاختبار عن كيفيته ومعرفة خطورته ولا يهتم بكل ما يلهي الإنسان عن هذا الاختبار ، ويحب كل ما يعينه على هذا الاختبار ، ويحب كل من يسعون للنجاح فيه ، وينشأ عن ذلك أن يسارع الإنسان في الخيرات لأن كل شيء يتم تسجيله فورا ، وطالما أن هذا الامتحان واقعا الآن وما زال مستمرا الآن وفي كل لحظة فلابد أن يـ ستمر الخوف من مهابة الامتحان والخوف من نتيجته ورجاء النجاح فيه .

ـ الإحساس بخطورة الامتحان :

ـ وقت الامتحان وجيز جدا ، لأن عمر الإنسان في الدنيا لا يساوى شيء أمام عمره في الآخرة ، كما أن الامتحان ينتهي في أي لحظة ، ولا يوجد إعادة في امتحان آخر ، فنحن في سباق ومسارعة ، وهذا الامتحان خطير جداً ومصيري لأنه يترتب عليه أن يوضع الإنسان داخل نار هائلة لمدة أكبر من ملايين السنين هي الخلود في النار ، أو أن يعيش في كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين في شباب دائم ومتع دائمة وشهوات لا تنقطع هي الخلود في الجنة .

ـ الشعور بأن الدنيا فرصة ذهبية لا تعوض :

---

(1) أضواء البيان - (6 / 258)

ـ الإنسان طالما لا يزال حي في هذه الدنيا فالفرصة لا تزال قائمة أمامه ليغير من مساره ويعمل لإ نقاذ نفسه من النار ويتزود من الطاعة وللفوز بالجنة ، فالذين ذهبوا للقبور يتمنون لحظة واحدة ليعودوا ويعملوا أي شيء لعله ينقذهم من النار أو يرتقي بهم درجات أعلى في الجنة فلا يسمح لهم .

ـ فتخيل أنك قد جاءت لحظة موتك وذهبوا بك للقبور ، فطلبت من الله أن يعطيك فرصة لتعود ، وها أنت الآن قد عدت للدنيا وأمامك الفرصة فماذا أنت صانع ؟ .

ـ وكل إنسان أمامه واحد من أمرين لا ثالث لهما هو إما أن يفوز بما هو أكبر من كأس العالم وإما أن يتم تعذيبه بالحرق في النار ، فكلما نظر إلى الأول اشتاق وازداد حماسا ، وكلما نظر إلى الآخر خاف ، فهو يؤدي هذه المنافسة وشعوره بين الخوف والرجاء .

ـ الإحساس باقتراب الآخرة واقتراب الموت وقصر الحياة في الدنيا :

ـ الإنسان منذ أن يولد يبدأ العد التنازلي ، فكلما مرت ساعة نقص من عمره ساعة ، والعد التنازلي مستمر فأنت توشك أن تبلغ ، فأنت منذ ولدت تقطع الطريق إلى الله توشك أن تبلغ ، فكل يوم يمر من عمرك هو اقتراب من أجلك لتصل إلى لقاء الله تعالى ، ((قال فضيل بن عياض لرجل : كم أتت عليك ؟ قال : ستون سنة ، قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ ، فقال الرجل : يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال له الفضيل : تعلم ما تقول ؟ قال الرجل : قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، قال الفضيل تعلم ما تفسيره ؟ ، قال الرجل : فسره لنا يا أبا علي ، قال قولك أنا لله ، تقول : أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع ، فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع ، فليعلم بأنه موقوف ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعد للسؤال جوابا ، فقال الرجل : فما الحيلة ؟ قال : تستره ، قال : ما هي ؟ قال : تحسن فيما بقى يغفر لك ما مضى وما بقى ، فإنك أن أسأت فيما بقى أخذت بما مضى وما بقى))[1] ، فإنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يوم ذهب بعضك ، ويوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكل .

ـ الإيمان الحقيقي بالآخرة ليس معناه الإيمان بوجود الآخرة فقط وإنما لابد مع ذلك من الإيمان الحقيقي باقتراب الآخرة والإيمان الحقيقي بقصر الدنيا واقتراب الأجل ، فان الذي لا يشعر باقتراب ا لآخرة فان يقينه بالآخرة يقين كاذب ، ولو كان هذا اليقين بالآخرة يقينا حقيقيا لشعر بقرب الآخرة فيقول تعالى : ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا))[2] أي : يرون وقوعه بعيدا ، والمؤمنون يرون ذلك سهلا قريبا ، ((أَزِفَتِ الآزِفَةُ))[3] ، ((وَمَا أمر السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ))[4] ، ((إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً)))[5] ، ((اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ القَمَرُ))[6] .

ـ فمن عرف قصر حياته في الدنيا عرف اقتراب الآخرة ، ومن عرف ضآلة الدنيا عرف خطورة الآخرة ، ومن قصر أمله في الدنيا عرف الخلود فيها ، ومن عرف ضآلة نفسه عرف عظمة ربه ، ومن عرف في نفسه صفات النقص والضعف عرف صفات الكمال في الله تعالى ، والعكس صحيح فالذي يعظم في قدر أهمية الدنيا وقدر متعها ومدى قدرات الإنسان ومدى التكنولوجيا التي صنعها فهو لا يعرف الله ولا يعرف الآخرة ، لذلك فغرور الإنسان بنفسه وغروره بالدنيا وغروره بما يملك يجعله لا يعرف ا لآخرة ، بل الذي يعظم قدر ما يعمله من الطاعات فيغتر بذلك أو يعظم قدر رحمة الله به فيغتر ويظن أنه من أهل الفردوس الأعلى في جنات النعيم فهو مغرور ، لذلك فالشيطان يسمى الغـ ـرور لأن هذا دوره في إغواء الإنسان فيقول تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا

---

(1) حلية الأولياء - (ج 3 / ص 404)
(2) المعارج : 6 ، 7
(3) النجم : 57
(4) النحل : من الآية 77
(5) النبأ : من الآية 40
(6) القمر : 1

يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[1] فالشيطان يجعل الإنسان يغتر برحمة الله فيظن أنه من أهل الجنة ، ولذلك يسمى متاع الدنيا بمتاع الغرور لأنه متاع إغراء وليس بمتاع حقيقي : ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))[2] ، لذلك من فوائد الابتلاءات هي أن يكون الإنسان عاريا مما يغتر به فيعرف ضعف نفسه فيعرف ربه ، ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ))[3] ، ((فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ))[4] ، ((وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ))[5] ، وفي الحديث : ((الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ))[6] .

ـ الإحساس باقتراب الآخرة معناه الشعور كأن أهوال القيامة تهجم علينا ، وتعنى أننا الآن في حالة استعداد وتأهب للقائها كاستعدادنا لحرب عدو قادم إلينا ففي تفسير الطبري : ((يعني تعالى ذكره بقوله (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ) : دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة ، وقوله (اقْتَرَبَتِ) افتعلت من القرب ، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنوّ القيامة ، وقرب فناء الدنيا ، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم ، وهم عنها فى غفلة ساهون))[7] .

ـ لو أن إنسان محكوم عليه بالإعدام وهو ينتظر تنفيذ الحكم وينتظر لقاء الله عن قريب ، ماذا يمكن أن يفعل ؟ وكيف يكون شعوره بالدنيا ؟ ، هل يظل قلبه متعلق بالدنيا وبما فيها ؟ ، أم أنه سوف لا يتعلق قلبه إلا بالآخرة وما هو صائر إليه ؟ ، إن جميع الناس في الدنيا محكوم عليهم بالإعدام بالفعل وليس على سبيل البلاغة ، مع اختلاف كيفية الموت هل بالمرض أم حادثة أم بالقتل أم موت فجائي ، إن عمر الإنسان في الدنيا ولو كان مائة سنة فهي سنوات قليلة وأيام معدودة لمن يعقل سواء في مرورها سريعا أو بالمقارنة بالخلود في الآخرة ، إذن فالإنسان ينتظر قريبا تنفيذ الحكم بموته وانتقاله إلى الدار الآخرة فلابد أن يكون حاله مثل حال الإنسان المحكوم عليه بالإعدام وهو ينتظر تنفيذ الحكم بل أشد لأن تنفيذ الحكم هنا في أي لحظة مفاجئة دون معرفة الوقت المحدد لتنفيذ الحكم ، فمن كان يوقن يقينا حقيقيا بالآخرة فإنه يوقن يقينا حقيقيا بقصر العمر في الدنيا وأنه على وشك الوصول إلى الآخرة ، ومن كان يوقن بذلك فلن تتعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بالدنيا إلا مثل عابر السبيل أو المسافر الذي يستعد للرحيل والعودة إلى بلده ، خاصة وأن الدنيا ليست إلا دار تعب ونصب ، لذلك في المثل : (الدنيا أشغال شاقة وآخرتها الإعدام) .

ـ فالحياة في الدنيا قصيرة : ((قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ))[8] ، ((وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ))[9] ، ((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ))[10] ، ((كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ))[11] ، ((كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا))[12] فالدنيا يومين يوم مضى وبقي يوم .

ـ اليقين الحقيقى بأن الآخرة خير وأبقى :

---

(1) فاطر : 5
(2) الحديد : من الآية 20
(3) سورة النحل : 53
(4) العنكبوت : 65
(5) الزمر : 8
(6) رواه البخاري (6567)
(7) تفسير الطبري - (ج 22 / ص 565)
(8) المؤمنون : 113
(9) يونس : من الآية 45
(10) الروم : من الآية 55
(11) الأحقاف : من الآية 35
(12) النازعات : 46

ـ الإنسان يعيش الحياة مرتان أو يعيش حياتان : ((قالوا رَبّنَا أمَتنَا اثنَتَيْنِ وَأحْيَيْتَنَا اثنَتَيْنِ))[1] ، ((كَيْفَ تَكفرُونَ بِاللهِ وَكنْتمْ أمْوَاتاً فَأحْيَاكمْ ثمّ يُمِيتكمْ ثمّ يُحْيِيكمْ ثمّ إليْهِ ترْجَعُونَ))[2] ، ((وَهُوَ الذِي أحْيَاكمْ ثمّ يُمِيتكمْ ثمّ يُحْيِيكمْ إنّ الإنسان لكفورٌ))[3] ، ولابد من الشعور بأن الحياة في الآخرة أفضل ((قلْ مَتَاعُ الدّنيَا قلِيلٌ وَالآخرة خَيْرٌ لِمَنِ اتقى))[4] ، ((وَمَا الحَيَاة الدّنيَا إلّا لعِبٌ وَلهْوٌ وَللدّارُ ا لآخرة خَيْرٌ لِلذِينَ يَتقونَ أفَلَا تعْقِلونَ))[5] ، ((وَلأجْرُ الآخرة خَيْرٌ لِلذِينَ آمَنوا وَكانوا يَتقونَ))[6] ، ((وَ الآخرة خَيْرٌ وَأبْقى))[7] .

ـ إذا كان الإنسان يوقن يقينا حقيقيا بأن الحياة الأخروية خير وأبقى من الحياة الدنيوية فلابد أن يكون تعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بالآخرة أكبر من تعلقها بالدنيا ، وإذا شعر الإنسان أن هناك حياة أفضل بديلة عن هذه الحياة الدنيوية فلن يتشبث بها ، فمن أثر ذلك مثلا أن الإنسان إذا أيقن يقينا حقيقيا بالحور العين وأن ذلك قريبا فلن ينظر إلى العاريات ويصبر عن النظر إليهن لان هناك البديل ا لأفضل القريب المنال ، وإذا أيقن يقينا حقيقيا بان كل ما في الدنيا من متع مجرد أسماء فقط وان المتع الحقيقية إنما هي في الجنة فلن يلهث وراء متع الدنيا وسيصبر عنها ولن يعبأ بها لأنه قريبا سيصل إلي البديل الأفضل قريبا جدا ، ولذلك نجد الآية مقترنة بالصبر : ((فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلا ً ، إنّهُمْ يَرَوْنهُ بَعِيداً ، وَنرَاهُ قرِيباً))[8] .

****

ـ الشعور بالغربة (عدم الإطمئنان بالدنيا)

ـ غربة الإنسان بين الناس (الإستغناء عن الناس ـ عدم الأنس بالناس) :

ـ معنى الشعور بالغربة أن يكون التعامل مع أمور الدنيا والناس كأنك غريب ، أي التعامل مع الناس ك أنهم كم مهمل (وهذا لا يعني عدم احترامهم) ، بمعنى التعامل معهم بالجوارح من غير تفاعل المشاعر بهم إلا في الله أو مما هو فطري وضروري من ضرورات الحياة ، وكذلك حال المؤمن في طعامه وشرابه وأمور حياته ، وذلك من كمال الإيمان ، إما إذا ارتبطت مشاعر الإنسان بالناس أكبر من ارتباطها بالله فذلك نفاق أكبر .

ـ معنى الرضا والاطمئنان بالدنيا :

ـ قد يصنع الإنسان لنفسه تصورا وهميا ويعيش فيه ويندمج فيه ويطمئن به ، فقد يتصور أن المتع و الآلام إنما هي في الدنيا ، ويتصور أنها عظيمة ، فيعيش في الدنيا ويطمئن بها (رغم أنها ليست دار معيشة وحياة يطمئن فيها الإنسان لأن دار الإنسان وحياته الحقيقية في الآخرة) ، فلا يحزن إلا لألم دنيوي ولا يفرح إلا للذة أو خير دنيوي ، وذهنه لا ينشغل إلا بالتعامل مع مفردات الحياة ومشاغلها ، فهذا هو الرضا والاطمئنان بالدنيا : ((إنّ الذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدّنيَا وَاطمَأنوا بِهَا وَالذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلونَ ، أولئِكَ مَأوَاهُمُ النّارُ بِمَا كانوا يَكسِبُونَ))[9] .

ـ فيحدث اندماج وتعايش وتأقلم ورضا بقوانين العادات والتقاليد وما تعارف عليه الناس ، أي أنه يشعر بالاستقرار في الدنيا فهو بذلك جعل الدنيا دار مقر وليست دار ممر وارتحال ، فهو بذلك لا

---

(1) غافر : من الآية 11
(2) البقرة : 28
(3) الحج : 66
(4) النساء : من الآية 77
(5) الأنعام : 32
(6) يوسف : 57
(7) الأعلى : 17
(8) المعارج : 5 ـ 7
(9) يونس : 7 ، 8

يرجو الآخرة ولا يخافها ولا يحمل هم لقاء الله ، أما المؤمن فيشعر بأنه غريب عن هذه الحياة لأنها ليست وطنه فهو غير مطمئن بها ولا يألف المعيشة فيها لأنه يعيش بين غرباء ينتظر الرحيل إلى وطنه وأهله .

ـ خطورة الشعور بالغربة :

ـ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بمنكبي فَقَالَ : ((كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ ، فَقَالَ لِي ابْنُ عُمَرَ إِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ غَدًا))[1] ، وفي حديث آخر : ((عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها))[2] .

ـ وهناك فرق بين الغربة كعمل والغربة كشعور ، فالغربة كعمل هي أن يعيش الإنسان مثلما يعيش الإ نسان الغريب عن أهله ووطنه وهي أثر ينشأ من الشعور بالغربة وهي مطلوبة شرعا ، أما الغربة كشعور في النفس فبدونها لا يتحقق الإيمان الحقيقي بالآخرة ، لأن الآخرة يقينا هي مستقر الإنسان وفيها وطنه وأهله وهي الحياة الحقيقية ، والدنيا يقينا عابرة فمن لا يشعر بالغربة في الدنيا فهو لا يوقن يقينا حقيقيا بذلك أبدا ، فهل تشعر في نفسك بالغربة ، وهل تعيش حياتك كشخص غريب أو كرجل عابر سبيل أو مسافر ؟! .

ملحوظة :

ـ المطلوب تحديدا في الحديث السابق هو الشعور بأنك عابر سبيل وليس الشعور بأنك غريب لأن كلمة (أو) بمعنى الإضراب أي بمعنى (بل) ، والشعور بأنك عابر سبيل هو أصعب وأشد من الشعور بالغربة ، وهو يتضمن أيضا الشعور بالغربة ، فعابر السبيل هو غريب ، فإذا كان الشعور بالغربة غير موجود فما بالك بالشعور بأنك عابر سبيل ، فالدنيا طريق تمشي فيه وليست حتى مسكن مؤقت ، فعابر السبيل قد لا يجلس في مكان يأكل فيه وإنما يأكل وهو سائر في الطريق وأكله طعام خفيف مثلما يأخذه المسافر أثناء سفره ، فلا يتفنن في أصناف الطعام والشراب وإنما كيفما اتفق ، فإنما يأخذ من الدنيا زاد المسافر .

ـ الحالة النفسية للشعور بالغربة :

ـ أنظر إلى الحالة النفسية والحالة المزاجية والعاطفية لشخص مغترب يريد العودة إلى أهله وزوجته وأولاده ووطنه ، أنظر إلى شعوره بالحنين والشوق للعودة ومدي انشغال باله وتفكيره في يوم العودة ، إن هذه الحالة النفسية هي التي تسمي شعور بالغربة ، فإذا لم يكن عندك هذه الحالة النفسية فإن ا لآخرة والذهاب إليها لا وجود لها في مشاعرك ، إن الشخص الذي في غربة ليست قضيته أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فهل في شعورك أن الطعام الذي تأكله هو طعام مؤقت وأن السكن الذي تسكن فيه هو سكن مؤقت أم أنك تشعر أنه سكن دائم ؟ ، وهل تشعر بأنك مسافر بلا رجعة (سفر بلا عودة) أي بعدم الرجوع إلى الدنيا ؟ ، هل لديك شعور بأن هذا السفر هو سفر نهائي وأنه سفر بلا عوده ، وقد سبقك إليه الكثيرون والدور في انتظارك ، والرحيل مفاجئ وفوري وبلا رجعة ؟ ، وهل تشعر بالترقب والانتظار ليوم العودة إلى وطنك وأهلك هناك في الآخرة ؟ ، وهل تشعر أنك تعيش الآن في بلد الغربة (الدنيا) ؟ ، إذن فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ، ولكننا في غفلة ، وليس للإنسان أن يجرب أو

---

(1) حديث صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 567 ، برقم 2333)
(2) التخريج : صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3283)

يتغافل فنحن ضيوف على وجه هذه الكوكبة الأرضية ، إذن يتضح الآن أن عالم الغيب في نظرك ليس إلا اقتناع نظري وليس له وجود في مشاعرك ، إن الذي لا يشعر بأنه مقبل على عالم آخر فإنه يعيش كأنه لن يموت ، فالموت عنده مجرد اقتناع نظري ، وعندما يأتيه الموت يشعر أنه هو النهاية ، ولا يريد أن يموت ، ويكره مَنْ يقبض روحه ، إنها ليست موعظة ورقائق ولكنها حقائق ومشاعر حقيقية في النفس ، لذلك أنظر هل عندك فعلا شعور بالغربة والحنين ؟ ، أم أنك تدعي ذلك ؟ ، و الشعور بالغربة أمر خطير لأن عدم وجود الشعور بالغربة يعني أن الذهاب إلى الآخرة لا وجود له في مشاعرك .

ـ أنظر إلى الحالة النفسية لشخص سجين ، إنه يشعر بالحنين إلى أهله ووطنه ، ويشعر بالضيق مما هو فيه ، فهذا حال المؤمن ففي الحديث : ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر))[1] .

****
****

ـ الإحساس بوجود الجنة (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب للجنة)

ـ شهوات الجنة فوق مستوى الخيال وأعجب من السحر :

ـ كل ما يمكن أن تتخيله من المتع والشهوات من نساء فاتنة ساحرة وخمور وكل ألوان الطعام و الشراب وكل ألوان المرح والترفيه فشهوات الجنة أكبر من ذلك ، وكل شيء بمجرد أن تتمناه يتحقق لك كأنه سحر لكنه حقيقة ، وكل هذا موجود الآن في الجنة : ((وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ))[2] ، ((وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ))[3] ، ((لَ هُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ))[4] ، وفي الحديث القدسي : ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون }))[5] .

ـ والساحر يسحر لك أشياء تدعو للدهشة والعجب فيحدث خوف من مهابة الأمر ، أما شهوات الجنة فهي فوق مستوى الخيال وأعجب من السحر فضلا عن أنها حقيقة وليس سحرا ، فلماذا لا يحدث خوف من مهابة الأمر ؟ ، ولماذا يحدث الحب والرجاء لشهوات الدنيا ونساءها ، في حين لا يحدث ذلك لشهوات الجنة التي هي أعظم بكثير ، ذلك لأن اليقين الحقيقي بالجنة وما بها غير موجود مطلقا .

ـ الإحساس بوجود الجنة :

ـ هناك كوكب آخر في السماء غير الأرض عليه سكان من البشر يعيشون حياة غاية في التطور و الرفاهية ، فمن يعيش على هذا الكوكب يعيش في متع متناهية لا حد لها ، وينال كل ما يشتهي ويتمنى ولا يتعب ولا يعمل ، ولكن تركيبة البشر هناك مختلفة عن تركيبة البشر على الأرض ، فهم في شباب دائم وصحة دائمة وأجسادهم مصممة بحيث أنها غير قابلة للمرض أو الموت وهم يأكلون ويتنعمون كيفما شاءوا وكل ما يريدونه يتحقق فورا وكأنه سحر ، لذلك من أراد الوصول إلى هذا الكوكب من سكان الأرض فلابد أن يتغير جسده ويتكون من جديد حيث يموت أولا ثم يتشكل جسده من جديد ثم يصعد به إلى هناك بدون مركبة فضائية ، وهذا الكوكب موجود الآن وهو الجنة ، وسكانه الآن هم الحور العين ، ومن يصعد إليه هم المؤمنون ، ولاحظ أننا ذكرنا أن الجنة على شكل

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 562 ، برقم 2324)
(2) الأنبياء : 102
(3) فصلت : 32,31
(4) ق : 35
(5) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 346 ، برقم : 3197)

كوكب وهذا للتقريب فقط ، ولا نعلم هل الجنة على شكل كوكب أم لا ؟ .

ـ أنت إذا نظرت إلى أعلى فإنك ترى الله وترى الجنة لولا أن عين الإنسان فيها مشكلة تجعلها غير قادرة على رؤية الله ورؤية الجنة ، فالجنة موجودة الآن فوق السماء ، وحجمها ضخم جدا حتى أن عرضها يبلغ السماوات والأرض ، وهناك عالم آخر كامل من المعيشة في حياة الخلود في هذه الجنة ، ففي الجنة الآن الحور العين وهن ينظرن إليك ويرونك الآن لأن أعينهن ليس فيها هذه المشكلة التي تمنع من الرؤية ، ففي الحديث : ((لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا))[1] .

ـ الإحساس بقدر متع وملذات الجنة :

ـ تخيل لو أن رجل أخبرك بأنه على موعد مع فتاة جميلة ولكنها تسكن في مكان ما فوق السحاب ، وأنه لن يصعد إليها بطائرة ، ولكنه سوف يصعد إليها بعد أن يموت ! ، لأنه سوف تحل الروح في ج ثته ثم يطير فوق السحاب ليلقاها ! ، إنك سوف تقول أن هذا هراء وأساطير وخرافات ، فما بالك أن وجود الحور العين أمر أعجب من ذلك ، فأنت فعلا علي موعد مع فتيات حسناوات جميلات في مكان آخر غير العالم الذي نعيش فيه ، وسوف تلقاهن بعد أن تموت ويتحلل جسدك في التراب ، ثم تحل فيك الروح وتذهب للقائهن إن كنت من أهل الإيمان ، وهذا الأمر قريبا جدا فما العمر في الدنيا إ لا لحظات ؟! .

ـ تخيل رجل يحب امرأة جميلة ، ويشتاق إلى لقاءها بماذا يشعر ؟ ، فإن الحور العين أجمل من ذلك بكثير واللقاء بهن حق ، فلماذا لا تشعر بالحب للحور العين ؟ ولماذا لا تشتاق وتحلم بلقائهن ؟ ولماذا لا تسبح بخيالك مع فتاة أحلامك من الحور العين فإن كل محبوب يفكر في محبوبة ؟ أليست الحور العين حقيقة أم أنها مصنوعة من البلاستيك ؟ ، وأليس الوصول إليهن قريبا جدا ؟ ففي الحديث : « الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ »[2] ، وإذا كان حور الطين يلهث وراءها الكثيرون ويعيشون من أجلها فما بالك بحور العين ، إن لكل إنسان مقعده من الجنة ومقعده من النار ، فهل تشعر أن الحور العين الآن تشتاق إليك وتنتظرك إلى أن تلقاها ففي الحديث : ((لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا))[3] ، إن كلمة (الحور العين) هي كلمة موجودة وراسخة في الاقتناع النظري لكن في المشاعر لا يوجد شيء اسمه الحور العين .

ـ تخيل مكانا ما به كل ألوان المتع والملذات من نساء وخمور ورقص وطعام وشراب ، فإن الجنة بها أعجب من كل ذلك ، فلماذا لا تشعر بجب الجنة وتشتاق للوصول إلى متعها ؟ ، أين الرغبة الحقيقية والشوق إلى الجنة ؟ ففي الحديث : ((قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرؤوا إن شئتم ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة عين ﴾))[4] .

ـ تخيل لو علم الناس بوجود كنز كبير يمكن الوصول إلية ، تصور كيف ستكون مشاعرهم متجهة ب الشوق للوصول لهذا الكنز ، وسوف يشغل ذلك الكنز بالهم وأكثر همهم ، فالجنة كنز حقيقي هائل لا ينفد فلماذا لا تتجه إليه المشاعر والتطلعات مثلما تتجه لكنز من كنوز الدنيا ؟ ، ذلك لأن ذلك الكنز الحقيقي (الجنة) في مشاعر البعض إنما هو كلاما نظريا فقط كأساطير الأولين !! .

ـ تخيل إنسان يعود من الشيخوخة إلى الشباب ولا يمرض ولا يموت ولا يوجد ما يعكر مزاجه أو يشغل باله في جنات النعيم ، وفي الحديث : ((إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة رجل في ا

---

(1) حديث صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 334 ، برقم 173)
(2) رواه البخاري (6567)
(3) حديث صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 334 ، برقم 173)
(4) متفق عليه (مشكاة المصابيح رقم 5612)

لأكل والشرب والشهوة والجماع))[1] ، وفي حديث آخر : ((يعطى المؤمن في الجنة قوة مائة في النساء))[2] ، فالجماع في الجنة مائة ضعف الجماع في الدنيا وهو في ريعان الشباب (في سن 33 سنة) ويستطيع الإنسان ذلك لأنه يعطي قوة مائة ففي الحديث : ((يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول الله أو يطيق ذلك قال يعطى قوة مائة))[3] ، وفي حديث آخر : ((يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا كأنهم مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين))[4] ، وفي حديث آخر : ((ينادي مناد إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا فذلك قوله تعالى { وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون }))[5] ، وفي حديث آخر : ((... قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعا فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن))[6] ، لماذا لا تشعر بالحب لأن تكون كذلك ، إن الإ نسان الذي يعيش للدنيا هدفه أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة ، وكذلك الإنسان الذي يعيش للآخرة يريد أن يأكل ويشرب ويتمتع بكل ألوان الراحة ولكن أي طعام وأي متعة ، إنه يريد المتع الحقيقية التي لا تفني والتي لا يحيطها مخاوف بالمرض أو الشيخوخة أو الموت أو سلب النعمة ، إنه يريد المتع الدائمة والشباب الدائم وحياة لا يموت فيها ولا يمرض ، وحياة بها الفاتنات الحسناوات من الحور العين ، ومن أدعية الرسول (ص) : ((... وأسألك نعيما لا ينفد وقرة عين لا تنقطع وأسألك الرضاء بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ...))[7] ، إذن فأي عاقل مَنْ يعيش لذة المتع الضئيلة الفانية في الدنيا ، فالذي يؤثر الدنيا هو إنسان غبي لا يشعر بخطورة الآخرة : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فإن الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ، فإن الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى))[8] ، فالذي يشعر بنعيم الجنة وألوان المتع فيها لا يمكن بحال من الأحوال أن يؤثر متع الدنيا الفانية ، وفي الحديث : ((مَنْ أحب دنياه أضر بآخرته ومَنْ أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى))[9] ، وفي الحديث : ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا))[10] فمن أراد الآخرة فإنه تلقائيا يترك زينة الدنيا ، وعن وهب بن منبه قال : ((مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأ خرى))[11] ، وفي الحديث : ((التؤدة في كل شيء إلا في عمل الآخرة))[12] .

ـ تأمل قوله تعالى : ((لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ))[13] ، فكل ما تتمنى يتحقق فورا وتراه حقيقة وليس سحرا ، فقد ورد أن رجلا من أهل الجنة اشتهى أن يزرع فبذر فنما الزرع سريعا وكان ك الجبال ففي الحديث : ((عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحدث وعنده رجل من أهل البادية ، إن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع ، فقال له ألست فيما شئت ؟ قال بلى ولكن أحب أن أزرع فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال ، فيقول الله تعالى دونك يا ابن آدم فإنه يشبعك شيء ، فقال الأعرابي والله لا تجده إلا قرشيا أو أنصاريا فإنهم أصحاب زرع وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم))[14] ، وفي

(1) حديث صحيح (صحيح الجامع رقم 1627)
(2) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 8106)
(3) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح (رواه الترمذي برقم 2536)
(4) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 8072)
(5) قال الشيخ الألباني : صحيح (رواه الترمذي ـ رقم 3246)
(6) متفق عليه (مشكاة المصابيح ، رقم 4628)
(7) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 55 ، برقم 1306)
(8) النازعـات : 37 ـ 40
(9) صحيح الترغيب والترهيب (3247)
(10) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458)
(11) الزهد - (ج 1 / ص 65)
(12) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن أبو داود ج : 4 ، ص : 255 ، برقم 4810)
(13) قٓ : 35
(14) حديث صحيح (رواه البخاري ـ برقم 5653)

حديث آخر : ((المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه في ساعة واحدة كما يشتهى))[1] .

ـ تخيل أننا الآن في الجنة ونذكر أيام الدنيا وما كان فيها ، فما قيمتها وما قدرها عندئذ ؟ ، إنها كانت أيام قليلة وحياة ضئيلة انتهت ولا قيمة لها ، أما نحن الآن (في الجنة) فهذه هي حقا الحياة نعيش فلا نموت ولا نمرض ونتمتع كيفما نشاء .

ـ أنظر إلى مدي أن الله جميل بحيث يكون النظر إلى الله تعالى لذة أعظم من كل لذات الجنة ، فهل من مشتاق إلى الجنة من أجل أن يستمتع بلذة النظر إلى وجه الله تعالى .

ـ إن الجنة هي المتع والشهوات لمَنْ لا يفهمون إلا لغة المتع والشهوات ، وإن الجنة هي التجارة الرابحة لمَنْ لا يفهمون إلا لغة التجارة والمكسب والخسارة ، وهناك فرق بين مَنْ يقتنعون بأنها المتع وبأنها تجارة ، وبين مَنْ يشعرون بأنها فعلا شهوات مثل شهوات الدنيا ولكنها الشهوات الحقيقية وبلا حدود وتجارة مثل تجارة الدنيا ولكنها التجارة الرابحة وبلا حدود : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ))[2] ، إن متع الدنيا تجد المشتاقون إليها فأين المشتاقون إلى الجنة ؟ ذلك لأن الجنة غير موجودة في المشاعر ، ومَنْ يدعي أنه يشتاق إلى الجنة وليس عنده نفس الحالة النفسية لشخص يشتاق إلى محبوبه فهو كذاب .

ـ إذا نظر الإنسان إلى منزل جميل واسع أو شقة جميلة واسعة بها كل أدوات الترفيه والراحة أو إذا نظر إلى سيارة فارهة أو قصر مشيد أو .... الخ ، فإن الإنسان قد يحدث عنده شعور بالإنبهار والإ عجاب والشوق لأن يكون عنده مثل ذلك ، وقد يسعى سنوات طويلة وعنده طول أمل أن يحصل على سيارة فارهة أو شقة واسعة أو ...... الخ ، إذن هذا الإنسان بداخله أمل وشوق وشعور بالإعجاب والإنبهار ، فإذا كانت الجنة أفضل من الشقة الواسعة أو السيارة الفارهة أو ...الخ ، فلماذا لا يشعر الإ نسان بهذا الإعجاب وهذا الأمل والشوق للوصول إليها ؟ ، ذلك لأن الجنة غير موجودة في المشاعر ، ففي المشاعر هي خيال أو وهم أو شيء مصنوع من البلاستيك لا معنى له ، أو شيء بعيد الاحتمال تماما أو كلاما نظريا فقط كأساطير الأولين ، رغم وجود الاقتناع النظري التام واليقين التام والإيمان النظري التام بوجود الجنة ، فذلك اقتناع كاذب ويقين كاذب وإيمان كاذب بوجود الجنة والوصول إليها .

ـ نعيم الدنيا مجرد تشابه في الأسماء ، ففي الحديث : ((ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأ سماء))[3] ، أما النعيم الحقيقي فهو في الجنة : ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقاً قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[4] .

ـ إن شهوات الدنيا ضئيلة حتى وإذا حاول الإنسان أن يكثر منها فإن اللذة منها تقل عندئذ حتى تنتفي كأن يكثر من الطعام أو الشراب أو الجماع أو ينظر إلى عورات النساء ، بل يتعرض عندئذ للأ مراض ، كما أن المتع تقل مع كبر عمر الإنسان خاصة عندما يصل إلى الشيخوخة ويعود إلى الضعف مثلما كان طفل ضعيف ، ولذلك يقول تعالى : ((وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ))[5] ، أما في الجنة فلا يحدث أن تقل اللذة مهما أكثر الإنسان من ألوان المتع : ((لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ))[6] ، إن شهوات الدنيا كما أنها ضئيلة فليست سهلة المنال أيضا ولابد من السعي والتعب ،

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (رواه ابن ماجه ـ برقم 4338)
(2) الصف : 10،11
(3) حديث صحيح (صحيح الجامع ـ برقم 5410)
(4) البقرة : 25
(5) يٓس : 68
(6) الواقعة : 19

فالحصول على الدنيا ليس أمرا سهلا ، فإن المتنافسين على الدنيا كثير وطلاب الدنيا كثير ، وهم يتقاتلون ويتشاحنون عليها ، ويتشبثون بها بأيديهم وأسنانهم ، ومن يأتي بينهم ليتنافس على الدنيا لا يرقبون فيه إلا ولا ذمة فيأكلوه ، ورغم أن متاع الدنيا قليل لكن الشيطان يزين للإنسان كل ما هو حرام لكي يجره إلى أن يقع فيه فيصور له أن في ذلك نفع عظيم له أو متعة عظيمة له كما فعل مع آدم عليه السلام : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[1] ، ومهما فعل الإنسان فالدنيا دار شقاء : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ))[2] ، أما شهوات وطعام وفواكه الجنة ((لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ))[3] .

ـ فلا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة المال وقيمة الشهوات الدنيوية وقيمة الطعام والشراب الدنيوي في نظر الإنسان ، وحتى تكون شهوات الجنة لها قيمة حقيقية في النفوس وقدر وأهمية ، بمعنى أن تكون قيمة شهوات الجنة وما فيها من نعيم دائم أعظم بكثير من قيمة ما في الدنيا من شهوات فانية ، فيؤدي ذلك إلى أن يكون تعلق المشاعر بالله والآخرة أكبر ، فهو بذلك يرى الآخرة أفضل وأدوم : ((وَلَلآخِرَةُ أكبر دَرَجَاتٍ وَأكبر تفضِيلا))[4] ، ((وَالآخرة خَيْرٌ وَأَبْقَى))[5] .

ـ لا يتحقق الإحساس بقدر عظم السعادة في الجنة وعظم الألم في النار إلا إذا تحقق الإحساس بقدر ضآلة متع الدنيا وضآلة آلام الدنيا ، أي ضآلة حجم شهوة المال وضآلة حجم شهوة النساء وضآلة حجم شهوة الطعام والشراب وضآلة حجم شهوة الزعامة والمناصب والمظاهر وهكذا ، وكذلك ضآلة حجم أي آلام أو متاعب أو مشاكل أو ضيق في الدنيا ، إذن الإحساس بقدر خطورة الآخرة لا يتحقق إلا إذا تحقق الإحساس بقدر ضآلة الدنيا وفي الحديث : ((يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أَيْ فُلانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلاءً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أَيْ فُلانُ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلاءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلا بَلاءٌ))[6] ، وبالتالي من عرف حقيقة الدنيا فقد عرف حقيقة الآخرة ومن عرف حقيقة نفسه فقد عرف الله ، أي من عرف ضآلة نفسه عرف عظمة ربه ، ومن عرف ضآلة الدنيا عرف خطورة الآخرة ، وطالما أن الإنسان لا يزال مغرور بألوان السعادة في الدنيا ويظن فيها سعادة كبيرة وتنشغل بها أكبر همومه ومشاعره فهو لا يزال لا يوقن يقينا حقيقيا بالآخرة وبعظمة الله وخطورة أن الله مطلع عليه .

ـ الإحساس بمعنى الخلود في الجنة :

ـ إنها السعادة الأبدية في متعة ولذة بلا حدود وإلى الأبد ومع الجميلات الفاتنات الساحرات من الحور العين ليس مائة سنة ولا ألف ولا مليون ولا مليار سنة إنها حياة بلا نهاية ، قارن هذا أمام السنوات الحقيرة المعدودة في الدنيا ، فلا وجه للمقارنة أصلا ، فإنك في الجنة سوف تبقي شباب للأبد بلا مرض ولا ضعف ولا موت مع كل ألوان المتع .

ـ الشعور بأن الجنة هي المستقبل القريب والطموح والأمل :

ـ لماذا تؤمل في متع من الدنيا ضئيلة وتنتظرها وتفكر فيها في حين أنك قريبا جدا تصل إلى متع بلا نهاية بلا حدود ، فالجنة بعد لحظات ولكنك لا تدري فما سنوات العمر إلا لحظات ففي الحديث : ((الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ))[7] ، فابقي كما أنت تؤمل في متع

---

(1) طـه : 120
(2) البلد : 4
(3) الواقعة : 33
(4) الإسراء : من الآية 21
(5) الأعلى : 17
(6) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321)
(7) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3115 في صحيح الجامع .

وملذات ولكن في متع وملذات الجنة ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : مَرّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌّ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ((مَا أُرَى الأمر إلا ّ أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ))[1] .

ـ من المشاعر الناشئة عن الإحساس بنعيم الجنة :

ـ الشعور بخوف المهابة من مدى ما فيها من أمور عجيبة جدا ومذهلة والشعور بالشوق والحب للجنة والشعور بالأمل والرجاء فيها والشعور بالخوف من فواتها، والشعور بالصبر والترقب والانتظار للوصول إليها .

****
***

ـ الإحساس بوجود النار (الإحساس بموجبات خوف المهابة والكراهية للنار)

ـ الإحساس بوجود النار :

ـ إن الغرض الأصلي من وجود النار في الدنيا هو أنها تذكرة لنار الآخرة : ((نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ))[2] ، ولو كانت نار الآخرة كذلك لكفت ، ففي الحديث : ((ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها))[3] .

ـ لو كانت الشمس هي نار الآخرة لكانت كافية ، فيمكن أن نتخيل أن الشمس هي نار الآخرة فإذا رأينا مدى حجمها وشدة نارها بحيث أنها يمكن أن تبتلع الأرض ومن عليها ولا يمثل ذلك من حجمها سوى واحد على مليون من حجمها ، وشدة نارها تصل إلى ملايين الدرجات المئوية ، وحر الصيف الذي نعيشه هو مجرد اقتراب بسيط جدا من الشمس فنحن على مسافة هائلة منها ، فالشمس عبارة عن كتلة هائلة من النار معلقة في الفضاء ونحن على هذه الكرة ندور حول هذه الشمس في دورة كل عام ، فإذا ما تصورنا حجم هذه النار ووجودها وأننا ندور حولها وأثرها الواصل إلينا فيمكننا أن نتصور مدى خطورة نار الآخرة الأكثر شدة والتهابا .

ـ وحيث أن وجود هذه الشمس التي هي نار معلقة في الفضاء أمر عجيب وخارق للأسباب حيث أنها لا تقع وحيث أنها بهذه الشدة والالتهاب وحيث أنها ما زالت موقدة ولم تنطفئ على مدى مليارات السنين من قبل خلق البشر أساسا ، فما بالك إذن بنار الآخرة .

ـ وجميع النجوم مثل الشمس عبارة عن نار هائلة معلقة في الفضاء ، ومنها ما هو أضخم من الشمس ملايين المرات ، وهذه النجوم ما هي إلا عبارة عن زينة للسماء فانظر إلى مدى قدرة الله تعالى .

ـ ونار الآخرة موجودة الآن وبالطبع هي أضخم من كل هذه النجوم .

ـ الإحساس بمدى عذاب وألم النار :

ـ إذا ذهبت إلى قسم الحرائق بأحد المستشفيات ونظرت كيف تفعل النار في الجسم ، بماذا تشعر ؟ ، وهذا بعد أن حدث الحريق فما بالك لو رأيت حادثة ما فيها أحداً يحترق ، وما بالك إذا كنت أنت المصاب في هذه الحادثة ؟ ، إن أهل النار يسمع لجلودهم أزيز من الاحتراق مثلما توضع الدجاجة في النار لتشوي ، فما بالك لو أنك أنت في مكان هذه الدجاجة ، إذا لم يتحقق عندك الشعور بالخوف من النار فإن النار في مشاعرك لا تنفع ولا تضر مثل النار التي وضع فيها سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فإن

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1393 ، برقم : 4160)
(2) الواقعة : 73
(3) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 709 ، برقم 2589)

نار الآخرة في الاقتناع النظري عذابها شديد أما نار الآخرة في مشاعر البعض فإنها نار لا تحرق قد سلبت منها خاصية الإحراق ، فنار الآخرة لا وجود لها في مشاعر البعض .

ـ ومما ورد في عذاب أهل النار ما جاء في تفسير ابن كثير : (((ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) .. قال ابن عباس فاسلكوه تدخل في أسته ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى))[1] ، وفي تفسير القرطبي : ((وقال مقاتل لو أن حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال كعب إن حلقة من السلسلة التي قال الله تعالى ذرعها سبعون ذراعا أن حلقة منها مثل جميع حديد الدنيا ، فاسلكوه قال سفيان بلغنا أنها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه))[2] ، وفي الحديث : ((لو كان في هذا المسجد مائة ألف أو يزيدون وفيهم رجل من أهل النار فتنفس فأصابهم نفسه لاحترق المسجد ومن فيه))[3] ، وفي الحديث : ((إن في النار حيات أمثال أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا ، إن فيها لعقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا))[4] .

ـ الإحساس بضآلة آلام الدنيا أمام ألم النار :

ـ إن نار الآخرة أمر أبعد من كل تصوراتنا وخطر من أشد ما يمكن ، وإذا وضعت مقارنة بين نار الآ خرة وكل مخاوف الدنيا وآلامها فإنها لا تساوي شيئا ، وفي الحديث : ((يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنَ الْكُفَّارِ فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ فِي النَّارِ غَمْسَةً ، فَيُغْمَسُ فِيهَا ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ نَعِيمٌ قَطُّ ، فَيَقُولُ لَا مَا أَصَابَنِي نَعِيمٌ قَطُّ ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ الْمُؤْمِنِينَ ضُرًّا وَبَلَاءً ، فَيُقَالُ اغْمِسُوهُ غَمْسَةً فِي الْجَنَّةِ ، فَيُغْمَسُ فِيهَا غَمْسَةً فَيُقَالُ لَهُ أَيْ فُلَانُ هَلْ أَصَابَكَ ضُرٌّ قَطُّ أَوْ بَلَاءٌ فَيَقُولُ مَا أَصَابَنِي قَطُّ ضُرٌّ وَلَا بَلَاءٌ))[5] ، إلا أنك إذا قارنت بين الحالة النفسية للخوف من أي أمر دنيوي وبين الحالة النفسية للخوف من الآخرة تجد حالة خوف حقيقية هائلة في النفس من الأمر الدنيوي في حين لا تجد أي شعور نفسي حقيقي عند مَنْ يدعي الخوف من النار ، وإذا افترضنا أنه وُجد فلا يساوي واحد علي ألف من أقل شيء مخيف في الدنيا ، فلا ألم في ألم بعده الجنة ولا راحة في راحة بعدها النار ، لذلك فالعاقل يستوي عنده ألم الدنيا مع نعيمها : ((لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ))[6] ، فقارن بين مخاوف الدنيا الفانية وبين الشقاء إلى الأبد فتعيش في عذاب بلا حدود وإلى الأبد ، فإن كل آلام الدنيا وهمومها وأحزانها ومشاكلها ليست بشيء أمام آلام النار .

ـ ومن لم يشعر بالفارق بين آلام الدنيا وألم النار باع إيمانه مخافة آلام الدنيا وسقط في اختبار الابتلا ءات : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ))[7] ، أما من شعر بهذا الفارق لم تهمه آلام الدنيا ، وفي الحديث : ((لو أن رجلا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة))[8] .

ـ من المشاعر الناشئة عن الإحساس بألم النار :

ـ خوف المهابة لمدى عظم حجم النار وعظم آلامها ، والشعور بالكراهية الشديدة للنار والاشمئزاز و الضيق والألم والنفور عند تذكرها ، والشعور بخوف العقاب من دخول النار ، والشعور بالأمل والرجاء

---

(1) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت : (ج : 4 ، ص : 417)
(2) الجامع لأحكام القرآن : (ج : 18 ، ص : 272) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(3) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3668)
(4) حديث صحيح (السلسلة الصحيحة برقم 3429)
(5) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج :2، ص : 1445 ، برقم : 4321)
(6) الحديد : 23
(7) العنكبوت : من الآية 10
(8) السلسلة الصحيحة (446)

في النجاة منها .

الفصل الرابع

الإحساس بقدر الملائكة والقرآن والرسل (الإحساس بموجبات خوف المهابة و

ـ أولا : الإحساس بوجود الملائكة معنا (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)

ـ الفرق بين اليقين النظرى واليقين الحقيقى بوجود الملائكة معنا :

ـ كل إنسان على اقتناع نظري تام بأن هناك رقيب وعتيد يسيران معه في كل لحظة لا يفارقانه ، فهل عنده شعور بأنه مراقب وأن ما قاله وفعله منذ قليل تم تسجيله ، وهل يشعر بما سيكتبوه في صحيفته الآن وبعد قليل ، فإذا لم يشعر بشيء من ذلك في حياته فهذا يعني أن الرقيب والعتيد غير موجودان في مشاعره ، فالإنسان عندما يتصور أنه مراقب في كل لحظة وأن هناك من يعدون عليه كلماته وكل حركاته يأخذه خوف المهابة ، كما أنه عندما يتصور أن اثنين يسيران معه ليسوا من البشر بل أقوى بكثير وفوق ذلك أنهما لهما القدرة على إخفاء نفسهما بحيث لا يراهم أحد ، ولهما قدرة هائلة أعظم من كل قدرات البشر ، فهذا يؤدي إلى خوف المهابة من الملكين الرقيب والعتيد بسبب تسجيلهما لكل شيء وبسبب مدى قدرتهما ، ويؤدي إلى حب الإعجاب بمدى قدرتهما ، وخوف المهابة هنا هو من خوف المهابة من الله لأنه هو الذي خلق لهما هذه القدرة الهائلة فهو أقدر منهم ، وكذلك حب الإعجاب هنا هو حب في الله لأنه الأقدر والأعظم وهو الذي أعطاهم هذه القدرة .

ـ وكيف تكون حياة الناس لو أن الله جعل الناس يرون الرقيب والعتيد يسيران مع كل واحد ومعه في كل لحظة ، وهل رؤية الناس لهم تغير من حقيقة وجودهم معنا شيء ؟ ، ولكن المشاعر تكذب بوجود شيء اسمه الملائكة رغم وجود الاقتناع النظري التام بوجودها ، وماذا أيضا لو أن الله كشف الحجب فرأي الناس الله وهم في الدنيا ، وهل هذا يغير من حقيقة وجود الله معنا في كل لحظة ويراقبنا ويري ما يخطر في بالنا شيء ؟ ولكن المشاعر تكذب بوجود الله رغم وجود الاقتناع النظري التام بوجوده .

ـ تصور لو أن الناس ترى الملائكة حولها وفي الطرقات لصعق الناس جميعا وماتوا من هول ما يشاهدونه ، ففي تفسير الخازن : ((ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا ً (يعني ولو أرسلنا إليهم ملكاً لجعلناه في صورة رجل وذلك أن البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس كما جاء جبريل إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في صورة دحية الكلبي وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ولما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه))[1] ، وفي تفسير القرطبي : (((ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) قال ابن عباس: لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته))[2] .

ـ لو قيل لرجل إن الشقة التي تسكنها هي شقة مسكونة ، تسكنها الأشباح والأرواح ، بماذا يشعر ؟ إنه يشعر بالخوف والرعب ، وإذا كان مضطرا للبقاء في هذه الشقة فكيف يعيش حياته وهو مقتنع ومصدق بأن هذه الأشباح والأرواح تعيش معه في شقته ؟ ، إن وجود الملائكة أعظم وأعجب

(1) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع - (2 / 120)
(2) تفسير القرطبي - (6 / 393)

وأغرب من ذلك وهي تعيش معك الآن ، فإذا كنت تدعي أنك تشعر بوجود الملائكة فلماذا لا تشعر بنفس هذا الشعور لهذا الرجل ؟ ، إن البشر ليسوا هم فقط سكان هذه الأرض ، ولكن تعيش معهم كائنات هائلة لا نراها هي الملائكة ، بل إنه لكل إنسان اثنان رقيب وعتيد يسيران معه في كل لحظة لا يفارقانه ، وهذا يعني شعور بمراقبة واصطحاب هذين الملكين لك في كل لحظة ، يا ترى ماذا كتبوا لك في صحيفتك بالأمس ؟ ، إن كل خطوة خطوتها وكل كلمة قلتها بالأمس تم نسخها وتسجيلها : ((هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالحَقّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تعْمَلُونَ))[1] ، وبماذا تعد نفسك ليكتبوه في صحيفتك هذه الليلة ؟ ، فإذا لم تشعر بشيء من ذلك فهذا يعني أن الرقيب والعتيد غير موجودان في مشاعرك .

ـ يدور في خيال بعض الناس أن هناك كائنات فضائية علي كوكب آخر وصلت لتكنولوجيا هائلة وتأتينا إلى الأرض ، ماذا لو كان هذا حقيقة ؟ ، ألا نشعر أن هناك كائنات حقيقية أعظم وأعجب من هذا وهي حولك الآن من الملائكة والجن فلماذا لا تشعر بالخوف ؟ إنك أنت الآن يتم تسجيل ما تقرأه في هذا الكتاب ، ألا يدعو ذلك لحدوث مشاعر ، لو أن إنسان يسير ومعه اثنان ملازمان له في كل لحظة من حياته مهمتهما مراقبته وتسجيل كل شيء عنه وهما في حالة اختفاء فلا تراهما ، فهل يمكن أن ينساهما أو لا يؤثر ذلك في مشاعره شيئا ، إن معك رقيب وعتيد ليسوا من البشر ولكن من خلق آخر هائل الخلقة لا تراهما ، ألا يدعوا ذلك إلى أي شيء من الإحساس أو الشعور بالقلق ، إنك إذا كنت لا تري الملائكة بعينك فهذا لا يعني ألا تشعر بوجودهم حولك ، لأنك إذا لم تشعر بوجود الملائكة فإن الملائكة لا وجود لها في مشاعرك ، إن هناك فرق بين معرفة الشيء بالحواس وبين معرفة الشيء بالمشاعر ، فإن رؤية الملائكة لا يستطيعه أحد لوجود موانع ، أما الإحساس بوجود الملائكة ف لابد من وجوده ، فإن عدم رؤية الشيء لا يعني عدم وجوده ، ولكن قد تكون هناك موانع تحول من الرؤية ، فلو أراد الله أن تزول الموانع من رؤية الملائكة لرأي الناس كلهم الملائكة وهي تسير حولنا ومعنا في الطرقات الآن ، وعلي المرء أن يتصور ويشعر بأن هذه الموانع غير موجودة فيشعر أنه يري الملائكة ، وبغير هذه المعرفة الحقيقية لا تستطيع أن تشعر أن الملائكة موجودة وتراك وتسمعك ولا تستطيع أن تشعر بصفات الملائكة وخلقتهم الهائلة ، فإنك عندما تسير في الطريق لماذا لا تشعر أنهما يسيران معك ؟ أليس هذا حق ؟ ، فبماذا تشعر تجاه الملائكة وهي تراك الآن وأنت لا تراها ؟ ، إن هذا تصور بسيط جدا ، وهذا واقع الآن وليس من الغيبيات المستقبلية ، ولكنك تجد هذا الكلام مستغربا رغم أنه الواقع ، وإذا لم تشعر بالملائكة الموجودة الآن معك فكيف تشعر بما هو أبعد من ذلك بالآخرة التي لم تقع بعد والتي هي أعجب وأغرب وأخطر .

ـ إذن هناك فرق بين الاقتناع بوجود الملائكة والإحساس بوجودها معنا ، فغياب الإحساس بوجود الم لائكة يعني غياب الإحساس بوجود كائنات لا نراها وبعضها لها صلة بنا في عالم الشهادة ، وبالتالي لا بد من وجود نفس الشعور الذي يشعر به إنسان يحس أن حوله كائنات لا يراها لأن وجودها وجود حقيقي وليس وجود مجازي ، وكما أننا لا نرى الملائكة فنحن أيضا لا نسمعها ففي الحديث : ((ما طلعت شمس قط إلا بعث بجنبتيها ملكان إنهما يـ ُسـ ْمـ ِعان أهل الأرض إلا الثقلين : يا أيها الناس هلموا إلى ربكم فإن ما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، ولا غربت شمس قط إلا وبعث بجنبتيها ملكان يناديان : اللهم عجل لمنفق خلفا وعجل لممسك تلفا))[2] .

ـ وإذا كانت الملائكة التي لا نراها أمر يثير المشاعر خوفا وحبا ، فما بالك بمن لا نراه وهو خالقها وأعظم منها في القدر والقدرات وهي مخلوقات من ملكه وعبيده !! .

ـ أيهما أصعب الإحساس بوجود الملائكة وهي حولك ، أم الإحساس بوجود الله ؟ ، طبعا الإحساس بوجود الله أصعب ، وذلك لأن الملائكة كائنات مخلوقة يمكن تصور شكلها في الذهن بأي شكل رهيب أو مرعب لضخامة حجمها وقوتها ، كما أنها تعيش معنا وترافقنا فيكون الإحساس بوجودها أسهل ، أما الله سبحانه فليس كمثله شيء سبحانه ، فإذا لم تكن تشعر بوجود الملائكة وهي حولك ، فهذا

(1) الجاثـية : 29
(2) حديث صحيح : (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم 3167)

يعني أنك لا تشعر بوجود الله ، كما أن الإحساس بمراقبة الملكين لك ، أسهل من الإحساس بمراقبة الله لك ، فإذا لم تكن تشعر بمراقبة الملكين لك ، فهذا يعني أنك لا تشعر بمراقبة الله لك .

ـ تصور لو قيل أن القيامة تقوم الآن أو هذه الليلة ، وتخيل حالة الرعب والفزع والاستعداد السريع و التأهب ، وتصور لو قيل لك أنك ستموت الآن أو الليلة ، وتخيل الشعور بفراق كل شيء في الدنيا و الشعور بالفزع والرعب ، وتصور لو رأى الناس الملائكة عيانا لتكدرت حياتهم ولتركوا متع النساء ولخرجوا إلى الصعدات يجأرون إلى الله ففي الحديث : ((إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله))[1] ، هنا تعرف حجم الفارق الكبير بين مجرد اليقين النظري بوجود الملائكة معنا و اليقين الحقيقي بذلك .

ـ وقد جاء في تفسير القرطبي : ((ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر قال ابن عباس لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته))[2] ، وفي تفسير الثعالبي : ((لماتوا من هول رؤية الملك في صورته))[3] ، وفي تفسير روح المعاني : ((ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر أي أمر هلاكهم لعدم قدرتهم على تحمل مشاهدته))[4] .

ـ إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن هذه الحقيقة فأنت مراقب شعرت بذلك أم لم تشعر ، فيجب عليك أن توقن بذلك يقينا حقيقيا ، فالقضية خطيرة ولكننا في غفلة ، فالإحساس بالمراقبة مرتبط ارتباط تام بالإحساس بوجود الله والملائكة ، فإذا لم يكن الإحساس بالمراقبة موجودا فهذا يعنى أن الإنسان لا يشعر بوجود الله أو وجود الملائكة أصلا ، والشعور بالمراقبة يعني الشعور كأن هناك كاميرات مراقبة في كل مكان في بيتك وفي الشارع تسجل كل شيء عنك ، فهذا يؤدي إلى الخوف الشديد من مهابة الأمر وخطورته .

ـ لقد صنع الله مخلوقات من النار ومخلوقات من النور ومخلوقات من الطين هم الجن والملائكة والإ نسان ، وأنت واحد من هذه المخلوقات ، فلابد أن يشعر الإنسان بمدى قدرة الله على إيجاد مخلوقات مختلفة عن بعضها تماما ، فيشعر أنه ضعيف وأن الله هو القوي ويعترف بضعفه ، ويشعر بمدي قوة الله .

ـ لماذا تخاف الملائكة من الله ؟ : ((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ))[5] ، وكيف أن هذا الخوف يؤدي بهم إلى عمل دائم هو أنهم يسبحون الله تعالي ، وفي الحديث : ((مررت بجبريل ليلة أسري بي بالملإ الأعلى وهو كالحلس[6] البالي من خشية الله عز وجل))[7] ، إن الملائكة عرفت عظمة الله وعظمة قدره وعظمة قدرته معرفة حقيقية أدت إلى خوف المهابة والحب لله ، وأنت أيضا إذا كنت تعرف قدرة الله معرفة حقيقية فلابد أن ينشأ عن ذلك خوف المهابة والحب لله تعالى .

****
****

ـ ثانيا : الإحساس بوجود كلام للخالق وإنزاله إلى الناس (الإحساس بموجبات خوف المهابة و الحب)

---

(1) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 556 ، برقم 2312)
(2) تفسير القرطبي – (ج : 6 ، ص : 393)
(3) تفسير الثعالبي : (ج : 1 ، ص : 507)
(4) تفسير روح المعاني : (ج : 7 ، ص : 107)
(5) الرعد : من الآية 13
(6) الحلس هو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير تحت السرج
(7) السلسلة الصحيحة (2289)

ـ مفهوم اليقين بالقرآن :

ـ اليقين بالقرآن نقصد به الجانب الغيبي أي اليقين بأنه ليس كلام أحد من البشر وليس كلام مخلوقات أرقي من البشر على كوكب آخر ولكنه كلام ممن لا نراه ومن فوق سبع سماوات ، إنه من الخالق نفسه سبحانه إلى عبيده من المخلوقات على ظهر الكرة الأرضية ، واليقين الحقيقي بالقرآن هو الشعور بأنه ليس كلاما بشريا وإنما كلام الخالق نفسه .

ـ غياب الإحساس بقدر القرآن (تناسي قدر القرآن) :

ـ جاء في تفسير الرازي : (((وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ، هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالحَقِّ) : { يَقُولُ الذين نَسُوهُ مِن قَبْلُ } معناه أنهم صاروا في الإعراض عنه بمنزلة من نسيه))[1] ، وفي تفسير ابن كثير : (({ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنْسَى } أي: لما أعرضت عن آيات الله، وعامَلْتها معاملة من لم يذكرها، بعد بلاغها إليك تناسيتها وأعرضت عنها وأغفلتها، كذلك نعاملك اليوم معاملة من ينساك { فَاليَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا } [الأعراف : 51] فإن الجزاء من جنس العمل))[2] ، وفي تفسير السراج المنير : (({حتى نسوا الذكر} أي : تركوا الإيمان بالقرآن ، وقيل : تركوا ذكرك وغفلوا عنه))[3] ، وفي تفسير الكشف والبيان : ((بل قلوبهم في غمرة (عمى وغفلة) من هذا (القرآن)))[4] ، وفي تفسير القرطبي : ((بل هم عن ذكر ربهم أي عن القرآن وقيل عن مواعظ ربهم وقيل عن معرفته معرضون لاهون غافلون))[5] ، وفي تفسير الطبري : (({ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا } ، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : ومن هؤلاء العادلين بربّهم الأوثانَ والأصنامَ من قومك يا محمد "من يستمع إليك"، يقول : من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك ، وأمره ونهيه ، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعيه قلبَه ، ولا يتدبره ، ولا يصغي له سمعه ، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك ، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك ، ولا يعقل عنك ما تقول ، لأن الله قد جعل على قلبه "أكنّة"))[6] .

ـ الإحساس بوجود كلام للخالق وإنزاله إلى الناس :

ـ أكبر دليل على وجود الخالق وعلى الرسل والدين هو أن كلام الخالق بين يديك تقرأه ، والدليل على أن الذي بين يديك تقرأه هو كلام الله الإعجاز الذي فيه (كالإعجاز البلاغي والعلمي وغير ذلك من ألوان الإعجاز) .

ـ إذا ألقى أحد الرؤساء أو الزعماء أو القادة خطبة فإنك تجد اهتمام الناس والإعلام بكلام وتصريحات الرؤساء والزعماء وتحليل أقوالهم ، وذلك لأنه طالما أن الكلام صادر عن مسئول كبير أو عن عظيم فكلامه مهم وعظيم يهتم به الناس ، وإذا أهمل الناس وتجاهلوا كلام زعيم من الزعماء فهذا يعني أن ذلك الزعيم ليس ذو أهمية في نظرهم ، إذن عظمة الكلام تأتي من عظمة قائلها .

ـ إذا كنت لا تشعر بقدر وعظمة القرآن ، فإن القرآن في مشاعرك هو كلام عادي مثل كلام أي شخص عادي ، وإن كان في الاقتناع النظري هو كلام الله العظيم وهو القرآن العظيم ، وهذا هو الفرق بين ا لاقتناع النظري والإحساس بقدر القرآن .

ـ الإحساس بقدر ما يعنيه وصول كلام من الخالق :

(1) تفسير الرازي - (ج 7 / ص 109)
(2) تفسير ابن كثير / دار طيبة - (5 / 324)
(3) تفسير السراج المنير ـ موافق للمطبوع - (3 / 9)
(4) الكشف والبيان ـ موافق للمطبوع - (7 / 51)
(5) تفسير القرطبي (ج : 11 ص : 291)
(6) تفسير البغوي : (ج 7 / ص 283)

ـ لقد وضع علماء الفلك أجهزة إستقبال هائلة تستطيع أن تستقبل أصوات أو رسائل لأي كائنات يمكن أن تكون موجودة في مجرات أخري فذلك أمر عجيب ، إن هناك قوة خفية عنا هي التي تدير هذا الكون الهائل فذلك قوة الخالق ، فكيف نتصور أن يصل إلينا كلام من الخالق من فوق سبع سماوات وليس من مجرة أخري إلى سكان الكرة الأرضية من البشر ووصوله بلغة البشر وتحديدا باللغة العربية ؟ ، كيف ينزل هذه الكلام وكيف يمكن إستقباله ؟ إنه أمر عظيم يشتاق إليه الإنسان ليعرف مَنْ هذا الخالق وما يريده منا ؟ ، تخيل حال الناس بغير أن تنزل الكتب السماوية أو يأتي الرسل إنهم سوف يتمنون أن يرسل الخالق إليهم رسالة يعرفهم بمراده ويقسموا أنهم سيكونون في قمة الخضوع و الشكر لذلك : ((وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى))[1] ، إنه كلام ليس من كائنات متطورة عنا ولكنه من الذي بيده ملكوت كل شيء إلى سكان هذه الهباءة من الأرض .

ـ إن القرآن هو رسالة من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فهو بين أيدينا الآن نقرأه في عالم الشهادة ، لو كان القرآن الذي بين أيدينا الآن هو كلام لرجل في عالم الغيب ينصحنا فيه ويعرفنا بما يكون من أمر الآخرة لكان له شأنا عظيما ، فما بالك وهو كلام الخالق وهو يخبرنا بما يكون من أمر المستقبل في الآخرة .

ـ تصور رسالة نزلت إلينا من السماء مكتوب فيها : " من الله تعالى إلى الناس ...." مثلا فكيف تشعر بكلام الله وكيف تتعامل مع كلام الله من العظمة ؟ ، فإن إنزال القرآن من عند الله ليس أمر عادي وإنما يدعو إلى الشعور بالإنبهار والوجل والتعظيم .

ـ إنك إذا نظرت إلى ساحر مثلا فيأخذك العجب وتتفاعل مشاعرك بما يصنع ، فماذا لو كان سحره هذا حقيقة ؟ ، فما بالك والقرآن أعظم معجزة فهو أعظم من معجزات كل الأنبياء ، فهل تنظر إلى القرآن بين يديك علي أنه معجزة فتتفاعل مشاعرك بما فيه من إعجاز ؟ .

ـ إذن فالإحساس بوصول كلام من الخالق يعني الشعور بخوف المهابة والحب لأن الإنسان يحب الشيء العظيم القيمة الهام ، ولكنك تجد أن القرآن نزل علي الإنسان فلم يتأثر به في حين لو نزل القرآن علي جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ))[2] ، وما أكثر ما ورد عن الصحابة والتابعين عن تأثرهم بالقرآن لمجرد أنهم شعروا أنه كلام الخالق العظيم سبحانه إلى العبيد من البشر .

ـ إن الذي يحمل مصحفا ولا يدري مدى خطورة ما يحمل وقيمته وما يعنيه من الأهمية ، وبالتالي لا يعمل بما فيه فهو كالحمار : ففي تفسير ابن كثير : ((يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم فى ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدرى ما فيها فهو يحملها حملا حسيا لا يدرى ما عليه وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى : ((أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون))[3] .

ـ تخيل لو أن هناك كنز عظيم جدا يطمح إليه كل الناس لكن لا أحد يعرف مكانه بالضبط وكيفية الوصول إليه ، فإذا وجدت خريطة مكتوب فيها مكان الكنز وكيفية الوصول إليه كيف يكون فرحك وحبك لمدى أهمية وخطورة هذه الخريطة ، إن هذا الكنز حقيقي فعلا وأعظم من كل الكنوز التي يتخيلها الإنسان وهو الجنة وهذه الخريطة هي القرآن ، أو تخيل لو أن هناك كارثة متوقعة سوف تهلك الناس ولا أحد يعرف كيفية الخلاص فإذا وجدت خريطة مكتوب فيها كيفية الخلاص من هذه الكارثة فكيف يكون فرحك وحبك لهذه الخريطة ، إن هذه الكارثة حقيقية فعلا وهي النار ، وهذه

(1) طه : 134
(2) الحشر : من الآية 21
(3) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 4 ، ص : 365)

الخريطة هي القرآن ، أو تخيل أننا نعيش من غير رسل فلا أحد يدرى ما سر الحياة وما سر الأشياء ولماذا خلقنا ثم عثرت على مخطوطة قديمة تكشف لنا هذه الأسرار فكيف يكون فرحك بها وحبك لها ، إن هذه المخطوطة هي القرآن .

ـ الشعور بأن هذا القرآن هو كلام الله :

ـ ويتم ذلك من خلال الإحساس بقدر إعجاز القرآن والسنة ، ومن هنا يظهر أهمية معرفة ألوان الإ عجاز في القرآن كالإعجاز العلمي والبلاغي وغيره ولكن ليس كمعرفة نظرية ولكن كمعرفة حقيقية ينشأ عنها تفاعل المشاعر والتحير والتعجب لخطورة هذا الإعجاز .

ـ الإحساس بعظمة وقدر المتكلم (الله سبحانه وتعالى) :

ـ عندما تقرأ القرآن لابد أن تشعر بقدر مَنْ هو قائل آيات القرآن الذي يخاطبك ويخاطب الناس ، وتشعر بعظمة القرآن من شعورك بعظمة الله ، وتشعر بأن الله يكلمك أنت ، وأن هذا الخطاب موجه إليك من فوق سبع سماوات ، وإلا فمَنْ الذي يكلمك ، فلابد أن تشعر بالمتكلم (الله سبحانه) وتشعر بـ المخاطب وهو أنت أو الناس ، وإلا فأنت لا تشعر بمَنْ قائل هذا الكلام ولمَنْ يقوله ، فيكون هذا صلة مادية محسوسة تزيد من شعورك بوجود الله وصفاته .

ـ من المشاعر الناشئة عن الإحساس بقدر القرآن :

1ـ الشعور بخوف المهابة والرهبة والوجل والتعظيم لأن عظمته من عظمة الله : ((يقول ابن الجوزي : (والله لو أن مؤمناً عاقلا ً قرأ سورة الحديد وآخر سورة الحشر وآية الكرسي وسورة الإخلاص بتفكر وتدبر لتصدّع قلبه من خشية الله وتحيّر من عظمة الله ربّه)))[1] .

2ـ حب القرآن : الشعور بحب القرآن لأنه عظيم القدر من عظمة الله سبحانه ، ولأن القرآن هو كلام وصل إليك من حبيبك فأنت تحبه ، ولأنه يدلك على طريق الهداية ، فلو أن إنسان دلك علي طريق مضمونة تكسب بها مليون جنيه ! ، بماذا كنت تشعر حينئذ ؟ ، إنك كنت ستحبه حبا جما ويكون عندك ذو قدر عظيم ، فما بالك والقرآن قد دلك علي طريق السعادة الأبدية في جنات النعيم ودلك علي طريق النجاة من نار الجحيم ، ((وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ))[2] ، فالقرآن مليء بضرب ا لأمثال والإيضاحات لتحقيق مراد الله من الناس ، وذلك رحمة من الله بالناس ، بل إن الله قد أخبر الناس بما سيحدث في الآخرة ، وأوضح لهم كل العقبات التي يمكن تعوق تحقيقهم لمراد الله حتى العقبات التي في داخل أنفسهم ، فأقام عليهم الحجة دامغة .

****
****

ـ ثالثا : الإحساس بقيمة إرسال الوحي إلى بعض البشر (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)

ـ اليقين بالرسل نقصد به الجانب الغيبي أي اليقين بنزول الوحي عليهم ، واليقين الحقيقي بالرسل هو الشعور بمسألة نزول الوحي على الرسل .

ـ إن الإجابة على سؤال القبر : من نبيك ؟ ليس مجرد أنه محمد (ص) ولكن السؤال معناه من الذي تقتدي به وتحبه وتعجب به وتجعله مثلك الأعلى ونموذج تسير على منهاجه وتتشبه بخلقه هل هو لا عب كرة أو ممثل أو مغني أو عالم أو إمرأة تحبها أو هو محمد (ص) ؟ ، فعلى هذا تكون الإجابة فمن الناس من يجيب أن نبيه مايكل جاكسون ! ، وكذلك السؤال : من ربك وما دينك ؟ ، فمن الناس من يجيب أن ربه المال ودينه السعي للمال والعيش له أو الشهوات ... الخ .

ـ من قال أنا لا أحب النبي فقد خرج من الملة ، ومن قال أنا أحب النبي (ص) وهو لا يحبه فقد وقع

---

(1) سلسلة أعمال القلوب للشيخ محمد المنجد : (ج 1 / ص 71)
(2) الشورى : من الآية 52

في النفاق الأكبر حيث لم يتحقق في داخله شعور بحب النبي (ص) : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ))[1] ، ((فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))[2] ، ((وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ))[3] ، فمحبة بعض الناس للرسول (ص) هي محبة صورية وليست محبة حقيقية .

ـ جاء في تفسير ابن كثير : ((قل هو نبأ عظيم أي خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم انتم عنه معرضون أي غافلون قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل قل هو نبأ عظيم يعني القرآن))[4] ، فإرسال الرسل أمر عظيم وخطير لكننا لا ننتبه إلى خطورته .

ـ الإحساس بمعنى (رسول الله) :

ـ الرسول هو الذي ينقل رسالة من شخص إلى شخص ، ورسول الله أي الذي ينقل رسالة من الله إلى الناس ، وهذا يعني أن يشعر الإنسان بوصول رسالة من عالم الغيب إلى أحد البشر ليكون بذلك رسولا إلى الناس ، فإذا لم يشعر الإنسان بتلك الصلة بين أحد البشر وبين الغيب فإن الرسول في مشاعره سوف يكون رجل عادي أتى برسالة عادية من شخص عادي ، وإن كان في الاقتناع النظري هو رسول الله أتى برسالة عظيمة من العظيم سبحانه ، وهذا هو الفرق بين الاقتناع النظري والإحساس بقدر الرسول (ص) .

ـ إن إنزال الوحي من السماء من عالم الغيب إلى واحد من البشر في عالم الشهادة أمر عجيب ويحتاج إلى تصور وشعور ، فمثلا لو قال أحد رواد الفضاء أنه وصلته رسالة من كائنات فضائية على كوكب لنجم آخر في السماء فلابد أن يحدث العجب والانبهار ، فالإحساس بقدر كلمة (رسول الله) يعني الإحساس بكيفية وصول رسالة من أحد لا نراه وليس من البشر ، وليس الأمر فقط كذلك بل إنه من الخالق العظيم ومن فوق سبع سماوات تنزل رسالة إلى واحد من سكان الكرة الأرضية (تلك الهباءة المعلقة في الفضاء) ليبلغ رسالة الخالق العظيم إلى باقي العبيد .

ـ إن الذي خلق الإنسان وكل هذا الكون لا يمكن أن يتركهم دون يعرفهم بمَنْ هو ولماذا خلقهم ، ولكي يعرفهم بذلك ، فإما أن يكلم هو الناس فيسمعه كل الخلق ، فبماذا يشعر الناس عندئذ ؟ ، إنه شعور رهيب ، أو يُنزل إليهم أحدا من الملائكة فينزل من عند الله ويهبط إلى الناس من السماء فيخبرهم ، وتصور ذلك عندما ينزل إلى الناس ملك من الملائكة يمشي بين الناس ويكلمهم وهو علي هيئته الهائلة المرعبة ويراه الناس ويكلمونه ويرد عليهم ، ويخبرهم أنه جاءهم من عند الله ، بماذا يشعر الناس عندئذ ؟ ، إنه أيضا شعور رهيب ، إن ذلك يزيد من شعورهم بالله أي يزيد من إحساسهم بوجوده وصفاته لأن أمامهم مَنْ جاء إليهم من عنده ، ومن رحمة الله أنه أنزل الوحي على بعض البشر ليكونوا رسلا إلى الناس .

ـ إن الرسول هو واحد من البشر ، وذهب إلى الله وقطع مسافة رهيبة بالبراق (في رحلة الإسراء و المعراج) ، وتخيل لو أنك أنت سمح لك الله أن تذهب في هذه الرحلة لتصل إلى الله مثلما سبقك واحد من البشر [الرسول (ص)] ، بماذا تشعر ؟ ، وبماذا كنت تكلم الله ؟ ، إنك ينبغي أن تتخيل أن الرسول نزل إليك أنت شخصيا عائدا من رحلة المعراج ليبلغك بما قال الله له ، فهذا هو الإحساس بقدر كلمة (رسول الله) ، إنه شعور رهيب أن يأتيك أحد برسالة من عند الله تعالي .

ـ تصور أنه يأتي إليك رجل فيقول لك : أنا قدمت الآن من كندا (مثلا) وكنت مع أخيك في السفر ، وهو بخير ويخبرك بكذا وكذا ، إن هذا الرجل هو رسول لك من عند أخيك ، فكذلك فإن رجلا جاء إلى الناس وقال لهم إني رسولٌ إليكم من عند الله ، إن الرسول (ص) لم ينزل من السماء إلا أنه

---

(1) الصف : 2
(2) العنكبوت : من الآية 3
(3) العنكبوت : 11
(4) المرجع السابق (ج : 4 ص : 43)

يستطيع أن يستقبل الرسائل (الوحي) من عند الله ، فينزل الوحي من عند الله حاملا الرسالة إلى الرسول (ص) ، فإن جبريل هو رسول بين الله ومحمد (ص) .

ـ مما سبق يتبين ماذا يعني أن يكون هناك رسول من عند الله إلى الناس فتشعر بوجود صلة محسوسة تربط بين الناس وبين الله فتشعر بمَنْ أرسله إليك فتخضع له وتخضع لأمره .

ـ إن الإحساس بقدر الرسول يقتضي مرحلتين : مرحلة نزلت فيها رسالة الله من فوق سبع سماوات من عند الله إلى الكرة الأرضية تلك الهباءة الضئيلة في الفضاء وذلك بواسطة أمين الوحي جبريل فهو رسول سمع ما قاله الله له ثم نقله ونزل به إلى أن وصل إلى الأرض ، والمرحلة الثانية أن يستقبل هذه الرسالة واحد من البشر هو الرسول (ص) لينقله إلى باقي البشر .

ـ الإحساس بقدر الرسول (ص) وحبه :

ـ الرسول يأخذ قدره من قدر من أرسله ، ويأخذ حبه من حب مَنْ أرسله ، فإذا جاءك من حبيب فأنت تحبه وتكرمه وتحتفي به ، وإذا جاءك من عدو فأنت تكرهه ، والرسول (ص) جاءك من عند مَنْ تحب ، فهو ليس رسولا يأتيك برسالة من أي شخص في الدنيا ولو كان ملكا ، إنه يأتيك برسالة من عند ملك الملوك ، ولابد أن تعرف قدر الله سبحانه وعظمته وقدرته أولا فتشعر بعظمة الرسول ليس لذاته ولكن لكونه رسولا للعظيم سبحانه .

ـ نعمة الإسلام هي أحب إليك من نعمة المال والولد والزوجة وأحب إليك من نفسك ، لأن بالإسلام تعرف الله وبه تدخل الجنة وما فيها من النعيم الذي لا ينفد ، وبالتالي من أرشدك إلى الإسلام هو أحب إليك من نفسك ومالك وولدك ، ومن يعرف نعمة الإسلام هو الذي يحب الإسلام ويحب من أرشده إليه أكثر مما يحب نفسه وولده ، فإن الذي يدلك على طريق الكنز أو ينبهك من خطر يهلكك ويدلك على طريق النجاة منه فكأنما هو يعطيك هذا الكنز أو كأنما هو ينجيك من هذا الخطر لأنه إذا لم يدلك على طريق الكنز لم تحصل عليه وإذا لم ينبهك للخطر ويدلك على طريق الهرب والمفر منه وقعت في هذا الخطر ، كما أنك تحب الرسول (ص) في الله لأنه أفضل الناس إيمانا ، بالإضافة إلى فضل الرسول (ص) عليك وعلي الأمة أنه أرشد الأمة إلى طريق الحق ، كما أنه الشفيع ... إلخ ، فأنت تحبه حتى يكون أحب أليك من نفسك ومالك ففي الحديث : ((لا َ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَأَهْلِهِ وَالنّاسِ أَجْمَعِينَ))[1] ، وفي حديث آخر ((.. كنّا مَعَ النّبِىّ صلى الله عليه وسلم وَهْوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطّابِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللهِ لأ َنْتَ أَحَبُّ إِلَىّ مِنْ كُلّ شَىْءٍ إِلا ّ مِنْ نَفْسِى . فَقَالَ النّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : لا َ وَالّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ حَتّى أَكُونَ أَحَبّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ فَإِنّهُ الآنَ وَاللهِ لأ َنْتَ أَحَبُّ إِلَىّ مِنْ نَفْسِى ، فَقَالَ النّبِىُّ صلى الله عليه وسلم : الآنَ يَا عُمَرُ))[2] ، إن مغالاة بعض الناس في حب الرسول وتقديره خطر عظيم ، ولكن الأخطر أن الكثير لا تجد عندهم شعور حقيقي بحب الرسول (ص) وتقديره ، وإن كانوا على اقتناع نظري تام بقدر الرسول (ص) .

ـ إن الرسول (ص) ليس مجرد مرسال أو ناقل لتوصيل القرآن وإن كان في ذلك شرف كبير ومنزلة كبيرة للرسول توجب محبته ، فإن حياة الرسول (ص) نفسها هي رسالة مثل أن القرآن رسالة ، ف الرسول (ص) مشرع وعبارة عن رسالة عملية إلى الناس ولكن في صورة بشر ولم ينزل الله ملكا حتى يكون الرسول (ص) نموذج عملي بشري تطبيقي بلغة الناس ولسان الناس وإمكانياتهم ، وهذا يعني حبه وتقديره مثل حب وتقدير رسالة القرآن لأنهما رسالتان من الله العظيم ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ))[3] ، ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً))[4] ،

---

(1) رواه النسائي (5031)
(2) رواه البخاري (6714)
(3) المائدة : من الآية 15
(4) النساء : 174

((فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[1] .

ـ إن الذي يشعر بقدر الرسول (ص) يشعر بالاشتياق للقاءه قريبا على الحوض وفي الجنة .

الفصل الخامس
خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع

ـ المشاعر تنقسم إلى قسمين :

ـ القسم الأول : المشاعر الغير متعلقة بالثواب والعقاب وهي :

1ـ خوف المهابة من قدرة الله .

2ـ الخضوع الناشئ عن خوف المهابة من قدرة الله .

3ـ حب الإعجاب بقدرة الله .

4ـ الخضوع الناشئ عن حب الإعجاب بقدرة الله .

ـ فالعبادة مبنية على أمرين عظيمين هما الحب وخوف المهابة أو الرغبة والرهبة وينشأ عن ذلك الخشوع والخضوع : ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ))[2] ، أي أنهم كان عندهم رغبة ورهبة أدت إلى الخشوع والخضوع فأدى ذلك إلى العمل والمسارعة في الخيرات والدعاء .

ـ اليقين الحقيقي بوجود الله معناه خوف المهابة من الله ، فإذا لم يتحقق خوف المهابة لم يتحقق اليقين الحقيقي بوجود الله ووقع الإنسان في النفاق الأكبر : ((وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً))[3] .

ـ والعبادة هي الخضوع خوفا من مهابة الله وحبا في الله وما ينشأ عن ذلك من العمل ، فالخوف و الحب يؤدي إلى الخضوع ، فيخضع الإنسان خوفا وحبا لله ، فالعلاقة بين الضعيف والقوي هي علاقة خوف مهابة وحب انتماء وينشأ عنها خضوع الخوف وخضوع الحب .

ـ وهذه المشاعر تستمر مع المؤمن في الجنة فيظل عنده خوف المهابة والحب والخضوع حبا وخوفا من مهابته ، ويظل حب الله أكبر من حب كل شهوات الجنة رغم عظمتها لأن الله أعظم كما أن لذة النظر إلى وجه الله تعالى أمتع من كل متع الجنة ، والشعور بخوف المهابة والحب موجود أيضا عند الملائكة وعند الجمادات لأن كل شيء يسبح بحمده سبحانه .

ـ القسم الثاني : المشاعر المتعلقة بالثواب والعقاب وهي :

1ـ خوف العقاب ورجاء الثواب (الهدف) .

2ـ الخضوع الناشئ عن خوف العقاب ورجاء الثواب .

ـ فالغرض من هذا الكتاب هو بيان لكيفية تحقيق خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع لله تعالى لأن ذلك هو أصل الدين ، ولأن هذه الأمور الخمسة تحولت عند بعض المسلمين

---

(1) الأعراف : من الآية 157
(2) الأنبياء : 90
(3) الإسراء : من الآية 59

إلى عبارات محفوظة مقدسة وليست مشاعر حقيقية يحس بها الإنسان في داخله ، وبالتالي وقعوا في النفاق الأكبر رغم أنهم يدعون وجود هذه المشاعر الخمسة في أنفسهم ، وهي في الحقيقة أصبحت مفرغة من معناها .

ـ ولإيجاد هذه المشاعر الخمسة لابد من وجود موجبات هذه المشاعر ، وهي اليقين الحقيقي بالله و الآخرة .

ـ ولإيجاد اليقين الحقيقي بالله والآخرة لابد أن يكون الإنسان حيا يفقه حقيقة ما حوله ، لذلك فـ البداية تبدأ من هنا ، فإذا كان الإنسان حيا تحقق الإيمان بالضرورة ودخل الإنسان الجنة ، وإذا لم يكن الإنسان حيا كان مخلدا في النار .

ـ فإذا وجدت هذه المشاعر الخمسة أدت تلقائيا إلى الطاعات وترك والمعاصي وجعلت الإنسان يعيش حياته كلها لله .

ـ كما أن اليقين بالله إذا لم يؤدي إلى هذه المشاعر الخمسة فهو يقين نظري وليس يقينا حقيقيا ، أما اليقين الحقيقي فهو الذي يؤدي إلى هذه المشاعر الخمسة ، لأن توحيد الربوبية والأسماء و الصفات يستلزم توحيد الألوهية ، ومن توحيد الألوهية هذه المشاعر الخمسة ، ولأنه بالفطرة من عرف الله خاف من مهابته وأحبه وخاف عقابه ورجا ثوابه وخضع له .

ـ قد يطلق على خوف المهابة بالتعظيم ، وعلى الخضوع الناشئ عن خوف المهابة بخضوع التعظيم ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((والعبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته فـ المحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودا والمعظم الذي لا يحب لا يكون معبودا))[1] .

ـ أصل الدين هو الخضوع :

ـ والخضوع أربعة أنواع هي الخضوع خوفا من مهابة الله والخضوع حبا لله والخضوع خوفا من عقاب الله والخضوع رجاءا في ثواب الله تعالى ، وأصل الخضوع هو الخضوع خوفا من مهابة الله ، وهو ينشأ من الخوف من مهابة الله ، فمن عرف الله خاف عظمته : ((وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا))[2] والمقصود بالتخويف الخوف من مهابة الله لأن الآيات جاءت لمعرفة الله ، ومن عرف الله خاف من مهابته فقال تعالى : ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[3] ، فالإنسان إما مؤمن أي خاضع ، وإما مستكبر ، ففي تفسير البغوي : (({ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا } تكبروا عن الإيمان بها ، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر ، قال الله تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون "))[4] .

ـ الأدلة على أن غياب خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع نفاق أكبر :

ـ إن الشيء الذي لا تخافه ولا ترجوه ولا تحبه ولا تكرهه ولا تشعر تجاهه بأي شيء هو شيء لا قيمة له أو هو شيء له قيمة ولكنك فاقد الإحساس بالقيمة ، وعدم وجود الإحساس بالقيمة هو موت القلب وهو نفاق أكبر وطبع على القلب (كما سبق أن ذكرنا في الفصل الأول) ، كما أن عدم الشعور بأي شيء تجاه الغيبيات معناه الغفلة والإعراض القلبي وإهمال الغيبيات ، ففي تفسير اللباب: (({ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن } أي يُعْرِض عن القرآن ، وقيل : يُعرض عن الله ، **فلم يخفْ عقابه ولم يرجُ ثوَابَه**))[5] .

ـ فالإنسان الذي لا يشعر إطلاقا بألم الخوف من مهابة النار أو بلذة الشوق إلى الجنة هو في حقيقة أمره لا يعرف شيء اسمه النار ولا شيء اسمه الجنة ، وبالتالي فهو لا يؤمن إيمانا حقيقيا بالنار و

---

(1) أمراض القلب وشفاؤها - (1 / 90)
(2) الإسراء : 59
(3) فاطر : 28
(4) تفسير البغوي - (ج 3 / ص 227)
(5) تفسير اللباب لابن عادل - (ج 14 / ص 128)

الجنة ، فهي في مشاعره أمور مثل الأمور التي لا تنفع ولا تضر فيقتنع بها فقط نظريا وليس يشعر بها ، فهو بذلك قد سلب خاصية الألم من النار وخاصية اللذة من الجنة فأصبحت أمور نظرية لا قيمة لها ، وكذلك إذا لم يشعر إطلاقا بشيء من ألم الخوف من مهابة الله أو شيء من لذة الحب لله فهو لا يعرف كلمة (الله) وبالتالي فهو لا يؤمن إيمانا حقيقيا بالله ، وإن كانت كلمات (الله) و(النار) و (الجنة) موجودة في الاقتناع واليقين التام لكنه يقين نظري ، ولكنها غير موجودة في شعور الإ نسان (غياب الإحساس بالقيمة لها) ، ولم تتأثر بها مشاعره وهمومه وأهدافه وأمانيه .

ـ قال تعالى : ((وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلهِ))[1] ، ((إِذْ نُسَوّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ))[2] ، فالآية معناها إذا كان حب غير الله متساوي لحب الله أو أكبر كان ذلك شركا ، فما بالك لو لم يكن حب الله موجود أصلا فذلك شرك .

ـ المشاعر المتعلقة بالله كالحب والخضوع هي أصل توحيد الألوهية ، وبدونها لا يتحقق توحيد الأ لوهية .

ـ القرآن يعبر عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم وجود الخوف منها وعدم رجاءها : ففي تفسير بحر العلوم : (({ إِنّ فِي ذَلِكَ لآيَةً } يعني : في الذي أخبرتك عن الأمم الخالية لعبرة ، { لِمَنْ خَافَ عَذَابَ ا لآخرة } ويقال : في عذابهم موعظة ، وعبرة بالغة لمن آمن بالله ، واليوم الآخر . ويقال : فيه عبرة لمن أيقن بالنار ، وأقرّ بالبعث))[3] ، وفي تفسير النسفي : (({ إِنّ فِي ذَلِكَ } فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة { لآيَةً } لعبرة { لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخرة } أي اعتقد صحته ووجوده))[4] ، ((إِنّ الّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[5] ، ((بَلْ كَانُوا لا يَرْجُونَ نُشُوراً))[6] ، ((إِنّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَاباً))[7] ، ((كَلّا بَلْ لا يَخَافُونَ الآخِرَةَ))[8] ، ((إِنّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا))[9] ، ((وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا اليَوْمَ الآخِرَ))[10] ، فالقرآن يبين أن مسألة الإيمان بالآخرة هي مسألة أن الإنسان يريد الشيء أو يرغبه أو يرجوه أو أنه لا يريد الشيء أو لا يرغبه أو لا يرجوه ، وليست فقط مسألة اقتناع نظري أو عدم اقتناع نظري ، فقد يقتنع الإنسان بالأمر لكنه لا يريد الشيء أو لا يرغبه أو لا يرجوه ولا يعجبه ولا يستسيغه .

ـ ويبين القرآن أن المؤمنين هم الذين يخافون الآخرة ويرجونها :

((يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلّبُ فِيهِ القُلُوبُ وَالأَبْصَارُ))[11] ((يَسْتَعْجِلُ بِهَا الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنّهَا الحَقُّ أَلا إِنّ الّذِينَ يُمَارُونَ فِي السّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ))[12] ، وفي تفسير ابن كثير : (({ قَالُوا إِنّا كُنّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه ، { فَمَنّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السّمُومِ } أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف))[13] .

---

(1) البقرة : من الآية 165
(2) الشعراء : 98
(3) تفسير بحر العلوم للسمرقندي - (ج 2 / ص 355)
(4) تفسير النسفي - (ج 2 / ص 45)
(5) يونس : 7 ، 8
(6) الفرقان : من الآية 40
(7) النبأ : 27
(8) المدثر : 53
(9) النازعـات : 45
(10) العنكبوت : من الآية 36
(11) النور : من الآية 37
(12) الشورى : 18
(13) تفسير ابن كثير - (ج 7 / ص 435)

ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك))[1] ، ويقول أيضا : ((وَلَا بُدّ أَنْ يَكُونَ مَعَ التّصْدِيقِ شَيْءٌ مِنْ حُبِّ اللهِ وَخَشْيَةِ اللهِ وَإِلَا فَالتّصْدِيقُ الذِي لَا يَكُونُ مَعَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لَيْسَ إيمَانًا أَلْبَتّةَ بَلْ هُوَ كَتَصْدِيقِ فِرْعَوْنَ وَالْيَهُودِ وَإِبْلِيسَ))[2] ، ويقول أيضا : ((ومحبة الله هي أصل الإيمان الذي هو عمل القلب وبكمالها يكمل))[3] ، ويقول شيخ الإسلام ابن القيم : ((فمن لا محبة له لا إسلام له البتة بل هي حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي يأله العباد حبا وذلا وخوفا ورجاء وتعظيما وطاعة له بمعنى مألوه وهو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له))[4] .

ـ لا يصح الإيمان بقول القلب فقط (قول القلب هو اليقين النظري) بغير عمل القلب (عمل القلب هو المشاعر) فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((الصواب قول السلف والأئمة إن الإيمان قول وعمل ، أصله قول القلب وعمل القلب))[5] ، وبالتالي فإن عمل القلب هو من أصل الإيمان أو أصل الدين أو أصل العبادة فإذا ذهب ذهب الإيمان ، كما يقول أيضا : ((الدين والإيمان قول وعمل وأوله قول القلب وعمله فمن لم ينقد بقلبه ولم يذل لله لم يكن مؤمنا))[6] ، كما يقول أيضا : ((فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى بل لابد في أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب))[7] ، ويقول ابن القيم : (((وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين) ، (وقال موسى لفرعون لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات وا لأرض بصائر) فهؤلاء حصل لهم قول القلب وهو المعرفة والعلم ولم يكونوا بذلك مؤمنين وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمنا بل كان من المنافقين وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمنا حتى يأتي بعمل القلب من الحب والبغض والموالاة والمعاداة))[8] ، ويقول أيضا : ((فأهل السنة مجمعون على زوال الإيمان وأنه لا ينفع التصديق مع انتفاء عمل القلب وهو محبته وانقياده كما لم ينفع إبليس وفرعون وقومه واليهود والمشركين الذين كانوا يعتقدون صدق الرسول بل ويقرون به سرا وجهرا ويقولون ليس بكاذب ولكن لا نتبعه ولا نؤمن به))[9] .

ـ يقول الشيخ ابن عثيمين : ((والإيمان هو : " الاعتراف المستلزم للقبول والإذعان " أما مجرد أن يؤمن الإنسان بالشيء بدون أن يكون لديه قبول وإذعان ، فهذا ليس بإيمان ، بدليل أن المشركين مؤمنون بوجود الله ومؤمنون بأن الله هو الخالق ، الرازق ، المحيي ، المميت ، المدبر للأمور ، وكذلك أيضاً فإن الواحد منهم قد يقر برسالة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون مؤمناً ، فهذا أبو طالب عم النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كان يقر بأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، صادق وأن دينه حق يقول : لقد علموا أن ابننا لا مكذب لدينا ولا يعنى بقول الأباطيل))[10] ، وفي معارج القبول : ((من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك لم يعنوا مجرد التصديق فإن إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرا واستكبارا واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول صلى

(1) مجموع الفتاوى : [جزء 7 - صفحة 529]
(2) مجموع فتاوى ابن تيمية - (ج 2 / ص 123)
(3) الاستقامة ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية (ج : 1 ، ص : 260)
(4) مدارج السالكين - (ج 3 / ص 26)
(5) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ دار العاصمة ـ الرياض الجزء 6 صفحة 36
(6) الاستقامة لابن تيمية : [جزء 1 - صفحة 145] ـ الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود ـ المدينة المنورة .
(7) مجموع الفتاوى : [جزء 7 - صفحة 529]
(8) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية - بيروت : [جزء 1 - صفحة 89]
(9) الصلاة وحكم تاركها ـ لابن القيم الجوزية ـ الناشر : الجفان والجابي - دار ابن حزم - قبرص – بيروت : [جزء 1 - صفحة 71]
(10) كتب ورسائل للعثيمين - (ج 83 / ص 2)

الله عليه و سلم ولم يتبعوه وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينفذ بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا))[1] ، فالكفار عندهم يقين نظري بأن الله هو الخالق وليس هذا يقينا حقيقيا لأنه لم يؤدي إلى إذعان وخضوع ، وكذلك أبو طالب يوقن بأنه لا إله إلا الله لكنه يقين نظري وليس هذا يقينا حقيقيا لأنه لم يؤدي إلى إذعان وخضوع .

ـ ويقول شيخ الإسلام ابن القيم : ((وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله وأن الله رب كل شيء ومليكه كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون بل التوحيد يتضمن من محبة الله والخضوع له والذل وكمال الانقياد لطاعته وإخلاص العبادة له وإرادة وجهة الأعلى بجميع الأ قوال والأعمال والمنع والعطاء والحب والبغض ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي والإصرار عليها ومن عرف هذا عرف قول النبي : إن الله حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، وقوله لا يدخل النار من قال لا إله إلا الله ، وما جاء من هذا الضرب من ا لأحاديث التي أشكلت على كثير من الناس ... وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام كقوله : من قال في يوم : سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان نعم من قالها بلسانه غافلا عن معناها معرضا عن تدبرها ولم يواطئ قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيا مع ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض))[2] .

ـ فالتصديق والإيمان الحقيقي لابد أن يكون معه مشاعر : [[الإيمان بالله ليس ـ فقط ـ معرفة نظرية واقتناعا عقليا نظريا به سبحانه ، بل لابد أن يتبع ذلك ميل قلبي وتفاعل ، واتجاه لمشاعر الحب نحوه سبحانه ، وهذا ما يؤكده قوله تعالى : (وَلَكِنّ اللهَ حَبّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالفُسُوقَ وَالعِصْيَانَ)[3]]][4] .

ـ لا تتحقق التقوى بغير الخوف من الله ، ولن ينجو الإنسان من النار إلا إذا كان من المتقين : ((ثمّ نُنَجّي الذِينَ اتقوْا وَنَذَرُ الظالِمِينَ فِيهَا جِثِيّا))[5] .

ـ وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض : ((وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأَرْضِ))[6] ، وجعل الخوف من مهابة الله والخوف من عقابه شرط للتمكين : ((وَلَنُسْكِنَنّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ))[7]، إذن فلا يتحقق الإيمان بغير الخوف من الله .

ـ التعامل مع المعلومات المؤثرة (ومنها العقيدة) يستلزم تأثر المشاعر ، وهذا أمر فطري ، فالذي يرى الأسد ويوقن تماما بأنه أسد فإنه يخاف منه ، والذي يرى شيئا جميلا فإنه يحبه ، والذي يقف عند ملك من ملوك الدنيا فإنه يخاف من مهابته ، وهكذا (ولكن حيث أن الله وحده الملك ووحده النافع الضار فلا يخاف غيره ولا يحب سواه إلا ما هو خارج عن إرادته من أمور الفطرة) ، وإذا أخبرك إنسان بأن أباك قد مات فإنك تحزن ، وهكذا .

ـ إدعاء وجود خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع :

ـ لقد أصبح كثير من الناس مخدوعون في أنفسهم يظنون أنهم يحبون الله ويخافونه ويخضعون له

---

(1) معارج القبول - (ج 2 / ص 594)
(2) مدارج السالكين - (ج 1 / ص 331)
(3) الحجرات : من الآية 7
(4) بناء الإيمان من خلال القرآن ـ مجدي الهلالي ص:9، 10 (مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة)
(5) مريم : 72
(6) النور : 55
(7) إبراهيم : 14

ويخافون الآخرة رغم أنه لا يوجد عندهم ولو ذرة واحدة من ذلك ، فرغم أن هذه المعاني بسيطة ويعرفها الصغار والكبار لكن مات معناها الحقيقي ، لذلك أصبحنا نحتاج إلى توصيف وتعريف معنى شعور الإنسان بالخوف أو بالحب أو بالخضوع حتى يستطيع أن يعرف الإنسان في نفسه بدقة هل هذه المشاعر موجودة أم لا ؟ .

ـ ورغم بساطة هذه المشاعر فعدم وجودها يعني الخلود في النار ووجودها يعني الخلود في الجنة ، ومع ذلك لا يهتم أحد بتوصيفها للتأكد من وجودها أم لا وقد يعتبر توصيف هذه المشاعر نوعا من الفلسفة ! رغم أنها مسألة خلود في الجنة أو خلود في النار .

ـ أحد أهم الأشياء التي يتجاهلها الإنسان وهي هل حقق الإنسان الحالة النفسية المميزة لخوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع والخوف من الآخرة أم لا ؟ ، وأن يجتهد في تحقيقها ولو طول عمره ، وذلك بدوام التفكر والتذكر مع حضور القلب .

ـ ونستطيع أن نحدد بمنتهى الدقة أن عدم وجود هذه المشاعر يرجع إلى غياب الإحساس بالقيمة وبالتالي غياب الإحساس بقدر الله والآخرة ، فطالما لا يزال لم يتحقق ذلك بعد فهذا يعني أن مشاعر الإيمان ما زالت غير موجودة بالضرورة ، لأن من عرف الله معرفة حقيقية نشأ عن ذلك تلقائيا وبالضرورة محبته والخوف منه والخضوع له .

ـ وطبيعي أن الشيء الذي ينبني عليه الخلود في الجنة أو النار لابد أن يكون شيئا بسيطا جدا بحيث يعرفه كل الناس مهما كانت بساطتهم وعلى جميع مستوياتهم ، فكل الناس يعرفون معنى حب الشيء والخوف منه ومعنى الخضوع والاستسلام .

ـ سوف نكشف حقيقة خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، ونحلل كل شعور من هذه المشاعر من داخل النفس حتى يتبين لمن يدعى حب الله والخضوع له وأن الله غايته أنه مخدوع وأن مشاعر الإيمان غير موجودة عنده .

ـ ولذلك سوف نكشف حقيقة الإدعاء بوجود المشاعر المتعلقة بالله والآخرة من خلال وجود الحالة النفسية المميزة لكل شعور من المشاعر ، ونبين حقيقة خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع ، ونبين أن الاقتناع بوجودها هو مجرد وهم وخداع يخدع الإنسان به نفسه .

ـ شرط وجود المشاعر المتعلقة بالله والآخرة هو وجود الحالة النفسية المميزة لذلك الشعور :

ـ وهو شرط بديهي جدا من الفطرة ، وبالتالي فهو حجة على جميع الناس مهما اختلفت ثقافاتهم ومستوى فهمهم ولا عذر فيه لأحد لأنه لا يجهله أحد .

ـ لابد من وجود الحالة النفسية والعاطفية والوجدانية والمزاجية والحالة الانفعالية المناسبة لكل شعور وما فيها من الشعور بالضيق أو الألم أو الشعور بالفرح والسرور ، وإلا فإن هذا الشعور غير موجود وهو مجرد إدعاء ، فإن حب الله مثلا ليس شيئا هلاميا غير مفهوم وإنما من نفس جنس الشعور بالحب الذي يعرفه الإنسان ويشعر به ، فإذا أردنا تعريف الحالة النفسية للخوف مثلا فنقول هو الحالة النفسية التي تحدث للشخص عندما يتعرض لخطر ما (مثلا طالب ينتظر نتيجة امتحان) ، وتفسير هذه الحالة النفسية من داخل النفس واضح يشعر به كل إنسان وإن صعب عليه التعبير عما يحس به ، أو مثلا الغضب تجد له انفعال عصبي داخلي يشعر به الإنسان الغاضب كما يظهر علي سلوكه وانطباعاته ، أو مثلا الطمأنينة هو حالة نفسية فيها شعور بالارتياح والسكينة ...الخ ، فلابد من توصيف الحالة النفسية المصاحبة لكل شعور من المشاعر .

ـ ملحوظة :

ـ المشاعر مرتبطة ببعضها وتحدث معا ، فمثلا الذي يحب الله فهو يخافه ويخاف من الآخرة ويشعر ب الغربة ...الخ ، وكذلك كل مشاعر الإيمان مرتبطة ببعضها لأنها مستمدة من شيء واحد وهو معرفة الله والآخرة معرفة حقيقية .

ـ مهما وصفت لك الحالة النفسية لكل شعور من المشاعر فلن تكون مثل الحالة النفسية لإنسان حققها فعلا ، فمهما وصفت لك حال الطالب عند الامتحان وما ينتابه من قلق وخوف فلن يكون مثلما تعاين أنت هذا الأمر فتشعر بهذا الشعور ، ففي الحديث : ((ليس المخبر كالمعاين))[1] .

ـ إذا لم تكن تشعر بشيء من الحالة النفسية للشعور بحب الخالق أو بشيء من الحالة النفسية للشعور بالخضوع له أو بشيء من الحالة النفسية للشعور بخوف المهابة منه فهذا ناشئ من غياب الإحساس بالقيمة ، وهذا معناه الوقوع في النفاق الأكبر ، ولن يتحقق الإيمان الحقيقي حتى تتحقق مشاعر الإ يمان .

ـ الفرق بين تحقيق مشاعر الإيمان والاقتناع بالعمل على تحقيقها :

إن العبرة بتحقيق مشاعر الإيمان مثل خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع والخوف من الآخرة ... الخ ، وليست العبرة بالاقتناع بها وتمني التحلي بها والدعوة إليها وتعليمها الناس ولا حتى السعي نحوها دون الوصول لتحقيقها ، فمن هذا حاله فلا فائدة من عمله : ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ))[2] ، وفي الحديث : ((مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضيء للناس وتحرق نفسها))[3] ، وحتى لو كان الإنسان عالما عاملا بكل أمور الدين والدنيا من غير أن يحقق مشاعر الإيمان فلا يغني ذلك عنه شيئا ، ومن الناس مَنْ يظل طول عمره يقول أنا مقصر في هذه المشاعر وأريد تحقيقها : ((قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدِينَ))[4] ، فهذه المشاعر من الثوابت التي يقرها الجميع وعلى اقتناع نظري تام بأهميتها وأهمية تحقيقها ، ولكن مَنْ يحققها فعلا ؟! : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ))[5] ، وإنك لتجد الكثير ممَنْ يدعي أنها متحققة في نفسه : ((فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكاذِبِينَ))[6] ، ((وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ))[7] .

ـ ولا يكفي تحقيق مشاعر الإيمان ولكن لابد من الاستمرارية والثبات على ذلك بدوام التفكر والتدبر مع حضور القلب .

****

ـ المشاعر الغير المرتبطة بالثواب والعقاب كالتالي :

ـ أولا : الشعور بالخوف من مهابة الله وهول الآخرة والنار

ـ معنى خوف المهابة :

ـ خوف المهابة هو خوف توقير لله أو خوف من عظمة الله ، ففي تفسير البغوي : ((مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلهِ وَقَارًا } .. وقال الكلبي : لا تخافون الله حق عظمته ، و"الرجاء" بمعنى الخوف ، و"الوقار" العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم))[8] ، وهو الخشية ، ففي زهرة التفاسير : ((الخشية هى الخوف مع تعظيم المخشى ومحبته ، فليست مرادفة لمعنى الخوف ؟ لأن الخوف أعم من أن يكون من مرهوب معظم محبوب ، أو مرهوب مبغض ذميم ، أو فيه مهانة لا عظمة فيه ؟ ولذلك عبر عن الأخيار بالنسبة لله تعالى بالخشية دون الخوف ، ومن ذلك قوله تعالى : (إنما يخشى الله من عباده العلماء) ، وقوله تعالى : (... وخشي الرحمن بالغيب) ، وقال سبحانه : (... ويخشون ربهم ويخافون

---

(1) التخريج : صحيح (تخريج الطحاوية ، ص : 377)
(2) البقرة : 44
(3) صحيح الجامع (5837)
(4) الأنبياء : 14، 15
(5) الصف : 2
(6) العنكبوت : من الآية 3
(7) العنكبوت : 11
(8) تفسير البغوي - (ج 8 / ص 231)

سوء الحساب))[1] ، وفي بحر العلوم للسمرقندي : (({ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } ، يعني : من هيبته خائفون))[2] ، وفي تفسير النيسابوري : ((مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ...... قال أهل الاشتقاق : إن تركيب خ ش ى يلزمها الهيبة ومنه للسيد ولكبير السن وتركيب الخوف يدل على الضعف ومنه الخفاء ، وكل موضع ذكر فيه الخشية أريد بها معنى عظمة المخشى عنه ، وكل موضع ذكر فيه الخوف فإنه أريد ضعف الخائف كقوله { يخافون ربهم من فوقهم } [النحل : 50] أو ضعف المخوف منه كقوله { لا تخف ولا تحزن } [العنكبوت : 33] يريد أنه لا عظمة لهم وقال { إنا نخاف من ربنا يوماً } [الإنسان : 10] لأن عظمة اليوم بالنسبة إلى عظمة الله هينة))[3] .

ـ وفي تفسير الرازي : (({ إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ } الآية. واعلم أن هذه الآية تدل على أن الإيمان لا يحصل إلا عند حصول أمور خمسة : الأول : قوله : { الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ } ... والمراد أن المؤمن إنما يكون مؤمناً إذا كان خائفاً من الله ، ونظيره قوله تعالى : { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } (الزمر : 23) وقوله : { الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ } (المؤمنون : 57) وقوله : { الَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـاشِعُونَ } (المؤمنون : 2) وقال أصحاب الحقائق : الخوف على قسمين : خوف العقاب ، وخوف العظمة والجلال. أما خوف العقاب فهو للعصاة ، وأما خوف الجلال والعظمة فهو لا يزول عن قلب أحد من المخلوقين ، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلاً ، وذلك لأنه تعالى غني لذاته عن كل الموجودات ، وما سواه من الموجودات فمحتاجون إليه ، و المحتاج إذا حضر عند الملك الغني يهابه ويخافه ، وليست تلك الهيبة من العقاب ، بل مجرد علمه بكونه غنياً عنه ، وكونه محتاجاً إليه يوجب تلك المهابة))[4] ، وفي تفسير الرازي أيضا : ((قال العارفون : الخوف خوفان خوف العقاب وخوف الجلال ، والأول : نصيب أهل الظاهر ، والثاني : نصيب أهل القلب ، والأول : يزول ، والثاني : لا يزول))[5] .

ـ وفي تفسير النيسابوري : ((وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أمر اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ (21) .... الخشية نوعان : خشية الجلال كالعبد إذا حضر بين يدي السلطان ومن ذلك خشية الملائكة { يخافون ربهم من فوقهم } { النحل : 50] وإلى هذا أشار بقوله : { ويخشون ربهم } ، وخشية أن يقع في العبادة خلل أو نقص يوجب فسادها أو نقصان ثوابها . وإليه الإشارة بقوله : { ويخافون سوء الحساب }))[6] .

ـ معنى خوف المهابة يتضح من الحديث : ((أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فجعل ترعد فرائصه فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا بن امرأة تأكل القديد))[7] .

ـ والرسل جاءت لتنذر الناس ، والإنذار معناه التخويف : ((وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً))[8] .

ـ لماذا يخاف الرسول (ص) والعشرة المبشرون بالجنة من الله رغم علمهم من خلال الوحي أنهم من أهل الجنة ؟ :

ـ هذا الخوف هو خوف مهابة وإجلال ، وذلك مثلما كانت الملائكة تخاف الله رغم أنهم معصومون ففي تفسير الرازي : (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ..... ذلك الخوف خوف الإجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والدليل على صحته قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء } [فاطر : 28] وهذا يدل على أنه **كلما كانت معرفة الله تعالى أتم ، كان الخوف منه**

---

(1) زهرة التفاسير - (1 / 2203)
(2) بحر العلوم للسمرقندي - (ج 3 / ص 123)
(3) تفسير النيسابوري - (ج 7 / ص 57 ، 58)
(4) تفسير الرازي : دار إحياء التراث- موافق للمطبوع - (1 / 2121)
(5) تفسير الرازي - (ج 2 / ص 64)
(6) تفسير النيسابوري - (ج 4 / ص 425)
(7) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجة ج : 2 ، ص : 1101 ، برقم : 3312)
(8) الإسراء : من الآية 59

أعظم ، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال والكبرياء))[1] .

ـ إن الضعيف يخاف من القوى ويخضع له ، وحتى لو لم يفعل شيئا يغضبه فهو يخاف لمجرد أنه ضعيف والآخر قوي فلا يأمن مكره ، ويشعر باستكانة وأنه مغلوب على أمره (شعور بالخضوع) ، فكذلك الحال مع الله تعالى ، الخوف من عظمته ، فالله غالب على أمره ولا يأمن مكره إلا القوم الكافرون لغفلتهم عن قوة الله وضعفهم ، وفي تفسير البغوي : ((مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا } قال ابن عباس ومجاهد : لا ترون لله عظمة ، وقال سعيد بن جبير : ما لكم لا تعظمون الله حق عظمته ، وقال الكلبي : لا تخافون الله حق عظمته ، و"الرجاء" بمعنى الخوف ، و"الوقار" العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم))[2] .

ـ اليقين الحقيقى بقدرة الله وضعف الإنسان يؤدى إلى الخوف والرهبة :

ـ لو سمعت أن رجلا خارقا يستطيع أن ينقل الجبال أو يستطيع أن يبيد الناس في لحظة أو .....الخ ، بماذا تشعر ؟ ، إنك تشعر بالهيبة والخشية والرهبة ، فان الله يستطيع ما هو أعظم من ذلك ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً))[3] ، ويستطيع أن يبيد كل البشرية في أقل من لحظة ، فلماذا لا تشعر بنفس الشعور السابق ؟ ، وإذا كنت تدعي أنك تشعر بالهيبة والرهبة من الله ففي الحالة الأولى كانت هناك حالة نفسية وانفعالات داخلية مميزة للشعور بالرهبة والهيبة ، فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ ، أم أنه مجرد إدعاء واقتناع بأن عندك الهيبة والرهبة والتعظيم لله ؟! .

ـ أنت إذا قابلت ملكا من ملوك الدنيا فإنك تشعر بالخوف والرهبة والمهابة ، فإذا لم تشعر بأي شيء من هذا فأنت لا تعرف أن من قابلته هو ملك من ملوك من الملوك ، فهو بالنسبة لك مثل أي رجل عادي يمر بك في الطريق ، هذا هو الحال مع الله الملك فأنت لا تشعر بماذا يعني أن الله هو الملك ، إن الملك هو الذي بيده كل شيء وكل ما يملكه ملوك الدنيا هو أقل من ذرة من ملكه وهو الجبار المهيمن وأنت بين يديه دائما يراك ولا تغيب عنه فأين هذه المشاعر ؟ إذن فصفات الله وأسماءه موجودة في اقتناعك النظري لكنها غائبة ولا وجود لها في مشاعرك .

ـ اليقين الحقيقى بمدى ألم النار يؤدى إلى خوف المهابة من النار :

ـ إن نار الآخرة أمر أبعد من كل تصوراتنا وخطر من أشد ما يمكن ، وإذا وضعت مقارنة بين نار الآ خرة وكل مخاوف الدنيا وآلامها فإنها لا تساوي شيئا ، إلا أنك إذا قارنت بين الحالة النفسية للخوف من مهابة أي أمر دنيوي وبين الحالة النفسية للخوف من مهابة الآخرة تجد شعور نفسي حقيقي خوفا من مهابة الأمر الدنيوي عند من يدعي الخوف من النار في حين لا تجد أي شعور نفسي تجاه ا لآخرة ، وإذا افترضنا أنه وجد فلا يساوي واحد علي ألف من أقل شيء مخيف في الدنيا ، وفي الحديث : ((ناركم هذه التي توقدون جزء واحد من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال فإنها فضلت بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها))[4] ، وفي تفسير حقي : (({ إن في ذلك } أي فيما نزل بالأمم الهالكة بذنوبهم أو فيما قصه الله من قصصهم { لآية } لعبرة بينة وموعظة بالغة { لمن خاف عذاب الآخرة } أى أقر به وآمن لأنه يعتبر به حيث يستدل بما حاق من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على أحوال عذاب الآخرة))[5] .

ـ الإحساس بعظمة الله يؤدى إلى الخوف والرهبة :

ـ ((التفكر في عظمة الله سبحانه وتعالى ، فإنه من تفكر في ذلك خاف الله لا محالة لأن التفكر يوقعه على صفات الله جل جلاله وكبريائه .... ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض

---

(1) تفسير الرازي - (ج 9 / ص 400 ، 401)
(2) تفسير البغوي - (ج 8 / ص 231)
(3) طـه : 105
(4) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 709 ، برقم 2589)
(5) تفسير حقي - (ج 6 / ص 7)

فلاة ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة فإذا عرف الإنسان عظمة الرب جلب له ذلك الخوف منه))[1] ، وفي تفسير ابن كثير : ((وقال الضحاك : { تكادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ } أي : يتشققن فَرَقًا من عظمة الله))[2] ، وفي تفسير القرطبي : ((" ما لكم لا ترجون لله وقارا " أي لا تخافون عظمة الله))[3] ، وفي شعب الإيمان للبيهقي : (((ما لكم لا ترجون لله وقارا) فقيل في التفسير ما لكم لا تخافون عظمة الله ، وذمهم في آية أخرى فقال : (وقال : الذين لا يرجون لقاءنا) فقيل أراد به : لا يخافون ، فدل جميع ما وصفناه على أن الخوف من الله تعالى من تمام الاعتراف بملكه وسلطانه ونفاذ مشيئته في خلقه ، وأن إغفال ذلك إغفال العبودية))[4] .

ـ لماذا يخاف الإنسان من العفاريت ؟ ، لأنها كائنات لا يراها لها القدرة على أن تؤذي الإنسان ، ورغم أن الإنسان غير مقتنع بوجود العفاريت ولكن بمجرد أن يأتيه الشك بوجودها يشعر بالخوف !! ، إن الله لا نراه وله القدرة على أن يفعل بالإنسان أي شيء وكل شيء من ضرر أو نفع فلماذا لا نخاف من الله مثلما نخاف من العفاريت رغم أننا نشك في وجود العفاريت ونوقن بوجود الله ورغم أن قدرة الله أعظم بكثير من قدرة العفاريت على الإنسان ؟! ، ذلك لأن الله بقدرته وهيمنته وعظمته ليس له وجود حقيقي في المشاعر وإنما موجود فقط في الاقتناع النظري !! .

ـ الإنسان في حياته قد يواجهه مشاكل حياتية كثيرة ، عند كل مشكلة قد يغضب ويثور ويتضايق وينفعل ، أما الآخرة عنده فليست بمشكلة رغم أنها الخطر المترقب والامتحان العصيب والحياة الأبدية ورغم أن الدنيا أيام قليلة تفنى بمشاكلها ، أما الذي يوقن يقينا حقيقيا بحجم الخطر في مشكلة الآخرة أمام ضآلة مشاكل الدنيا فتهون عليه مشاكل الدنيا وتنفعل مشاعره ويقلق ويغضب ويضطرب أمام مشكلة الآخرة .

ـ الحالة النفسية للخوف والقلق والإضطراب :

ـ أنت إذا رأيت ساحرا ، فإنه يحدث لك خوف مهابة مما يصنع وحب إعجاب بما يصنع : ((قَالَ أَلْقُوا فَلَمّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ))[5] .

ـ أنظر إلى حال رجل يذهب لمقابلة ملك من ملوك الدنيا ، فإنه يستعد ويتهيأ نفسيا لأنه أمر رهيب ، إنه يكون في قلق واضطراب ، وعندما يقف عند الملك قد يتلعثم من هيبة الموقف ، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمي خوف المهابة ، فإذا كنت تدعي خوف المهابة من الله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ .

ـ خطورة الشعور بالخوف من مهابة الله :

ـ لا تتحقق التقوى بغير الخوف من الله : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتّقِينَ (48) الّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السّاعَةِ مُشْفِقُونَ))[6] ، ولن ينجو الإنسان من النار إلا إذا كان من المتقين : ((ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا))[7] .

ـ الهداية والرحمة لا تكون إلا للذي يخاف من الله ففي تفسير الخازن : ((وفي نسختها المكتوب فيها { هدى ورحمة } قال ابن عباس : يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب { للذين هم لربهم يرهبون } يعني للخائفين من ربهم))[8] ، فالهداية هي معرفة الله وأهم أثر لها الخشية :

---

(1) سلسلة أعمال القلوب 1 .. الشيخ محمد المنجد - (ج 1 / ص 72)
(2) تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 266)
(3) تفسير القرطبي - (ج 3 / ص 50)
(4) شعب الإيمان للبيهقي - (ج 2 / ص 290)
(5) الأعراف : 116
(6) الأنبياء : 48 ، 49
(7) مريم : 72
(8) تفسير تفسير الخازن - (ج 3 / ص 104)

((وأهديك إلى ربك فتخشى))[1] .

ـ جاء في : تفسير القرطبي : ((إنه كان في أهله أي في الدنيا مسرورا ، قال ابن زيد : وصف الله أهل الجنة بالمخافة والحزن والبكاء والشفقة في الدنيا فأعقبهم به النعيم والسرور في الآخرة وقرأ قول الله تعالى إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم قال ووصف أهل النار بـ السرور في الدنيا والضحك فيها والتفكه فقال إنه كان في أهله مسرورا))[2] .

ـ والآيات تبين أن المؤمن هو الذي يخاف من الله سبحانه : ((يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ))[3] ، ((كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ))[4] ، ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ))[5] ، ((وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفاً))[6] ، ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ))[7] .

ـ وفي الحديث : ((قال أبو بكر : يا رسول الله قد شبت ، قال : (شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت)))[8] .

ـ وعد الله المؤمنين بالتمكين في الأرض : ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ))[9] ، وجعل الخوف من مهابة الله والخوف من عقابه شرط للتمكين : ((وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ))[10]، إذن فلا يتحقق الإيمان بغير الخوف من الله .

ـ أنواع خوف المهابة :

1ـ خوف المهابة من القرآن وذكر الله تعالى :

ـ اليقين الحقيقي بأن القرآن هو كلام الملك والمسيطر والمهيمن والقهار والجبار والمتكبر يؤدي إلى الخوف من جلال الله أي الخوف مهابة الله والخشية والوجل ، أي يحدث الخوف لمجرد أن ذلك كلام الله القهار المهيمن ، أي خوفا من جلال الله وليس خوفا من عقابه : ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ))[11] ، وفي تفسير البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (3 / 4) : (({الذين إذا ذُكر الله وَجَلَتْ قلوبُهم} ؛ خافت واقشعرت لذكره ؛ استعظاماً له وهيبة من جلاله))[12] .

ـ وفي تفسير ابن كثير تفسير ابن كثير : ((ثم قال تعالى منكرا على المشركين في استماعهم القرآن وإعراضهم عنه وتلهيهم: { تَعْجَبُونَ } من أن يكون صحيحا ، { وَتَضْحَكُونَ } منه استهزاء وسخرية ، { وَلا تَبْكُونَ } أي : كما يفعل الموقنون به ، كما أخبر عنهم : { وَيَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ

---

(1) النازعات : 19
(2) الجامع لأحكام القرآن (ج : 19 ، ص : 273) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(3) الشورى : 18
(4) المدثر : 53
(5) الأنفال : من الآية 2
(6) الإسراء : من الآية 59
(7) الزمر : من الآية 23
(8) الجامع لأحكام القرآن (ج : 19 ، ص : 273) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(9) النور : 55
(10) إبراهيم : 14
(11) الزمر : من الآية 23
(12) تفسير البحر المديد ـ موافق للمطبوع - (3 / 4)

خشوعًا } [الإسراء : 109]))[1] ، فالموقنون بالقرآن هم الذين يبكون من مهابته ، وفي تفسير الطبري : (({ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتوا العِلمَ أَنَّهُ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (54) } يقول تعالى ذكره : وكي يعلم أهل العلم بالله أن الذي أنزله الله من آياته التي أحكمها لرسوله ، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه، أنه الحق من عند ربك يا محمد ، يقول : فيصدّقوا به ، يقول : فتخضع للقرآن قلوبهم))[2] ، وفي تفسير القرطبي : لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) لم ير ضاحكا إلا مبتسما حتى مات صلى الله عليه وسلم))[3] .

2ـ خوف المهابة من الله تعالى :

ـ لقد كان الرسول (ص) والعشرة المبشرون بالجنة يخافون من الله رغم علمهم بالوحي أنهم من أهل الجنة ، لأنهم يخافون من مهابة الله .

ـ جاء في أيسر التفاسير للجزائري : (({ مالكم لا ترجون لله وقارا } : أي لا تخافون لله عظمته وكبرياءه وهو القاهر فوق عباده))[4] ، ((وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ))[5] ، ((وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ))[6] .

ـ والملائكة تخاف من مهابة الله تعالى ، ففي تفسير الرازي : (((يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ... ذلك الخوف خوف الإجلال هكذا نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ، والدليل على صحته قوله تعالى : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ العلماء } [فاطر : 28] وهذا يدل على أنه كلما كانت معرفة الله تعالى أتم ، كان الخوف منه أعظم ، وهذا الخوف لا يكون إلا خوف الإجلال و الكبرياء))[7] ، وفي بحر العلوم للسمرقندي : (({ يخافون رَبَّهُمْ مّن فَوْقِهِمْ } » أي : يخافون خوفاً ، معظمين ، مبجلين))[8] ، وفي تفسير البحر المديد : (({ يخافون ربهم من فوقهم } ... أي : يخافون عظمة ربهم من فوقهم؛ إذ هم محاطون بأفلاك أسرار الجبروت ، مقهورون تحت القدرة و المشيئة))[9] ، وفي تفسير الألوسي : (({ يخافون ربهم من فوقهم } لأنه القاهر المؤثر فيهم { ويفعلون ما يؤمرون } [النحل : 50] طوعاً وانقياداً))[10] ، ((وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ))[11] ، وفي الحديث : ((مررت بجبريل ليلة أسري بي بالملإ الأعلى وهو كالحلس[12] البالي من خشية الله عز وجل))[13] .

ـ وفي تفسير الوسيط لسيد طنطاوي : (({ تكادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ } .. { يَتَفَطَّرْنَ } أى : يتشققن . والضمير في قوله - تعالى { مِن فَوْقِهِنَّ } يعود إلى السماوات ، باعتبار أن كل سماء تنفطر فوق التى تليها ، وهذا التفطر سببه الخشية من الله - تعالى - ، الخوف من جلاله وعظمته فيكون المعنى : تكاد السماوات يتشققن مع عظمهن { مِن فَوْقِهِنَّ } أى : من أعلاهن ، خشية ورهبة من عظمته - عز وجل - ، كما قال - تعالى - { وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السماوات وَمَا فِي الأرض مِن دَآبَّةٍ والملا

---

(1) تفسير ابن كثير - (ج 7 / ص 468)
(2) تفسير الطبري - (ج 18 / ص 670)
(3) تفسير القرطبي - (ج 17 / ص 124)
(4) أيسر التفاسير للجزائري - (ج 4 / ص 314)
(5) المؤمنون :60
(6) البقرة : من الآية 40
(7) تفسير الرازي - (ج 9 / ص 400 ، 401)
(8) بحر العلوم للسمرقندي - (ج 2 / ص 467)
(9) البحر المديد - (ج 3 / ص 269)
(10) تفسير الألوسي - (ج 10 / ص 193)
(11) الرعد : من الآية 13
(12) الحلس هو كساء رقيق يوضع على ظهر البعير تحت السرج
(13) السلسلة الصحيحة (2289)

ائكة وَهُمْ لا َ يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }))[1] .

ـ ويقول تعالى : ((لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ))[2] .

3ـ خوف المهابة من سماع كلام الله وأوامره :

ـ جاء في تفسير القرطبي : ((" وهم من خشيته مشفقون " [الأنبياء : 28] والمعنى : أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا ، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير))[3] .

ـ وفي فتح القدير : (({ وهم من خشيته مشفقون } فإذا أذن لهم في الشفاعة فزعوا لما يقترن بتلك الحالة من الأمر الهائل .... وقيل هذا الفزع يكون للملائكة في كل أمر يأمر به الرب))[4] .

ـ وفي تفسير الطبري : ((ينزل الأمر من عند رب العزة إلى السماء الدنيا؛ فيفزَع أهل السماء الدنيا ، حتى يستبين لهم الأمر الذي نزل فيه ، فيقول بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم؟ فيقولون : قال الحق وهو العلي الكبير، فذلك قوله (حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ...) الآية))[5] .

4ـ خوف المهابة من هول القيامة :

ـ الطالب إذا دخل الامتحان فمن هول الموقف قد يتلعثم ولا يستطيع الإجابة ، وبعض الناس إذا تعرض لصدمة شديدة فإنه قد يفقد الذاكرة .

ـ جاء في تفسير المحرر الوجيز : ((واختلف الناس في معنى قولهم عليهم السلام { لا علم لنا } فقال الطبري ذهلوا عن الجواب لهول المطلع ، وذكر عن الحسن أنه قال : لا علم لنا من هول ذلك اليوم . وعن السدي أنه قال : نزلوا منزلا ً ذهلت فيه العقول فقالوا لا علم لنا . ثم نزلوا منزلا ً آخر شهدوا على قومهم ، وعن مجاهد أنه قال : يفزعون فيقولون لا علم لنا))[6] .

ـ وفي تفسير النيسابوري : ((ومعنى { عميت عليهم الأنباء } أن أخبار المرسلين والمرسل إليهم صارت كالعمى عليهم جميعاً لا يهتدون إليهم فهم لا يتساءلون كما يسأل بعض الناس بعضاً في المشكلات لأنهم متساوية الأقدام في العجز عن الجواب ، وإذا كانت الأنبياء لهول ذلك اليوم يتلعثمون في الجواب عن مثل هذا السؤال كما قال سبحانه { يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا } [المائدة : 109] فما ظنك بضلال أممهم ؟!))[7] .

ـ وفي الحديث : ((إنكم تحشرون حفاة عراة قلت الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال إن الأمر أشد من أن يهمهم ذلك))[8] ، وذلك من شدة الخوف من هول الموقف .

5 ـ خوف المهابة من هول الحساب :

ـ كمن يقف أمام القاضي ينتظر حكم المحكمة هل يحكم عليه بالسجن أم بالبراءة فهو قلق جدا لدرجة أنه لا يستطيع الوقوف على رجليه فيجلس على ركبتيه من هول الترقب والإنتظار وليس من التعب ، ففي أيسر التفاسير للجزائري : (({ وترى كل أمة جاثية } : أي كل أمة ذات دين جاثية على ركبها تنتظر حكم الله فيها))[9] ، وفي تفسير الخازن : (({ وترى كل أمة جاثية } أي باركة على

---

(1) الوسيط لسيد طنطاوي - (ج 1 / ص 3753)
(2) الحشر : من الآية 21
(3) تفسير القرطبي - (ج 14 / ص 295)
(4) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير - (ج 4 / ص 461)
(5) تفسير الطبري - (ج 20 / ص 397)
(6) تفسير المحرر الوجيز - (ج 2 / ص 366)
(7) تفسير النيسابوري - (ج 6 / ص 159)
(8) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 4 ، ص : 114 ، برقم : 2084) .
(9) أيسر التفاسير للجزائري - (ج 4 / ص 62)

الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء قال سلمان الفارسي إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك إلا نفسي))[1] ، وفي تفسير الخازن أيضا : (({ وترى كل أمة جاثية } قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات ، وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جثوا))[2] ، وفي تفسير القرطبي : ((وفي الجاثية تأويلات خمس : الأول - قال مجاهد : مستوفزة ، وقال سفيان : المستوفز الذي لا يصيب الأرض منه إلا ركبتاه وأطراف أنامله))[3] .

6ـ خوف المهابة من رؤية الله تعالى :

ـ الإنسان إذا سمع بأذنه كلام الله له ، أو إذا رأى الله سبحانه فإنه قد يصعق من شدة الخوف من هول المهابة والعظمة وشدة الأمر .

ـ ((فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ))[4] .

ـ وفي الحديث : ((حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[5] .

ا

7ـ خوف المهابة من الملائكة :

ـ جاء في تفسير القرطبي : ((ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر قال ابن عباس لو رأوا الملك على صورته لماتوا إذ لا يطيقون رؤيته))[6] ، وفي تفسير الثعالبي : ((لماتوا من هول رؤية الملك في صورته))[7] ، وفي تفسير روح المعاني : ((ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر أي أمر هلاكهم لعدم قدرتهم على تحمل مشاهدته))[8] .

ـ الإنسان عندما يتصور أنه مراقب في كل لحظة وأن هناك من يعدون عليه كلماته وكل حركاته يأخذه خوف المهابة ، كما أنه عندما يتصور أن إثنين يسيران معه ليسوا من البشر بل أقوى بكثير وفوق ذلك أنهما لهما القدرة على إخفاء نفسيهما بحيث لا يراهما أحد ، فهذا يؤدي إلى خوف حياء ومهابة من الملكين الرقيب والعتيد .

8ـ خوف المهابة من انتظار لقاء الله والآخرة :

ـ الإحساس بقدر الآخرة يؤدي إلى شعور باقتراب الآخرة وشعور بالترقب والانتظار والتطلع إلى الآخرة ولقاء الله ، وهذا الانتظار فيه قلق وإشفاق وخوف وفيه أيضا طموح وأمل في الجنة ، ويكون عنده استعداد نفسي وتأهب للموت وألم الفراق والاستعداد النفسي لترك الأهل والمال والطعام و الشراب .

ـ إن الذي ينتظر أحدا في موعد ، فأثناء فترة الانتظار يكون قلقا ، ويزيد ذلك القلق إذا كان لقاء هام جدا يترتب عليه مصير الإنسان ، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط ، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدا ، ويزيد القلق إذا لم يكن يعلم هل نتيجة هذا اللقاء تؤدي إلى الشقاء والمصائب أم إلى السعادة والراحة ، وهل سيلقى الترحيب بهذا اللقاء أم الزجر والويل والثبور

---

(1) تفسير الخازن - (ج 5 / ص 402)
(2) تفسير الخازن - (ج 4 / ص 355)
(3) تفسير القرطبي - (ج 16 / ص 174)
(4) الأعراف : من الآية 143
(5) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1860 في صحيح الجامع .
(6) تفسير القرطبي ج : 6 ، ص : 393
(7) تفسير الثعالبي : (ج : 1 ، ص : 507)
(8) تفسير روح المعاني : (ج : 7 ، ص : 107)

، كما يزيد القلق إذا علم أن من سيقابله له مكانة كبيرة مثل ملك من الملوك أو زعيم من الزعماء ، هذا بالنسبة لأمور الدنيا فما بالك بلقاء الله ولقاء الآخرة والحساب الذي ينبني عليه الشقاء الأبدي أو السعادة الأبدية ، فلابد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله طوال فترة حياته قلقا على ما ينتظره وما يحدث له من أهوال ومخاطر قادمة حتمية وقريبة .

ـ وكذلك الذي ينتظر لقاء محبوبته الجميلة ، فأثناء فترة الانتظار يكون قلقا ، ويزيد ذلك القلق إذا كان لا يعلم هل ستأتي أم لا ؟ ، كما يزيد القلق إذا لم يكن يعرف الموعد بالضبط ، ويزيد القلق إذا علم أن الموعد وشيك وقريب جدا ، هذا بالنسبة لأمور الدنيا فما بالك بلقاء الحور العين وملذات الجنة ، فلابد أن يعيش المؤمن حياته في انتظار الحور العين وفي انتظار النعيم المقيم ، ولابد أن ينزعج ذهن المؤمن وينشغل باله طوال فترة حياته قلقا على ما ينتظره وما يحدث له هل سيصل إلى الحور العين أم إلى الجحيم !! .

ـ وكذلك لابد أن يعيش المؤمن حياته من أجل الإعداد ليوم ينادى فيه على الموتى ويحمل على الأعناق ويذهب إلى لقاء الله تعالى ، فالمؤمن يعيش حياته وفي ذهنه ترقب وانتظار وتطلع إلى لقاء الله : ((مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ))[1] ، ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))[2] ، وعدم وجود ذلك القلق والترقب والانتظار يعني أن لقاء الله والآخرة هو مجرد يقين نظري فقط .

8ـ خوف المهابة من الموت :

ـ الموت مرحلة خطيرة جدا ينتقل فيها الإنسان من دار إلى دار ، فهي تستدعي خوف المهابة من ذلك ، وليس خوف أن الموت عقاب ونهاية للحياة لأنه بداية للحياة الحقيقية ، وليس خوف من ترك الأحباب لأن المؤمن يعيش غريبا في الدنيا وأحبابه وأهله في الآخرة .

ـ ولا يتحقق اليقين الحقيقي بالموت ولقاء الله بغير توقع حدوثه أي وقت ويعد نفسه من أهل القبور ، فيقول تعالى : ((إنك ميت وإنهم ميتون))[3] ، وهذا التوقع والترقب لابد أن يكون فيه خوف المهابة .

****

ـ ثانيا : الشعور بالخضوع

ـ الخضوع أربعة أنواع هي الخضوع خوفا من مهابة الله والخضوع حبا لله والخضوع خوفا من العقاب والخضوع رجاءا في الثواب .

ـ الإنسان لا يريد أن يخضع وبالتالى يعطل الإحساس بالقيمة حتى لا يتحقق الخضوع :

ـ أصل الدين أن هناك رب وعبد ، أي أن هناك ضعيف وقوي ، فإذا شعر الإنسان بأنه ضعيف والله قوي تحققت مشاعر الإيمان كلها بالضرورة وتحقق الخضوع ، فبمجرد أن يشعر الإنسان بأنه ضعيف مقهور والله قوي مسيطر عليه فإنه يشعر بخوف المهابة من الله والحب والإعجاب بمدى قدرة الله والرجاء في ثوابه والخوف من عقابه والخضوع من خوف مهابته والخضوع حبا لينال العزة به والخضوع

(1) العنكبوت : 5
(2) الكهف : 110
(3) الزمر : 30

خوفا من عقابه ورجاءا في ثوابه .

ـ ولكن الإنسان لا يريد أن يخضع فيلجأ إلى تعطيل الإحساس بالقيمة حتى لا يشعر بأنه ضعيف والله قوي وبالتالي لا تتحقق مشاعر الإيمان والخضوع لله تعالى .

ـ وتعطيل الإحساس بالقيمة يتم عن طريق أن لا يتفكر ويتدبر بحضور قلب ماذا يعني الخالق وماذا يعني المخلوق ؟ ، وهذا معناه تعطيل الوظائف الطبيعية للإنسان بتعطيل الإحساس بقيمة ومعنى ما يرى وما يسمع للأشياء من حوله فيصبح الإنسان ميتا ، لذلك فهو يتلهى بأمور الدنيا حتى لا يتدبر أو يتفكر بحضور قلب لأنه إذا تدبر وشعر بحقيقة الأمر شعر بأن الخالق معناه القوي المسيطر وبأن المخلوق معناه الضعيف المقهور وبالتالي يخضع وهو لا يريد أن يخضع .

ـ وعندما يغيب الإحساس بالقيمة يصبح الإنسان معاندا لا يستخدم عقله وإنما يصر على أمر يهواه من غير أن يفكر في حقيقته ، والدنيا لها تزيين خادع يخدع من لم يستخدم عقله لمعرفة حقيقتها ، والمعاند هو شخص لا يعلم مصلحته وما ينفعها وما يضرها : ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ))[1] .

ـ ويتحايل الإنسان لإخفاء الاستكبار بالتغافل والتهرب من هذا الكفر لأنه بغير دليل ، والتغافل يجعله كأنه لا يؤمن ولا يكفر بالأمر وكأنه لا يصدقه ولا يكذبه فهو يتجاهل الأمر ويتغافل عنه كأنه لم يسمع عنه .

ـ ولمزيد من الإيضاح نوضح الأمر كالتالي :

ـ الرسل جاءت لتدعو الناس بأنه لا إله إلا الله ، ومن معاني " لا إله إلا الله " أن كل صفات القوة و العظمة والكمال هي لله ، وكل صفات الضعف والنقص هي للإنسان ، وأن الإنسان خاضع لسيطرة الله عليه وهيمنته عليه ، وأن كل ما عند الإنسان من قوة وصحة وممتلكات وشهوات يتمتع بها وأولاد وكل شيء ليست ملكه ولا تخصه وإنما هي ملك لله الذي يملك كل شيء حتى الإنسان نفسه ، وأن على الإنسان أن يذل ويسجد ويركع ويعيش عيشة الذليل المستسلم لله ، وأن هذه الحياة بكل ما فيها من شهوات مؤقتة وضئيلة جدا وفانية لأن هناك حياة أخرى أبدية ، وذلك مع الحجج والأدلة الواضحة على ذلك وأولها إعجاز القرآن .

ـ إن الضعيف يخاف من القوى ويخضع له ، ويشعر باستكانة وأنه مغلوب على أمره (شعور بـ الخضوع) ، فالقوى له السيادة والسلطة والسيطرة والأمر والنهي ، والضعيف مغلوب على أمره مستكين ضعيف مقهور ، فهذا حال الخادم الذي هو سلعة تباع وتشترى في سوق العبيد ويعيش تحت أمر سيده الذي اشتراه ، فكذلك الحال مع الله تعالى ، فـالله المتكبر والإنسان الذليل .

ـ إذا اعترف أمام نفسه أنه ليس ملكا لنفسه وأنه جزء من ممتلكات الله فهو مملوكا وليس متحررا فهذا يؤدي به إلى مشاعر الإيمان .

ـ وسبب عدم الشعور بالخضوع لله أن الإنسان لا يشعر بضعف نفسه واستسلامه : ((وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[2] ، فمجرد أن يعرف الإنسان أن له خالق فهذا معناه أنه ضعيف لأنه مخلوق ، وأن الله هو القوى لأنه الخالق .

ـ وسبب أن الإنسان لا يريد أن يخضع هو أن الإنسان له إرادة وقوة وروح وعنده حكمة ، فلا يريد أن يُخضع إرادته إلى إرادة الله ، فهو مغرور بعقله ((فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلمِ))[3] ، فهو مغرور كأنه هو الذي أوجد هذه الأمور في نفسه فلابد أن يركع العقل والقلب ، وكذلك فالنفس فيها الكبر عن أن أحدا غيرها هو الذي يقوم علي أمرها ورعايتها كأنها قاصرة أو عاجزة ، فالنفس تريد أن يكون لها

---

(1) الحشر : 19
(2) فصلت : من الآية 15
(3) غافر : من الآية 83

سلطة وزعامة وأن تكون هي التي تدير نفسها .

ـ فالإنسان له إرادة تجعله يفعل ما يشاء ، فهو يختار لنفسه أن يسير كيفما يشاء ويعمل ما يشاء ، فهو سيدا لنفسه لأنه يتحكم في نفسه كيفما يشاء كلما أحب شيئا قام به ، وهو لا يقبل أن يكون عبدا وتسلب منه حريته وشخصيته ، والعبد ليس له اطمئنان ذاتي غير إرضاء سيده وقبول كل ما يفعل به سيده حتى لو قطعه إربا إربا ، لذلك فهو يرفض أن يكون عبدا .

ـ فالإنسان لا يريد أن يخضع ، لأن هذا معناه أن يتنازل الإنسان عن كل ما يملك لله الذي يملك كل شيء فيكون كل ما عنده هو محض تكرم وإنعام ومنة من الخالق فيعيش عبدا لاحسان الله (الخضوع رجاءا في الثواب) فيكون محبا شاكرا لله أو يستكبر أن يمن عليه أحد بعطاء فيكون مستكبرا كفورا : ((إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً))[1] .

ـ وأصعب شيء على النفس هو التنازل عن كل الممتلكات والأهل والمال والشهوات وعن النفس والا عتراف بملكية هذه الأمور لصاحبها وهو الله فتصبح هذه الأمور بلا قيمة لأنها ليست ملكا للإنسان ، فـ لا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة النفس والمال والممتلكات من عقل (قلب) الإنسان : ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ))[2] .

ـ فهناك أمران لا ثالث لهما هما إما تعظيم قدر الله وتصغير قدر النفس ، أو تعظيم قدر النفس وتصغير قدر الله ، فالأول هو الإيمان والثاني هو الاستكبار ، فالإيمان عكسه الاستكبار ، وهذا الاستكبار هو رفض للإيمان الحقيقي بالربوبية ، ومعنى أن الإنسان يتغافل عن قدرة الله عليه فهذا يعني أنه مستكبر على الله .

ـ وبتعبير آخر فالإيمان هو الخضوع والذل والتنازل عن كل شيء والاستكبار أنه لا يريد أن يخضع ويذل ويتنازل عن كل شيء وهذا الاستكبار هو رفض للإيمان الحقيقي بربوبية الله .

ـ فعكس الإيمان هو الاستكبار ، فالإنسان إما مؤمن وإما مستكبر ولا يوجد شيء ثالث ، وفي تفسير البغوي : (({ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا } تكبروا عن الإيمان بها ، وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكافر متكبر ، قال الله تعالى " إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون"))[3] .

ـ فالاستكبار هو أنه لا يريد أن يخضع ويذل طوال عمره ، ولا يريد أن يتنازل عن ما يملك من الشهوات والنعم ليعترف أن الله هو المالك لكل النعم التي يتنعم بها ، ولا يريد أن يعترف بأن الدنيا لا قيمة لها لأنها إلى زوال وأن الحياة في الآخرة لأنه لو أيقن بضآلة الدنيا فهذا معناه أن يترك حب الدنيا واللهث وراءها وهو لا يريد ذلك ، ولا يريد أن يتحكم أحد فيه ويسيطر عليه ويريد أن يعيش حرا مستقلا بنفسه ويشعر أن له إرادة مستقلة فيستكبر ، والاستكبار هو تكبير قدر النفس وما معها من شهوات وتصغير قدر الله : ((وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ))[4] فهو لا يريد أن يعترف أمام نفسه بضعفه وعظمة الله وقدرته عليه ، فأصعب شيء على الإنسان هو الاعتراف بضعفه ونقصه وعجزه واستسلامه واحتياجه وانقياده لغيره ، والاعتراف بأنه مقهور ومغلوب وخاضع تحت سيطرة أحدا غيره ، والاعتراف بالذل وأن يعيش عيشة الذل وعيشة العبيد لسيد يملكه ويملك التصرف فيه ، فالإنسان يعرف أن لله كل صفات العظمة والعلو ، وأن الإنسان فيه كل صفات الضعف والعجز لكنه يأبى أن يشعر بذلك ويتعاظم الأمر في نفسه أن يكون كذلك ، فالكفار يعلمون الحق بعقولهم ويفهمونه جيدا بعقولهم لكنهم يستكبرون فيتغافلون عنه لأن مشاعرهم تأبى الإذعان والا ستسلام لذلك ، وبالتالي فمشاعرهم جاحدة مستكبرة .

(1) الإنسان : 3
(2) تفسير البغوي - (ج 3 / ص 227)
(3) تفسير البغوي - (ج 3 / ص 227)
(4) الدخان : 19

ـ جاء في التفسير الميسر : (({ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ } وكذّبوا بالمعجزات التسع الواضحة الدلالة على صدق موسى في نبوته وصدق دعوته ، وأنكروا بألسنتهم أن تكون من عند الله ، وقد استيقنوها في قلوبهم اعتداءً على الحق وتكبرًا على الاعتراف به))[1] ، ((إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ))[2] ، ((فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ))[3] ، وقد كان كفر أبي طالب بسبب الاستكبار فإنه صدق الرسول ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية ، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم .

ـ فالاستكبار هو أن يؤثر شهواته وحظوظ نفسه على الخضوع لله : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))[4] .

ـ فمثلا رغم اليقين النظري التام بأن الآخرة هي حياتنا ومصيرنا ، لكننا لا نقبل أن نلغي هذه الحياة الدنيوية فنعيش حياة المسافر الذي يستعد للرحيل ، فنحن نهرب من هذه الحقيقة ونعيش كأن الكرة الأرضية هي دار إقامتنا وحياتنا ، فرغم اليقين النظري التام بالآخرة إلا أننا نهرب منها ونتغافل عنها ونتجاهلها .

ـ وكذلك فالله هو الخالق المسيطر علينا ، ورغم اليقين النظري التام بذلك لكننا لا نقبل أن نعيش حياة الذل والاستسلام ولا نقبل أن نعيش معيشة العبيد فنحن نعيش لأنفسنا ولا نقبل أن نعيش حياتنا من أجل أحد غيرنا ، فنحن نهرب ونتغافل عن الله .

ـ فإذا كشفنا عما في قلوبنا وجدنا عدم القبول (الاستكبار) لأن نكون عبيدا أو نعيش تحت أسر الآخرة والإعداد لها ولكننا نخفي هذا الاستكبار في صورة تغافل كأننا لم نسمع عن الأمر .

ـ إن النفس مجبولة على حب الشهوات والسعادة وما فيه الراحة واللذة وتكره الذلة والانكسار و الخضوع لأي أحد أو أي شيء لأن في ذلك ألم لها ، لذلك فالنفس لا تحب الخضوع لله والدين فتريد أن تتحرر من ذلك ، فالنفس من داخلها تتكبر وتأبى أن تستسلم : ((إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ))[5] ، ومن أثر ذلك أن النفس قد تجد اللذة في المعصية لمجرد أنها ضد الدين ، خاصة لو كانت ذنبا كبيرا لشعورها أنها تتحرر من قيد الخضوع للدين ، ولاحظ أن أصل ذلك ناشئ من عدم الشعور بحقيقة ضآلة النفس ، فالإنسان القوي يرفض أن يخضع لإنسان قوي مثله أو أضعف منه ، وكذلك الإنسان الضعيف المخدوع في نفسه ويظن أنه قوي يرفض الخضوع لإنسان أقوي منه لأنه يظن أنه مثله أو أضعف منه ، فالإنسان ضعيف لكنه مخدوع يظن أنه قوى وأن ما عنده من مال وصحة وممتلكات هي ملك له ، كما أنه يتجاهل قوة الله كأنه ليس بقوي أو ليس بأقوى منه فيرفض الخضوع ، أما الإنسان الذي يشعر بضعفه وبقوة الله فإنه يرى أن خضوعه لله هو أمر طبيعي ، فيشعر فيه بألم لأنه خضوع الضعيف مخافة من القوى ، كما يشعر فيه بلذة لأنه خضوع الضعيف الذي يحتاج إلى القوى سواء لمجرد انتسابه إليه فهو خاضع لقوى عابد له ففي ذلك عزة للضعيف وفخر وشرف في انتسابه إلى الله (الخضوع حبا) ، أو لاحتياجه إلى الله ليمده بما يحتاجه (الخضوع رجاءا) ، وهذه اللذة هي لذة التوكل .

ـ أنواع الخضوع :

ـ الإنسان عندما يجد رجلا قويا ، فإما أن يكون مواليا له أو معاديا له وحيث أنه لا يستطيع مواجهته لقوته فإنه يواليه خوفا من قوته ، فهذا خضوع خوفا من العقاب ، وليستمد منه القوة والحماية والإنعام ، فهذا خضوع رجاءا في الثواب ، وهو يواليه وينتمي إليه وينسب نفسه إليه ويؤيده لينال العزة

---

(1) التفسير الميسر - (ج 6 / ص 469)
(2) غافر : من الآية 56
(3) المؤمنون : 47
(4) النازعات : 37 ـ 40
(5) غافر: من الآية56

والشرف بانتسابه إليه ، فهذا خضوع انتماء حبا له وإعجابا بصفاته ، وهو يواليه احتراما له وتقديرا لمدى قدرته وتوقيرا له وتعظيما له وهيبة له لأنه جدير بالتوقير والتعظيم ومستحق لذلك ، فهذا خضوع خوفا من مهابته .

ـ لهذه الأسباب الأربعة فالإنسان يحب أن يعمل عند الله عبدا له خاضعا له .

ـ مفهوم الخضوع :

ـ معنى كلمة (إله) أي هو من تعيش حياتك خاضعا له خوفا من مهابته وحبا له ، ولذلك من أهم الطاعات المميزة لكلمة (إله) هي الركوع والسجود ، فالكفار كانوا يركعون ويسجدون لأصنامهم ، و الركوع والسجود لله لابد أن يكون ناشئا عن ركوع المشاعر وسجودها وخضوعها وخشوعها لله ، وإلا لا يقبل الركوع والسجود ، ولو عاش الإنسان طول عمره بغير أن يشعر بالخضوع لله فقد أضاع صلا ته وأحبط أعماله ففي الحديث : ((إن الرجل ليصلي ستين سنة وما تقبل له صلاة ولعله يتم الركوع ولا يتم السجود ويتم السجود ولا يتم الركوع))[1] .

ـ الخضوع والذل هو ركوع المشاعر وسجودها ، وهو أصل معني العبودية في اللغة ، والخضوع يعني الاستسلام ويمكن اشتقاقه من كلمة الإسلام بمعني الاستسلام أي إسلام النفس وكل ما تملك إلى م الكها الحقيقي هو الله سبحانه ، أي التجرد من كل ما تملك لتنسبه إلى مالكه الحقيقي وهو الله سبحانه ، لذلك هو أصعب شعور علي النفس ، فأنت مستسلم مغلوب علي أمرك من الله والله غالب علي أمره ، والخضوع والذل معناه أن تعيش مرهونا بعطائه فمن غيره تموت ، ذليلا لعطائه محتاجا لعطائه ، فبغير عطاءه ونعمه لا تستطيع أن تتنفس ، فالنفس والهواء نعمة ، فأنت عبد إحسانه خاضع لما يجود به عليك ، وكما يقولون فالإنسان أسير الإحسان ، والخضوع والذل معناه اليقين الحقيقي بأن الله لا يسأل عما يفعل ((لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ))[2] ، فالله أراد أن يخلق الكون و الناس والآخرة بما أراد وكيف أراد ، ولا يسأل لماذا ؟ ، فلا يحاسبه أحد ، فالشعور بالتسليم بدون السؤال : (لماذا ؟) يعني الشعور بالخضوع ، كما أن الشعور بالخضوع معناه الشعور بأن كل الأمور وكل شيء يخضع لهيمنة الله وسيطرته خضوعا كاملا وسيطرة كاملة ، فأنت وكل شيء خاضع لهيمنة الله وسيطرته الكاملة ، كما أن الشعور بالخضوع معناه الشعور بالرضا بما أراد الله وقدر لكل واحد من رزق وأجل ، ومما يحدث في حياته وبعد موته ، والله لا يسأل عما يفعل ولا يحاسبه أحد ، لماذا هذا ولماذا هذا ؟ ، كما أن الله هو الذي خلق عقولنا وأفهامنا التي نفهم بها وخلق الأسباب التي نفهم بها ، والله فوق الأسباب والناس مقهورون تحت سلطانه ، ولا يفهمون إلا ما أفهمهم الله ، ولا يعلمون إلا ما علمهم الله ، فمَنْ لم يشعر بكمال الخضوع والاستسلام لله ، فهو لا يشعر بالرضا بسلطان الله علي كل شيء وتحكمه في كل شيء وهيمنته علي كل شيء وأي شيء .

ـ إن الشعور بهيمنة الله تعالى على كل شيء يؤدي إلى أن يخضع العقل والقلب لله ، فمقياس الصواب والخطأ ليس العقل وإنما الله من خلال شرعه وأمره ، ومقياس ما يجعل الإنسان يفرح أو يحزن هو ما وافق أو خالف أمر الله ، أما مَنْ لا يشعر بالخضوع لهيمنة الله تعالي فمقياس الصواب والخطأ عنده هو عقله ورأيه فهو يعبد عقله ، ومقياس ما يجعله يفرح أو يحزن هو شهواته ودنياه فهو يعبد هواه : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا))[3] .

ـ كيف يتحقق الشعور بالخضوع :

ـ لابد أن تشعر بأنك عاري من كل شيء ومحتاج إلى غيرك أي أنك أولا تنفي كل شيء من نفسك وثانيا تثبت وتنسب كل شيء لله ، أي الرضا بأن الله له كل شيء ، وأنك جزءا من ملكه وهو يقوم بأمرك ، وأنك ذليل إلى الله محتاج إليه ، فالمشكلة هي عدم وجود اليقين الحقيقي بأن الله هو

---

(1) حديث صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 6 ، ص : 81 ، برقم : 2535)
(2) الأنبياء : 23
(3) الفرقان : 43

المالك لكل شيء حتى النفس الذي تتنفسه ، وأنت محتاج إليه فمن غيره تموت وتهلك ، فطالما أن الإ نسان يظن أن ما عنده من قوة ومال وقدرات مادية ومعنوية وصحة وهواء ....الخ هي ملكا له ، فلن يشعر بالحاجة إلى الله ليعطيه هذه الأشياء ، ويقول الدكتور مجدي الهلالي : [[إن السبب الرئيسي لعدم إيمان الكثير من الناس بالله ـ عز وجل ـ وعدم قيامهم بحقوق عبوديتهم له ، هو عدم استشعارهم حاجتهم إليه : يقول تعالى : ((كلا إنّ الإنسان ليَطغَى ، أنْ رَآهُ استَغنَى))[1] ، ففي ظنهم أنهم يمتلكون من أسباب القوة ما يجعلهم في غنى عنه ـ سبحانه ـ وعندما يستبدل حالهم من اليسر إلى العسر ، ومن السعة إلى الضيق ، ومن الأمن إلى الخوف والكرب ، فإنهم يتجهون بكليتهم إلى الله ـ عز وجل ـ بعد أن زالت عنهم عوارض القوة ، وعاشوا في حقيقة فقرهم وضعفهم ، واستشعروا حاجتهم الماسة إليه سبحانه ، فتراهم يعودون إليه متضرعين منكسرين مخلصين له الدين : ((وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثمّ إذَا مَسّكُمُ الضرُّ فَإلَيْهِ تجْأرُونَ (53) ثمّ إذَا كشَفَ الضرّ عَنكمْ إذَا فَرِيقٌ مِّنكم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكونَ (54) لِيَكفُرُواْ بِمَا آتيْنَاهُمْ فَتمَتعُواْ فَسَوْفَ تعْلمُونَ))[2] ، ((هُوَ الذِي يُسَيِّرُكمْ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ حَتى إذَا كنتمْ فِي الفُلكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ المَوْجُ مِنْ كلِّ مَكانٍ وَظنُّوا أنَّهُمْ أحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لهُ الدِّينَ لئِنْ أنجَيْتنَا مِنْ هَذِهِ لنَكونَنَّ مِنَ الشّاكِرِينَ))[3] ، ولقد كان الرسل يركزون في دعوتهم للناس على إشعارهم بحاجتهم إلى الله ، فيذكرونهم بحجم النعم التي أنعم الله بها عليهم ـ سبحانه ـ]][4] ، ومما يحقق الشعور بالخضوع أيضا اليقين الحقيقي بهيمنة الله على كل شيء والمعرفة الحقيقية بالله .

ـ الحالة النفسية للخضوع والاستسلام :

ـ اليقين الحقيقي بأن الله هو المالك يؤدي إلى الشعور بالخضوع ، فمعني أن ينخلع الإنسان من كل ما يملك حتى من نفسه هو أن يكون كالميت بين يدي مغسله يفعل به ما يشاء ، فيكون كالميت بين يدي الله يفعل به ما يشاء (وهذا أيضا أصل الشعور بالتوكل علي الله) ، فإن شعورك بهذه الحالة النفسية هو الذي يسمي بالخضوع وأيضا بالتوكل ، فإذا كنت تدعي الخضوع أو التوكل علي الله فأين هذه الحالة النفسية ؟! .

ـ والشعور بالخضوع يعني اليقين الحقيقي بضعف قدرته وعجزه أمام قدرة الله وشعور بالانكسار و التسليم وأن الإنسان واقع تحت تصرف من له القدرة عليه وخائف منه .

ـ هل يستطيع الإنسان أن يعيش لغيره أي لا يعيش من أجل نفسه هو ولكن من أجل أحدا غيره ، إن الخضوع معناه أن تعيش لغيرك ، وتعيش تحت سلطة وسيطرة غيرك عليك وتقبل ذلك مستسلما ذليلا خاضعا ، إن المسلم يعيش لله بل ويموت أيضا لله ((قلْ إنّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَأي وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ العَالمِينَ))[5] .

ـ أنظر إلى خادمة تعمل في بيت من بيوت السادة ، إن الحالة النفسية التي تشعر بها هذه الخادمة هي التي تسمي خضوع ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟! .

ـ أنظر إلى الرجل الفقير المعدوم الذي يسأل الناس ، بماذا يشعر ؟ ، إنه يشعر بالخضوع والذل و الحاجة إلى إنعام الناس عليه ، إن الحالة النفسية التي عند هذا الرجل هي التي تسمي خضوع ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟! ، كما أنك تجد هذا الرجل يظل يدعوا لمَنْ يعطيه محبة له ، وإذا كان هذا الرجل فقير إلى إنعام الناس من أموال ، ومحب لما يعطونه ، فكيف بك وقد أنفق عليك الله فأعطاك عينا وأعطاك الهواء الذي تتنفسه ونعما لا تحصي (والمشكلة أننا لا نشعر بنعم الله) .

---

(1) العلق : 6 ، 7
(2) سورة النحل : 53 ـ 55
(3) يونس : 22
(4) الإيمان أولا ـ د. مجدي الهلالي ص : 18 (دار التوزيع والنشر الإسلامية)
(5) الأنعام :162

ـ مثال آخر : تصور أنه تم بيعك في سوق العبيد مثلما كان يحدث في الماضي فأصبحت عبدا وخادما لسيدك ، هل تقبل هذه الحال الآن وأنت في عصر الحرية ؟! ، هل تقبل أن تضع نفسك تحت تصرف غيرك ؟! ، وهل تقبل أن يتحكم فيك غيرك ؟! وهل تتحمل هذه الحالة النفسية من الخضوع وطوال عمرك ؟ ، إنك مطالب بما هو أصعب من ذلك أن تكون عبدا لسيدك ومولاك رب العالمين ، فلماذا لا تشعر أنك واقع تحت سيطرة مَنْ يتحكم فيك وأنت عليك أن تقبل الخضوع والذل ؟ ، فأنت تخضع له خضوع مَنْ شعر بأنه القهار المهيمن ، وخضوع المحتاج إلى نعماءه ، وتحب الذل إليه ليعطيك ، كما يفعل الشحاذ حين يسأل الناس فإنه يخفض رأسه ويمد يده للناس ليعطوه ، فهل تخفض رأسك وتمد يدك لله ليعطيك ؟ (وذلك ليس فقط في الدعاء ولكن في مشاعرك في كل لحظة من حياتك) ، إذن أين هذه الحالة النفسية المميزة للخضوع ؟ .

ـ تصور أن أحدا ما رفع في وجهك سلاحا وطلب منك أن تستسلم ، ماذا يكون شعورك عندئذ ؟ هذا الشعور هو شعور بالهزيمة والاستسلام والانقياد ، إن الحالة النفسية التي تشعر بها عندئذ هي التي تسمي خضوع واستسلام ، فإذا كنت تدعي الخضوع لله ، فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ والله هو الجبار المنتقم ذو البطش المتكبر شديد العقاب سريع الحساب .

ـ تصور أن هناك أحدا ما أو شيئا ما ذو قوة قاهرة يمكن أن يقضي عليك ويزهق روحك فبماذا تشعر عندما تتعامل معه أو يأمرك بشيء ؟ ، إن الله هو القهار الجبار الذي سوف يزهق روحك ولن تفلت منه (فهو المميت) وهو يراك الآن ولن تستطيع أن تفلت منه أو تهرب عن نظره ، فلماذا لا تجد مثل هذا الشعور ؟ ، بل إن الله هو الذي يميتك كل يوم ويحييك فأين قدرتك وقوتك وإرادتك وأنت نائم ؟! ، فلماذا لا تشعر بالاستسلام لمَنْ يقهرك ويقدر عليك كل يوم وكل لحظة ؟ ، ولماذا لا تشعر أنك مقبل علي حياة أبدية ؟ ، فالذي يحييك كل يوم سوف يحييك يوم الدين والذي يميتك كل يوم سوف يميتك ويسلب منك كل شيء ، فلماذا لا تستسلم وتخضع وترضخ لله ؟ : ((اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[1] ، فالروح تخرج من الإنسان فإن عادت في الدنيا فذلك النوم وإن عادت في الآخرة فذلك الموت .

ـ ومن الخضوع أنك تشعر بأنك لست تخضع لأمر نفسك وما يمليه عليك عقلك وإرادتك وإنما وفقا لما يريده منك سيدك الذي أنت خادما عنده بل الذي أنت عبدا عنده .

ـ إذا لم تشعر بالخضوع فهذا معناه أن شعورك بأن لك ربا وإلها عظيما وشعورك بأنه المالك والعزيز و القهار والمهيمن وشعورك بالقدر كل هذا لا يكون متحققا في المشاعر وإن كان متحققا في الاقتناع النظري ، لأن تحقيق ذلك في المشاعر يعني الخضوع .

ـ أهمية الشعور بالخضوع

ـ عدم الشعور بالخضوع لله معناه استكبار : ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ))[2] ، وذلك كفر استكبار ، فالذي يمنع من الشعور بالخضوع لله هو خضوع الإنسان لغير الله سواء خضوعه للدنيا ، أو خضوعه للشهوات أو للمال أو لأي شيء آخر ، والسجود هو المميز لكلمة (إله) : ((وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ))[3] ، والمقصود بـ السجود هو سجود المشاعر والشعور بالذل والخضوع ، أما سجود الجوارح فهو أثر لسجود القلب بـ الشعور بالخضوع لله .

ـ فكلمة (الإسلام) معناها الخضوع ، وبالتالي فمن شعر بالخضوع فقد أسلم ومن لم يشعر فهذا وقوع في النفاق الأكبر .

---

(1) الزمر : 42
(2) الصافات : 35
(3) النحل : 49

ـ أنواع الخضوع تتحقق معا :

ـ لو أن أحدا من الناس له قوة يستطيع أن يبطش بك وأخذ منك مالك وكل ما تملك فأصبحت لا تملك شيئا ، وأصبحت تذل له ليعطيك لقمة تأكلها ، فأنت تخضع له وأنت كاره له .

ـ ولكن لو أنك أصلا لا تملك شيئا ، ثم جاء رجل غني وله قوة يستطيع أن يبطش بك وأعطاك ما تحتاجه ، فأنت تخضع له وأنت محبا له ، وهذا المثال على سبيل الافتراض لأن كل الناس ضعاف لا يملكون شيئا والله هو القوى والمالك .

ـ فأنت تخضع لله خوفا من مهابته لعظم قدرته الفائقة وحبا في الانتساب إليه وخوفا من عقابه ورجاءا في عطاءه .

****

ـ ثالثا : الشعور بلذة حب الله وحب الجنة

ـ إنك إذا نظرت إلى ساحر مثلا فيأخذك العجب مما يصنع ومن قدرته على عمل أشياء لا يستطيعها الناس ، فأنت تعجب به وتحبه إعجابا بما يصنع وإعجابا بقدرته ، ومن أثر هذا الحب أنك تصفق لإ ظهار إعجابك بما يصنع ، وكذلك إذا رأيت أحد الناس قد نال بطولة رياضية معينة أو حقق رقما قياسيا فإنك تعجب به وتحبه وتصفق له ، إن قدرة الله أعظم من ذلك بكثير لأن قدرته ليست سحرا ولكنها حقيقة وهي قدرة تصل إلى حد الكمال بحيث يستطيع أن يصنع أي شيء وكل شيء ، إن كل ذلك يدعو إلى حبه سبحانه .

ـ حب الله تعالى يكون لجمال ذاته وحب إعجاب بجمال صفاته وحب إعجاب بمدى عظمة قدرته وعلمه وصفاته وحبه لإنعامه ، وحبه لأنه الواحد ، وحبه لأنه الوكيل ، ونوضح ذلك كالتالي :

1ـ حب الله لجمال ذاته :

ـ الإنسان إذا نظر إلى وردة جميلة فإنه يحب ذلك المنظر ويجد في ذلك متعة ، فهذا النظر متعة للإ نسان .

ـ الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ونحن لم نراه ولكننا نوقن يقينا حقيقيا بجمال ذاته لأنه هو الذي أبدع وخلق جمال المنظر في الأشياء كالورد والفراشات والألوان المتناسقة المبدعة في كل شيء ، وخالق الشيء هو أولى به ، فمثلا الذي خلق في الإنسان قوة فهو أقوى منه : ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[(1)] .

ـ وجمال ذاته سبحانه هو فوق كل ما يتصوره الإنسان لدرجة أن مجرد النظر إلى وجه الله الكريم سبحانه أكثر لذة من كل لذات الجنة بما فيها من الخمور والحور العين وكل متع الجنة ، لذلك فأسعد شيء يرجوه المؤمن هو لذة النظر إلى وجه الله الكريم سبحانه وتعالى .

2ـ حب الإعجاب بجمال صفاته :

ـ الصفات الحميدة في الإنسان مثل الشجاعة والكرم والنجدة والقوة .... الخ هي صفات محبوبة ، و الصفات السيئة مثل الجشع والظلم والقسوة والطمع .... الخ هي صفات مكروهة ، الله له كل الصفات الحميدة فهو ينعم على الناس ولا يريد شيئا منهم ويرحمهم ويغفر لهم ويحلم عليهم ويتصف بكل الصفات الحميدة الجميلة .

ـ وكل صفات الله تعالى محبوبة ، والتكبر عكسه الخضوع ، فالتكبر صفة قوة والخضوع صفة ضعف ونقص ، وهناك فرق بين تكبر الظالم على المظلوم ، وتكبر من حقيقته القوة على من حقيقته الضعف

---

(1) فصلت : من الآية 15

، فالظالم ليست له قوة حقيقية ولكنه أخذها من المظلوم ، والمظلوم كانت له قوة فسلبت منه ، أما إذا كان المتكبر ليس ظالما فهو في ذاته قوى ولم يأخذ قوته من أحد ، وتكبر على من ليست له قوة أصلا فلم يسلب منه أحد قوة ، فذلك التكبر صفة مدح ، فالإنسان ليس له أن يتكبر على غيره لأن جميع البشر لا قوة لهم ، فما عندهم من قوة هو نعمة من الله عليهم وليست ملكا لهم ، والله له القوة وحده وغيره لا قوة له : ((أَنّ القُوّةَ لِلهِ جَمِيعاً))[1] ، فالناس يخضعون لله لأن هذا حقه لأنهم ضعفاء وهو القوى ، والضعيف يخضع للقوى والقوى بحق يتكبر على الضعيف الذي لا قوة له فلم يسلب منه أحد قوته .

ـ فصفات الله مثل الجبار والمتكبر والقهار هي أيضا صفات محبوبة ، لأن صفات القوة والإرادة عند البشر هي صفات مخلوقة فيهم وليسوا هم أقوياء من ذوات أنفسهم وحقيقتهم أنهم ضعفاء وما عندهم من قوة هو محض تكرم من الله عليهم ، لذلك فالإنسان ليس له أن يتكبر لأنه ليس بقوي ، و القوي بحق هو الذي له أن يتكبر على الضعيف .

ـ وفي تفسير الرازي : ((واعلم أن المتكبر في حق الخلق اسم ذم ، لأن المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر ، وذلك نقص في حق الخلق ، لأنه ليس له كبر ولا علو ، بل ليس معه إلا الحقارة والذلة و المسكنة ، فإذا أظهر العلو كان كاذباً ، فكان ذلك مذموماً في حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء ، فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه ، فكان ذلك في غاية المدح في حقه سبحانه ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال : { سبحان الله عَمّا يُشْرِكُونَ } كأنه قيل : إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله في هذا الوصف لكنه سبحانه منزه عن التكبر الذي هو حاصل للخلق لأنهم ناقصون بحسب ذواتهم ، فادعاؤهم الكبر يكون ضم نقصان الكذب إلى النقصان الذاتي ، أما الحق سبحانه فله العلو والعزة ، فإذا أظهره كان ذلك ضم كمال إلى كمال ، فسبحان الله عما يشركون في إثبات صفة المتكبرية للخالق))[2] .

3ـ حب الإعجاب بمدى قدرة الله وعلمه وصفاته :

ـ الناس يحبون من يحقق رقما قياسيا في بطولة رياضية مثلا لأنه بلغ قدرة كبيره وينظرون إليه نظرة إعجاب بقدرته وحب له .

ـ فالصفات لها درجات ، فالقوة لها درجات والعلم له درجات وهكذا ، وصفات الله تصل إلى درجة الكمال ، فقوة الله هائلة جدا لا توصف وكذلك علمه وكل صفاته ، فصفات الله سبحانه ليست مجرد صفات موجودة ولكنها تصل إلى حد الكمال من العظمة بحيث تجعلك يجعلك تحير وتندهش وتتعجب وتعجب وتنبهر وتذهل من مدى عظمة الخالق وقدرته سبحانه ، وهذا هو معنى كلمة (إله) في اللغة ، ففي تاج العروس : ((وفي حديثِ وهب بنِ الوَرْدِ : (إذا وَقَعَ العَبْدُ في *!ألْهانِيّةِ الرّبِّ ، ومُهَيْمِنِيّةِ الصِّدّيقِيْن ورَهْبَانِيّةِ الأبْرارِ لم يَجِدْ أحَداً يَأْخُذ بقلبِه) ، أي لم يَجِدْ أحَداً يَعجبُه ولم يُحِبّ إ لا ّ اللهَ سبحانه ، قالَ ابنُ الأثيرِ : هو فُعْلانِيّة مِن ألِهَ يَألَهُ إذا تحَيّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قَلْبُه إلى أحَدٍ))[3] .

ـ وهذا يجعل مشاعرك تتعلق به حبا وخضوعا وخوفا ورجاءا لدرجة أنك لا تستطيع أن تقطع مشاعرك وهمومك وأهدافك عنه ، لأنك لو قطعت مشاعرك وهمومك وأهدافك عنه تهلك ، فهذا هو الوله (مأخوذ من كلمة " إله ") مثل قولك (العاشق الولهان) أي الذي لا يستطيع أن يقطع حبه ومشاعره وأهدافه عن محبوبه فلا يستطيع أن يعيش إذا ابتعد عن محبوبه .

ـ " الوله " يدل على الحب والفرح بالمحبوب لدرجة أنه إذا ابتعد عنك تتحير ويذهب عقلك وتحزن

---

(1) البقرة : من الآية 165|
(2) تفسير الرازي - (ج 15 / ص 315)
(3) تاج العروس من جواهر القاموس - (36 / 322)

حزنا شديدا ، وهذا التحير والحزن هو الوله : ((الوَلَهُ : ذهابُ العَقل والفؤاد من فقدان حبيب ، يقال : وَلِهَت توْلَهُ وَتَلِهُ، وهي والهةٌ ووَالِه. وكل انثى فارقت وَلَدَهَا فهي والِهٌ))[1] ، (((وله) الوَلَهُ الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أو الحزن أو الخوف والوَلَهُ ذهاب العقل لفِقْدان الحبيب))[2] .

ـ فالمحب يفرح ويطمئن ويشعر بالأنس بلقاء محبوبه أو رؤيته أو ذكره والحديث عنه أو يفخر بالإنتساب إليه ، فكل ذلك صور للقرب من محبوبه ، ويشعر بالغربة والحيرة والحزن عندما لا تحدث هذه الأمور ، أي عند البعد عن محبوبه ، فكذلك المؤمن يفرح ويطمئن ويشعر بالأنس بلقاء الله أو رؤيته يوم القيامة أو ذكره والحديث عنه أو يفخر بالإنتساب إليه بأن يعمل عبدا له ، فأفضل لقب يحصل عليه الإنسان هو أن يكون عبدا لله تعالى ، فكل ذلك صور للقرب من محبوبه ، ويشعر بالغربة والحيرة والحزن عندما لا تحدث هذه الأمور ، أي عند البعد عن محبوبه : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[3] .

4ـ حب الله تعالى لإنعامه :

ـ النعم أمانة أو عارية يستردها صاحبها وهو الله سبحانه في أي وقت شاء ، لذلك فأنت تحب الله لما أعطاك ولا تكرهه لما سلب منك لأنه أعطاك أمانة تمتعت بها فترة من الزمن بغير استحقاق منك ، فأنت تحبه لما استفدت به من هذه النعمة خلال هذه الفترة .

ـ فالله ينعم عليك ويتودد إليك فلماذا لا تشعر بحبه ؟ فلو أن رجلا أعطاك مالا وبيتا ومرتبا شهريا وزوجك وتكفل برعايتك وتودد إليك (فهو الودود) فلماذا لا تحبه ؟ ، فيجب عليك أولا أن تشعر بـ التجرد والاحتياج إلى النعم وأنك لم تأتي بالنعم من كدك أو تعبك وأنها ليست ملكا لك وأنك في أمس الحاجة إليها ، ثم تتصور أن أحدا يعطيك هذه اللقمة التي تأكلها عن جوع واحتياج وبدون ثمن ولا مقابل فتحبه ، وكذلك تصور أن أحدا يعطيك ما تلبس وما تملك من عنده وبلا مقابل ، إنك عندئذ تشعر بالحب له ، أما إذا كنت تتصور أن ما عندك إنما هو من كدك وتعبك وأنه ملك لك أو أن أحدا أعطاك حقا لك وواجبا عليه وهو ملك لك فلن تشعر بالحب لله .

ـ وتصور أنك تقابلت مع شخص هو الذي كان قد أنفق عليك ورعاك طوال سنوات عمرك منذ أن كنت رضيعا وأعطاك السكن الذي تسكن فيه وكل شيء فبماذا تشعر ؟ ، ولماذا لا تجد مثل هذا الشعور و الله هو المالك لكل شيء المنعم عليك وأنت بين يديه ولا تغيب عنه طول وقتك .

ـ إذن عندما تتجرد من النعم وتنسب كل النعم إلى الله تعالى يحدث لك مشاعر هي : الخضوع والا نقياد وأنك عاري لا تملك شيئا ولا سمعا ولا بصرا ، والحب لله لأن هذه النعم عندك تتمتع بها ، إذن قد أُعْطِيَتْ لك مقصودة لك فتحبه ، وتتوكل على الله لأنك عاري لا تستطيع عمل شيء ولا تملك شيء فتعتمد على الله ليعطيك .

5ـ حب الله لأنه الواحد :

ـ توحيد الله يؤدي إلى حبه لأن العبد عندئذ لا يخاف إلا من الله ولا يرجو إلا الله ولا يذل لغيره ، وفي ذلك راحة وسعادة : ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))[4] .

6ـ حب الله لأنه الوكيل :

ـ فالله يتكفل بما يحتاجه العبد ، فيتوكل العبد على الله وفي ذلك راحة وسعادة .

---

(1) العين : (ج 1 / ص 281)
(2) لسان العرب - (ج 13 / ص 561)
(3) الرعد : 28
(4) الزمر : 29

7ـ حب الله لأنه تواب غفور رحيم ودود فيتوب على من أذنب ويغفر له ويتودد إلى عباده ، فأنت إذا أخطأت في حق ملك من ملوك الدنيا وخالفت أمره فقد يبطش بك ولكن الله يظل يغفر لك طالما أنك تتوب مهما كثرت الذنوب ، فذلك يؤدي بالضرورة إلى محبته .

8ـ حب الله لأنه الهادي ، والله يعرف الإنسان بطريق الهداية ويعينه عليه ويحب له الخير وأرسل إليه الرسل ليرشده إلى ما فيه نجاته وسعادته .

9ـ حب الله لأنه يجيب الدعاء ، فكلما احتجت إلى أي شيء دعوته فوجدته في أي وقت ، إن الله عنده القوة التي تحميك وعنده كل ما تريد وتطلب في الدنيا والآخرة .

10ـ حب الله لأنه يريد للإنسان الخير ، وما يحدث للإنسان من ابتلاءات هو خيرا له لكي يفيق من غفلته ، كما أن الابتلاءات والمصائب فيها تكفير للذنوب ، وفي الحديث : ((يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرِضَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ))[1] .

11ـ حب الله لأنه يعطي الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها فقط .

ـ معنى الحب :

ـ الحب هو أحلى وألذ ما يشعر به القلب ، ونحن في زمان كثر فيه الكلام عن الحب حتى أمتهنت كلمة الحب ، فلا تحتاج إلى أن أذكر لك فوائد ومزايا وجمال ولذة ومتعة الحب لأنهم وصفوا ذلك وصفا مبالغا فيه بالباطل إلا أننا نتحدث عنه بالحق ، فالقلب لم ينبض بحب حق إلا حب الله تعالى .

ـ فالحب هو الإحساس بالراحة والميل والإعجاب والسعادة والطمأنينة والسكينة بالشيء لما فيه من صفات جميلة وما يعود علي الإنسان من الخير منه ، فإذا كنت تشعر بهذا الشعور تجاه الله فأنت تحب الله ، وهل تشعر بحبه وأنت ذاهب إلى لقاء الله في الصلاة ؟ .

ـ فإن الذي يحب امرأة فإنه يشعر بالميل إليها ، لذلك فالحب هو الميل إلى المحبوب وهذا معني كلمة حنيف ((حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ))[2] ، وإن الذي يحب امرأة فإنه يشعر بالشوق إليها ، لذلك فالحب هو الشوق إلى لقاء المحبوب ، فمن أدعية الرسول (ص) : ((اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقاك))[3] ، وإن الذي يحب امرأة ينشغل باله وفكره بها ، فالحب هو هيجان القلب عند ذكر المحبوب : ((إنما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ))[4] ، ((الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ))[5] ، وإن الذي يحب امرأة يشعر بالراحة والسعادة عند ذكر المحبوب ، فالحب هو سكون القلب إلى المحبوب : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[6] .

ـ إن الله تعالى يقول : ((قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[7] ، وأنت تسمع من كلام الحب للعشاق في الغناء وفي الشعر ما معناه : إن كل أعمالي وكل حياتي وروحي ومماتي للمحبوب ، وهذا هو ملخص معظم الأغاني والأشعار ، وهذا لا يكون إلا لله ، لأن هذا الكلام يفيد أن كل مشاعري وكل ما يشغل بالي وكل أهدافي هي المحبوب ، فخطورة أغني العشاق أن فيها تعظيم لحب غير الله ففي ذلك صرف عن حب الله كما أن فيها تلهي وتشاغل عن الله ، وهذا يعني أن كلام الحب للعشاق لابد أن يتحول إلى الله بشرط تعديله بحيث يليق ويتناسب مع الله سبحانه ، وبشرط إزالة الكلمات والمعاني التي تتناسب مع الطين (الإنسان) لأنك تتعامل مع الله سبحانه ، وإنك تجد

---

(1) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 603 ، برقم 2402)
(2) الحج : من الآية 31
(3) حديث صحيح (ظلال الجنة ج : 1 ، برقم 424)
(4) الأنفال : من الآية 2
(5) الحج : من الآية 35
(6) الرعد : 28
(7) الأنعام :162

أن أهل الغناء والشعراء كثيرا ما يبالغون مبالغة شديدة في معاني القرب من محبوبهم ، وهذه المبالغة الشديدة إنما تجب أن تكون لله تعالي ، والعكس فإن الكلمات والمعاني الدينية التي تستخدم للتقرب إلى الله فإنك تجد أهل الغناء يستخدمون معاني قريبة أو شبيهة أو حتى نفس الكلمات في التقرب إلى المحبوب وهذا يجب أن يكون لله تعالى ، فإن الشعراء وأهل الغناء ذاقوا طعم الحب ، ولكن للأسف الحب للنساء ، ولابد أن يكون نفس هذا الحب ، بل أشد منه لله تعالى ، وهذا معنى قوله تعالى : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ))[1] ، ((إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ))[2] .

ـ الحالة النفسية للحب والشوق والرغبة :

ـ الحب صورة من صور الشعور باللذة ، فإذا لم يشعر الإنسان باللذة فهو لا يحب ، فالحب عبارة عن متعة ولذة ، فمن لم يجد في محبة الله متعة ولذة فهو لا يحب الله تعالى .

ـ كثيرا من الناس يدعون حب الله وحب الجنة فإن الذي يحب شخصا فإنه يحب أن يذهب إليه ويتحدث معه فهل تجد في نفسك الشوق إلى لقاء الله والشوق إلى النظر إلى وجه الله الكريم في جنات النعيم ، ومن أدعية الرسول (ص) : ((اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك وشوقا إلى لقاك))[3] .

ـ وكثيرا من الناس يدعون حب الجنة والشوق إلى الحور العين فهل عندك نفس الحالة النفسية التي عند محب يشتاق إلى محبوبته ؟ إذن فالحور العين لا وجود لها في مشاعرك ، إنما فقط هي في الا قتناع النظري وليست في الشعور كأنها مصنوعة من البلاستيك وليست نساء جميلات .

ـ إن الذي يدعي حب الله أو حب الجنة ولا يشعر بالحالة النفسية التي يشعر بها المحبين في الدنيا فليس بمحب ، فالمشاعر ليست شيئا هلاميا وهميا ولكنها حالة نفسية وحالة عاطفية ومزاجية موجودة في النفس ، فحب الله هو من جنس الحب الموجود في الدنيا ، لأنه إذا لم يكن حب الله من نفس جنس الحب الذي يعرفه الإنسان فالله يخاطبنا بلغة لا نفهمها .

ـ مقدار الحب :

ـ إذا زاد حبك لشخص لدرجة أنك تطيعه فأنت فعلا تحبه ، كذلك إذا وصل حبك لله إلى درجة أنك تطيعه حبا له فهذا هو الحب المطلوب وذلك من قوله تعالى ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[4] ، فحب الله يؤدي إلى الخضوع له حبا ، فيؤدي ذلك الخضوع إلى الطاعة ، وليس القضية الأساسية الطاعة وإنما الطاعة الناشئة عن حبك لله أي تطيعه لأنك تحبه ، فمن أثر حبك للقرآن فإنك تتلوه وتحفظه ، ومن أثر حبك لله والرسول فانك تتبعه ، فمقدار الحب هو أن يصل إلى درجة الانقياد ، فالذي يحب المال ينقاد له والذي يحب امرأة ينقاد لها ، والذي يحب الدنيا ينقاد لها ، كذلك فالذي يحب الله ينقاد له ويخضع له ، فالحب يلازم الخضوع والانقياد ، ودرجة الحب هو أن يصل إلى درجة الخضوع ، فالذي يملا قلبك حبه فأنت أسيرا لحبه ، فهو قد سيطر علي مشاعرك ، أي أصبحت مشاعرك خاضعة له ، فالحب يؤدي إلى الخضوع للمحبوب ، فأنت تخضع حبا أو من حبك له ، كمَنْ يحب امرأة إلى درجة أن يخضع لها ، والله يريد أن تخضع له وتركع عن حب وتعظيم ولا يريد أن تخضع له عن قهر ولو أراد ذلك لفعل سبحانه .

ـ حب الجنة :

ـ عندما يسمع الإنسان أن هناك شيئا فيه ألوان هائلة من المتع ، فإنه يحب ذلك الشيء ، فالجنة فيها كل ألوان المتع والملذات فإذا لم تشعر بلذة الحب للجنة ، فهذا معناه أن اليقين الحقيقي بوجود

---

(1) البقرة : من الآية 165
(2) الشعراء : 98
(3) حديث صحيح (ظلال الجنة ج : 1 ، برقم 424)
(4) آل عمران :31

الجنة غير موجود .

****

ـ القسم الثاني : المشاعر المرتبطة بالثواب والعقاب (الخوف من العقاب والرجاء في الثواب) :

ـ لكي تتحقق هذه المشاعر لابد أولا أن تتحقق المشاعر الغير مرتبطة بالثواب والعقاب ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ لكي يتحقق الخوف من دخول النار لابد أن يتحقق أولا الكراهية والخوف من مهابة النار (اليقين الحقيقي بحقيقة النار وما بها من ألم) .

ـ ولكي يتحقق الرجاء في دخول الجنة لابد أن يتحقق أولا الحب لما في الجنة من لذات (اليقين الحقيقي بحقيقة الجنة وما بها من لذات) .

ـ ولكي يتحقق الخوف من عقاب الله لابد أن يتحقق أولا الخوف من مهابة الله (اليقين الحقيقي بمدى قدرة الله) .

ـ ولكي يتحقق الرجاء في رحمة الله لابد أن يتحقق أولا الحب لذات الله لما لله من صفات جميلة هي الجمال كله وصفات حميدة تصل إلى حد الكمال (اليقين الحقيقي بما لله من صفات تجعل الإنسان يحبه ويأنس به من الوحشة) .

ـ وبمعنى آخر لكي يتحقق الخوف من دخول النار ، لابد أولا من اليقين الحقيقي بالنار ، وينشأ عن هذا اليقين الحقيقي الخوف من مهابة النار ليس خوفا من دخولها ولكن من مقدار ما فيها من الألم .

ـ ولكي يتحقق الخوف من عقاب الله ورجاء ثوابه ، لابد أولا من اليقين الحقيقي بالله ، وينشأ عن هذه اليقين الحقيقي الخوف من مهابة قدرة الله وعظمته والحب لذاته سبحانه .

ـ فالخوف من والعقاب والرجاء في الثواب في الآخرة لابد أن يسبقه حتما اليقين الحقيقي بالآخرة ، وذلك يتمثل في خوف المهابة من أهوال القيامة وخوف المهابة من النار وحب الجنة (وهي مشاعر غير مرتبطة بالثواب والعقاب) وكذلك لابد أن يسبقه حتما اليقين الحقيقي بمن يقوم بالثواب و العقاب وهو الله سبحانه وذلك يتمثل في خوف المهابة والحب والخضوع حبا وخوفا من مهابة الله (وهي مشاعر غير مرتبطة بالثواب والعقاب) .

ـ الخوف من العقاب والرجاء في الثواب (الهدف)

ـ لا يمكن لإنسان أن يعيش بغير قضية تكون هي هدفه يحيا بها ويعيش لها ويتجه إليها بمشاعره وهمومه ، فكل إنسان له قضية هي أهم شيء في حياته وهذه القضية تكون هي محور حياته ومستقبله ومصيره ، ففي الحديث : ((... كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))[1] ، وهذه القضية هي ما يرجوه ويخاف من عدم تحقيقه ، فكل الناس يريدون الثواب ويخافون العقاب ، فمن كان يشعر بخطورة الثواب والعقاب في الآخرة فيكون ذلك خوفه ورجاءه ، ومن لا يشعر بخطورة الآخرة فيكون خوفه ورجاءه في أمور الدنيا ، وقد يكون للمؤمن طموحات دنيوية ومشاريع تجارية لكن الهدف الأكبر والمشروع التجاري الأكبر هو الجنة والنجاة من النار وذلك في تعلق مشاعره وليس في يقينه النظري فقط ، كما أن طموحاته الدنيوية هي لله لتعينه على الطاعة فهي أهداف في الله .

ـ الخوف من العقاب ينشأ من خوف المهابة ، ورجاء الثواب ينشأ من الحب :

ـ الإنسان إذا ذهب إلى قسم الحرائق بأي مستشفى مثلا ورأى ما فعلته النار بهؤلاء المرضى فإنه يتألم رغم أنه لم يصب بأي أذى من النار ، فهذا هو خوف المهابة من النار ، وينشأ عن ذلك الخوف من أن يقترب من النار أو تدركه النار فيصاب مثلهم ، وهذا هو خوف العقاب أي خوف الوصول للنار ،

---

(1) رواه البخاري (556)

فإذا لم يشعر الإنسان بالتألم لهؤلاء المرضى فهذا معناه أنه لا يعرف ماذا تعني كلمة نار معرفة حقيقية ، وهو ليس حي ولا عقل له ، وبالتالي فلن يخاف من العقاب .

ـ فكذلك هلاك الأمم السابقة لابد أن يشعر الإنسان تجاهه بخوف المهابة مما حدث لهم ، فينشأ عن ذلك خوف العقاب من أن يكون مصيره مثل مصيرهم .

ـ الإنسان إذا سمع عن رجل كريم جواد يعطي الفقراء والمحتاجين ويساعد الناس فإنه يحبه ، وينشأ عن ذلك الرجاء في الحصول على عطاء منه ، فإذا لم يحبه فلن يرجوه .

ـ وينشأ عن خوف العقاب ورجاء الثواب الخضوع خوفا من العقاب ورجاءا في الثواب .

ـ الخوف من النار هو في حقيقته خوف من الله ، ورجاء الجنة هو في حقيقته رجاء الله :

ـ الخوف من النار هو في الحقيقة خوف من الله ، لأن النار ليست موجودة بذاتها وليست هي التي تريد أن تعاقب أحدا ، ولكنها عقوبة من الله ، لذلك فالخوف من النار في الحقيقة هو خوف من الله من أن يعاقبك بالنار ، وكذلك رجاء الجنة هو في الحقيقة رجاء الله في أن ينعم عليك بالجنة ، وكذلك الخوف من الآخرة هو في الحقيقة خوف من الله في أن يقيك هول ذلك اليوم ، لذلك يقول تعالى : ((إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً))[1] ، لذلك فالذي يعبد الله رجاء الجنة فهو يقصد رجاء الله في أن ينعم عليه بالجنة ، فالإنسان يريد بعبادته الله فقط وليس الله والجنة ، فهو يريد من الله رحمته وجنته ورضاه : ((فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً))[2] ، فالنار هي مجرد مكان يعاقبك فيه الله ، والجنة هي مجرد مكان يمتعك فيه الله بألوان المتع ، فالجنة والنار هي مجرد أسباب لا حول لها ولا قوة .

ـ مفهوم الخوف والرجاء :

ـ عندما يجد الإنسان فوائد ونفع له يستطيع أن يحصل عليه فإنه يرجو أن يحصل على هذه الفوائد التي تحقق له اللذة ، وعندما يجد الإنسان ضرر يمكن أن يحدث له فإنه يخاف أن يصل إليه ، فـ المؤمن هدفه الوصول للجنة ، أي رجاء الجنة ، وهدفه البعد عن النار ، أي الخوف من الوقوع في النار .

ـ الإنسان لا يعلم هل هو من أهل الجنة أم من أهل النار ، فهو لا يأمن مكر الله ، وكذلك لا ييأس من روح الله ، أي أنه لا يكون عنده اطمئنان إلى أنه صائر إلى الجنة ، ولا يكون عنده يأس أنه صائر إلى النار ، وفي تفسير ابن كثير : (({ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } ؛ ولهذا قال الحسن البصري، رحمه الله : المؤمن يعمل بالطاعات وهو مُشْفِق وَجِل خائف ، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن))[3] ، فعنده احتمال أن يكون من أهل الجنة ، وذلك يجعل عنده رجاء في رحمة الله وحسن الظن بالله وذلك يدفع همته للوصول إلى الله ، وكذلك فإن المؤمن عنده احتمال أن يكون من أهل النار ، وذلك يجعل عنده خوف من عذاب الله وذلك أيضا يدفع همته للوصول إلى الله ، فكلما تفكر في الاحتمال الأول فرح وانشرح ، وكلما تفكر في الاحتمال الثاني خاف ووجل ، فهو بين جناحي الخوف والرجاء ، ولا يزيد ذلك عن كونه احتمال .

ـ الرجاء يعني الاشتياق إلى لقاء الله والاشتياق إلى الجنة والاشتياق للنجاة من النار فالشيء الذي ترجوه أنت تشتاق إليه وتحبه لما تجد فيه من النفع والخير لك يعني الاشتياق إلى لقاء الله والا شتياق إلى الجنة والاشتياق للنجاة من النار فالشيء الذي ترجوه أنت تشتاق إليه وتحبه لما تجد فيه من النفع والخير لك ، والخوف يكون من الوقوع في النار ومن عدم الوصول إلى الجنة ومن الحرمان من لذة النظر إلى وجه الله الكريم ومن غضب الله ، فالخوف والرجاء يمثل الإجابة على سؤال : ماذا تريد ؟ أي ما الذي تريده وتشتاق إليه وتصبو نفسك وتتطلع إليه أو تخاف منه ؟ هل سيارة أو مال أو

---

(1) الإنسان : 10
(2) الكهف : من الآية 110
(3) تفسير ابن كثير - (ج 3 / ص 451)

نساء أم الجنة ولقاء الله ؟ ، فالمؤمن يشتهي الجنة ولقاء الله والكافر يشتهي الدنيا : ((وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ))[1] ، والمؤمن يريد ويرجو لقاء الله أي يحب ويشتاق إلى لقاء الله : ((مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ))[2] ، ومن أدعية الرسول (ص) : ((... وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ ...))[3] ، فهناك المشتاقون إلى الدنيا و المال : ((فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ))[4] .

ـ إن الإنسان عندما يشعر بالغيبيات فإن حساباته في الحياة سوف تختلف تماما ، وإنه سوف يسقط الناس من حساباته ، لأنه يشعر أن الدنيا ضئيلة ويشعر بأن السعادة إنما هي في الجنة ، فتكون الجنة هدفه وطموحه وغايته ومستقبله ، فيكون المحور الأساسي والركن الركين الذي يلجأ إليه ويرتكن إليه والوجهة أو اتجاه حياته هو اتجاه إسلامي ، فهناك أمور كثيرة يقوم بها في الدنيا لكن المحور الأ ساسي لهذه الأمور والمرجعية في كل حياته للدين (أي الله ورسوله) .

ـ إن خطورة الإحساس بقدر كلمة " إله " هو أنه من شعر بكلمة إله ورضي بها فهذا معناه أن يعيش حياته رهينا خاضعا له ، أي تصبح وظيفته في الحياة ومهمته الأولى التي يكرس حياته من أجلها وهدفه الأكبر وغايته هي أن يعمل عند الله عبدا كما يعمل الخادم عند سيده فيعيش عمره كله على هذا ، فهذا اختار أن يكون عبدا لله ، أما غيره فاختار أن يعيش حرا كأن لا أحدا يملكه ولا يتبع لأحد وكأنه هو الذي أوجد نفسه أو لا أحد أوجده .

ـ والإنسان حتى وهو يعمل الطاعات يخاف من عدم القبول ، ففي الحديث : ((سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية { والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة } قالت عائشة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات))[5] .

ـ خطورة الخوف والرجاء :

ـ إذا لم يكن لقاء الله والآخرة هدفا للإنسان يترقبه ويرجوه ويخافه فهذا يعني عدم وجود الإيمان الحقيقي بالله والآخرة ، فلابد أن يكون الهدف الأكبر الذي يعيش المرء حياته من أجله هو الله .

ـ الإنسان يعمل من أجل مصلحته وما فيه النفع له ، فإن كان لا يشعر بالنفع ولا يشعر بما فيه مصلحته في الجنة فإنه سوف يري أن العمل للآخرة تكاليف وأعباء فيتثاقل ، وهو يقول بمشاعره أن السعادة إنما هي في المال والمتع والمظاهر والممتلكات والمادة ، وإن كان مقتنعا نظريا أن السعادة الحقيقية إنما هي في الجنة ، وأن هذه الدنيا أعراض زائلة ، لكن هذا في الاقتناع النظري فقط ، فمشاعره تتفاعل إيجابا وسلبا فرحا وحزنا بمفردات الحياة من مال ومتع ومظاهر ... الخ ، بينما لا تتفاعل مشاعره بالغيبيات .

ـ الحالة النفسية للخوف وللرجاء :

ـ لاحظ أن كل الأمور التي يخاف الإنسان منها خوف العقاب فهو يخاف أيضا منها خوف المهابة لخطورتها ، والعكس غير صحيح .

ـ الطالب في الثانوية العامة الذي ينتظر النتيجة يكون عنده رجاء واشتياق وتتطلع إلى النجاح و الوصول إلى كليات القمة ، ويكون عنده خوف وقلق واضطراب من الرسوب .

---

(1) سـبأ : من الآية 54
(2) العنكبوت : من الآية 5
(3) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 55 ، برقم 1306)
(4) القصص : 79
(5) قال الشيخ الألباني : حسن صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 327 ، برقم 3175)

ـ أنظر إلى طالب في الثانوية العامة ، فإنه قد يأخذ حالة طوارئ ويتهيأ نفسيا لأنه أمر مصيري يتحدد عليه مستقبله ، إنه يكون في قلق واضطراب وخوف وترقب حتى تظهر النتيجة ، إن الحالة النفسية التي عنده هي التي تسمي خوف وقلق ، فإذا كنت تدعي الخوف من الآخرة فهل عندك هذه الحالة النفسية ؟ ، وأنظر إلى حالته وهو في انتظار النتيجة ، أنظر إلى حالته المزاجية وانشغال باله بـ النتيجة ، فإن الشعور الحقيقي يظهر علي الوجه ويؤثر في وجدانه وربما يأرق من النوم وتقل شهيته للطعام .

ـ أنظر إلى إنسان مطلوب منه أن يقوم بعمل معين وإلا يتعرض مثلا للفصل من العمل ، أنظر إلى حـ الته النفسية قبل وأثناء وبعد تأدية العمل فتجد حالة نفسية مميزة للخوف ، وأنظر إلى قوة هذه الحالة النفسية واستمراريتها وانشغال البال بها ، وحتى بعد العمل يظل خائفا هل أداه علي ما يجب أم أنهم لن يرضوا عن هذا العمل .

ـ مثال آخر : هل خوفك من القيام بعمل يعاقب عليه القانون مثل خوفك من القيام بمعصية ، فأين خوفك من عقاب الله ، وهل ندمك وحزنك على الوقوع في معصية مثل حزنك على ضياع مائة جنيه مثلا ، وهل الحالة النفسية التي تشعر بها في هذا مثل هذا ؟! .

ـ لو كنت تدعي أن هناك أحدا من الناس يتعقبك ويريد قتلك ثم أنت لا تشعر بالخوف من ذلك فأنت كذاب ، كذلك إذا كنت تدعي بوجود الآخرة بما فيها من أهوال وعقاب ولم تخف خوف المهابة وخوف العقاب فأنت كذاب ، فالآخرة مثل الجيش الذي يهجم عليك ليقتلك ، ففي الحديث : ((مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبته طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق))[1] ، فهل عندك الحالة النفسية للذي يهرب من الجيش المقبل عليه ليفتك به .

ـ الإنسان الذي يعيش من أجل الدنيا كلما مر عليه يوم شعر بأنه اقترب من تحقيق طموحه الدنيوي فيزداد نشاطا للدنيا ، والذي يعيش منتظرا لقاء الله كلما مر عليه يوم شعر بأنه اقترب من الموت ولقاء الله ، فالرجاء فيه شوق وحنين وفرح وحب وتطلع وانطلاق وانشغال البال بالهدف الذي تسعى إليه ، فإذا كنت تدعي أنك ترجو الله واليوم الآخر فهل عندك مثل الحالة النفسية التي تكون عند من يرجو ويهدف إلى القيام بعمل دنيوي كمشروع تجاري أو السعي لمنصب أو جاه أو شهوة .

ـ استمرارية المشاعر :

ـ قد تتحقق هذه المشاعر أو شيء يسير منها في لحظة ثم تنطفئ حتى تختفي نهائيا فلم يعد منها ذرة واحدة ، ثم تعود في لحظة أخرى وهكذا ، وهذا يدل على حدوث نسيان لله والآخرة ثم تذكر ثم نسيان وهكذا ، وإذا مات الإنسان في لحظة كان ناسيا فيها لله والآخرة فلم يكن في قلبه ذرة واحدة من الخوف منه أو حبه أو رجاءه أو الخضوع له وقع في النفاق الأكبر وكان مخلدا في قعر جهنم و العياذ بالله .

ـ فطالما أن المؤثر ما زال مستمرا وموجودا فلابد أن يستمر التأثر به ، فطالما أن الآخرة لا تزال لم تأتي بعد لابد أن يستمر خوف المهابة من أهوالها وأن يستمر حب الجنة ورجاءها كراهية النار و الخوف منها حتى تأتي الآخرة ، ويوم القيامة تكون هناك شعور أشد بخوف المهابة من أهوالها وما يحدث فيها .

ـ فما دام الطالب في انتظار نتيجة الامتحان فإنه يظل قلقا ، ويستمر القلق حتى تظهر النتيجة ، بل

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 5860 في صحيح الجامع .|

إنه كلما اقترب موعد النتيجة زاد القلق ، كذلك الذي يكون قلقا من الآخرة يظل هذا الشعور عنده حتى تأتي الآخرة ، بل إن القلق يزداد كلما اقترب العمر من الآخرة ، كما أن الإنسان لا يدري متى يموت فيكون خوفه أشد ، إذن فالمؤمن لابد أن يعيش حياته خائفا من الله ومن عقاب الله في أهوال القيامة وفي النار ، ففي الحديث القدسي : ((وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة))[1] .

ـ وطالما أن الله موجودا دائما ولن يغيب سبحانه فيظل الشعور بحبه والخوف من مهابته مستمرا حتى في الجنة ، ويظل المؤمنون في الجنة يشعرون بأن حب الله أكبر من حب كل شهوات الجنة رغم عظمتها لأن الله أعظم كما أن لذة النظر إلى وجه الله تعالى أمتع من كل متع الجنة ، والشعور بخوف المهابة والحب موجود أيضا عند الملائكة وعند الجمادات لأن كل شيء يسبح بحمده سبحانه .

ـ لذلك فالله يأمرنا بالإستمرارية والثبات على الإيمان ، ففي تفسير القرطبي : ((قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) الآية نزلت في جميع المؤمنين ، والمعنى : يا أيها الذين صدقوا أقيموا على تصديقكم وأثبتوا عليه))[2] .

****
****

ـ عبادة الهوى

ـ يمكن تشبيه القلب الإنسان بالكوب ، والكوب فيه ماء وهواء ، كلما زاد الماء في الكوب نقص ما به من هواء ، وكلما نقص ما به من ماء زاد ما فيه من هواء .

ـ والماء في الكوب هو ارتباط المشاعر بالله والآخرة ، والهواء في الكوب هو ارتباط المشاعر بالدنيا .

ـ والمشاعر هي خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع .

ـ فالإنسان لابد له أن يحب ، فإذا لم يحب الله أحب الشهوات ، وكلما زاد حبه للشهوات نقص حبه لله ، والعكس صحيح ، وكذلك باقي المشاعر ، فالإنسان إما أن يعبد الله وإما أن يعبد الهوى ولا يوجد شيء ثالث : ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[3] .

ـ ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إنَّمَا الْكَلَامُ فِي مَحَبَّةٍ تَتَعَلَّقُ بِالنُّفُوسِ لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَى فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ نَقْصٌ فِي تَوْحِيدِ الْمَحَبَّةِ لِلهِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى نَقْصِ مَحَبَّةِ اللهِ تَعَالَى إذْ لَوْ كَمُلَتْ مَحَبَّتُهُ لَمْ يُحِبَّ سِوَاهُ . وَلَا يَرُدُّ عَلَيْنَا الْبَابُ الْأَوَّلُ لِأَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي مَحَبَّتِهِ . وَهَذَا مِيزَانٌ لَمْ يَجْرِ عَلَيْكَ : كُلَّمَا قَوِيَتْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِمَوْلَاهُ صَغُرَتْ عِنْدَهُ الْمَحْبُوبَاتُ وَقَلَّتْ ، وَكُلَّمَا ضَعُفَتْ كَثُرَتْ مَحْبُوبَاتُهُ وَانْتَشَرَتْ . وَكَذَا الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَإِنْ كَمُلَ خَوْفُ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ لَمْ يَخَفْ شَيْئًا سِوَاهُ قَالَ اللهُ تَعَالَى { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إلَّا اللهَ } وَإِذَا نَقَصَ خَوْفُهُ خَافَ مِنْ الْمَخْلُوقِ وَعَلَى قَدْرِ نَقْصِ الْخَوْفِ وَزِيَادَتِهِ يَكُونُ الْخَوْفُ كَمَا ذَكَرْنَا فِي الْمَحَبَّةِ وَكَذَا الرَّجَاءُ وَغَيْرُهُ . فَهَذَا هُوَ الشِّرْكُ الْخَفِيُّ الَّذِي لَا يَكَادُ أَحَدٌ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ إلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ تَعَالَى . وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الشِّرْكَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ))[4]

ـ فيكون هناك أربعة حالات كالتالى :

---

(1) السلسلة الصحيحة (2666)
(2) تفسير القرطبي - (ج 5 / ص 415)
(3) القصص : 50
(4) مجموع الفتاوى (تحقيق أنور الباز ـ المعدلة) - (1 / 94)

1ـ الحالة الأولى (كمال الإيمان) :

ـ وهي أن يكون الكوب ممتلئا عن آخره بالماء ، ففي هذه الحالة يكون القلب ممتلأ عن آخره بحب الله والخوف منه ورجاءه والخضوع له ، وبذلك قد وصل العبد إلى كمال الإيمان ، والمؤمن مطالب بأن يكون على هذه الحالة فيكون قلبه ممتلئا بحب الله والخوف منه والخضوع له ورجاءه .

2ـ الحالة الثانية (ضعف الإيمان) :

ـ وهي أن يكون الماء أعلى من نصف الكوب ، فيكون القلب فيه قدر من الماء وقدر من الهواء ، ولكن قدر الماء أكبر ، أي أن القلب فيه حب لله وحب للدنيا ولكن حب الله أكبر من حب الدنيا ، وكذلك باقي المشاعر ، وبذلك يكون الإيمان موجودا ولكن ضعيفا وليس كاملا .

3ـ الحالة الثالثة (عبادة للهوى) :

ـ وهي أن يكون الماء في منتصف الكوب أو أقل منه ، فيكون عنده قدر من حب الله وقدر من حب الدنيا ، وحب الدنيا أكبر من حب الله أو مساوي له ، وكذلك باقي المشاعر ، وإذا حدثت هذه الحالة عند مسلم فقد وقع في النفاق الأكبر .

4ـ الحالة الرابعة (عبادة للهوى) :

ـ وهي أن يكون الكوب فارغا تماما من الماء ، ويكون قلبه ممتلئا بحب الدنيا ، وليس في قلبه ذرة من حب الله ، وإذا حدثت هذه الحالة عند مسلم فقد وقع في النفاق الأكبر .

ـ إذن هناك حالتان لعبادة الهوى هما :

1ـ الحالة الثالثة : حيث يكون حب الدنيا وشهواتها والخوف من ضياعها ورجاءها والخضوع لها أكبر من حب الله والخوف من عقابه ورجاءه والخضوع له أو مساوي له ، أي تكون المشاعر المتعلقة بـ الدنيا وشهواتها أكبر من أو تساوي المشاعر المتعلقة بـالله والآخرة .

2ـ الحالة الرابعة : وهي أن يكون القلب فارغا تماما من حب الله والخوف منه والخضوع له ورجاءه وممتلئ بحب الدنيا والخوف من ضياعها والخضوع لها ورجاءها .

ـ مفهوم الهوى :

ـ الهوى هو ما يهواه الإنسان من شهوات الدنيا ، فالهوى معناه الشهوات ، والهوى ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي شهوة المال وشهوة المظاهر وشهوة النساء والطعام والشراب .

ـ الأدلة على عبادة الهوى :

1ـ يقول تعالى : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ً))[1] ، ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ))[2] ، ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ** بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ))[3] ،

2ـ جاء في تفسير القرطبي : ((الهوى إله يعبد من دون الله))[4] ، وفي تفسير الطبري : ((أرأيت يا محمد مَنْ اتخذ إلهه شهوته التي يهواها))[5] ، وفي تفسير ابن كثير : ((أرأيت مَنْ اتخذ إلهه هواه أي بما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه كان دينه ومذهبه))[6] ، وفي تفسير النسفي :

---

(1) الفرقان : 43
(2) الجاثـية : من الآية 23
(3) القصص :50
(4) الجامع لأحكام القرآن (ج : 13 ، ص : 35) ـ محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي ـ دار الشعب ـ القاهرة .
(5) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 19 ، ص : 17) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(6) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت (ج : 3 ، ص : 321)

((أي مَنْ أطاع هواه فيما يأتى ويذر فهو عابد هواه وجاعله إلهه))[1] وفي معاني القرآن : ((قال أبو جعفر قول الحسن في هذا قول جامع أي يتبع هواه ويؤثره فقد صار له بمنزلة الإله))[2] ، وفي تفسير الطبري : ((أفرأيت يا محمد مَنْ اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوي من شيء دون إله الحق الذي له الألوهية من كل شيء))[3] .

3ـ قال تعالى : ((وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللهِ وَالذِينَ آمَنُوا أشَدُّ حُبّاً لِلهِ))[4] ، ((إذ نُسَوّيكمْ بِرَبِّ العَالمِينَ))[5] ، ((ثمّ الذِينَ كفرُوا بِرَبّهِمْ يَعْدِلونَ))[6] ، ((الذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدّنْيَا عَلى الآخرة))[7] ، ((كلا بَلْ تحِبُّونَ العَاجِلةَ))[8] ، ((إنّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلةَ وَيَذرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثقِيلا ً))[9] ، ((ذلِكَ بِأنّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدّنْيَا عَلى الآخرة))[10] ، ((وَوَيْلٌ لِلكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ شَدِيدٍ (2) الذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدّنْيَا عَلى الآخِرَةِ))[11] ، ((فَأمّا مَنْ طغَى (37) وَآثرَ الحَيَاةَ الدّنْيَا (38) فَإنّ الجَحِيمَ هِيَ المَأوَى (39) وَأمّا مَنْ خَافَ مَقامَ رَبّهِ وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الهَوَى (40) فَإنّ الجَنّةَ هِيَ المَأوَى))[12] ، ((بَلْ تؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدّنْيَا))[13] ، أي إذا كان حب الدنيا أكبر من حب الله فهذا نفاق أكبر وعبادة للهوى : [[فمن أشرك في محبة الله تعالى غيره ، فهو مشرك لقوله : (وَمِنَ النّاسِ مَنْ يَتّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللهِ)[14] ، ومن أمثلة ذلك الغلو في محبة الوطن ، الزعماء ، المذهب الفقهي ، القائد ، الجماعة ، الوالدين ، القبيلة و العشيرة]][15] ، ومن هنا نعرف خطورة التغني بحب النساء والأوطان ...الخ والسماع والتجاوب لذلك حيث يؤدي إلى الغلو في حب غير الله ، من المعلوم من الدين بالضرورة أن الآخرة أفضل من الدنيا ، ولا يوجد إنسان لا يعرف ذلك ، فالذي يؤثر الدنيا على الآخرة بمشاعره (وليس باقتناعه النظري فهو مقتنع نظريا تماما بأن الآخرة أفضل من الدنيا) فكأنما ينكر ذلك بمشاعره ، لأنه لو كان صادقاً فعلا فيما هو مقتنع به نظريا لكان تأثر مشاعره بالآخرة أكبر ، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((قد ينتهى النظر والمباشرة بالرجل إلى الشرك، كما قال تعالى: { وَمِنَ النّاسِ مَن يَتّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كحُبِّ اللهِ } [البقرة : 165] ، ولهذا لا يكون عشق الصور إلا من ضعف محبة الله وضعف ا لإيمان، والله تعالى إنما ذكره فى القرآن عن امرأة العزيز المشركة،وعن قوم لوط المشركين، والعاشق المتيم يصير عبدًا لمعشوقه، منقادًا له،أسير القلب له))[16] ، ويقول ابن القيم : ((قال الله تعالى : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) فأخبر أن من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن اتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق و الربوبية فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند في الربوبية بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأ رض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم))[17] .

---

(1) تفسير النسفي (ج : 3 ، ص : 170)
(2) معاني القرآن الكريم ـ جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة (ج : 5 ، ص : 29)
(3) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 25 ، ص : 150) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(4) البقرة : من الآية 165
(5) الشعراء : 98
(6)الأنعام : 1
(7) إبراهيم : من الآية 3
(8) القيامة : 20
(9) الإنسان : 27
(10) النحل : 107
(11) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 25 ، ص : 150) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(12) النازعات : 37 - 41
(13) الأعلى : 16
(14) البقرة : من الآية 165
(15) شرح نواقض الإسلام ـ محمد بن إبراهيم الشيباني ص : 9 (مركز المخطوطات والتراث والوثائق ـ الكويت)
(16) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) - (254 / 15)
(17) مدارج السالكين - (3 / 20)

4ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فمن آمن بالله رب كل شيء وخالقه ولم يعبد إلا الله وحده بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه وأخشى عنده من كل ما سواه وأعظم عنده من كل ما سواه وأرجى عنده من كل ما سواه بل من سوى بين الله وبين بعض المخلوقات في الحب بحيث يحبه مثل ما يحب الله ويخشاه مثل ما يخشى الله ويرجوه مثل ما يرجو الله ويدعوه مثل ما يدعوه فهو مشرك الشرك الذي لا يغفره الله))[1] .

5ـ الحديث : ((تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطِيفَةِ وَالخَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))[2] .

6ـ جاء في الحديث : ((ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل))[3] ، وفي حديث آخر : ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا))[4] .

7ـ جاء في الحديث : ((الدنيا حلوة خضرة فمن أخذها بحقها بارك الله له فيها ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلا النار))[5] .

8ـ ((قال عيسى ابن مريم عليه السلام : لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا))[6] .

9ـ يقول ابن القيم : ((فصل في القلب الميت : والقلب الثاني ضد هذا وهو القلب الميت الذي لا حياة به فهو لا يعرف ربه ولا يعبده بأمره وما يحبه ويرضاه ، بل هو واقف مع شهواته ولذاته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فهو لا يبالي إذا فاز بشهوته وحظه رضى ربه أم سخط ، فهو متعبد لغير الله حبا وخوفا ورجاء ورضا وسخطا وتعظيما وذلا ، إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وإن أعطى أعطى لهواه ، وإن منع منع لهواه ، فهواه آثر عنده وأحب إليه من رضا مولاه ، ف الهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه ، فهو بالفكر في تحصيل أغراضه الدنيوية مغمور ، وبسكرة الهوى وحب العاجلة مخمور ، ينادى إلى الله وإلى الدار الآخرة من مكان بعيد ، ولا يستجيب للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، الدنيا تسخطه وترضيه والهوى يصمه عما سوى الباطل ويعميه ، فهو في الدنيا كما قيل في ليلى عدو لمَنْ عادت وسلم لأهلها ومَنْ قربت ليلى أحب وأقربا ، فمخالطة صاحب هذا القلب سقم ومعاشرته سم ومجالسته هلاك))[7] .

10ـ دليل من الفطرة : معنى كلمة رب وإله في لغة المشاعر :

ـ الرب أو الإله لابد حتما أن يكون أكبر من البشر في صفاتهم وقدراتهم وإمكانياتهم وقدرهم وفي كل شيء لأنه الذي خلقهم بدليل الآية : ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً))[8] ، وبغير أن يكون الإله أكبر وأعظم من البشر فلا يكون إله ، وهذا هو أبسط معنى لكلمة الإله ويعرف ذلك كل الناس بالفطرة وبدون أن يتعلموا شيء ، وطالما أن الإله أكبر فهذا يعني بالضرورة أن تعلق المشاعر به أكبر ، وبالتالي إذا ساوى أحد في مشاعره بين الله وبين غيره ، فإنه يساوي بين الله وبين البشر في القدرات والصفات كأنه مثل أي واحد من البشر ، كذلك من تكون مشاعره تجاه الله أقل من

---

(1) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ـ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ـ دار العاصمة ـ الرياض (ج : 6 ، ص : 31 ـ 32)
(2) رواه البخاري (2924)
(3) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 5460)
(4) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 487 ، برقم 2195)
(5) التخريج : صحيح (صحيح الترغيب والترغيب ج : 3 ، برقم : 3219)
(6) الزهد - (ج 1 / ص 32)
(7) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ـ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ابن القيم (ج :1 ، ص : 9) .
(8) فصلت : من الآية 15

المشاعر المتجهة للبشر أو للدنيا فهذا مشاعره تنقص من قدر الإله وتقول أن هناك من هو أجدر منه وذو قدر أكبر منه ، أو الذي تكون مشاعره للإله تساوي صفرا وجميع مشاعره متجهة إلى الدنيا فهذا مشاعره تقول : (لا إله) .

11ـ ((فَلا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى))[1] ، ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))[2] ، ((وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ))[3] ، ((وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ))[4] .

12ـ وعن علي رضي الله عنه قال : ((ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل))[5] .

13ـ الشيء الذي يصل حبك له إلى درجة العشق بحيث يمتلأ قلبك بحبه فلم يعد في قلبك شيئا لحب غيره ، فهذا الشيء أنت بذلك تعبده ، فإذا كنت تحب المال إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه فأنت تعبد المال ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك على ضياع مليم ، وإذا كنت تحب المرأة أو الأولاد أو المظاهر والمناصب أو أي شيء إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه فأنت تعبد ذلك الشيء من دون الله ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك عله إذا ابتعد عنك .

ـ فمعنى كلمة (إله) أي هو الذي يجعلك تتحير وتندهش وتعجب به إعجابا شديدا بمدى صفاته ، فتحبه إلى درجة العشق بحيث يمتلأ كل قلبك بحبه ، وعلامة ذلك أن يتقطع قلبك على البعد عنه ، أي هو الذي لا تستطيع أن تقطع تفكيرك ومشاعرك وهمومك وأهدافك عنه ، أي هو الذي يتعلق تفكيرك ومشاعرك وهمومك وأهدافك به بشدة أي إلى درجة الوله ، وهذا هو معنى كلمة (إله) في اللغة ، ففي تاج العروس : ((وفي حديثِ وهب بنِ الوَرْدِ : (إذا وَقَعَ العَبْدُ في *!أُلهانِيّةِ الرّبِّ ، ومُهَيْمِنِيّة الصِّدِّيقِيْن ورَهْبَانِيّةِ الأَبْرار لم يَجِدْ أَحَداً يَأْخُذ بقلبِه) ، أي لم يَجِدْ أَحَداً يَعجبُه ولم يُحبّ إ لا ّ اللهَ سبحانه ، قالَ ابنُ الأثير : هو فُعْلانِيّة مِن أَلِهَ يَأْلَهُ إذا تحَيَّرَ ، يُريدُ إذا وَقَعَ العَبْدُ في عَظَمَةِ اللهِ وجَلالِهِ وغيرِ ذلِكَ مِن صفَاتِ الرُّبُوبيَّةِ وصَرَفَ توهّمُه إليها ، أَبْغَضَ الناسَ حتى ما يميلَ قَلْبُه إلى أحَدٍ))[6] ، " الوله " يدل على الحب والفرح بالمحبوب لدرجة أنه إذا ابتعد عنك تتحير ويذهب عقلك وتحزن حزنا شديدا ، وهذا التحير والحزن هو الوله : ((الوَلَهُ : ذهابُ العَقل والفُؤاد من فُقدانِ حبيب ، يقال : وَلِهَت توْلَهُ وَتلِهُ، وهي والهةٌ ووَالِه. وكل انثى فارقت وَلَدهَا فهي والِهٌ))[7] ، (((وله) الوَلَهُ الحزن وقيل هو ذهاب العقل والتحير من شدّة الوجد أو الحزن أو الخوف والوَلَهُ ذهاب العقل لفِقْدانِ الحبيب))[8] ، [[فمن أشرك في محبة الله تعالى غيره ، فهو مشرك لقوله : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ))[9] ، ومن أمثلة ذلك الغلو في محبة الوطن ، الزعماء ، المذهب الفقهي ، القائد ، الجماعة ، الوالدين ، القبيلة والعشيرة]][10] .

ـ إذن إذا تعلق قلبك بشيء بشدة لدرجة الوله فأنت تعبد ذلك الشيء ، ومن أمثلة ذلك الخوف الشديد إلى درجة الوله على الصحة وعلى العمر وعلى المال وعلى الفقر وعلى الرزق ، والحزن والاكتئاب

---

(1) طـه : 16
(2) محمد : 16
(3) القمر : 3
(4) الكهف : من الآية 28
(5) رواه البخاري : (مشكاة المصابيح ، ج : 3 ، برقم 5215)
(6) تاج العروس من جواهر القاموس - (36 / 322)
(7) العين : (ج 1 / ص 281)
(8) لسان العرب - (ج 13 / ص 561)
(9) البقرة : من الآية 165
(10) شرح نواقض الإسلام ـ محمد بن إبراهيم الشيباني ص : 9 (مركز المخطوطات والتراث والوثائق ـ الكويت)

الشديد إلى درجة الوله من تقدم العمر والشيخوخة وفوات أي أمر من أمور الدنيا ، والحب الشديد لدرجة الوله للمال أو للشهوات أو للدنيا كحب الإنسان للمرأة لدرجة الوله .

ـ ومن أثر ذلك أن تفرح وتسعد بالحديث عنه وذكره ، فتكثر من الحديث عنه وتجد في ذلك سعادة واطمئنان ، فبدلا من أن تأنس وتطمئن بذكر الله فتأنس وتطمئن بذكر شهوات النساء والحديث عنهن مثلا : ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[1] .

ـ مثال :

ـ إذا أخذنا عبادة المال مثلا ، فالمسلم يقع في النفاق الأكبر بعبادته المال إذا كانت المشاعر المتعلقة ب‍الله والآخرة موجودة ولكنها أقل من المشاعر المتعلقة بالمال ، فشعوره بقدر المال في قلبه أكبر من شعوره بعظمة الله في قلبه ، أي إذا كان تعلق القلب بالمال أكبر من تعلق القلب ب‍الله ، وذلك رغم وجود المعرفة النظرية التامة بعظمة الله وضآلة قيمة المال ، فيكون حبه للمال أكبر من حبه لله ، وخوفه على ضياع المال أكبر من خوفه من الله ، ورجاؤه في الحصول على المال أكبر من رجاؤه في الله ، وخضوعه للمال أكبر من خضوعه لله ، وتوكله واعتماده على المال أكبر من توكله واعتماده على الله ، أي حقيقة أمره أنه يعيش من أجل المال وليس يعيش من أجل الله ، أي عيشه من أجل المال أكبر من عيشه من أجل الله ، وهمومه بالمال أكبر من همومه ب‍الله ، أي انشغال باله وذكر قلبه للمال أكبر من انشغال باله بعظمة الله وذكر قلبه لله ، فالإنسان قد يقول بشعوره ومشاعره : (المال أكبر) فهو بذلك يقع في عبادة المال ، وإذا قال بشعوره ومشاعره : (الله أكبر) فهو يعبد الله تعالى ، أما القول باللسان والاقتناع النظري بأن الله أكبر فهذا لا يكفي ، فقد يسير قول اللسان والمعرفة النظرية في اتجاه ، ويسير شعور الإنسان ومشاعره في اتجاه معاكس تماما .

ـ وكذلك إذا لم تكن المشاعر المتعلقة ب‍الله والآخرة موجودة أصلا ، فيكون القلب ممتلئ بالمشاعر المتعلقة بالمال ، فهذا عبادة للمال .

ـ الطبع على القلب وعبادة الهوى كلاهما وجهان لعملة واحدة :

ـ غياب الإحساس بقدر الله والآخرة يؤدي إلى عبادة الدنيا : ((إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ))[2] ، ولاحظ في الآيات التالية الارتباط بين الطبع على القلب و عبادة الهوى : ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))[3] ، ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا (43) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا))[4] ، ((وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))[5] ، ((وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ))[6] .

ـ مفهوم عبادة الهوى :

ـ أي شيء غير الله سواء كان ماديا أو معنويا سواء كان حلالا أم حراما تتعلق مشاعرك أكبر من تعلقها ب‍الله فأنت تعبد ذلك الشيء وذلك عبادة للهوى وذلك الشيء هو صنم يعبد من دون الله تعالى .

ـ فهناك مفهوم مغلوط عن الأصنام ، فالأصنام ليست فقط تلك المصنوعة من الحجارة فقط ، فالدنيا

---

(1) الرعد : 28
(2) النمل : 4
(3) الجاثية : 23
(4) الفرقان : 43 ، 44
(5) محمد : 16
(6) الكهف : من الآية 28

صنم كبير يعبده الكثير من الناس ! .

ـ هناك أمور كثيرة ضرورية للحياة والله أمرنا بها وثوابها كبير ، وذلك مثل الطعام والشراب ، والعمل لكسب المال من حلال ، وقضاء الشهوة بالحلال مع الزوجة ، ورعاية الأبناء بالإنفاق عليهم ، وتدبير مسكن مريح أو سيارة ، وغير ذلك من مشاغل الحياة وهمومها اليومية ، ولكن كل ذلك قد يتحول إلى عبادة للهوى إذا كان أكبر مشاعرك فأنت بذلك تعبد ذلك الشيء وذلك عبادة للهوى .

****

ـ صور من عبادة الهوى

ـ إذا قارن الإنسان بين ألم الدنيا وألم الآخرة ، وكان خوفه من ألم الدنيا أكبر من خوفه من ألم الآ خرة فهذا معناه أن الدنيا عنده أكبر وأعظم من الآخرة ، فهو بذلك يؤثر الدنيا على الآخرة ، وكذلك إذا كانت لذة الحب والشوق لأي شيء في الدنيا أكبر من لذة الحب والشوق لله فهذا معناه أن ذلك الشيء عنده أكبر وأعظم من الله وذلك ينشا من غياب الإحساس بقدر الله والآخرة ، وكذلك إذا كانت أهداف الإنسان واهتماماته وطموحاته المتعلقة بالدنيا أكبر من أهدافه واهتماماته وطموحاته المتعلقة بالآخرة فذلك ينشأ من غياب الإحساس بقدر الله والآخرة .

ـ أكبر وأخطر الأصنام التي يعبدها الناس اليوم هي عبادة المال والتي تعني تعلق المشاعر بالمال أكبر من تعلقها بالله والآخرة ، وقد تكون المشاعر المتعلقة بالله غير موجودة أصلا وكل المشاعر متعلقة بالمال ، فيكون كل حبه وخوفه ورجاءه وهدفه وهمه في المال وكيفية الحصول عليه .

ـ إن كلمة (المال) عند من لم يشعر بضآلته وفناءه أمام قيمة الآخرة تختلف عن كلمة (المال) عند من يشعر بذلك ، فالأول ينظر إلي المال أنه ذو قيمة عظيمة وينظر إلى صاحب المال نظرة تعظيم وانبهار أما الثاني فينظر إليه أنه مجرد عارية تسترد بعد قليل حين الموت .

ـ بعض الناس يظل يصور لنفسه أن شهوة النساء فيها متعة كبيرة وعظيمة ، وقد يصور لنفسه أنه بـ الفعل يحقق هذه المتعة العظيمة ، أو يظل ينشد الوصول لهذه المتعة العظيمة ، وينظر إلى شهوة النساء على أنها السعادة الني ينشدها الجميع ويعيشون لها ، ويظل يتغنى بها في حله وترحاله ، وذلك كله رغم يقينه النظري بأنها متعة صغيرة وقتية سواء في حد ذاتها حيث للإنسان قدرة محدودة لهذه الشهوة أو إذا قارنها بمتعة الحور العين في الجنة ، لكنه يتجاهل ذلك كله ويتغافل عنه ويخدع نفسه ويصور لنفسه أن متعة النساء هي الشيء العظيم ومنتهى الأمل وأن قدرته في التمتع بهذه الشهوة لا حد لها .

ـ فإذا كان حبه ومشاعره المتعلقة بهذه الشهوة أكبر من حبه ومشاعره المتعلقة بالله فقد وقع في عبادة شهوة النساء .

ـ جاء في تفسير القرطبي : ((" الذين في قلوبهم مرض " يعني الذين في قلوبهم الزنا ... وقال سلمة بن كهيل : نزلت في أصحاب الفواحش ، والمعنى متقارب))[1] ، وفي الحديث : ((ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء))[2] .

ـ هناك فرق بين الوقوع في الذنب وبين حب الذنب ، فكلاهما حرام ، ولكن الخطر الأكبر هو حب الذنب ، فربما يقع الإنسان في الزنا لكنه يكون من المتقين ويتوب إلى الله حيث يكون حبه لله أكبر من حبه لهذا الذنب ، وإنسان آخر لا يزني لكنه فقط يحب النظر إلى عورات النساء مثلا حيث يكون مولعا بحب هذا الذنب فيكون حبه لهذا الذنب أكبر من حبه لله أو مع عدم وجود حب له أصلا ، فعندئذ هو قد وقع في عبادة الهوى والنفاق الأكبر ، إذن مهما وقع الإنسان في الذنب فذلك لا يدل على أن حبه لذلك الذنب أكبر من حبه لله ، ولكن إذا كان حبه للذنب أكبر من حبه لله ولو لم يفعل

---

(1) تفسير القرطبي - (ج 14 / ص 245)
(2) السلسلة الصحيحة (2701)

الذنب أصلا كأن لا ينظر إلى العورات ولا يزني مثلا ولكن يتمنى ذلك ويحبه أكبر مما يحب الله سبحانه فعندئذ قد وقع في عبادة الهوى والنفاق الأكبر .

ـ لذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((فَإِنّ الزّنَا مِنْ الكبَائِرِ وَأَمّا النّظَرُ وَالمُبَاشَرَةُ فَاللمَمُ مِنْهَا مَغْفُورٌ بِاجْتِنَابِ الكبَائِرِ فَإِنْ أَصرّ عَلَى النّظَرِ أَوْ عَلَى المُبَاشَرَةِ صَارَ كبِيرَةً وَقَدْ يَكونُ الإِصْرَارُ عَلَى ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ قَلِيلِ الفَوَاحِشِ فَإِنّ دَوَامَ النّظَرِ بِالشّهْوَةِ وَمَا يَتّصِلُ بِهِ مِنْ العِشْقِ وَالمُعَاشَرَةِ وَالمُبَاشَرَةِ قَدْ يَكونُ أَعْظَمَ بِكثِيرِ مِنْ فَسَادِ زِنَا لَا إصْرَارَ عَلَيْهِ))[1] .

ـ الإنسان فطر على حب الزوجة والأبناء ووالديه وذلك حلال وليس بذنب ، وكذلك إذا أحب كسب المال من الحلال وأحب الطعام والشراب وغير ذلك ، فكل ذلك حلال وليس بذنب ، لكن إذا كان حبه لأي شيء سواء كان حلالا أم حراما أكبر من حبه لله فذلك عبادة للهوى ونفاق أكبر .

ـ قد يقول الإنسان بمشاعره : (أنا ربكم الأعلى) رغم أنه بلسانه وباقتناعه النظري يقول لا إله إلا الله ، وذلك عندما يشعر أنه الأعلى ـ أو يريد أن يكون الأعلى ـ فوق كل الناس في كل شيء وهم جميعا أذلاء تحت قدميه ، فقلبه مليء بالحقد على الناس وكراهية الخير لهم والحسد على ما عندهم ، فهو يريد التعاسة والشقاء والفقر والبلاء للناس ، ويريد لنفسه كل الرفعة والعظمة والمكانة والغنى ، وهو يتجاهل أن هناك إله فوقه ، لذلك يرى أنه وحده الأعلى المتكبر على الناس الغني العظيم في مكانته ويريد أن يصل ليكون لنفسه كل صفات العظمة والقوة ولغيره كل صفات الضعف والفقر والذل حتى ولو لم يصل إلى ذلك فهو يشعر بذلك في نفسه أو يريده ، فهو يقول بمشاعره : ((ذَلِكَ بِأَنّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمّيّينَ سَبِيلٌ))[2] ، فهم يعتبرون أن غيرهم من الناس هم طبقة الرعاع السفلة المنحطين .

ـ هنا يأخذ الإنسان دور الإله بدلا من أن يكون عابدا ، فهو يصنع من نفسه إلاها ، حيث يغفل الإنسان عن حقيقة نفسه فلا يتنبه إلى ضآلته ، ويزين الشيطان للإنسان أنه ذو قدر عظيم وكبير ، فتكون نظرة الإنسان لنفسه أنه ذو شأن هام عظيم القدر وأن له إمكانيات وقدرات وسيطرة وعلم كبير ، فيغتر بما عنده من عقل ذو قدرات هائلة ، وأنه هو الذي صنع التقدم العلمي الهائل والتكنولوجيا المبهرة ، وأنه يستطيع أن يصنع الأعاجيب ، وأن ما عنده من مال أو صحة أو ممتلكات أو صحة جسدية أو جمال أو نعم فهي من صنع يده ونتيجة لكده وعلمه وخبرته ، وأنه حر وله الحقوق و السيطرة وقدرات كبيرة ، وأنه ليس بضعيف أو ناقص أو يحتاج لغيره فهو يعتمد على نفسه ولا يذل لأحد وليس لأحد عليه سلطان أو مذلة أو حق ، ولا يدري أنه بذلك يتعالى على الله ويستكبر أن يخضع له : ((إِنّهُمْ كانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ يَسْتَكبِرُونَ)) [3] ، فإنه ينسى أو يتجاهل قدر عظمة الله ، وينسى أو يتجاهل قدر ضآلة نفسه ومدى ضعفه : ((أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ))[4] ، ((هَلْ أَتى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئا مَذْكُوراً))[5] ، فيشعر الإنسان بأنه ذو قدر عظيم وتتوجه مشاعره تجاه نفسه فيعبد ذاته ، فيعتز بنفسه ويرى العزة لنفسه وليست لله : ((فَلِلهِ العِزّةُ جَمِيعاً))[6] ، فهو يعبد نفسه يريد لها كل المتع ويريد لغيره كل الشرور ، كأنه يريد أن يجعل من نفسه إله وغيره عبيد ، فربما تجده متكبرا متعالي مغرور شحيح النفس مرائي ، فكل همومه وأهدافه هي نفسه ، وكل مشاعره مرتبطة بما يسعد رغباته ، وعلى العكس فمشاعره كارهة لأي خير للناس ، فهذه هي عبادة الذات فهو يعبد نفسه ، وكذلك تجد عنده حب التسلط على الناس والتحكم فيهم وحب الزعامة وأن يكون مطاعا ، فإذا كان حبه لذلك أكبر من حبه لله أو كان كل حبه لذلك فقد عبد نفسه .

---

(1) مجموع الفتاوى (الباز المعدلة) - (15 / 293)
(2) آل عمران : من الآية 75
(3) الصافات : 35
(4) يـٰس : 77
(5) الإنسان : 1
(6) فاطر : من الآية 10

ـ ومن الناس من أكبر ما تتعلق مشاعره وحبه في الترقي في المكانة الاجتماعية والحصول على الشهادات العلمية سواء لنفسه أو لأبنائه سواء كان ذلك للحصول على مال أكثر أو التمتع بالمظاهر و الرياء فإذا كانت مشاعره مرتبطة بذلك أكبر من ارتباطها بـالله والآخرة فذلك عبادة للمظاهر وعبادة للمال .

ـ ولاحظ أن عبادة المظاهر قد تكون في أن يكون أكثر مالا من الناس وتمني زوال المال من عند الناس بحيث يكون الإنسان أكثر مالا من غيره فيتعالى عليهم بذلك أو بتحصيل جاه ومنصب ومظهر وتمني زوال ذلك من عند الناس حتى يتعالى على الناس بمكانته ، وليست القضية في ذات العمل ولكن في تعلق قلبه به ، فالعمل معصية لكن تعلق القلب به أكبر من تعلقه بـالله هو عبادة للهوى .

ـ ومن أمثلة عبادة المظاهر أن يعيش الإنسان حياته من أجل أن يمد زوجته وأولاده بكل ما يحتاجونه فيكون مورد مالي فقط فيكون ذلك أكبر مشاعره وأهدافه ويكون ذلك أكبر سعادة له ثم يكتشف في النهاية أنه كان يحصد الهواء ويموت ويترك أولاده يتنعمون بما ترك لهم وهم لا يقيمون له وزنا في أنفسهم سواء في حياته أو بعد موته .

ـ من الناس من يكون عندهم كل ما ينبني عليه عتاب من الآخرين أو خسارة مادية أو خسارة اجتماعية أو عقاب من القانون فهو محل اعتبار واهتمام بدرجة أن أكبر مشاعرهم مرتبطة بذلك ، وكل التصرفات والحسابات مبنية على ذلك .

ـ تعظيم قوانين العادات والتقاليد والعرف والمصالح والقوانين الوضعية وتعلق المشاعر بها أكبر من تعلقها بالقيم الإسلامية وقوانين الحلال والحرام وأكبر من تعلقها بـالله والآخرة فذلك من تعظيم الدنيا وعبادتها ، وذلك عبادة للهوى والمزاج والرأي .

ـ ومن الناس مَنْ حياته مبنية علي أساس ما يراه عقله ومزاجه ، فيجعل الرأي هو المحور والأساس والمقياس والمرجعية الوحيدة التي يعيش بها حياته ، فيعيش وفق ما يميل إليه رأيه ومزاجه وهواه وما يشتهي ويريد ، فهذا يعبد هواه .

ـ ومن الناس من يكون الجدال عنده شهوة يجد فيه اللذة لدرجة أن يكون أكبر مشاعره .

ـ وقد لا يقع الإنسان في الشهوات ، لكنه يعيش حياته متمنيا لها قريبا منها يدور حولها وإن لم يقع فيها ، فهو ينشغل باله بالشهوات ويسمع عنها ويتكلم بها ، ويجد سعادته في الإغراء بها وتمنيها ، فإذا كان تعظيمه لهذه الأماني أكبر من تعظيمه لله ، وإذا كانت مشاعره متعلقة بهذه الأماني أكبر من تعلقها بـالله فهو يعبد الأماني .

ـ وقد تتعلق مشاعر الإنسان ببعض الشهوات كشهوة المظاهر أو بالمال أو شهوة النساء ...الخ ولكنها لا تصل إلى درجة أن تكون عبادة للمظاهر أو المال أو شهوة النساء .. الخ ، أي لا تكون أكبر مشاعره متعلقة بالمظاهر أو المال أو شهوة النساء .. الخ ، وذلك لأي واحدة على حدة ، ولكن قد تتعلق مشاعر الإنسان بمجموعة من الشهوات أو الأشياء فيكون مجموع تعلق مشاعر الإنسان بمجموع هذه الشهوات أكبر من تعلق مشاعر الإنسان بـالله والآخرة ، وهذا هو الأخطر لأنه الأكثر حدوثا من صور عبادة الهوى .

ـ فمن الناس من تتوزع أهدافه على أمور كثيرة من أمور الدنيا حتى تمتلأ أهدافه فلا يوجد حيز لهدف آخر ، فهو يريد أن يكون كذا وكذا وكذا ، ويريد أن يحقق كذا وكذا وكذا من أهداف الدنيا ، فهو لا يعيش من أجل قضية معينة واحدة وإنما لعدة قضايا فلا يشعر أن مجموع هذه القضايا يمثل قضيته في الحياة ، فمجموع هذه الأهداف هو في حقيقته هدف واحد هو الدنيا ، وكذلك في حبه ومشاعره ، فإن مجموع المحاب أكبر من حب الله ، ومجموع المخاوف أكبر من الخوف من الله ، ومجموع الهموم أكبر من انشغاله بلقاء الله والآخرة ، فمثل هذا الرجل هو يعيش من أجل الدنيا وغايته الدنيا رغم أنه قد يكون مقتنعا تماما بأنه يعيش لله وغايته الله .

ـ ومن الناس من عنده طول أمل وطموحات في أمور الدنيا لكن ليس عنده أي أمل أو طموح في الآ

آخرة فليست الآخرة من أهدافه فلا يرجوها رغم أنه مصدق بالآخرة .

ـ هناك مَنْ قلبه متعلق بمتع الدنيا فقط ، وهناك مَنْ قلبه متعلق بمتع الجنة والحور العين والنظر إلي وجه الله الكريم ، وأيضا هناك مَنْ هو خائف ويحمل هم متاعب الحياة وهمومها فقط ، وهناك مَنْ هو خائف ويحمل هم نار الآخرة وأهوال القيامة ، فالأول يعبد هواه والثاني يعبد الله ، وكلاهما يريد أن يتمتع ويريد أن يبتعد عن الآلام ، وهنا أيضا يتضح الفرق بين مجرد الاقتناع النظري بمتع الجنة وبين مَنْ هو يشعر بمتع الجنة ، وبين مَنْ هو مجرد مقتنع نظريا بعذاب النار ومَنْ هو يشعر بعذاب النار ، فمن الناس مَنْ يجد عزته وشرفه وحبه وخضوعه ومشاعره للمال أو الشهوات أو المظاهر .... الخ ، أما المؤمن فيجد عزته في الله والانتساب إليه وليس في عرض زائل من أعراض الدنيا .

ـ إن الذين يطوفون بالأضرحة يقعون في الشرك بأنهم يتجهون إليها بالخضوع والحب والخشوع ، فكذلك هناك الذين يطوفون حول المال والشهوات فيركعون ويسجدون للمال والشهوات والدنيا (تركع وتسجد قلوبهم وليس جوارحهم) وكل خوفهم من ضياع المال وكل رجاؤهم في الحصول علي المال والشهوات والمتع ، فهؤلاء يطوفون بالأضرحة دون أن يذهبوا إليها أو يعرفوها أصلا (يطوفون حول إله الشهوة) قال تعالى : ((أَرَأَيتَ مَنِ اتخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنت تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ً))[1] ، وفي الحديث : ((تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطِيفَةِ وَالخَمِيصَةِ ، إِنْ أعطىَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ))[2] ، القطيفة أي المظاهر ، وبالتالى فمن الناس مَنْ يعبد أصناما رغم أنهم ليس عندهم أصنام ولا يعرفونها ، إنها أصنام المال والمزاج والهوي والدنيا من دون الله ، فهم يتجهون بمشاعرهم وهمومهم وأهدافهم إلى الدنيا ، فيكون حبه للدنيا وخوفه عليها وخضوعه لها ، وفي الحديث : ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمّتِى المَالُ))[3] ، فاحذر أن تغرك الدنيا وتفتنك : ((فَلا تَغُرّنّكُمُ الحَيَاةُ الدّنْيَا))[4] ، وفي الحديث : ((احذروا الدنيا فإنها خضرة حلوة))[5] ، فمن الناس من يأتون يوم القيامة فيكتشفون أنهم كانوا يتناسون أنهم يعبدون فروجهم أو يعبدون المال أو المظاهر أو الطعام والشراب أو كل ذلك أو بعضه أو تدور حياتهم حول ذلك أو بعضه وإن لم يصلوا إليه ، ذلك لأ ن مشاعرهم وأهدافهم وهمومهم متوجهة لذلك ومنقطعة عن الله واليوم الآخر .

ـ إن كل إنسان يريد أن يحل مشاكله ليصل إلى السعادة ، ولكن الفرق أن هناك من يرى مشاكله في الدنيا من الطعام والشراب والزواج والمسكن والحرية ...الخ ، ويرى أن سعادته هي في الدنيا بحل مشكلاته وتوفير الراحة ، ويستند إلى الحل باستخدام العقل والرأي السديد ، وعلى العكس فهناك من يرى أن مشاكله في الآخرة من البعث والوقوف بين يدي الله والحساب ومصيره إلى الجنة أو النار...الخ ، ويرى أن سعادته هي في الآخرة بحل مشكلاته والوصول إلى الراحة في الجنة ، ويستند إلى الحل باستخدام الشرع من الكتاب والسنة ، فالأول تدور مشاعره حول محور الدنيا فهو يعبد الدنيا ، والثاني تدور مشاعره حول محور الآخرة فهو يعبد الله ، فإذا لم يكن أكبر المشاعر متجهة لمشاكل الآخرة فذلك عبادة للهوى .

ـ إن الإنسان عبارة عن جسد وروح (أو طين وروح) وهو مطالب بأمرين هما صلته بـالله (وهو غذاء الروح) وصلته بالدنيا (وهو غذاء الطين) فإذا كانت مشاعره المتعلقة بغذاء الطين من الطعام والشراب ومتطلبات الحياة والمعيشة ...الخ أكبر من مشاعره المتعلقة بغذاء الروح فهو يعبد الطين (يعبد الدنيا) ، كما أن عدم تغذية الروح يؤدي إلى أن تموت الروح ويبقى الجسد حي فيعيش الإ نسان وهو منقطع الصلة بـالله ، فهناك أموات خارج القبور هم يعيشون ويأكلون ويشربون ولكنهم ليسوا أحياء : ((أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ))[6] ، وذلك لأنهم يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدّنْيَا

---

(1) الفرقان : 43
(2) رواه البخاري (2924)
(3) رواه الترمذي (2507) ، وفي السلسلة الصحيحة (592)
(4) لقمان : من الآية 33
(5) تحقيق الألباني : (صحيح) : (صحيح الجامع برقم : 192)
(6) النحل : 21

على الآخرة : ((بَلْ تؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُنْيَا))[1] ، ((فَأمّا مَنْ طغَى ، وَآثرَ الحَيَاةَ الدُنْيَا ، فإن الجَحِيمَ هِيَ المَأوَى))[2] ، ((الذينَ يَسْتَحِبُونَ الحَيَاةَ الدُنْيَا عَلَى الآخرة))[3] ، ((كلا بَلْ تحِبُونَ العَاجِلَةَ))[4] ، ((إنّ هَؤُلاءِ يُحِبُونَ العَاجِلَةَ وَيَذرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثقِيلا))[5] ، فإذا كانت مشاعر الإنسان وهمومه وتفكيره وأهدافه وأمانيه المرتبطة بالطين (بدنيا الناس) أكبر من مشاعره المرتبطة بالله والآخرة فهذا وقوع في عبادة الهوى .

ـ ومن الناس مَنْ أعماله مبنية علي أساس اعتبارات الناس وفي الحديث : ((مَنْ أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ومَنْ أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس))[6] ، فهذا ينشأ من أن مشاعره متوجهة للناس ولو شعر أن نظر الناس ليس فيه نفع أو ضر لما اهتم بنظر الناس ، وإنك لتجده يعيش حياته بناءا علي عادات الناس وتقاليدهم يقيس علي ذلك ما هو صواب وما هو خطأ وما يفرح به وما يحزن عليه (والناس يفرحون ويحزنون علي أمور دنيوية من اختراعاتهم) ، ولا يمكن لإنسان يشعر بخطورة الآخرة والغيبيات ألا يكون ذلك الأساس والمقياس الذي يبني عليه حياته وأعماله ، فهذا الرجل قد آثر عادات الناس وتقاليدهم ، فبدلا من أن يعيش أسيراً منقاداً لله ، فهو اختار أن يعيش أسيرا منقادا لحسابات واعتبارات للعادات والتقاليد وكلام الناس والوطن و الجنسية والتعصب للعائلة أو الجنس أو الوضع الاجتماعي المعين أو المستوي المعيشي أو البيئة المحيطة أو التعود والألفة علي ما كان عليه الآباء والأصحاب ، أو يعيش أسيرا لهواه ، أو أسيرا لإطار معين : ((بَلْ تؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُنْيَا))[7] ، ((ذلِكَ بِأنهُمُ اسْتَحَبُوا الحَيَاةَ الدُنْيَا عَلَى الآخرة وَأنّ اللهَ لا يَهْدِي القوْمَ الكافِرِينَ))[8] ، ((فَأمّا مَنْ طغَى ، وَآثرَ الحَيَاةَ الدُنْيَا ، فَإنّ الجَحِيمَ هِيَ المَأوَى))[9] ، ((وَإذا قِيلَ لهُمُ اتبِعُوا مَا أنزَلَ اللهُ قالوا بَلْ نتبِعُ مَا ألفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أوَلوْ كانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شيئا وَلا يَهْتَدُونَ))[10] .

ـ الإنسان يعمل من أجل مصلحته وما فيه النفع له ، فإن كان لا يشعر بالنفع ولا يشعر بما فيه مصلحته في الجنة فإنه سوف يري أن العمل للآخرة تكاليف وأعباء فيتثاقل ، إنه يشعر أن السعادة إنما هي في المال والمتع والمظاهر والممتلكات والمادة ، وإن كان مقتنعا نظريا أن السعادة الحقيقية إنما هي في الجنة ، وأن هذه أعراض زائلة ، لكن هذا في الاقتناع النظري فقط ، فالمشاعر تتفاعل إيجابا وسلبا فرحا وحزنا بمفردات الحياة من مال ومتع ومظاهر ... الخ ، بينما لا تتفاعل المشاعر بـ الغيبيات وما يحدث فيها ، فالغيبيات ليست في بؤرة شعوره وليست علي باله ولا في حساباته رغم أنها المستقبل كله والمصير كله ، فهو يعيش من أجل الدنيا ، فتكون حياته مبنية علي الدنيا فهي هدفه وطموحه ومستقبله .

ـ وهناك مَنْ يصنع لنفسه قضية ويعيش لها ، فمثلا كان في الجاهلية قبائل كل محور حياتهم شرف القبيلة وسمعتها فكانوا يقاتلون من أجل القبيلة ، كذلك الذي محور حياته الموضة أو الشهوات أو هواية معينة أو تسلية معينة أو عمل معين بحيث يكون ذلك هدفه وغايته وكل شاغله يقوم ويقعد من أجله فعندئذ يقع في عبادة الهوى .

ـ ومن الناس مَنْ يحب شخصا لقضيته فسوف يحشر معه ويكون مصيره هو نفس مصير هذا

---

(1) الأعلى : 16
(2) النازعـات : 37 ـ 40
(3) إبراهيم : من الآية 3
(4) القيامة : 20
(5) الإنسان : 27
(6) صحيح الجامع (6010)
(7) الأعلى : 16
(8) النحل : 107
(9) النازعـات : 37 ـ 39
(10) البقرة : 170

الشخص ، ففي الحديث : ((المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبّ))[1] ، فإذا كان يتخذ شخصا ما مثلا أعلى له في أمر من أمور الدنيا بحيث كان حبه لذلك أكبر من حبه لله فذلك عبادة للهوى ، لذلك فالمؤمن لا يحب أحدا أو شيئا إلا في الله أي لقضية الدين أي تتوجه مشاعره إلى الله والآخرة .

ـ إن الإنسان إذا وقف صريحا مع نفسه ، وسأل نفسه ما هي قضيتي في الحياة ؟ ، ما هي قضيتي التي أعيش من أجلها ؟ ، إنه سوف يكتشف أنه يعيش من أجل أربعة أشياء هي على الترتيب : أولا : المال وما يأتي به المال من المتع ، وثانيا : متع النساء والنظر إلى العورات ، وثالثا : المظاهر ، ورابعا : الطعام والشراب ، هذا حال الكثير لكن لا يقف أحد أبدا صريحا مع نفسه ويتغافل عن أن يواجه نفسه ، فهذه الأمور الأربعة عبارة عن محور وحياة الكثير تدور حول هذا المحور وتظل تلف حوله من قريب أو بعيد ، أما المؤمن فإن له محور واحد يدور حوله هو خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب من الله تعالى ، وهناك من يغالط نفسه ويظن أنه يعيش من أجل رضا الله وهو في الحقيقة يخدع نفسه ، فالاقتناع النظري يسير في اتجاه والشعور والمشاعر تسير في الاتجاه المعاكس ، فهو مقتنع بأنه يعيش من أجل رضا الله ، لكن شعوره ومشاعره منقطعة عن الله والآخرة ولا تتأثر إلا بالدنيا وما فيها ، فإن المؤمن ينظر إلى متع الدنيا نظرة احتقار ، وينظر إلى أهل الدنيا الذين يعيشون لها ويعبدونها على أنهم مساكين لأنهم يهلكون أنفسهم : ((وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ))[2] ، ((لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ))[3] ، ولأنهم يتنافسون على جيفة قذرة هي الدنيا ، فينظر المؤمن إليهم على أنهم أغبياء لأنهم يتنافسون على شيء لا قيمة له : ((وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأنعام بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ))[4] ، أما الكافر فينظر إلى متع الدنيا نظرة إعجاب وانبهار وتعظيم وحب ، فالله قد زينها له ، وينظر إلى أهل الآخرة نظرة سخرية ، ففي تفسير الطبري : ((زين للذين كفروا الحياة الدنيا : قال الكفار يبتغون الدنيا ويطلبونها ويسخرون من الذين آمنوا في طلبهم الآخرة))[5] ، وفي تفسير الطبري : (({ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ (38) فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : ويصنع نوح السفينة ، وكلما مرّ عليه جماعة من كبراء قومه سخروا منه ، يقول : هزئوا من نوح ، ويقولون له : أتحوّلت نجارًا بعد النبوّة ، وتعمل السفينة في البر ؟ ، فيقول لهم نوح : (إن تسخروا منا) ، إن تهزءوا منا اليوم ، فإنا نهزأ منكم في الآخرة ، كما تهزءون منا في الدنيا فسوف تعلمون إذا عاينتم عذابَ الله ، مَن الذي كان إلى نفسه مُسيئًا منّا))[6] .

ـ من الناس من يكون فرحه وحزنه مبني على أساس الدنيا ، فالسعيد عنده هو من حصل على الدنيا والتعيس من خسر شيئا من أمور الدنيا ، والفوز عنده هو الفوز بجائزة دنيوية أو الحصول على مال أو جاه أو متع أو شهوات ... الخ ، والخسارة عنده هي ضياع مال أو جاه أو شيئا من حطام الدنيا ، أما المؤمن فأساس الفرح والحزن عنده مبني على أساس أن السعادة إنما هي في الجنة ، فكل عمل يعمله يرجو فيه ثواب الله فهذا هو الفوز لأنه يقربه من الفوز الأكبر بالجنة ، وكل عمل يعمله من أجل الدنيا فهذه هي الخسارة لأنه يقربه من الخسارة الكبرى وهي النار .

ـ إذا كان أكبر ما يتمناه الإنسان وأكبر ما يحلم به وأكبر ما يرجوه وأكبر ما يطمح إليه سواء على سبيل التمني في خيال الإنسان كأن يتمنى الإنسان أن يعثر على كنز مثلا ، أو على سبيل الأمل في الوصول لشيء من الممكن تحقيقه ، فإذا كان أكبر ما يتمناه ويطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر

(1) رواه البخاري (6239)
(2) الأنعام : من الآية 26
(3) آل عمران : 197
(4) الأعراف : 179
(5) جامع البيان عن تأويل القرآن (ج : 2 ، ص : 334) ـ محمد بن جرير بن يزيد الطبري ـ دار الفكر ـ بيروت
(6) تفسير الطبري - (ج 15 / ص 310)

فيه هو المال وأن يكون غنيا أو المظاهر أو الشهوات أو أي شيء من أمور الدنيا وشهواتها فهو يعيش من أجل الدنيا وإن كان يكذب على نفسه ويظن أنه يعيش لله ، أما المؤمن فإن أكبر ما يتمناه ويطمح إليه ويرجوه ويحلم به ويفكر فيه هو الوصول إلى الجنة ، ولا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة الدنيا من القلب وبالتالي حتى يكون أكبر ما يحلم به الإنسان ويتمناه هو الجنة ورضا الله وليس العثور على كنز أو الوصول إلى ألوان الثراء الدنيوي والمناصب العليا وكامل التمتع بشهوات الدنيا .

ـ ومن الناس مَنْ لا يشغله قضية الدين من أساسه ، فلا هي تشغل باله ولا يهتم بها ولا يتأثر بها ، وهو يَعْجَبْ لماذا يُتعب المتزمتون أنفسهم بالدين ؟! ، وتكون قضايا وهموم الحياة كالزواج والطعام والشراب هو الذي يشغل همه في حين أن الله سبحانه ليس في همه ، وتجد عنده عدم الاهتمام واللا مبالاة بأمر الآخرة والدين أو عدم تقدير لأمر الآخرة والدين بالقدر الواجب ، أو علي أحسن الأحوال ينظر إلى الآخرة بفتور شديد ومشاعر باردة ، رغم أنه مقتنع نظريا تماما بالآخرة لكنها في نظره غير مهمة ، ولو كانت مهمة فعلا في نظره لانشغل باله بها وكان مهموما بها ، ومن الناس مَنْ ليس عنده أي هم بالآخرة رغم ما بها من أهوال وأنها المصير لدرجة أنك قد تجد المرء يستغرب ولماذا الهم بالآ خرة ؟! ، وكأنه لا يوجد أي شيء يدعو للهم بالآخرة ! ، ويكون في غفلة عن الغيبيات لأنه لا يوجد أي توجه للغيبيات سواء سلبا أو إيجابا فلا يخاف الآخرة ولا يكرهها ولا يحبها لأنه لا يشعر بها أصلا وكذلك كل الغيبيات ، وهذا هو نسيان الله والآخرة ، فإن الشيء الذي تهتم به فإنه يشغل همك ولا تنساه ، فمعني عدم انشغال الهم بالآخرة عدم الاهتمام بشأنها كأنها أمرا غير مهم ، إذن فنسيان الآ خرة ليس نسيان وجودها ولكن نسيان ما تعنيه من الأهمية والخطورة فلا تشغل البال ، وكذلك نسيان الله لا يعني نسيان وجوده فالكفار يعلمون وجوده ، ولكن يعني عدم وجود اليقين الحقيقي بقدره وقدرته ، فلا ينشغل البال أو المشاعر بأمر الله والدين ، ((نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ))[1] ، ((فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ))[2] .

ـ معني أن شيئا ما لا تحبه ولا ترجوه ولا تخافه إذن هو في نظرك أمر غير مهم ، والأمر الغير مهم أمر غير خطير تأخذه علي سبيل الهزل وليس علي سبيل الجد ، والله يقول : ((إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ، وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ))[3] ، فإن الآخرة أمر خطير وقول فصل وأمر لا يحتمل التراخي والهزل .

ـ ارتباط مشاعر الإنسان بقضايا الدنيا أكبر من ارتباط مشاعره بقضايا الآخرة يدل على أن تعظيم الدنيا عنده أكبر من تعظيم الآخرة ، وهذا يعني إيثار الدنيا على الآخرة ، وهذا فضلا عن أن تكون مشاعره مرتبطة بقضايا الدنيا فقط من قضايا الزواج والأموال والتجارة و الطعام والشراب والتعليم وغير ذلك من أمور الدنيا .

ـ إن هناك أمور كثيرة أحلها الشرع كالطعام والشراب والملبس والتعليم والعمل أو حتى الكورة ......الخ ، والقضية ليست في هذه الأمور في حد ذاتها فهي أمور يأمر بها الشرع حتى ما فيها من اللهو المباح والمتع الحلال ، وإنما القضية في ارتباط المشاعر وتوجه المشاعر تجاه هذه ا لأمور فتصبح قضية الإنسان في حياته وهمه الأكبر ، وإنك لتجد المرء مهموما بالمال والشهوات و النظر إلي عورات النساء والمظاهر والترف والأغاني ومهموما بمشاغل الحياة من الدراسة والزواج وا لأولاد والطعام والشراب ....إلخ (سواء ما فيها من حلال أو حرام) ، وإذا بحثت عن مكان في الذهن مشغولا بالآخرة لا تجد ، وكأن عالم الغيب لا يعنيه رغم أن كلمة الآخرة تعني الأهوال والخطر القادم ، فإنه ينظر إلى عالم الغيب بعدم اهتمام في حين ينظر إلى أمور الدنيا باهتمام بالغ ، وقد يكون الإ نسان مقتنعا بأنه لا يعيش من أجل هذه الأشياء أو أنها ليست قضيته الأولى في حياته ، ولكن العبرة باتجاه مشاعره وحياته وهمه وطموحه وتضحياته من أجل ذلك الأمر ، فأنت لا تختار الطريق بعقلك ولكن مشاعرك هي التي تختار الطريق ، فقد تختار أنت طريق الحق مقتنعا به نظريا ، لكن مشاعرك

(1) التوبة : من الآية 67
(2) السجدة : 14
(3) الطارق : 13 ، 14

تختار طريق الشهوات أو أي شيء فلا تتأثر المشاعر بالغيبيات وأركان الإيمان وإنما تتأثر بهذه الأ شياء ، أما إذا استطعت أن تقود مشاعرك وتوجهها إلى اليقين الحقيقي بالله واليوم الآخر فهذا هو أصل تزكية النفس الذي فيه الفلاح ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تزَكّى))[1] ، ((قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَاهَا))[2] .

ـ هناك من يكون أكبر مشاعره وحياته متعلقة متعلقة بمبادئ وعلوم ودراسات وقيم وقوانين وعادات تتفق مع الشرع تماما ، لكنه لا يتعلق بها باعتبار أنها متوافقة مع الشرع ولكن باعتبار أنه يراها صحيحة تخدم البشرية والإنسانية والتقدم والمدنية ولما فيها من النفع والخير بدون اعتبار الشرع من أساسه فهو يقع في عبادة الهوى ، وهناك من يفرحون بالتقدم العلمي مثلا وإن كان ذلك محمودا لكنه عندهم هو دينهم !! ، لأن مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم متعلقة به أكثر من تعلقها بالله والآخرة إن كان هناك أصلا شيء من تأثر مشاعرهم بالله والآخرة ، فبذلك هم يعبدون التطور والتقدم العلمي و الرفاهية فينظرون إلى الدين نظرة سخرية على أنه تقاليد بالية وتخلف ورجعية حتى وإن لم يقولوا بذلك فالشعور بالسخرية والاستعلاء والاستكبار على الدين هو وقوع في النفاق الأكبر : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أعمالهُمْ))[3] ، فظنوا أن السعادة إنما هي في الدنيا ويقولون بمشاعرهم : ((إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ))[4] ، وفي تفسير النسفي : ((أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم عددا واشد قوة بدنا وآثارا في الأرض قصورا ومصانع ، فما أغنى عنهم : ما نافية ، ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بـ البينات فرحوا بما عندهم من العلم يريد علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون))[5] .

ـ كل إنسان لابد له أن يعبد :

ـ الإنسان الطبيعي فيه ميل للمتعة والشهوة وما فيه مصلحة وسعادة له والابتعاد عن ما فيه الألم و الضرر ، فيكون عند الانسان خمسة مشاعر هي حب السعادة ورجاءها والخوف من ضياعها وتذليل نفسه وإخضاعها في سبيل الوصل إلى هذه السعادة ، وخوف المهابة من مدى قيمة السعادة التي ينشدها فهي سعادة هائلة جدا .

ـ فإذا كان يرى المتعة في الدنيا تعلقت مشاعره بشهوات الدنيا ، وإذا كان يرى المتعة في الجنة وأن متع الدنيا ضئيلة جدا تعلقت مشاعره بشهوات الجنة .

ـ إذن فأي إنسان خلقه الله خلق فيه حب الشهوة ، فكل إنسان شهوانيا سواء المؤمن والكافر ، فـ المؤمن شهوانيا تتجه شهوته لمتع الجنة ، والكافر شهوانيا تتجه شهوته لمتع الدنيا ، فالنفس مجبولة على حب الشهوات والسعادة وما فيه الراحة واللذة وتكره ما فيه الألم .

ـ فالإنسان يحب متع النساء والخمور والقصور ويعيش لذلك ، فمن الناس من يرى أن هذه المتع في الدنيا فيعيش لها ، فهو الكافر أو المنافق ، أما المؤمن يرى أن هذه المتع في الجنة فيعيش لها وقلبه يشتاق إلى نساء الحور العين وجمالهن وحلاوة جماعهن ولذة الخمور وفخامة القصور .

ـ فالإنسان يعيش من أجل مثلث السعادة ، وهي شهوة المظاهر وشهوة المال وشهوة النساء والطعام والشراب ، فمنهم من يريد ذلك في الدنيا ، لأنه يرى أن مثلث السعادة في الدنيا ، فيعيشون في صراع من اجل مثلث السعادة ، ومنهم من يريد ذلك في الجنة ، لأنه يرى أن مثلث السعادة في الجنة .

ـ وهنا ينكشف اليقين الحقيقي بالجنة والغيبيات ، فالذي يعبد الهوى هو في حقيقته يقول بمشاعره

---

(1) الأعلى : 14
(2) الشمس : 9
(3) محمد : 9
(4) المؤمنون : 37
(5) تفسير النسفي : (ج : 4 ، ص: 82)

أن الجنة والغيبيات أساطير الأولين وحواديت الشاطر حسن ! ، وإن موقنا بالجنة والغيبيات يقينا نظريا تاما ، فالحور العين بالنسبة له كأنها نساء خيالية وليست نساء حقيقية فيها لذة أمتع من كل نساء العالم ! فلو كان موقنا بها حقا لعاش من أجل الوصول إلها وزهد في نساء الطين ! .

ـ فمن لم يجد في نفسه شيئا ولو يسيرا من اللذة في حب الحور العين واللذة في حب الله واللذة في الإشتياق إلى النظر إلى وجه الله الكريم فهو يغالط نفسه بالإيمان وليس بمؤمن .

ـ وبالتالي فكل إنسان يعمل من أجل الشهوات ويبيع نفسه لها : ((... كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا))[1] ، فإما أن يعبد الشهوات أو يعبد الله .

ـ وكذلك الحال في الابتعاد عن الألم ، فكل آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ليست بشيء أمام ألم النار يوم القيامة ، فمن كان يشعر بألم الكراهية والضيق لآلام الدنيا ومشاكلها وهمومها وخطورتها ولا يشعر بألم الكراهية والضيق والاشمئزاز لآلام النار في الآخرة (خوف المهابة من شدة النار) فذلك لأ ن النار في مشاعره خيال وأساطير الأولين ! .

ـ فكل إنسان له إله يعبده وله عبادة ودين بدليل أن الله سبحانه خاطب المشركين من قريش بقوله تعالي : ((لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ))[2] ، فقد سمي ما عليه المشركين بكلمة (دين) ، ومن لا يعبد الله ، فهوْ يعبد الشهوة : ((فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ))[3] ، وعبادة الأصنام هي إيمان بالأصنام ففي تفسير القرطبي : (((أفبالباطل يؤمنون) قال قتادة : أفبالشرك))[4] ، ((يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ))[5] ، ((وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا))[6] ، فالذي يعبد الشهوة وإن كان نظريا لا يؤمن بأن الشهوة ربه لكن حقيقة إيمانه أنه يتخذ الشهوة ربا له وإلاها .

ـ ولا تظن أن العلمانيين لا دين لهم ولا إله لهم يعبدونه ، فدينهم وإلاههم هو الشهوة كشهوة المظاهر والتفاخر بالرأي والمزاج فهم يخضعون لشهواتهم وأهوائهم ، ومن المسلمين من يخضعون للشهوة أكثر مما يخضعون لله فهؤلاء اتخذوا مع الله إلاها هو الشهوة ، وهذا وقوع في عبادة الهوى ، وذلك فضلا عن أنه من المسلمين من لا يشعرون بالخضوع لله أصلا وكل خضوعهم ومشاعرهم وأهدافهم للشهوة فهؤلاء مثل العلمانيين تماما إلا أنهم يقولون بألسنتهم أنهم مسلمون وعندهم المعرفة النظرية بالله والآخرة والغيبيات .

ـ الإجابة على أسئلة القبر :

1ـ الإجابة على سؤال القبر : من ربك ؟ :

ـ إذا كان الإنسان يشعر بخوف المهابة من عظمة الله ويشعر بلذة حب الله فإنه بذلك يعرف من ربه ويجيب على سؤال القبر : من ربك ؟ (والفصل الثالث هو بيان لذلك) .

2ـ الإجابة على سؤال القبر : ما دينك ؟ :

ـ أي هل دينك الإسلام أم عبادة الهوى والشهوات ؟ ولا يوجد شيء ثالث ، فالإنسان إما أن يسير في طريق الدين وإما أن يسير في طريق الشهوات بمشاعره وعمله ، فالإنسان لا يبتعد عن الدين لأنه ضد الدين ولكن لأنه يريد الشهوات ولا يريد أن يقوم بضد ما تشتهيه النفس ، والدين ضد الشهوات لذلك يتغافل عن أمر الدين متجها إلى الشهوات ، فاليقين النظري بالدين موجود لكنه لا يريد أن يترك الشهوات ، فالمسلم قد يعبد الشهوات ويتغافل عن أنه بذلك وقع في النفاق الأكبر .

---

(1) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم: 925 في صحيح الجامع)
(2) الكافرون : 6
(3) القصص : من الآية 50
(4) تفسير القرطبي - (ج 13 / ص 364)
(5) النساء : من الآية 50
(6) غافر : من الآية 12

ـ فحياة الإنسان وعيشه وعمله ومشاعره هي دينه ، فإذا كانت حياته وعيشه وعمله ومشاعره تسير في اتجاه الله والآخرة فدينه الإسلام ، وإذا كان حياته وعيشه وعمله ومشاعره تسير في اتجاه الدنيا فدينه عبادة الدنيا والهوى والشهوات .

3ـ الإجابة على سؤال القبر : من نبيك ؟ :

ـ إذا كان الإنسان يشعر بخوف المهابة من أمر نزول الوحي على الرسول (ص) وحب الرسول (ص) إعجابا بما اختصه الله بالشرف العظيم من بين البشر وحبا لصلته بالله وحبا لأنه يدل البشر على طريق الهداية وجعله مثله الأعلى ونموذج يسير على منهاجه ويتشبه بخلقه ، وأن تكون هذه المحبة أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين (والفصل الرابع بيان لذلك تحت بند " الإحساس بقيمة إرسال الوحي إلى بعض البشر ") .

****
****

ـ توحيد خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع

ـ مفهوم توحيد خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع إلى الله وحده وانقطاعها عن غير الله :

ـ هناك إلهان ، إله بالحق وإله بالباطل ، فالله هو إله بالحق ، والشهوات إله بالباطل ، وكلاهما ضد الآخر ، ومشاعر الإنسان كلما اتجهت إلى إله الحق ابتعدت عن إله الباطل ، والعكس صحيح ، فالناس يظنون أن ما يضاد الدين هو أن يكفر الإنسان ويترك الدين فقط ، ولكن ما يضاد الدين هو الشهوات ، فكلما ابتعد الإنسان عن الشهوات اقترب من الدين ، وكلما اقترب من الشهوات ابتعد عن الدين ، ولا يمكن أن يبتعد عن الاثنين معا ، أو يقترب منهما معا ، فيظن البعض أنه يمكن يرضي شهواته ويرضي ربه معا ، وهذا لا يمكن ، لذلك فالتدين صعب لأن فيه الابتعاد عن الشهوات التي تحبها النفس ، ففي الحديث : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[1] ، فإذا وجدت الرجل يسير في طريق الشهوات فاعلم أنه يبتعد عن الدين ، وإذا وجدت الرجل بعيدا عن الشهوات فاعلم أنه قريب من الله ، ولكن المشاعر كالحب والخوف يعلمها الإنسان فقط في نفسه فلا تستطيع أن تحكم على أحد بأنه لا يحب الله مثلا ، فحقيقة الاختبار الذي يعيش من أجله الإنسان هو أنه إما أن يؤثر حب الدنيا على حب الله فيكون مصيره النار أو يخاف من الله فينهى نفسه عن الشهوات فيكون مصيره الجنة : ((فَأَمّا مَنْ طَغَى (37) وَآثَرَ الحَيَاةَ الدّنْيَا (38) فَإِنّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى (39) وَأَمّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى النّفْسَ عَنِ الهَوَى (40) فَإِنّ الجَنّةَ هِيَ المَأْوَى))[2] .

ـ وكلما زاد حب الله نقص حب الدنيا في القلب ، وكلما زاد حب الدنيا في القلب كلما نقص حب الله تعالى ، فحب الدنيا والآخرة لا يجتمعان ففي الحديث : ((مَنْ أحب دنياه أضر بآخرته ومَنْ أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى))[3] ، وفي الحديث : ((ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا))[4] ، وعن وهب بن منبه قال : ((مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرتان ، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى))[5] .

ـ من معاني لا إله إلا الله أي لا أريد إلا الله ولا أحب إلا الله ولا أخضع إلا لله ولا أخاف إلا من الله ولا أرجو إلا الله .

ـ إذا كان هناك حب أو خضوع أو خوف أو رجاء دنيوي من أجل الدنيا ، وكان ذلك أقل من حب الله

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع .|
(2) النازعات : 37 - 41
(3) صحيح الترغيب والترهيب (3247)
(4) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 637 ، برقم 2458)
(5) الزهد - (ج 1 / ص 65)

والخضوع له وخوفه ورجاءه فذلك نقص في التوحيد أي نقص في الإيمان فهو مؤمن ولكن لم يصل إلى كمال الإيمان .

ـ إذا كان هناك حب أو خضوع أو خوف أو رجاء دنيوي من أجل الدنيا ، وكان ذلك أكبر من حب الله والخضوع له وخوفه ورجاءه فذلك نفاق أكبر وعبادة للهوى .

ـ فتوحيد الخوف معناه أن لا يخاف من أي شيء غير الله ، فلا يخاف إلا من الله أو في الله كالخوف من ضياع المال بنية أنه يعين على طاعة الله ، وإذا كان في القلب خوف من غير الله بحيث كان خوفه من غير الله أقل من خوفه من الله فهذا نقص في توحيد الخوف ، فالقلب فيه خوف من الله وخوف من غير الله ، فإذا غلب الخوف من غير الله الخوف من الله فهذا وقوع في عبادة الهوى ، ومن كمال اليقين عدم وجود أي خوف في القلب لغير الله تعالى ، فالمؤمن لا يخاف إلا من الله .

ـ وتوحيد الخضوع معناه ألا يخضع إلا لله ، فالإنسان قد يستسلم لشهواته أو يخضع للمال فيعيش من أجل جمعه ، فهو في الحقيقة يسجد للمال أو للشهوات ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا))[1] ، فإذا كان خضوعه للشهوات أكبر من خضوعه لله فهذا وقوع في عبادة الهوى ، وإذا كان في القلب خضوع لغير الله بحيث كان خضوعه للشهوات أقل من خضوعه لله فهذا نقص في توحيد الخضوع ، فالقلب فيه عبادة لله وعبادة للشهوات فإذا غلبت عبادة الشهوات على عبادة الله فهذا وقوع في عبادة الهوى ، ومن كمال اليقين عدم وجود أي خضوع في القلب لغير الله تعالى ، فالمؤمن لا يخضع لغير الله تعالى .

ـ وتوحيد الحب معناه لا أحب إلا الله ، وحب الرسول والمؤمنين في الله هو من حب الله وليس حب لذوات الأشخاص ، وكذلك كراهية الكافرين في الله هي من حب الله تعالى ، فإذا وجدت محبة لغير الله في القلب وكانت أقل من محبة الله فذلك لا ينقض الإيمان ولكن ذلك نقص في التوحيد والإ يمان ، وإذا زاد حب غير الله على حب الله أو كان مساويا له كان ذلك نفاق أكبر وعبادة للهوى ، فـ المؤمن لا يحب إلا الله تعالى ، فمحبة الزوجة في الله ومحبة الطعام في الله فهو يأكل ليستعين على طاعة الله .

ـ ملحوظة :

ـ ويستثنى من ذلك المشاعر الجبلية الفطرية التي لا دخل للإنسان فيها ، فهناك الخوف الجبلي الذي خارج عن إرادة الإنسان ولا يأثم الإنسان به ، وذلك كالخوف من الأعداء أن يمكروا به ، والخوف من ا لأمراض، والخوف من السباع ، ومن أمثلة هذا الخوف أن الرسول (ص) كان يريد أن يتزوج امرأة زيد التي هي زينب لأن أهل الجاهلية يعتقدون أنه لا يجوز أن يتزوج الرجل زوجة ابنه الذي قد تبناه ، وهو قد تبنى زيداً ؛ لقوله : (هو ابني) ، فأراد أن يتزوجها ولكن خشي أن الناس سيقولون : تزوج زوجة ابنه الذي تبناه ، فلما خشي من ذلك عاتبه الله : ((وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ))[2] .

ـ الأدلة على توحيد خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع :

ـ يقول شيخ الإسلام ابن القيم : ((وتوحيد الإلهية المتضمن أنه وحده الإله المعبود المحبوب الذي لا تصلح العبادة والذل والخضوع والحب إلا له))[3] .

ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((يُعَبِّرُ بِالْفَنَاءِ عَنْ ثَلَاثَةِ أمور : " أَحَدُهَا " أَنَّهُ يَفْنَى بِعِبَادَةِ اللَّهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ . وَبِمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ عَنْ مَحَبَّةِ مَا سِوَاهُ وَطَاعَتِهِ وَخَشْيَتِهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ الرُّسُلَ وَأَنْزَلَ بِهِ الْكُتُبَ وَهُوَ تَحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ فَقَدْ فَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ التَّأَلُّهُ لِغَيْرِ اللَّهِ وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ تَأَلُّهُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَفَنِيَ مِنْ قَلْبِهِ حُبُّ غَيْرِ اللَّهِ وَخَشْيَةُ غَيْرِ اللَّهِ وَالتَّوَكُّلُ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَبَقِيَ فِي قَلْبِهِ حُبُّ اللَّهِ وَخَشْيَةُ

(1) الفرقان : 43
(2) الأحزاب:37
(3) بدائع الفوائد - (5 / 185)

اللهِ وَالتوَكّلُ عَلَى اللهِ . وَهَذَا الفَنَاءُ يُجَامِعُ البَقَاءَ فَيَتَخَلّى القلبُ عَنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ مَعَ تحَلّي القلبِ بِعبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ كمَا قَالَ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ لِرَجُلٍ { قُلْ : أَسْلَمْت لِلهِ وَتخَلّيْت } وَهُوَ تحْقِيقُ شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ بِالنّفْيِ مَعَ الْإِثبَاتِ ؛ نَفْيِ إلَهِيّةِ غَيْرِهِ مَعَ إثبَاتِ إلَهِيّتِهِ وَحْدَهُ))[1] ، وفي موضع آخر : ((قسم الشيخ الفناء إلى ثلاثة أنواع وهي : النوع الأول : الفناء عن إرادة ما سوى الله : وهذا هو الفناء الكامل الواجب على كل مسلم بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، فينفي عن عبادة الله عبادة ما سواه وهذا الفناء هو (تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فإنها تنفي عن قلبه ألوهية ما سوى الله، وتثبت في قلبه ألوهية الحق، فيكون نافياً لألوهية كل شئ من المخلوقات ، مثبتاً لألوهية رب العالمين ، ورب الأرض والسماوات، وبذلك يتضمن اجتماع القلب على الله ، وعلى مفارقة ما سواه))[2] .

ـ يقول الإمام محمد ابن عبد الوهاب : ((أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له ، بل هي حقيقة العبادة ، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه ، وتسبق محبته جميع المحاب وتغلبها ، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه ، ومن تفريعها وتكميلها الحب في الله ، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص ، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال ، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه ، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده))[3] .

ـ الآيات والأحاديث التي تبين عدم التعلق بالناس ، ففي الحديث : ((.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك))[4] ، ومن علم أنه لن ينفعه أحد انشغل بنفسه في حاله مع الله عن الانشغال بالناس وعاش غريبا بين الناس ففي الحديث : ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[5] ، ويقول تعالى : ((لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ))[6] ، ((يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ))[7] ، وفي الحديث : ((واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس))[8] .

ـ الآيات والأحاديث التي تبين التوكل على الله تعالى ، وهي كثيرة مثل قوله تعالى : ((وَعَلَى اللهِ فَتَوَكّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ))[9] ، والتوكل يعني عدم تعلق القلب بالناس .

ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ((إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا هو ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه ولا يوالي إلا له ولا يعادي إلا فيه ولا يعمل إلا لأجله))[10] .

ـ الله وحده سبحانه هو النافع الضار وغير الله لا ينفع ولا يضر ، وما لا ينفع ولا يضر هو شيء غير مهم لا تتعلق به المشاعر فلا يحبه أحد ولا يخافه ولا يخضع له ولا يرجوه إلا في الله ، فالدنيا ضئيلة وبالتالي من كان يوقن يقينا حقيقيا بضآلة الدنيا وشعر بزوالها فلن تتعلق بها مشاعره ، إذن كل شيء سوى الله لا قيمة له فتنقطع عنه المشاعر سواء كان شيئا معنويا أو ماديا سواء كان بشرا أو جماد .

****

(1) رسالة الفرقان بين الحق والباطل - (1 / 93)
(2) منهج شيخ الإسلام في العبادة والتزكية - (1 / 33)
(3) القول السديد شرح كتاب التوحيد - (ج 1 / ص 116)
(4) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 667 ، برقم : 2516)
(5) السلسلة الصحيحة (1157)
(6) الممتحنة : 3
(7) عبس : 34 ـ 36
(8) تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : 73 في صحيح الجامع .
(9) المائدة : من الآية 23
(10) درء تعارض العقل والنقل - (1 / 224)

****

ـ شرط الإيمان غلبة المشاعر المتعلقة بـالله على ما سواه وعلامة ذلك السعادة النفسية (حلاوة الإ يمان) :

ـ جاء في الحديث : ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار))[1] ، فشرط الإيمان أن يكون حب الله ورسوله أكبر مما سواه ، وحب الرسول (ص) وحب المؤمنين تابعة لحب الله ، وإذا تحقق هذا الشرط تحققت حلاوة الإيمان بالضرورة ، وحلاوة ا لإيمان هي السعادة النفسية التي يشعر بها المؤمن .

ـ يقول شيخ الإسلام ابن القيم : ((فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له فهذا الحب وإن سمي عشقا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله فلا يحب إلا الله كما في الحديث الصحيح ثلاث من كن فيه وجد بهن حلا وة الإيمان من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار فأخبر أن العبد لا يجد حلا وة الإيمان إلا بأن يكون الله أحب إليه مما سواه ومحبة رسوله هي من محبته ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبة الله وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها وتصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه وحياته شيئا فإذا قدم محبة الإ يمان بـالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقى في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه وهذه المحبة هي فوق ما يجده سائر العشاق والمحبين من محبة محبوبهم بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد وتقتضي كمال اللذة والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهرا وباطنا وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان))[2] .

ـ ومن السعادة النفسية أن لا يخاف العبد من أي شيء سوى الله ، فيعيش الإنسان آمنا سعيدا لا يخاف من أحد ولا يخشى من حدوث شيء ، لأن الله هو النافع الضار وحده ولا يحدث شيء إلا بأمره ، وهو يرضى بما يفعله الله ، والإبتلاء من الله فيه خير للعبد وهو يظنه شرا ، وفي الحديث : ((لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه))[3] .

ـ إذا كان رجاء الإنسان وهدفه وطموحه هو الدنيا فإنه يتعب لأن الدنيا لا سعادة فيها ولا راحة فيها ، كما أنه كلما حقق هدفا استجد له أهداف أخرى ، ويظل يسعي لتحقيق أهدافه حتى يموت دون أن يصل إلى السعادة ، كما أن الذي يعيش للدنيا يتعب لأن المتنافسين على الدنيا كثير ، وليس كل من يطلب الدنيا يجدها ولكن كل من يطلب الجنة ويسعى لها يجدها ، إما إذا كان رجاء الإنسان وهدفه هو رضا الله والجنة فإنه يجد سعادة لأنه سيجد نتيجة تحقيقه الإيمان ، أما إذا كان يسعى للدنيا فسيتعب دون أن يحصل على السعادة ، فإذا كان رجاءه في رضا الله والجنة فقط أو كان ذلك أكبر رجاءه فإنه يرتاح .

ـ من آثار عبادة الهوى عدم وجود الراحة النفسية لأنه متعلق بأغيار والدنيا كلها متغيرات فمثلا يخاف على نفسه من المرض أو الموت أو يخاف على ماله من الضياع ...الخ ، أما الذي ترتبط مشاعره بـالله فإن الله لا يتغير وعنده كل ما يريد الإنسان في الدنيا والآخرة وخزائنه لا تنفد . ـ إن المراة المتعلقة بـ

---

(1) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم: 3044 في صحيح الجامع)
(2) روضة المحبين - (1 / 199، 200)
(3) التخريج : حسن (ظلال الجنة ج : 1 ، برقم : 247)

الدنيا عندما تصل إلى سن اليأس تكون في إكتئاب شديد وحالة نفسية شديدة ذلك لأن الشهوة هي حياتها فلما فقدتها فكأنما فقدت كل شيء ، فهذا قد ينشأ من تعلق المشاعر بالدنيا .

ـ معرفة الله معرفة حقيقية تؤدي إلى تعلق المشاعر به وحده ، وفي ذلك تحقيق السعادة ، لأنه عندئذ لا يخاف إلا من اله ، والله يستطيع أن يحقق له كل ما يرجوه ويمنع عنه كل ما يخاف ويحقق له أهدافه فيحبه ويفرح به فيعيش سعيدا ، لذلك ففي الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة هي جنة معرفة الله تعالى ، ((قال بعضهم مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب شيء فيها ، قيل وما هو ؟ ، قال معرفة الله عز وجل ، فمن عاش في الدنيا لا يعرف ربه ولا ينعم بخدمته فعيشه عيش البهائم))[1] ، ولذة معرفة الله (حلاوة الإيمان) هي أمتع من اللذة التي يجدها المحبين في الدنيا وأمتع من كل ألوان الطعام والشراب والشهوات .

ـ كما أن عدم معرفة الله والآخرة معرفة حقيقية يعني غياب الإحساس بالقيمة ويعني أن الإنسان ك المريض أو كالميت لأنه عطل فطرته ، فتحدث الأمراض النفسية والإكتئاب لأن الإنسان يعطل الفطرة ويعطل عمل الحواس الطبيعية .

ـ فمن تحقق عنده اليقين الحقيقي بأن الله ربه وبأن الإسلام دينه وبأن محمدا هو رسول الله (ص) فرضي بذلك ووافق عليه ، أي رضي بذلك رضا حقيقيا فإنه ينشأ عن ذلك أن تتعلق مشاعره ب الله وا لآخرة فلا يخاف إلا من الله ولا يحب غيره ولا يرجو سواه ، فيؤدي ذلك إلى السعادة النفسية ، ففي الحديث : ((ذاق طعم الإيمان من رضي ب الله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا))[2] ، إذن فكل مؤمن لابد أن يشعر بحلاوة الإيمان .

ـ أما الإنسان الميت ليس عنده إحساس بالقيمة فقلبه ميت أو قاسي فلن يتحقق عنده اليقين الحقيقي وبالتالي لن يشعر بحلاوة الإيمان ، ففي بحر العلوم للسمرقندي : (({ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً } يعني يابسة ، ويقال : خالية عن حلاوة الإيمان))[3] .

النافع الضار ـ سعادة ؟

ـ وفي المقابل فالشعور بأن الدنيا والأسباب تنفع وتضر فذلك يؤدي إلى الشعور بالهم والقلق والكدر لأ نه عندئذ يحسب لكل شيء ألف حساب وعنده طول أمل في تحقيق أمر دنيوى هنا وآخر هناك ويزداد التفكير والهم بأمور الدنيا ، فهو يتدبر ويتفكر ويستذكر ويحلل ويناقش في أمور الدنيا التي هي صلة الناس بالناس وصلة الناس بالأشياء من حولهم ، لكنه لا يتدبر صلة الناس بالخالق فلا يتفكر في الغيبيات .

ـ فتعلق المشاعر بالدنيا يؤدي إلى الانفعال والغضب على الدنيا والخوف من الموت والخوف على الصحة والخوف من ضياع المال وكل ذلك يؤثر سلبا على الحالة النفسية للفرد وقد يؤدي به إلى إصابته بالأمراض كضغط الدم والسكر .... الخ ، كما يجعله في داخله تعيس غير سعيد قلق دائما على الدنيا ، أما المؤمن فهو واثق بربه لا يحمل هم أي شيء في الدنيا .

ـ التوكل على الله فيه راحة كبيرة لأنه لا يخاف على الرزق ويعتمد على الله في تدبير أموره .

ـ إن الذي لا تتعلق مشاعره بالدنيا والناس فلا يهمه سخط الناس أو رضاهم فيريحه الله من هم الناس ومؤونة الناس ففي الحديث : ((مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمَّ آخِرَتِهِ كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ في أحوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يُبَالِ اللهُ في أيِّ أوْدِيَتِهَا هَلَكَ))[4] ، وفي حديث آخر ((مَنْ كانت الآخرة هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ في قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِىَ رَاغِمَةٌ وَمَنْ كانت

---

(1) شرح حديث لبيك ـ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي ـ دار عالم الفوائد ـ مكة المكرمة (ج : 1 ، ص : 68)
(2) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 3425)
(3) بحر العلوم للسمرقندي - (ج 1 / ص 450)
(4) قال الشيخ الشيخ الألباني : حسن (سنن ابن ماجه ج : 1 ، ص : 95 ، برقم 257)

الدُنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَفَرّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُنْيَا إِلا ّ مَا قُدّرَ لَهُ))[1] ، وفي حديث آخر : ((مَنْ كانت الدُنْيَا هَمَّهُ فَرّقَ اللهُ عَلَيْهِ أمرهُ وَجَعَلَ فَقرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُنْيَا إِلا ّ مَا كُتِبَ لَهُ وَمَنْ كانت الآخرة نِيّتَهُ جَمَعَ اللهُ لَهُ أمرهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُنْيَا وَهِيَ رَاغِمَة))[2] ، وفي تفسير الطبري : ((عن مجاهد في قوله (إنّا أخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدّارِ) قال : بذكر الآخرة فليس لهم همّ غيرها))[3] ، وفي تفسير بحر العلوم للسمرقندي : ((قوله عز وجل : { إنّا أخلصناهم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار } يعني : اختصصناهم بذكر الله تعالى ، وبذكر الجنة ، وليس لهم همّ إلا همّ الآخرة))[4] ، فتوحيد الهم معناه أن لا يكون للإنسان سوى هم واحد فقط هو الله والآخرة فإنه عندئذ يرتاح ، أما المشغول بهموم كثيرة فإنه يتعب .

ـ المسلم عنده رضا بما عنده ، بل يشعر أن ما عنده لم يكن يستحقه فهو زائد عن أهدافه ، لأن الإنسان لا يملك شيئا والمالك لكل شيء هو الله تعالى ، فإذا أعطاه الله شيئا كالماء والهواء فذلك فضل يفرح به .

ـ أما الذي يظن أن ما عنده هو ملك له صنعه من كده وتعبه ، فهو لا يرضى ويريد أن يستزيد لأنه يرى أنه ليس بضعيف وليس عنده صفات الضعف والنقص ، لذلك قد يكون الإنسان غنيا وعنده الكثير من وسائل الرفاهية والراحة لكنه غير سعيد لأنه غير مكتفي وراض بما عنده وعنده طموحات وأهداف لم تتحقق بعد ، وكلما تحقق له هدف من أهدافه يستجد له هدف آخر فيظل في سعي للسعادة ولن يصل إليها لأن الدنيا دار شقاء وليست دار سعادة وإقامة .

الفصل السادس
الشعور بضآلة الإنسان (الشـعور بأن الشهوات لا تستحق خوف المهابة و

ـ الشهوات ذات متعة ضئيلة لسببين :

1ـ بالمقارنة بشهوات ومتع الجنة فتصبح هذه الشهوات مجرد إسم فقط وليست بشهوات .

2ـ هي في حد ذاتها ضئيلة ، ولكن هذه الشهوات مزينة بمظهر خادع جدا بحيث تبدو للناظر على أنها لها متعة هائلة وبالتالي كأن لها قيمة كبيرة ، ولكن إذا كان الإنسان عاقلا ذو بصيرة فإنه يراها على حقيقتها ، وفي هذا الفصل نتناول ضآلة الشهوات في حد ذاتها .

ـ اليقين الحقيقي بضآلة الدنيا :

ـ والإنسان الذي يرى الشهوات ذات متعة كبيرة فينظر لها نظرة انبهار ومهابة وتعظيم وحب ، في حين أنه لا يوقن بوجود الجنة يقينا حقيقيا لأنه لا يشعر بقيمة متع الجنة ، كما أنه لا يشعر بحقيقة قيمة الشهوات في حد ذاتها فهي ضئيلة ، فهو إنسان ميت لا يشعر بحقائق الأشياء وما فيه النفع له .

ـ ولا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم الشهوات من القلب .

ـ أما اليقين الحقيقي بشهوات الجنة لابد أن ينشأ عنه خوف المهابة (الانبهار والشعور بالتعظيم)

---

(1) قال الشيخ الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 642 ، برقم 2465)
(2) قال الشيخ الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1375 ، برقم 4105)
(3) تفسير الطبري - (ج 21 / ص 218)
(4) بحر العلوم للسمرقندي - (ج 4 / ص 21)

وحب الإعجاب بها ، فإذا لم يحدث شيء من ذلك ، فهذا يدل على عدم وجود اليقين الحقيقي بـ الجنة .

ـ إن الدنيا مزينة للإنسان لذلك فهو مستكبر مغرور بنفسه وبما عنده من الدنيا ، ثم جاءت الرسل لتبين له حقيقة ضآلة الدنيا فمنهم من شعر بحقيقة ضآلته فخضع ومنهم من رفض الاعتراف بضآلته فرفض الخضوع ثم تغافل عن الأمر لأنه لا يجد مبررا ودليلا لرفضه الخضوع .

ـ ورغم أن الإنسان يعلم ضآلة نفسه وبالتالي عليه الخضوع فإنه يتجاهل ذلك ويصر على أنه ليس بضعيف وبالتالي لا يخضع ، فيصر على أن ما عنده من شهوات ملكا له وليست نعمة من الله ويصر على أن هذه الشهوات عظيمة القيمة رغم أن الله جعلها ضئيلة حتى لا يفتن بها الإنسان .

ـ فقد تكون مشاعر الإنسان مستكبرة تأبى الخضوع رغم أنه بلسانه وباقتناعه النظري يقول أنه يخضع لله .

ـ الإنسان مخلوق كرمه الله وأعطاه من العقل والقدرة ما يصل به إلى التقدم العلمي والرفاهية ، ولكن الإنسان قد يعتبر أن هذه المميزات هي من تلقاء ذاته ويقول بلسان المشاعر أن الجنس البشري هو الإ له الذي يحكم الأرض ، فكل شيء هو تحته يتحكم فيه وليس شيء فوقه يحكمه .

ـ وعبادة الهوى تنشأ من التزيين والغرور بالدنيا ، فالشيطان يزين للإنسان الشهوات أو المظاهر أو المال أو غير ذلك من أمور الدنيا على أنه شجرة الخلد وملك لا يبلى !! : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[1] ، فمثلا المال ليس له عظمة أو قدر كبير ، ولكن الشيطان يزين للإنسان أن للمال قدر كبير وأهمية وخطورة هائلة ، وأن المال هو الذي تستطيع به شراء كل شيء وشراء سعادتك وفيه كل النفع لك فبه تحيا ومن غيره تموت ، فيصنع للمال عظمة وهمية ، فيشعر الإنسان بعظمة المال ويتعلق قلبه بالمال .

ـ الشعور بصفات النقص عند الإنسان :

ـ صفات النقص عند الإنسان مثل تعرضه للأمراض وللشيخوخة وللموت وحاجته للنوم وتعرضه للنسيان وحاجته للطعام والشراب ، فكل هذا من صفات النقص ، أما الخالق فهذه الصفات غير موجودة عنده ، فله صفات الكمال والجمال ، والشعور بصفات النقص عند الإنسان يجعله يشعر بالا ستسلام والخضوع ، ولكن البعض يوقن نظريا بما عنده من ضعف لكن لا يريد أن يستسلم ويخضع .

ـ التفكر مع حضور القلب لآيات الله في الكون تجعل الإنسان يشعر بمدى ضعف الإنسان ووقوعه تحت سيطرة وهيمنة الخالق .

ـ الذي يعبد هواه يجعل من نفسه إلاها ! :

أنت يجب أن تعيش تبعا لمراد الخالق وليس تبعا لما تريده أنت لأنك عبد ولست حرا : ((أَيَحْسَبُ الإنسان أَنْ يُتْرَكَ سُدًى))[2] ، فالإنسان يظن أن الله خلقه ثم تركه يفعل ما يشاء فيعيش تبعا لما يريده الإنسان لنفسه على أنه له شأنه وهو حر مسئول عن نفسه فيفعل ما يشاء لنفسه ولكنه عبد ليس له أن يفعل ما يريده هو لنفسه ولكن يفعل ما يريده سيده منه ، فيعيش تبعا لمراد سيده ، فـ الذي يعيش تبعا لنفسه هو يعبد هواه ومزاجه : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ً))[3] ، فإذا كان الإنسان يعيش وفقا لما يريده هو فهو يعبد نفسه وهواه وإذا كان يعيش وفقا لما يريده الله فهو يعبد الله ، والإنسان يعلم في نفسه هل يعيش وفقا لأيهما ولكنه يتجاهل .

ـ الإنسان الذي يرفض أن يعيش وفقا لمراد غيره وما يهواه غيره معناه أنه يرفض أن يكون عبدا لأ حد ، فهو يعيش وفقا لمراد نفسه وهواه فيقال أنه يعبد نفسه أو يعبد هواه مجازا ، فهو في الحقيقة

---

(1) طـه : 120
(2) الفرقان : 43
(3) الفرقان : 43

يجعل من نفسه إلها ويرفض أن يكون عبدا .

ـ والإله هو الذي يمتلك صفات العظمة والقوة ، ومن يمتلك صفات النقص والضعف فليس بإله ، ومن ليس بإله فعليه أن يخضع ويسجد للإله ، لأن الضعيف عليه أن يسجد للقوي ، والقوى بحق له أن يستكبر على الضعيف .

ـ الإنسان يجعل من نفسه إلها ويستكبر أن يخضع ، فالله إله بالحق والإنسان إله بالباطل ، وبتعبير آخر فالله إله بالحق والهوى إله بالباطل .

ـ فالاستكبار معناه أن الإنسان يرى نفسه كبيرا وعظيما ويرى ما عنده من شهوات ودنيا كبيرة وعظيمة فيرفض الخضوع لله ، ومعنى أنه يرى نفسه عظيما أي يجعل إلهه هواه : ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا))[1] .

ـ وبتعبير آخر فالإنسان إما أن يسير وفق مراد نفسه فيتبع عقله وهواه ومزاجه ورأيه وشهواته ويكون حرا يفعل ما يشاء ، أو يسير وفق مراد أحدا غيره فيبيع نفسه لغيره يفعل بها ما يشاء فيصبح هو نفسه سلعة تباع وتشترى في سوق العبيد ومن يشترى هذه السلعة فتكون من ضمن ممتلكاته يفعل بها ما يشاء فيكون عبدا مملوكا لسيده الذي اشتراه .

ـ فالإنسان إذا كان هو الذي صنع نفسه بنفسه فأوجد لنفسه عينه وأنفه وأذنيه وأوجد لنفسه ما يمتلك من نعم وأموال وأولاد فهي ملكا له وليس لأحد سلطة عليه أو عطاء أو صنع له شيئا ، ففي هذه الحالة فالإنسان له أن يعيش وفق مراد نفسه وما يشتهيه وهذا حقه فهو حر يفعل ما يشاء ، وهو عندئذ إله .

ـ ولكن الحاصل عكس ذلك فالإنسان هو نفسه عبارة عن مادة مصنوعة يمتلكها من صنعها ، فالإنسان لا يملك شيئا ولا حتى نفسه فكل ما عنده من نعم وشهوات هو محض عطاء من الله فهو ليس إلا سلعة تباع وتشترى ، ففي هذه الحالة يجب على الإنسان أن يعيش وفقا لمراد من صنعه ويمتلكه فيكون محبا لله لما أعطاه خاضعا لله لأنه لا يملك شيئا ولا حتى عقله فكل ذلك من صناعة الخالق .

ـ إذن فالإنسان إما أن يعبد الله أو يستكبر فيعبد نفسه أي يجعل نفسه إلاها ، ولأن مراده الشهوات و الدنيا فهو يعبد الدنيا أي يجعل الدنيا إلاها .

ـ وأصعب شيء على النفس هو التنازل عن كل الممتلكات والأهل والمال والشهوات وعن النفس والا عتراف بملكية هذه الأمور لصاحبها وهو الله فتصبح هذه الأمور بلا قيمة لأنها ليست ملكا للإنسان ، فـ لا يتحقق الإيمان حتى تزول تعظيم قيمة النفس والمال والممتلكات من عقل (قلب) الإنسان : ((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ))[2] والله لا يرضى بأقل من النفس والمال وإسلام كل شيء لله .

ـ الفرق بين اليقين النظري واليقين الحقيقي بضآلة الدنيا :

ـ الدنيا لا قيمة لها فهي زائلة عابرة صئيلة القيمة ، والشيء الذي لا قيمة له ولا نفع فيه ولا ضرر فإن الإنسان يتجاهله ولا يهتم به ويتناساه ويتغافل عنه ولا تتعلق به مشاعره فلا يحبه ولا يكرهه ولا يخافه ولا يرجوه ، فالإنسان يتعامل مع الدنيا كعابر سبيل لا يعيرها اهتماما كثيرا وأعماله الدنيوية تكون فقط لتحصيل الكاد منها ، فإذا أكل إنما يأكل ليسد جوعته فلا يكون الطعام قضيته ولا يسعى لتحصيل المزيد من الطعام وكثرة الأكل فوق الشبع ، وهكذا في سائر أمور الدنيا .

ـ إذن الإحساس بقدر ضآلة الدنيا لابد أن يؤدي إلى :

1ـ التعامل مع الدنيا كعابر سبيل فلا يعطيها كثير اهتمام لأن الآخرة هي التي تستحوذ على الهم لأنها

---

(1) الفرقان : 43
(2) التوبة : 111

الحياة وليست الدنيا .

2ـ لا تتعلق مشاعره وهمومه وأهدافه بها إلا في الله .

3ـ أعمال جوارحه لا تكون منصبة من أجل الحصول على الدنيا وإنما لتحصيل ما يؤدي الغرض .

ـ فإذا لم تحدث هذه الأمور الثلاثة فهذا معناه أن اليقين بضآلة الدنيا هو يقين نظري فقط ، فالذي تهفو نفسه للدنيا وهو مقتنع تماما بضآلة الدنيا فهذا الاقتناع نظري فقط وحقيقة اليقين عنده هو يقين بعظمة الدنيا وعظمة النفع والضرر فيها ، فهو يرى الدنيا على غير حقيقتها وهذا هو التزيين للدنيا .

ـ الإحساس بقدر ضآلة شهوات الدنيا (اليقين بأن شهوات الدنيا والأعمال الدنيوية لعب ولهو) :

ـ شهوات الدنيا من مأكل ومشرب ومتع وملذات ليست بمتع حقيقية ذات قيمة ولكنها مجرد لعب ولهو ، ويجب أن يشعر الإنسان بأنه لا يحصد منها أحد شيئا فهي ضئيلة سواء في ذاتها أو بمقارنتها بمتع الآخرة ، فالدنيا بنص الآيات عبارة عن (لعب ولهو) مثل لعب ولهو الأطفال : ((وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[1] ، ((إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[2] ، ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[3] ، ((وَمَا هَذِهِ الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[4] ، ورغم أن المعرفة النظرية بضآلة متع الدنيا موجود والمعرفة النظرية بآيات القرآن التي تبين ذلك موجود إلا أن مشاعر الإنسان قد تكذب آيات القرآن وتقول عكس ذلك تماما .

ـ الإحساس بقدر ضآلة شهوات الدنيا بمقارنة شهوات الجنة والإحساس بقدر ضآلة آلام الدنيا بمقارنة آلام النار وأهوال القيامة :

ـ سبق أن أوضحنا ذلك في الفصل الثالث ، فذلك أكبر دليل على أن كل متع الدنيا ليس لها أي قيمة على الإطلاق أو أي متعة بالمقارنة بالآخرة سواء بالمقارنة بمتع الجنة أو بالمقارنة بالعقاب على الشهوات في النار وذلك لمن عنده أدنى عقل ، أما المغرور بمتع الدنيا فذلك يدل على عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة عنده ، وكذلك الحال مع آلام الدنيا ، فكل آلام الدنيا ومشاكلها وهمومها ليست بشيء مطلقا وذلك لمن عنده أدنى عقل ، أما من كان ألمه وحزنه وخوفه وغضبه على أمور الدنيا في حين لا يتألم لأمور الآخرة فذلك يدل على عدم وجود اليقين الحقيقي بالآخرة عنده .

ـ فما الحياة الدنيا إلا لحظات يقضيها الإنسان في دار الغربة كعابر سبيل يستعد للرحيل .

ـ الإحساس بضآلة الدنيا وضعف الإنسان أمام عظمة الخالق سبحانه :

ـ قدرة الإنسان وعلمه ليس بشيء أمام قدرة الله وعلمه ، وقدرة الإنسان وعلمه عاجز عن مجرد معرفة مدى اتساع وعظمة الكون ، وكل الكون ليس بشيء أمام قدرة الله ، فما بالك بقدرة الإنسان أمام قدرة الله تعالى .

ـ جاء في الحديث : ((جاء حبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع ، والأرضين على أصبع ، والجبال والشجر على أصبع ، والماء والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع ، ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر تصديقا له ، ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)))[5] .

ـ تحدث الرسول (ص) عن عظمة الله فكان من شدة تأثره أنه كان يتمايل فيتحرك المنبر حتى كاد

---

(1) الأنعام : من الآية 32
(2) محمد : من الآية 36
(3) الحديد : من الآية 20
(4) العنكبوت : 64
(5) التخريج : متفق عليه (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5524)

يسقط ففي الحديث عن عبد الله بن عمر قال : ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال ويتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم))(1) .

ـ وفي حديث آخر : ((يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون))(2) .

ـ وفي حديث آخر : ((يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض))(3) .

ـ وفي حديث آخر : ((ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة بأرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة))(4) .

ـ والفصل الثاني هو بيان لضعف الإنسان أمام عظمة الله سبحانه .

****

***

ـ الإحساس بقدر ضآلة شهوات الدنيا في حد ذاتها

ـ شهوات الدنيا لها مرحلتان هما :

ـ أولا : مرحلة ما قبل الوصول إلى شهوات الدنيا (مرحلة التزيين ـ مرحلة الإغراء ـ مرحلة الأماني) ـ شهوة الإغراء والأماني :

ـ يحدث هنا تزيين حيث يكون هناك تصور وهمي لمدى عظمة هذه الشهوات ، وإذا كان قد حقق هذه الشهوات من قبل فإنه يتناسى ذلك ، لأن الإنسان يشعر بحقيقة ضآلة الشهوات بعد تحقيقها ثم يتناسى ذلك .

ـ وهذه المرحلة فيها متعة وهمية معنوية وليست حسية هي متعة الإغراء ومتعة الإيحاء وهي المتعة التي تسبق الوقوع في شهوات الدنيا ، وهي متعة تجعل الشيء يبدو كأنه كبير في متعته ، وهي تحدث في فترة ما قبل الشهوة حيث يكون الإنسان تحت تأثير الشهوة وليس عقله ثم يفيق لحقيقة هذه الشهوة في فترة ما بعد الشهوة .

ـ شهوات الدنيا كشهوة النساء أو شهوة الطعام والشراب أو شهوة المظاهر ...الخ لها إغراء وتزيين يوحي بأنها متعة هائلة ويوحي بأن الإنسان يمكن أن يستزيد منها بصورة هائلة في حين حقيقة المتعة الفعلية المتحصلة منها قليلة ولا يمكن تكبيرها أو الإستزادة منها ، لذلك فالقضية في الأصل ليست في الوقوع في ذات الشهوة ولكن في الإغراء والتزيين بحيث تبدوا في النفس أنها ذات قدر كبير وهائل وأن الإنسان إذا حصل عليها فقد حصل على المتعة الهائلة ، هذا التزيين هو تكبير حجم قيمة المتعة الحقيقية أضعاف هائلة ، ويقوم بهذا التزيين الشيطان والأغاني والأفلام التي تعظم من حجم الشهوات وغير ذلك ، وحيلة التزيين هي التي عملها إبليس مع آدم : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى))(5) رغم أنها شجرة عادية مثل باقي الأشجار ،

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1429 ، برقم 4275)
(2) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 8101 في صحيح الجامع .
(3) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 8125 في صحيح الجامع .
(4) التخريج : صحيح (السلسلة الصحيحة ج : 1 ، ص : 223 ، برقم : 109)
(5) طـه : 120

كما تلاحظ أن طاقة الإنسان على متعة الطعام أو الجماع محدودة ولكن الشيطان يزين له أنه يستطيع أن يحصل على أضعاف مضاعفة من المتعة ، ومهما استزاد الإنسان من حجم الإغراء بـ المتعة فهذا لن يزيد من حقيقة المتعة شيء ، لذلك قد يكون الإغراء بالشهوة والنظر إلى العورات أشد خطرا من الوقع في الزنا ، لذلك فالشرع لا ينهى فقط عن الزنا ولكن ينهى أيضا عن مقدمات الزنا حتى ولو لم يقع الإنسان في الزنا : ((وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى))[1] .

ـ فشهوات الدنيا ضئيلة ولكنها تبدو كبيرة في ظاهرها ، وفي ذلك خداع كبير لمن ليست له بصيرة ، كما أن الشيطان يزينها في عين الإنسان كما يفعل الساحر حيث يسحر أعين الناس فتبدو الأمور على غير حقيقتها ، إذن التزيين هو تكبير وهمي لحجم الدنيا وقدر الإنسان ، أي هو رؤية الأشياء بحجم أكبر من قدرها الحقيقي فيخدع الإنسان نفسه ، فالإنسان إذا لم ينتبه إلى حقيقة الدنيا فيكتشف حقارتها ، فإنه ينخدع بمظهرها البراق وزينتها الجميلة ، كما أن الشيطان يزين له الدنيا فتكون نظرته إلى الدنيا كبيرة ، وتكون قيمة المال والشهوات في نظره عظيمة ، فيرى حجم السعادة المتحصلة من ذلك كبيرة ، فالشيطان يزين للإنسان أن قيمة الشهوات من طعام وشراب ونساء وأموال وأولاد ومظاهر ومتع ...الخ يزين له ذلك على أنه ذو قيمة كبيرة جدا وأن فيه سعادة هائلة للإنسان ونفع كبير ، وكل شيء فيه معصية يزين الشيطان للإنسان أن فيه سعادة كبيرة وراحة ونفع كبير .

ـ فالعمى هو رؤية الأشياء على غير قدرها ، والبصيرة هي رؤية الأشياء على قدرها الحقيقي ، فمعنى الإحساس بالقيمة أن يتكون عند الإنسان بصيرة يرى بها الأشياء على حقيقتها : ((إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ))[2] ، ((زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))[3] ، ((أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ))[4] ، ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ))[5] .

ـ فمثلا الشيطان قد يزين للإنسان أن ما في يد غيره أفضل مما في يده ، ويزين أن ما يفعله غيره أفضل مما يفعله هو ولو كان ما يفعله غيره خطأ ، ويزين له أن الممنوع مرغوب وإن كان لا قيمة له ، ويجعله يتوهم المتعة في أشياء ضئيلة ، فالشيطان يغير من قيمة الشيء في نظر الإنسان ، فقد يجعل الشيء يبدو عظيم القيمة لمجرد أن الناس يقبلون عليه وهكذا .

ـ فقد لا يقع الإنسان في الشهوات ، لكنه يعيش حياته متمنيا لها قريبا منها يدور حولها وإن لم يقع فيها ، فهو ينشغل باله بالشهوات ويسمع عنها ويتكلم بها ، ويجد سعادته في الإغراء بها وتمنيها ، فهو قد لا يكون غنيا لكنه يتمنى أن يصل إلى الغنى ، وقد لا يكون ليس ذو منصب أو جاه لكنه يتمنى أن يكون ذو منصب وجاه ، وقد لا يصل إلى شهوة الفرج لكنه يتمناها وينظر للعورات ويستمع لكلام الشهوات ، أو قد يكون وقع في قليل من الشهوات السابقة لكنه يتمنى المزيد ، ويظل طول عمره يتمنى حتى يموت ، فإذا كان تعظيمه لهذه الأماني أكبر من تعظيمه لله ، وإذا كانت مشاعره متعلقة بهذه الأماني أكبر من تعلقها بالله فهو يعبد الأماني ، كما أن هذه الأماني تلهيه وتشغله عن معرفة الله تعالى : ((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)))[6] ، ((يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمر اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُور))[7] ((ذَلِكُمْ بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُواً وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ))[8] ، ويموت الإنسان ولا يزال عنده تمني ففي الحديث : ((خط لنا رسول الله صلى

---

(1) الإسراء : من الآية 32
(2) الملك : من الآية 20
(3) البقرة : من الآية 212
(4) محمد : 14
(5) فاطر : 5
(6) الحجر : 3
(7) الحديد : 14
(8) الجاثية : 35

الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسط الخط خطا وخط خارجا من الخط خطا وحول الذي في الوسط خطوطا فقال هذا بن آدم وهذا أجله محيط به وهذا الذي في الوسط الإنسان وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا والخط الخارج الأمل))[1] أي يموت ولا يزال عنده آمال لم تتحقق ، فيظل الشيطان يلهيه حتى يموت .

ـ وربما يكون هناك متبرجات يعيشون حياة القرب من شهوة الزنا ويدورون حولها من قريب أو بعيد دون أن يصلوا إليها ، وكذلك ربما بعض الناس رجالا ونساءا ، وذلك لأن شهوة الإغراء بالزنا أكبر من شهوة الزنا لأن الشيطان يزين لهم ويعظم لهم قيمة الشهوات .

ـ وربما هناك صنف من الناس غافلون عن الله ، وهم لا يفعلون خيرا ولا شرا ، أو ما يفعلونه من شر ليس من الكبائر ولا من المحرمات الكبيرة ، ويفعلون قليلا من الخير ، لكنهم غافلون عن الله وأعمالهم أقرب إلى العادة ، فهؤلاء لو وقعوا في المحرمات أو الذنوب الكبيرة ربما يفيقوا ، لذلك فالشيطان حريص على أن يظلوا كما هم حتى يموتوا .

ـ والمؤمن يعيش في هذه الدنيا في مرحلة ما قبل تحقيق الشهوة ، ولكن الشهوة هنا هي شهوات الجنة .

ـ ثانيا : مرحلة الحصول على شهوات الدنيا (مرحلة الإفاقة لكن مع التجاهل !) :

ـ هذه مرحلة الإفاقة حيث يعي الإنسان حقيقتها بعد أن يعاينها ، والمعاينة أكبر صورة للتصور ، ولكن قد يحدث هنا تجاهل وعدم تدبر لحقيقة هذه الشهوات بعد معاينتها ، لأنه لو تدبر قليلا فإنه يفيق إلى حقيقة ضآلتها ، بل إنه يتجاهل أنه قد حقق هذه الشهوات ويتصور أنه لا يزال لم يصل ويحتاج إلى المزيد منها لأنه لم يحققها ، فيظل يعيش في مرحلة ما قبل الوصول للشهوات .

ـ فمثلا الإنسان الجائع قد يكون عنده تزيين لمدى اللذة في ألوان الطعام والشراب ، ولكن بعد أن يأكل يجد أن القضية هي لقيمات تسد الجوف حيث أن طاقته لا تسمح بمزيد من الطعام وأن لذة الطعام تقل كلما أكل أكثر ، لكنه يتناسى ذلك فكلما جاع اشتهى ألوان الطعام سواء من حيث الكم أو الكيف ، وكذلك الإنسان قبل أن يقضي شهوته ، وكذلك الإنسان قبل أن يصبح غنيا أو قبل أن يحقق المنصب ، فيظل الإنسان دائما يشعر أنه لم يحقق شهوات الدنيا فهو دائما فقير ويحتاج إلى المظاهر ويحتاج لشهوات الطعام والشراب حتى بعد أن يحقق هذه الشهوات : ((... ولو كان لابن آدم واد لأ حب أن يكون له ثان ولو كان له واديان لأحب أن يكون لهما ثالث ولا يملأ جوف ابن آدم إ لا التراب))[2] ، فهو دائما يعيش في مرحلة ما قبل الوصول للشهوات .

ـ شهوات الدنيا ثلاثة أنواع (مثلث السعادة) :

ـ الإنسان يعيش من أجل مثلث السعادة ، وهي شهوة المظاهر وشهوة المال وشهوة النساء والطعام و الشراب ، أو يعيش في مرحلة ما قبل تحقيق هذه الشهوات الثلاث ، فمنهم من يريد ذلك في الدنيا ، لأنه يرى أن مثلث السعادة في الدنيا ، فيعيشون في صراع من اجل مثلث السعادة ، ومنهم من يريد ذلك في الجنة ، لأنه يرى أن مثلث السعادة في الجنة .

1ـ شهوة النساء والطعام والشراب : فالإنسان يجد متعة في النظر إلى العورات والجماع والطعام و الشراب .

2ـ شهوة المال : هي المتع المادية كالتمتع بوسائل الحياة من سيارة ومسكن فاره ووسائل الترفيه وخدم وصحة جيدة .

3ـ شهوة المظاهر : هو شهوة التفاخر بما عنده من منصب أو جاه أو من مال أكثر من غيره وكنز المال أو بما يتمتع به من وسائل رفاهية وسيارة .. الخ أو بما يتمتع به من شهوات النساء أكثر من

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 635 ، برقم 2454)
(2) تحقيق الألباني : (صحيح) : (صحيح الجامع برقم 1781)

غيره والطعام والشراب .

ـ ويتضح ضآلة شهوات الدنيا الثلاثة في أربعة نواحي هي :

1ـ لأن شهوات الدنيا محدودة بحد لا تزيد عليه فالإنسان له قدرة محدودة لا يستطيع بعد هذا الحد ا لاستزادة منها ، حيث يحدث الملل .

2ـ لأنها وقتية فبعد إشباع الشهوة تنتفي الشهوة سواء شهوة الطعام أو شهوة الجماع ، فمن علم ذلك لم يغتر بها واستطاع أن يعالج هذه الشهوات .

3ـ أنها تقل مع تقدم العمر أو ضعف الصحة .

4ـ أنها تزول بزوال الدنيا ، ووقت الدنيا محدود .

ـ وفيما يلي نبين كيف يكون الإحساس بضآلة شهوات الدنيا الثلاثة في حد ذاتها كالتالي :

ـ أولا : الإحساس بضآلة شهوة المال في حد ذاتها

ـ السعادة المادية في الدنيا ضئيلة وتتحقق بثلاثة أشياء هي ما جاء في الحديث : ((من أصبح منكم آمنا في سربه معافى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها))[1] ، فالإنسان لا يحتاج من الدنيا سوى إلى ثلاثة أمور هي :

1ـ مكان ينام فيه : لأنه لو نام في الشارع لنام وهو قلق غير آمن فقد يدوسه شيء أو يؤذيه حيوان أو يسرقه سارق أو يضره التعرض للهواء المباشر ، لذلك يحتاج لمكان محاط بأسوار وسقف حتى يحميه فيستطيع النوم فيه ، ومهما توسع الإنسان في إمتلاك القصور فلا تزيد وظيفة هذه القصور عن أنها مكانا ينام فيه آمنا .

2ـ لقمة يأكلها : لا يحتاج الإنسان من الطعام سوى لقيمات تسد جوفه ، ومهما توسع الإنسان في ألوان الطعام والشراب من الفواكه والأطعمة المختلفة فجميعها يتحول إلى براز يحمله الإنسان في بطنه وينزل إلى المجاري ، فلو زاد عن ذلك تعرض للأمراض ، وفي الحديث : ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير))[2] ، وفي حديث آخر : ((عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ضحاك ما طعامك قال يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير إلى ماذا قال إلى ما قد علمت قال فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا))[3] ، فالمعدة عبارة عن خزان يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهذا ما يؤكده الحديث : ((ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه))[4] ، فالمعدة مجرد وعاء يملأه الإنسان ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهو أسوأ وعاء لأنه كلما امتلأ فرغ ما به وتحول إلى براز يحمله الإنسان في بطنه طوال ليله ونهاره ويخرج منه كأقذر شيء ! .

3ـ أن يكون غير مصاب بالأمراض التي تعيقه عن أن يعيش سويا .

ـ فهذا المستوى كافي لأن يعيش الإنسان سعيدا من الناحية المادية ، ولا يحتاج الإنسان أكثر من ذلك ، والإنسان يتوهم أن الإستزادة والتوسع عن ذلك في وسائل الراحة يحقق له سعادة أكثر ، وفي الحقيقة كلما استزاد لا يشعر بسعادة أكثر ، والإنسان ما لم يقتنع بأن هذه الأمور الثلاثة كافية ليعيش سعيدا هو أضاع على نفسه الشعور بهذه السعادة ، لذلك سيظل يسعى طول عمره لمزيد من التوسع من أمور الدنيا ولن يجد السعادة ، لذلك ففي الحديث : ((منهومان لا يشبعان طالب علم

---

(1) تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : 6042 في صحيح الجامع . ا
(2) تحقيق الألباني (حسن) : (صحيح الجامع برقم 2195)
(3) حديث صحيح : (صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم 2151)
(4) تحقيق الألباني صحيح : (صحيح الجامع برقم : 5674)

وطالب دنيا))[1] ، وفي حديث آخر : ((لو أن لابن آدم واديا من ذهب لابتغى إليه ثانيا ولو أعطي ثانيا لابتغى إليه ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب))[2] ، وفي حديث آخر : ((إن هذا المال خضر حلو فمن أخذه بحقه بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى))[3] .

ـ لو أن إنسان جائع وعريان ولا يملك شيئا ، فإذا جاءته لقمة أحس بفضل كبير وسعادة كبيرة ومتعة كبيرة بهذه اللقمة ، وأحس بالشكر والفضل والتوقير لمن أعطاه هذه اللقمة ، وكذلك فالأصل أن الإ نسان جائع وعريان ولا يملك شيئا ، وما عنده من طعام وملبس ومسكن جاءه من الله من غير أن يكون مستحقا لذلك ، فهو محض كرم وفضل ومنة من الله ، إذن لابد أولا من الشعور بأن الإنسان جائع وعريان ولا يملك شيئا وأن المالك لما عندك من مأكل ومشرب ومسكن ومال والمالك لكل شيء هو الله تعالى (راجع الشعور بأن الله هو المالك بالفصل الثاني) ففي الحديث القدسي : ((يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم))[4] ، فمن شعر بأنه جائع وجاءته لقمة أو عطشان وجاءته شربة ماء قنع بها لأن ذلك بالنسبة له خيرا عظيما لم يكن يتوقعه ولم يكن يستحقه وكان محتاجا إليه وأن ذلك أفضل مما كان عليه بكثير ، لذلك فالشعور بالقناعة هي اعتراف بنعم الله فذلك شكر لله تعالي ففي الحديث : ((كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب))[5] ، ومن هنا تعرف أن القناعة سعادة كبيرة لأنه شعور بامتلاك ما لم تكن تستحقه وما لم تكن تتوقعه وبمدى قيمة النعمة وفائدتها لك ولو كانت شربة ماء ، لذلك فالفقر الحقيقي هو الشعور بالإحتياج ، والغنى الحقيقي هو الشعور بعدم الإحتياج وعندئذ يستمتع الإنسان بما عنده ففي الحديث : ((ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس))[6] ، وفي حديث آخر : ((يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى إنما الغنى غنى القلب والفقر فقر القلب ، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا ، ومن كان الفقر في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا وإنما يضر نفسه شحها))[7] ، وفي حديث آخر : ((سأل موسى ربه .... قال فأي عبادك أغنى قال الذي يرضى بما يؤتى ، قال فأي عبادك أفقر قال صاحب منقوص ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن ظهر إنما الغنى غنى النفس وإذا أراد الله بعبد خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه وإذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه))[8] ، وفي حديث آخر : ((من كانت نيته الآخرة جعل الله تبارك وتعالى الغنى في قلبه وجمع له شمله ونزع الفقر من بين عينيه وأتته الدنيا وهي راغمة فلا يصبح إلا غنيا ولا يمسي إلا غنيا ومن كانت نيته الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه فلا يصبح إلا فقيرا ولا يمسي إلا فقيراً))[9] ، وفي حديث آخر : ((من كانت الدنيا همته وسدمه ولها شخص وإياها ينوي جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه ضيعته ولم يأته منها إلا ما كتب له منها ومن كانت الآخرة همته وسدمه ولها شخص وإياها ينوي جعل الله عز وجل الغنى في قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهي صاغرة))[10] .

ـ فمن الناس من تتوافر عندهم أسباب السعادة المادية ورغم ذلك يعيشون حياة الملل وعندهم

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) : (صحيح الجامع برقم 6624)
(2) التخريج : حسن صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم 1716)
(3) تحقيق الألباني (صحيح) : (صحيح الجامع برقم 2250)
(4) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 4345 في صحيح الجامع .
(5) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 4580 في صحيح الجامع .
(6) قال الشيخ الألباني : صحيح : (الأدب المفرد ج : 1 ، ص : 105 ، برقم : 276)
(7) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع ، برقم 7816)
(8) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة ج : 7 ، برقم 3350)
(9) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3169)
(10) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم 1707)

مشاكل ؟!! ، والذين حققوا كل ألوان السعادة المادية عندهم إكتئاب نفسي وعندهم أكبر نسبة انتحار لأنهم أشبعوا الجسد ولم يشبعوا الروح ، ولأنهم لا يعقلون أنه شاء الله أن لا تكون الدنيا دار سعادة ، ولأن الدنيا منتهية فلا قيمة لما يحصده الإنسان من أمر منتهي ، ورغم أن البعض يعرفون حال هؤلاء الناس الذين حققوا ألوان من أسباب السعادة الدنيوية ولم يشعروا بالسعادة فهم لا يزالون يجرون وراء تحقيق ما حققه هؤلاء الناس !! ، فالذي حقق وسائل السعادة المادية من مال وطعام وشراب وملذات يكتشف بعد أن حققها أنها لا تحقق السعادة وأنه كان مغرورا ، وأما الذي لم يحقق هذه الوسائل فهو مغرور يظن أن فيها تحقيق السعادة ويزين له الشيطان ذلك : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[1] .

ـ رغم أن الكثير من الناس على اقتناع نظري تام بأن المال لا يحقق السعادة ، ورغم علمهم بأن بعض الناس الذين جمعوا من المال ومتع الدنيا الكثير لم يجدوا السعادة في ذلك رغم أن كل أسباب السعادة المادية عنده ، فرغم ذلك لا يزال الكثير من الناس يبحثون عن السعادة في المال كأنهم غير مقتنعين بذلك ، فقول أحدهم إن المال لا يحقق السعادة ينشأ عن اقتناع كاذب بذلك ، فالإحساس بِ ضآلة قيمة المال يتمثل في عدم انشغال البال بتمني المال ، ولو جاء المال فلا يتردد الإنسان في إنفاقه في وجوه الخير ، وأنت الآن تستطيع أن تسأل نفسك بصراحة هل تتمنى بشدة وتحلم أن تعثر على كنز ؟ ، وإذا عثرت على كنز هل ستتردد في إنفاقه للمحتاجين أم ستنفقه كله على نفسك في التوسع في أمور الدنيا ؟ ، إن الرسول (ص) لا يحب أن يكون عنده من الأموال ولو كان مثل جبل أحد ، ولو كان عنده ذلك فلا يأتي عليه ثلاثة أيام حتى يكون قد أنفقه كله في سبيل الله ففي الحديث : ((يا أبا ذر ما أحب أن لي أحدا ذهبا أمسى ثالثة وعندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين إ لا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا يا أبا ذر الأكثرون هم الأقلون إلا من قال هكذا وهكذا))[2] ، وفي حديث آخر : ((ما يسرني أن لي أحدا ذهبا يأتي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا دينارا أرصده لدين علي))[3] ، فالذي يشعر فعلا بضآلة قيمة المال فيسهل عليه إنفاقه للمحتاجين ، فما زاد عن حاجته الضرورية أنفقه لغيره ، ففي الحديث : ((من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، قال فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل))[4]

ـ ويظل الإنسان ينتظر أن يحصل على السعادة من تحصيل المال أو من أن يكون له زوجة أو من أن يكون عنده أولاد أو من تدبير أمورهم الدنيوية على أحسن ما يكون أو من شهوات الطعام والشراب أو من شهوات النساء أو من شهوات المناصب والمظاهر أو من البعد عن متاعب الدنيا وآلامها أو من النجاح في الحياة أو من التغلب على مشاغل الحياة اليومية ، أو من البقاء على صحته أو مظهره كأحسن ما يكون ، فيظل ينتظر أن يجني السعادة من هذه الأمور ، ويظل كذلك حتى يموت ولم يجني شيئا من هذه السعادة ، فالله بين أن السعادة في الدنيا مجرد غرور ومتاع قليل : ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))[5] ، ((فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))[6] ، ورغم الاقتناع التام بأن السعادة في رضا الرحمن وفي الجنة وفي لذة النظر إلى وجه الله الكريم إلا أنه عند البعض هو اقتناع نظري فقط ، أما المؤمن فسعادته في أن يصل إلى رضا الرحمن ويجتنب غضبه ، وسعادته في أن يصل إلى لذة النظر إلى وجه الله الكريم ، وسعادته في أن يصل إلى شهوات النساء الحقيقية التي هي اللذة الحقيقية والكاملة مع النساء التي تحار العيون من جمالهن من الحور العين ، وسعادته في أن يصل إلى متع وملذات حقيقية هائلة في جنات النعيم ، فهذا هو الإنسان العاقل الذي لا يبالي بحياة ضئيلة فانية ، ويصبر قليلا وينتظر حياة الخلود في جنات النعيم ، أما من يبحث عن السعادة في الدنيا فلا

---

(1) طـه : 120
(2) تحقيق الألباني (صحيح) [صحيح الجامع برقم 7826)
(3) تحقيق الألباني (صحيح) [صحيح الجامع برقم 5817)
(4) حديث صحيح : (مشكاة المصابيح ج : 2 ، برقم : 3898)
(5) الحديد : من الآية 20
(6) فاطر : من الآية 5

عقل له : ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ))[1] .

ـ ومن الناس من عنده طول أمل بحيث كلما حقق هدفا دنيويا لم يقنع ولم يحقق له سعادة ، ويستجد له طموحات أكثر وطول أمل أكثر وهكذا يظل يريد أن يصل إلى أهدافه التي يرى فيها الراحة حتى يموت ، فكثير من الناس من يرى الراحة والسعادة حينما ينجح في دراسته ثم ينجح ف لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يتخرج من الجامعة ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يجد عملا ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يتزوج ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في إنجاب الأطفال ثم لا يرتاح لأ نه يرى الراحة في أن يزوج أطفاله ثم لا يرتاح لأنه يرى الراحة في أن يكون ذو صحة وعافية ولا يرتاح الإنسان ويرضى بما هو فيه من العمل فلا يرى في عمله الراحة ويظن أن عملا آخر أفضل ، ولا يرتاح ويرضى بما هو فيه مع زوجته ويرى أن آخرين يعيشون حياة أفضل ولا يرتاح ولا يرضى بمسكنه ويظن أن غيره أفضل ولا يرتاح ولا يرضى ويظل عنده أمل في تحقيق أشياء كلما تحققت لم يجد فيها الراحة وكان عنده آمال أخرى لا تنتهي حتى يموت وهو على ذلك لم يجد الراحة ، فلا راحة في الدنيا ، إنما الراحة في الجنة ، ومثال ذلك مثال الرجل الذي قيل له اجري في هذه الأرض فكلما قطعت مسافة من هذه الأرض فهي لك ، فكان الرجل كلما جرى مسافة يقول لنفسه : كلما أجرى أكثر آخذ مساحة أكبر من الأرض ويظل هكذا لا يتوقف حتى يقع ميتا ، ولا أحد يعجبه حاله أو يرضى بحاله ويقول الشاعر :

صغير يشتهي الكبرا	وشيخ ود لو صغرا
ورب المال في تعب	وفي تعب من افتقرا
وخالى يشتهي عملا	وذو عمل به ضجرا
ويشقى المرء منهزما	ولا يرتـاح منتصرا
فهل حاروا مع الأقدار	أم هل حيروا القدرا

ـ ودائما يجعل الإنسان ما يحتاجه أكثر مما معه من مال ، ويتصور أنه لو جاء إليه قدر معين من المال لحقق ما يريد وارتاح وسعد ، ولكنه كلما زاد دخل الإنسان كلما صنع لنفسه احتياجات أكثر من دخله ، فيظل في احتياج وتطلع وشكوى مستمرة حتى يموت ، فكلما حقق طموحه استجد له طموح آخر ، ودائما يتصور أن ما يطمح إليه هو شيء مهم وضروري لأسباب واهية ، وقد يكون لا داعي له أصلا أو غير مبرر أو لا يحتاج إليه على وجه الضرورة ، ويظل يعمل طول عمره من أجل مستقبله ولن يأتيه المستقبل حتى يموت ، فهو دائما لا يرضى بحاله والوضع الذي هو فيه ويريد التغيير ولو لمجرد التغيير ، فهو غير راض عن مسكنه أو عن عمله أو عن دخله أو عن زوجته وأسرته ، فيظل دائما يبحث عن السعادة وينتظرها فلا يجدها ولا يصل إليها ، والسبب هو أن الذي يعيش للدنيا كلما حقق طموحا فلابد أن يصنع لنفسه طموحا آخر وإلا فلماذا يعيش وماذا يصنع ؟ فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بغير طموح وهدف ، وطالب الدنيا ليس له هدف محدد لأن الدنيا ليست شيئا واحدا فهي ألوان من المظاهر والشهوات والأموال والمتاهات ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب ، أما الذي يعيش للآ خرة فطموحه الجنة ، أما الدنيا فهو يعلم أنه عابر سبيل فلا يطمح فيها ، كما أنه يعلم أن رزقه لا يزيد ولا ينقص لا بطموح ولا بغير طموح وأنه لا حيلة في الرزق ، وأن رزقه لن يأخذه غيره لذلك فهو مطمئن سعيد ، ولذلك ففي الحديث : ((انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم))[2] . |

ـ إن متاع الدنيا يحدث فيه ملل ، فإذا أكثر الإنسان من طعام معين أو شراب معين أو اعتاد عليه فبعد فترة يمل منه ، وكذلك التعود والتكرار في متع الدنيا المختلفة تؤدي إلى الملل ، بل إن وسائل الرفاهية ووسائل التقدم العلمي ليس كلها خير ففيها الضرر على صحة الإنسان وتلوث وضرر على

(1) البقرة : من الآية 171
(2) تحقيق الألباني : صحيح (صحيح الجامع برقم : 1507)

البيئة ، فمتع الدنيا بها كدر ويصاحبها آلام ومتاعب ومشاكل وليست متع خالصة لأن الله أراد ذلك ، ف اللذة الكاملة غير موجودة إلا في الجنة ، كما أن الحصول على متع الدنيا ليس أمرا سهلا لأن المتنافسين عليها كثير ، وهذه المنافسة كالغابة القوي فيها يأكل الضعيف ، أما متع الجنة فلا يمل الإ نسان منها أبدا ، ولا يوجد أي شيء يعكر على الإنسان المتعة ففي الحديث : ((إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا وذلك قول الله عز وجل (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)))[1] .

ـ عن لقمان بن عامر أن أبا الدرداء قال : ((أهل الأموال يأكلون ونأكل ، ويشربون ونشرب ، ويلبسون ونلبس ، ويركبون ونركب ، لهم فضول أموال ينظرون اليها[2] وننظر اليها معهم عليهم حسابها ونحن منها براء))[3] .

****
*

ـ ثانيا : الإحساس بضآلة شهوة النساء والطعام والشراب في حد ذاتها

1ـ الإحساس بضآلة شهوة النساء :

ـ النساء كلهن سواء في شهوة الجماع وكذلك الرجال ، والإنسان البصير هو الذي يعلم ذلك ، ومدخل الشيطان أنه يبين للإنسان أن غير زوجته أفضل منها وأن الشيء الحرام أفضل في المتعة والشيطان لا دليل له على ذلك ، وليس الأمر إلا أنه ظل يوسوس للإنسان حتى صدقه وأطاعه : ((وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأمر إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ))[4] .

ـ شهوة النساء متاع قليل وقبل الجماع غرور بمتاع كبير وأثناءه متعة محدودة بوقت قليل وبعده كأن لم يكن شيء ، فإن شهوات الدنيا ضئيلة ، فالإنسان له قدرة محدودة على الطعام والشراب و الجماع ، بل إنه كلما زاد كلما قلت متعته وربما تعب ، لكن يزين له الشيطان أنها متعة هائلة وأنه يمكن أن يستزيد منها إلى حجم هائل ويزين له أن هذه المتعة تتفاوت بصورة هائلة بين النساء حتى يظل يعيش في مرحلة الغرور بمتاع كبير ، في حين أن هذه المتعة شبه متقاربة بين النساء ، ويقول تعالى : ((وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ))[5] فالشيطان زين له أن هذه الشجرة فيها السعادة والخلود : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[6] رغم أن أشجار التفاح كلها واحدة متشابهة في طعمها ولكن الشيطان زين لآدم أن هذه الشجرة أفضل ، وكذلك فإن متعة النساء كلها متشابهة ولكن الشيطان يظهر عورات النساء لكي يظن ا لإنسان أن غير زوجته أكثر متاعا ، فيقول له أن هذه المرأة التي هي غير زوجته هي شجرة الخلد وملك لا يبلى !! ، فإن أي امرأة إذا أظهرت مفاتنها وعوراتها فيبدو كأن فيها متعة أكثر ، فالمظهر خادع سواء بإظهار العورات أو بجمال الخلقة لأن حقيقة المتعة واحدة بين النساء لذلك يقولون إذا انطفأ النور تساوت كل النساء ، فحتى لو كانت المرأة قبيحة لكنها كلما تظهر عوراتها وترتدي ألوان الزينة فتبدوا أنها ذات جمال كبير على عكس حقيقة ما فيها ، فالمرأة القبيحة إذا ارتدت ثابا تكشف العورات وتضع ما يثير الشهوات فإنها تبدو جميلة وأن فيها متعة كبيرة ، وكما يقولون في المثل الشعبي : (لبِّس البوصة تبقى عروسة) ، فمن ينتبه إلى حقيقة الجماع يكتشف أنها قضية ضئيلة

(1) حديث صحيح : (صحيح الترغيب والترهيب : ج : 3 ، برقم 3771)
(2) يريد أنهم لا ينتفعون بها وإنما يقتصرون على النظر إليها ، وليس في النظر نفع على الحقيقة .
(3) تقريب زهد ابن المبارك - (ج 1 / ص 95)
(4) إبراهيم : من الآية 22
(5) البقرة : من الآية 35
(6) طـه : 120

تافهة ولذة مؤقتة تزول سريعا ونصيب الإنسان من هذه اللذة طوال عمره شبه ثابت بين الناس لا يزيد ، فلا تستحق أن تشغل الناس كل هذا الانشغال ، ولكن المظهر ووسائل الإغراء توحي بمتعة كبيرة وفي الحقيقة هي متعة ضئيلة وقتية ، لذلك توصف متع الدنيا بأنها متاع الغرور وبأنها متاع قليل ، وهذه حيلة الشيطان : ((يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا))[1] ، فحجم الإغراء كبير لكن حقيقة المتع ضئيلة ، ولذلك يسمى متاع الدنيا بمتاع الغرور لأنه متاع إغراء وليس بمتاع حقيقي : ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ))[2] ، ((فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))[3] ، ومن أثر ذلك أن الإنسان رغم اقتناعه النظري بعدم النظر إلى عورات النساء قد ينظر وذلك لأن حقيقة ما عنده في الاقتناع النظري يختلف عن حقيقة ما عنده في المشاعر ، والأدلة على أن المتعة بين النساء متشابهة ما جاء في الحديث : ((عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله **فإن معها مثل الذي معها**))[4] ، وفي حديث آخر : ((إذا رأى أحدكم المرأة التي تعجبه فليرجع إلى أهله حتى يقع بهم **فإن ذلك معهم**))[5] ، وفي حديث آخر : ((إن المرأة إذا أقبلت أقبلت في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله **فإن الذي معها مثل الذي معها**))[6] .

ـ إن حجم التزيين يكبر في الإنسان حتى إذا أتى شهوته انطفأ ذلك التزيين واكتشف ضآلة المتعة وأنها متشابهة بين النساء ، ولذلك في الحديث : ((إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه))[7] ، يقول الإمام القرطبي رحمه الله : ((قوله : (فإن ذلك يردّ ما في نفسه) وللردّ وجهان أحدهما : أنّ المنّي إذا خرج ؛ انكسرت الشهوة وانطفأت ، فزال تعلق النّفس بالصّورة المَرئية ، وثانيهما : أن محل الوطء والإصابة متساوٍ من النساء كلهن ، والتفاوت إنما هو من خارج ذلك ، فليُكْتَفَ بمحلّ الوطء ، الذي هو المقصود ، ويُغْفَل عمّا سواه ، وقد دلّ على هذا ما جاء في هذا الحديث في غير "الأم" بعد قوله : (فليأت أهله) ، (فإن معها مثل الذي معها)))[8].

ـ فإذا لم يأتي أهله و إذا لم يوقن أن الذي معها من المتعة مثل الذي عند زوجته من المتعة زين له الشيطان الشهوات ووقع في شهوات النساء ثم يشغل ذلك مشاعره حتى يصير عبدا للشهوات ، ولأن المشاعر هي التي تحرك الإنسان للعمل ، فقد يكون عمل الإنسان ومعاصيه تحت تأثير الشهوة أو متأثرا بشهواته ، وذلك إلى أن يقضي شهوته ، فإذا قضي شهوته أفاق واستحقر تصرفاته وعمله ، ولذلك يحث الرسول (ص) الزوجة والزوج على سرعة قضاء الشهوة ، ففي الحديث : ((إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته وإن كانت على التنور))[9] ، وفي حديث آخر : ((والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها))[10] ، وفي حديث آخر : ((لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب))[11] ، كما يحث الإسلام على الزواج وتيسيره ، فالمؤمن يعيش حياته تحت

---

(1) الأعراف : من الآية 27
(2) الحديد : من الآية 20
(3) فاطر: من الآية 5
(4) التخريج : صحيح (جامع الترمذي ج : 3 ، ص : 464 ، برقم : 1158)
(5) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 552 في صحيح الجامع .|
(6) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1939 في صحيح الجامع .|
(7) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 15 ، برقم 2625)
(8) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم - (5 / 452 ، 453) للإمام القرطبي .
(9) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 534)
(10) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 7080 في صحيح الجامع)
(11) التخريج : حسن صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم : 1939) والقتب هو الرحل الذي يوضع

تأثير أو متأثرا بحب الله والخضوع له والخوف من الآخرة ، أما الكافر فيعيش حياته تحت تأثير أو متأثرا بشهواته (وذلك مفهوم عبادة الهوى) ، وكذلك فإن حجم التزيين يكبر في الإنسان حتى إذا وقع في المعصية انطفأ ذلك التزيين واكتشف ضآلة المتعة وأنها غرور ولذلك ففي الحديث : ((إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان))[1] ، فهذا التزيين هو شعور بحب الدنيا فإذا ظل الإنسان بدون توبة يظل حب الدنيا يكبر حتى يصبح عبادة للهوى .

ـ فالعاقل لا تغره أشكال النساء ومظاهرهن الخارجية لأن كلهن متشابهات في شهوة الجماع و الحديث يوضح ذلك جليا : ((... فإن الذى معها مثل الذى معها))[2] ، والجماع ما هو إلا لذة خروج المني ، والإنسان له قدرة محدودة على مسألة خروج المني ، فعدد مرات خروج المني متشابهة بين ا لأشخاص من نفس الأعمار ، وإذا حاول الإنسان الاستزادة من عدد مرات الجماع قلت متعته ، فهذه حقائق يعلمها الناس ولكن بطريق المعرفة النظرية ولكن الشيطان يسول لكل إنسان أنه يمكن أن يستزيد من هذه المتعة إلى مالا نهاية ، كما أن المرأة القبيحة إذا تزينت وأظهرت مفاتنها فإنها تبدو كأجمل النساء فينخدع بها الجاهلين ، بل إن جمال المرأة لا يزيد عن كونه تهيئة أو تقدمة لشهوة الجماع في حين أن شهوة الجماع شبه واحدة كما ذكرنا .

ـ فلابد من الشعور بطبيعة تركيب الشهوة في الإنسان حيث أنها مثل البالون تظل تكبر وتنتفخ ثم تنفجر وتنطفئ وتنتهي في لحظة كأن لم تكن ، فيتعامل معها الإنسان مثل الكلب الذي يظل يجري وراءه فيشغله ويضايقه من كثرة النباح ، فيلقي له بلقمة حتى يسد فمه ويبعد عنه .

ـ كما أن اللذة التي تنشأ من شهوة النساء تنشأ من أمرين هما الجماع نفسه ـ وهذا هو الأساس في حصول اللذة ـ مع وجود قدر ضئيل من العاطفة كتهيئة لهذا الجماع ، ولكن الناس يضخمون هذا القدر الضئيل من العاطفة ، ويعيشون حياتهم في تضخيم هذه العاطفة تحت إسم (الحب) يقصدون به تضخيم شهوة النساء وعبادة الجماع (أي يكون أكبر مشاعره متعلقة بشهوة النساء و الجماع) ، فتكون قضية حب النساء هي أكبر مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم والذي يشغل تفكيرهم وربما يكون أكثر كلامهم حول هذا الأمر ، فالله جعل هذه العاطفة من الحب تجاه المرأة مطلوبة ولكن بقدر ضئيل والمقصود به مودة بين الزوجين وتهيئة قبل الجماع ، وهذا كنوع من الاختبار ليرى الله هل يضخم الناس أهمية هذا القدر من العاطفة حتى يكون أكبر مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم ـ رغم أن اللذة محدودة وتنشأ أساسا من الجماع نفسه وبقدر ضئيل من هذه العاطفة ـ أم لا ؟ ، ومن تضخيم هذه العاطفة النظر إلى العورات والحديث حول الجماع ومقدماته وسماع الأغاني التي تضخم محبة المرأة حتى يجعلها المحبوب حياته وأنه لا يستطيع أن يعيش من غيرها وما يدور حول هذا المعنى فيتوهمون في ذلك شهوة كبيرة رغم أنها شهوة ضئيلة ، وهذا التوهم نوع من الهروب لما يعرفونه في قرارة أنفسهم من أن شهوة الجماع وقدرة الإنسان عليها محدودة ولا يستطيع الإنسان أن يستزيد منها فوق ما وضعه الله من قدرة الإنسان على الجماع ، وبدلا من أن يشعر الإنسان أنه لا يستطيع أن يعيش أو يتنفس بغير الخالق فهو الذي يرزقه ويمده بما يحتاجه فيحب الله تعالى ، فهم يستبدلون هذا الحب بحب غير الله من النساء والمخلوقات .

ـ والحكمة من وجود هذا القدر الضئيل من لذة الجماع ولذة الطعام والشراب هو أن الله يجعلك تذوق فقط شيئا من طعم اللذة حتى تعرف اللذة الحقيقية التي هي في الجنة ، فاللذة في الدنيا مجرد اسم فقط ، أما اللذة في الجنة هي اللذة الكبرى الحقيقية : ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ))[3] ، وبغير هذا القدر الضئيل

حول سنام البعير تحت الراكب

(1) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 586)

(2) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 1939 في صحيح الجامع .|

(3) البقرة : 25

من اللذة في الدنيا لم يكن يعرف الإنسان ماذا يعني لذة الجنة ، ومن ناحية أخرى فإن لذة شهوة النساء تؤدي إلى الذرية فبغيرها قد يزهد الناس في الجماع ، وهذه حكمة أخرى من عند الله تعالى .

2ـ الإحساس بضآلة قيمة الطعام والشراب :

ـ الإنسان له قدرة محدودة على تناول الطعام والشراب لا يستطيع أن يستزيد منها ، ولذة الطعام تقل كلما أكل الإنسان أكثر ، فالجائع الذي طال جوعه إذا وجد لقمة من خبز استمتع بطعمها ، والإنسان الذي شبع وامتلأت بطنه إذا أكل ألوان من اللحوم وغيرها فلن يشعر لها بطعم ، كما أن الأمراض تحدث من كثرة الطعام ويصبح الإنسان محروما من بعض الأطعمة حتى يحافظ على صحته ، ولا يستطيع الإنسان أن يأكل طعام كثير يكفيه ليومين مثلا ثم يبتعد عن الطعام يومين ، وبالمثل لا يستطيع أن يكثر من شهوة الجماع ، كما أن شهوة الطعام وشهوة الجماع تقل مع تقدم العمر ، وبالمثل لا يستطيع الإنسان النوم لمدة يومين ثم الاستيقاظ لمدة يومين ، وإذا أكثر الإنسان من الطعام والشراب أو الشهوات فإنه يمل ، وهكذا تجد أن قدرة الإنسان محدودة ومقننة بوضع معين في الدنيا أما في الجنة فهذه القيود تزول .

ـ ولذلك فالشرع يأمرنا بألا نفرط في الاهتمام بالطعام والشراب بحيث يكون طعامنا كيفما اتفق ففي الحديث : ((ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه))[1] ، وفي حديث آخر : ((ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن حسب الآدمي لقيمات يقمن صلبه فإن غلبت الآدمي نفسه فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس))[2] ، وفي حديث آخر : ((إن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا))[3] ، وفي رواية أخرى : ((تجشأ[4] رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال كف عنا جشاءك فإن أكثرهم شبعا في الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة))[5] ، كما أن الإنسان في الدنيا هو عابر سبيل ، وعابر السبيل لا يهتم كثيرا بالطعام والشراب فالشخص المسافر يأكل (سندوتشات) مثلا أثناء سفره ، ولا يهتم كثيرا بنوعية الطعام أو بترتيبه وإعداده ، فالطعام عنده مجرد لقيمات يسد بها جوعته ، ولذلك ففي الحديث : ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[6] .

ـ الشيطان يزين للإنسان بأن الفارق بين الأطعمة المختلفة كبير جدا ، رغم أنه من له بصيرة لا يرى فارق كبير ، كما أن الشيطان يزين للإنسان أن يأكل من أجل اللذة ، أما من له بصيرة فهو يأكل إذا جاع ويأكل فقط ما يسد جوعته لا أكثر .

ـ كما أن الطعام القليل والطعام الضئيل في قيمته الغذائية يقلل من الشهوة ، وهذا أمر مطلوب ، أما الطعام عالي القيمة الغذائية فيزيد من الشهوة .

ـ فالمعدة عبارة عن خزان يمتلئ ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهذا ما يؤكده الحديث : ((ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه))[7] فالمعدة مجرد وعاء يملأه الإنسان ليفرغ ويفرغ ليمتلئ ، وهو أسوأ وعاء لأنه كلما امتلأ فرغ ما به وتحول إلى براز يحمله الإنسان في بطنه طوال ليله ونهاره ويخرج منه كأقذر شيء ! .

ـ الطعام عند المؤمن هو مجرد شيء يسد الجوف غير مبالي كثيرا بنوعه ولا بكميته فالأطعمة متقاربة في عينيه وهذا يجعل شعوره بالشبع يتم بعد قليل من الطعام يسد جوفه ، أما الذين يتبعون الشهوات فعندهم تزيين لحجم شهوة الطعام وقيمته ونوعه فهو يعطل الشعور بالجوع والشبع

---

(1) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم : 2135)
(2) قال الشيخ الشيخ الألباني : حسن (سنن ابن ماجه ج : 2 ، ص : 1111 ، برقم 3349)
(3) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة ج : 7 ، برقم : 3372)
(4) هو خروج صوت من الحلق يدل على الشبع وبالعامية أي (تكرع) .
(5) قال الشيخ الألباني : حسن (ج : 4 ، ص : 649 ، برقم : 2478)
(6) السلسلة الصحيحة (1157)
(7) تحقيق الألباني صحيح : (صحيح الجامع برقم : 5674)

الطبيعي الذي يتم في الإنسان لكي يأخذ الإنسان ما يحتاجه فقط فيتأخر الشعور بالشبع عنده ، ولذلك ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف كافر فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه ثم أصبح من الغد فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أمر له بأخرى فلم يستتمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبعة أمعاء))[1] .

****
**

ـ ثالثا : الإحساس بضآلة شهوة المظاهر في حد ذاتها

ـ شهوة المظاهر تنشأ من غرور الإنسان بنفسه وعدم الإحساس بقدر ضعف الإنسان ، وينشأ عنها العجب وحب النفس وحب المظاهر والكبر والحسد ... الخ ، وكالتفاخر بالأولاد والزوجات والأقارب و الممتلكات والأموال وغير ذلك .

ـ الإحساس بقدر ضآلة الإنسان يؤدي إلى الشعور بالخضوع لله تعالى ، وإذا لم يشعر الإنسان بضآلته فلن يشعر بالخضوع لله تعالى ، فهو عندئذ عنده إباء واستكبار عن الخضوع لله تعالى .

ـ الإنسان ضئيل القيمة أوله نطفة مذرة (أي نطفة لا قيمة لها ولا حياة فيها) وآخره جيفة قذرة ، وهو بين ذلك يحمل العذرة (أي يحمل في أمعاءه البراز النتن أثناء حياته) ، ((كما ورد أن بعض الأ مراء لقي بعض البله في طريق فلم يفسح له ، فغضب وقال : كأنك ما تعرفني ؟ فقال بلى والله ! إني لأعرفك ، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة))[2] ، ((فتفكر فيما قال ابن السماك للرشيد وقد دعا بحضرته بقدح فيه ماء ليشربه، فقال له : يا أمير المؤمنين فلو منعت هذه الشربة بكم كنت ترضى أن تبتاعها ؟ فقال له الرشيد : بملكي كله ، قال : يا أمير المؤمنين فلو منعت خروجها منك بكم كنت ترضى أن تفتدي من ذلك ؟ قال : بملكي كله ، قال ؟ يا أمير المؤمنين أتغتبط بملك لا يساوي بولة ولا شربة ماء !))[3] وفي رواية أخرى قال له ابن السماك : ((ف لا خير في ملك لا يساوي شربة ولا بولة !))[4] ، ويقول الشاعر : نسي الطين يوما أنه طينا ...... فصال تيها وعربدا .

ـ فالإنسان ضعيف : ((أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أنّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ))[5] ، ((هَلْ أتى عَلَى الإنسان حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئا مَذْكُورا))[6] ، ((وَخُلِقَ الإنسان ضَعِيفا))[7] ، ومما يدل على ضعف الإنسان أنه ينام فذلك من صفات النقص .

ـ ومن عرف ضآلة نفسه وضآلة الدنيا فقد عرف عظمة الله وعرف خطورة الآخرة ، وفي نظم الدرر للبقاعي : ((رأس الفسق الجهل بالله ، ورأس العلم ومفتاح الحكمة معرفة النفس ، فأعرف الناس بنفسه أعرفهم بربه « من عرف نفسه فقد عرف ربه »))[8] ، وفي تفسير حقي : ((قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه « من عرف نفسه فقد عرف ربه »))[9] ، والعكس صحيح فهناك من يعبد نفسه وهناك من يعبد الشهوة فهو مغرور بنفسه وبالدنيا .

---

(1) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 267 ، برقم 1819)
(2) نظم الدرر للبقاعي - (ج 2 / ص 342)
(3) الأخلاق والسير - (ج 1 / ص 18)
(4) سراج الملوك - (ج 1 / ص 12)
(5) يّـس: 77
(6) الإنسان : 1
(7) النساء : من الآية 28
(8) نظم الدرر للبقاعي - (ج 8 / ص 453)
(9) تفسير حقي - (ج 10 / ص 18)

ـ إن مفهوم الإحساس بقدر كلمة "إله" معناه أن يعيش الإنسان حياته رهينا خاضعا له ، أي تصبح وظيفته في الحياة ومهمته الأولى التي يكرس حياته من أجلها هي أن يعمل عند الله عبدا كما يعمل الخادم عند سيده فيعيش عمره كله على هذا ، فهذا اختار أن يكون عبدا لله ، أما غيره فاختار أن يعيش حرا كأن لا أحدا يملكه ولا يتبع لأحد وكأنه هو الذي أوجد نفسه أو لا أحد أوجده ، ولا حظ أن : ((الخلق كلهم عبادُ اللّٰه كما قال تعالى : { إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً (93) } ، فكلُّ الخلق عباد الله المؤمن والكافر ، ولكن العبودية على قسمين: عبوديّة عامّة : وهذه تشمل جميع الخلق المؤمن والكافر كلّهم عبادٌ لله تعالى ، بمعنى : أنّهم مملوكون لله، مخلوقون لله، يتصرّف فيهم، ويدبّرُ أمورهم ، لا يخرُج عن هذا أحد من الخلق ، النوع الثاني : عبوديّة خاصّة : وهي عبوديّة التألُّه والمحبّة ، وهذه خاصّة بالمؤمنين : { قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ } ، { يَا عِبَادِ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ } ، فهذه عبوديّة خاصّة بـالمؤمنين))[1] .

ـ ومما يدل على ضعف الإنسان : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ، مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ))[2] ، فالإنسان لا يستطيع أن يصنع ولو ذبابة .

ـ ومما يبين ضآلة الكون أنه لم يكن له وجود قبل خلقه فلم يكن غير الله وحده ففي الحديث : ((كان الله ولم يكن شيء قبله))[3] ، ومما يبين ضآلة الإنسان أنه لم يكن له وجود قبل خلقه فكانت الأرض موجودة وعليها الحيوانات ولم يكن الإنسان موجودا فيقول تعالى : ((هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شيئا مَذْكُوراً))[4] ، ومما يبين ضآلة الإنسان أيضا أنه كان نطفة لا قيمة لها ولا حياة فيها فكيف لا يخضع لله : ((قُتِلَ الإنسانِ مَا أَكْفَرَهُ ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ))[5] ، ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[6] .

ـ ومن أثر غياب الإحساس بضعف الإنسان التكبر على الناس وحب المظاهر والتعالي عليهم وعدم محبة الخير لهم وتمني زوال ما عندهم .

ـ وبمعنى بسيط معني إله أي الذي له صفات القوة ، ومعنى عبد أي الذي له صفات الضعف ، فإذا شعر الإنسان بذلك شعر بأنه عبد لله ، فالضعيف يخضع للقوى ، وإذا رفض أن يشعر باستسلامه فهذا هو كفر الإباء والاستكبار القلبي .

ـ فعندما يغفل الإنسان عن حقيقة نفسه فلا يتنبه إلى ضآلته ، ويزين الشيطان للإنسان أنه ذو قدر عظيم وكبير ، فتكون نظرة الإنسان لنفسه أنه ذو شأن هام عظيم القدر وأن له إمكانيات وقدرات وسيطرة وعلم كبير ، فيغتر بما عنده من عقل ذو قدرات هائلة ، وأنه هو الذي صنع التقدم العلمي الهائل والتكنولوجيا المبهرة ، وأنه يستطيع أن يصنع الأعاجيب ، وأن ما عنده من مال أو صحة أو ممتلكات أو صحة جسدية أو جمال أو نعم فهي من صنع يده ونتيجة لكده وعلمه وخبرته ، وأنه حر وله الحقوق والسيطرة وقدرات كبيرة ، وأنه ليس بضعيف أو ناقص أو يحتاج لغيره فهو يعتمد على نفسه ولا يذل لأحد وليس لأحد عليه سلطان أو مذلة أو حق ، ولا يدري أنه بذلك يتعالى على الله

(1) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد - (ج 3 / ص 352)
(2) الحج : 73 ، 74
(3) التخريج : صحيح (تخريج الطحاوية : برقم : 139)
(4) الإنسان : 1
(5) عبس : 17 ـ 19
(6) البقرة : 28

ويستكبر أن يخضع له : ((إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ)) [1] ، فإنه ينسى أو يتجاهل قدر عظمة الله ، وينسي أو يتجاهل قدر ضآلة نفسه ومدى ضعفه : ((أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ))[2] ، فيشعر الإنسان بأنه ذو قدر عظيم ، وتتوجه مشاعره تجاه نفسه فيعبد ذاته ، فيعتز بنفسه ويرى العزة لنفسه وليست لله : ((فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً))[3] .

ـ خطورة الإحساس بضآلة الإنسان وضعفه :

ـ غياب الإحساس بقدر ضآلة الإنسان وضعفه هو كفر إباء واستكبار قلبي .

ـ طالما غفل الإنسان عن قدر المخلوق من الضآلة غفل عن قدر الخالق من العظمة ، فلا يتنبه إلى مدى عظمته وقدرته ، ويزين الشيطان للإنسان أن ينسى قدر الله كأنه ليس ذو قدر عظيم وكبير ، فتكون نظرة الإنسان للخالق مثل نظرته لأي أحد من البشر من حيث غياب الإحساس بمدى قدره ، ف لا يشعر الإنسان بقدر الله كأن الله غير موجود أو موجود ولكن ذو قدر ضئيل ، وبالتالي لا تتأثر مشاعره بالخالق ، فإذا لم يتحقق الإحساس بضآلة نفسه وضآلة الدنيا وما فيها لم يشعر بعظمة الله وبخطورة الآخرة ، فكلاهما وجهان لعملة واحدة ، فكلاهما يحدثان معا بالضرورة ، أي إذا حدث الأول ترتب عليه حدوث الآخر بالضرورة .

ـ اليقين بحقيقة الدنيا :

ـ إن الدنيا مثل الطعام الذي يأكله الإنسان مهما كان طعاما جيدا فإنه يصير إلى براز ففي الحديث : ((إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلا للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير))[4] ، وفي حديث آخر : ((عن الضحاك بن سفيان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ضحاك ما طعامك قال يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير إلى ماذا قال إلى ما قد علمت قال فإن الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا))[5] ، فإذا كان الإنسان يوقن بذلك يقينا حقيقيا فلن تتعلق مشاعره بالدنيا .

ـ ومما يبين ضآلة قيمة المال ما جاء في الحديث : ((عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال يقول ابن آدم مالي مالي ، قال وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت))[6] أي لا يحتاج من ماله إلا ما يأكله وما يلبسه وكلاهما يفنى ويترك الإنسان ماله ومسكنه وأهله بعد الموت فما نفعه ذلك بشيء ، ((مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ))[7] ، وفي الحديث : ((الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالما أو متعلما))[8] .

ـ وآيات القرآن تبين ضآلة الدنيا : ((إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ))[9] ، ((وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا))[10] .

---

(1) الصافات : 35
(2) يس : 77
(3) فاطر : من الآية 10
(4) تحقيق الألباني (حسن) : (صحيح الجامع برقم 2195)
(5) حديث صحيح : (صحيح الترغيب والترهيب ، ج : 2 ، برقم 2151)
(6) حديث صحيح : (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5169)
(7) النحل : من الآية 96
(8) قال الشيخ الألباني (حسن) : (سنن ابن ماجة ، ج : 2 ، ص : 1377 ، برقم 4112)
(9) يونس : 24
(10) الكهف : 45

ـ الرسول (ص) يصف الدنيا على أنها جيفة قذرة ففي الحديث عن جابر بن عبد الله : ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السوق داخلا من بعض العالية والناس كنفيه فمر بجدي أسك ميت فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال أيكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ، قال : أتحبون أنه لكم ، قالوا : لا ، قال ذلك لهم ثلاثا ، فقالوا لا والله لو كان حيا لكان عيبا فيه أنه أسك ـ والأسك الذي ليس له أذنان ـ فكيف وهو ميت ، قال : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم))[1] ، وفي حديث آخر : ((لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء))[2] ، وفي حديث آخر : ((... وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإ يمان إلا من أحب))[3] ، وفي الحديث : ((عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فقام وقد أثر في جنبه قلنا : يا رسول الله لو أتخذ لك وطاء فقال : ما لي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل شجرة ثم راح وتركها))[4] .

ـ إن هذه الألوان من السعادة في الدنيا هي إغراء فقط وتوهم للسعادة وحجم السعادة الحقيقية فيها ضئيل جدا ، كما أن طاقة الإنسان وتركيبته لا تسمح إلا بقدر ضئيل ومحدود منها ، لذلك يسميها الله بمتاع الغرور ، فالإنسان له قدر معين محدود من السعادة المادية لا يستطيع أن يزيد عليه ، بمعنى أنه كلما أكل الإنسان أكثر كلما قلت متعته بالطعام ، بل إن زيادة الطعام تسبب تعب وأمراض بل وربما حرمان من ألوان أخرى من الطعام ، وبالمثل شهوة الجماع وباقي الشهوات ، وربما تسمع أغاني لمن خاضوا تجارب في شهوات الدنيا ليس فيها غير الألم والندم وأنهم لم يجدوا السعادة التي كانوا ينشدونها .

ـ فإنما سميت الدنيا بذلك لأنها دنية ، وإنما سمي المال بذلك لأنه يميل بأهله .

ـ إن الذي يتدبر الآيات التي تبين حقيقة الدنيا فإنه يتصور في ذهنه ضآلة الدنيا ، فالدنيا بنص الآ يات عبارة عن (لعب ولهو) مثل لعب ولهو الأطفال : ((وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[5] ، ((إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[6] ، ((اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ))[7] ، فمعنى أن الدنيا لعب ولهو أي أن الدنيا والأعمال الدنيوية عبارة عن لعبة يلعب بها الناس وملهى يلهو به الناس ، والمطلوب من المسلم أن يخرج من هذه اللعبة ومن هذا الملهى فلا يشغله ويلهيه عن الله ، ((وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ))[8] فما أوتيت من مال وصحة وهواء ومال وعقارات ومظاهر ومناصب ... فمتاع الحياة الدنيا الضئيلة الزائلة ، فيجب أن تكون كذلك في المشاعر وليس في الاقتناع النظري فقط ، أي يشعر المرء بمدي حقارة الدنيا .

ـ حقيقة الإعتقاد عند البعض هو أن المال هو الذي يحقق السعادة ، وأن المشكلات التي يعانيها الحل لها هو المال ، وعند البعض الآخر أن سبب المشكلات عنده هو ضعف الغذاء سواء من حيث الكم أو الكيف وأن ذلك يؤدي إلى السعادة التي في نظره جسم قوي واستمتاع بالطعام الشهي ، وعند البعض الآخر السعادة عنده هي الحصول على متع شهوات النساء سواء من النظر إلى عورات النساء أو من شهوات الجماع ، إذن فالبعض يرى السعادة في المال ، والبعض يراها في شهوة الطعام والشراب ، و البعض يراها في شهوة النساء والبعض يراها في شهوة الجسم القوى أو المظهر الحسن ، والبعض يراها في المظاهر والمناصب وهكذا ، ومنهم من يري السعادة في كل ذلك أو بعض ذلك ، فهو يعبد المال والشهوات والمظاهر وذلك لأن أكبر مشاعره متعلقة بذلك ، أما في الاقتناع النظري فهو مقتنع

---

(1) قال الشيخ الألباني : ص-ح-ي-ح (الأدب المفرد ج : 1 ، ص : 334 ، برقم : 962)
(2) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3240)
(3) حديث صحيح (السلسلة الصحيحة برقم 2714)
(4) حديث صحيح بشواهده : (رياض الصالحين ، ص : 230 ، برقم : 490)
(5) الأنعام : من الآية 32
(6) محمد : من الآية 36
(7) الحديد : من الآية 20
(8) القصص :60

نظريا أن القناعة كنز لا يفنى وأن السعادة في الجنة ! ، فقد يكون الإنسان مقتنعا نظريا بأن السعادة ليست في المال رغم أن كل فرحه وحزنه وهمه وأهدافه متعلقة بالمال ، ومن أثر ذلك أن يكون كل سعيه للمال .

ـ إن الدنيا ليست بشيء ، ولو كانت الدنيا ـ يا عباد الله ـ ذهبًا يفنى والآخرة خزفًا يبقى لكان العاقل اللبيب هو من يفضل الخزف الباقي على الذهب الفاني ، فكيف والدنيا خزف يفنى والآخرة ذهب يبقى؟! ، كيف يفضل الخزف الفاني على الذهب الباقي يا عباد الله ؟! كيف نتهالك على الدنيا ونحن راحلون عنها ؟! ، ذلك لأن الإحساس بخطورة الآخرة غير موجود عندنا .

ـ فالدنيا أشبه بحلم في المنام ثم يفيق منه الإنسان ، ((عن يونس بن عبيد ، قال : ما شبهت الدنيا إ لا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، فبينما هو كذلك إذ انتبه ... قيل لبعض الحكماء : أي شيء أشبه بالدنيا ؟ قال : « أحلام النائم »))[1]

ـ ولقد أحسن من قال : إنّ لله عباداً فطنا .... طلقوا الدّنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلمّا علموا .... أنها ليست لحيٍّ وطنا

جعلوها لجّةً واتخذوا ..... صالح الأعمال فيها سفنا

ـ لا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة المال والطعام والشراب والشهوات من عقل وقلب الإ نسان :

ـ إذا لم تكن توقن بأن المال ذو قيمة ضئيلة وكذلك الشهوات والمظاهر وما في الدنيا من خلق وأمور مادية ومعنوية فلست بمؤمن ، لأن اليقين بأنه لا إله إلا الله يتضمن اليقين بعظمة الله واليقين بضآلة ما سواه من الدنيا والخلق والأعمال الدنيوية من أمور الكسب ومشاغل الحياة .

ـ واليقين بضآلة قيمة المال والشهوات معناه أن تكون نظرة الإنسان إليها أنها ضئيلة ، أي إحساسه بقيمتها في نظره أنها ضئيلة ، وينشأ عن ذلك أن تكون أكبر مشاعره متعلقة بالله وليس بهذه الشهوات ، فإذا تعلق قلب الإنسان بالمال أو الشهوات أو الأعمال الدنيوية تعلقا عظيما فكانت أكبر مشاعره متعلقة بذلك فهذا وقوع في عبادة الهوى والنفاق الأكبر .

الفصل السابع
العلاقة بين الإحساس بالقيمة والعمل

ـ الابتلاءات والعمل يبرهن على حقيقة ما في القلب من مشاعر ، فمثلا نشبه حب الله بالقوة الجسدية التي عند الإنسان ، وهناك ثلاثة مطلوب من كل واحد منهم أن يدفع بشدة أحد الأبواب المغلقة بالقفل مثلا ، فالأول كان إنسانا مغمى عليه أو سكرانا ليس لديه أي قوة فلن يستطيع أن يفعل شيء ، والثاني لديه قوة ويدعي أنه يستطيع أن يدفع الباب ويدخل ولكن قوته ضعيفة ، فلم يستطع فتح الباب رغم أنه حاول بشدة ، والثالث كان قويا فدفع الباب وفتحه ودخل ، فالأول لم يكن عنده أي قدر من حب الله ، والثاني كان عنده حب لله لكن لم تصل قوة حبه لله لتكون أكبر المحاب ، والثالث كان عنده حب لله أكبر من أي شيء آخر ، والباب هو الابتلاءات أو العمل الذي يبرهن به الإنسان على حقيقة مشاعره ، وبدون وجود الباب سيظل الإنسان الثاني الذي عنده حب لله ضعيف يدعي الإيمان ويسير في طريق الإيمان ، لكنه ينكشف عند وجود الباب مغلقا أمامه فلا

(1) الزهد - (ج 1 / ص 22 ، 23)

يستطيع الدخول فينكشف أمام نفسه ويعلم ذلك لكنه يتجاهل الأمر : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقلبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخرة ذَلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِينُ))[1] ، لذلك لكي يدخل الإنسان الجنة لابد أن يصل قدر ما عنده من المشاعر المتعلقة بـالله والآخرة إلى الدرجة التي يصبح بها موقنا مؤمنا .

ـ فالإنسان الذي عنده حب لله ولكن حبه لغيره أكبر فهو في حقيقته يشك في وجود الله والآخرة لأ نه لو أحس بقدر الله لأحبه بكل قلبه ، وذلك رغم اليقين النظري التام بـالله والآخرة ، فهذا نفاق أكبر وهو منافق متردد مذبذب ، وإذا لم يكن عنده أصلا شيئا من حب الله تعالى فهو في حقيقته غير موقنا بوجود الله والآخرة ، رغم اليقين النظري التام بـالله والآخرة ، فهذا نفاق أكبر وهو منافق نفاق أكبر خالص .

ـ إن الاختبار الذي خلقنا من أجله في الدنيا هو أن نأتي الله بقلب سليم وننجح في اختبار العمل كبرهان على سلامة القلب ، فنلقى الله بقلب سليم من عبادة الهوى وسليم بخوف المهابة من الله الناشئ من اليقين الحقيقي : ((وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى ، فَإِن الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى))[2] .

ـ أعمال الإنسان من المعاصي والطاعات تبرهن على حقيقة يقينه ، وبخاصة عند الابتلاءات ، والدنيا دار اختبار وكل شيء موضوع فيها للاختبار ، فالمال فتنة وشهوة النساء فتنة ، وشهوة الطعام و الشراب فتنة ، والأولاد فتنة : ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ))[3] ، بل إن كل شيء فتنة سواء كان خيرا أو شرا : ((و نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً))[4] ، ((فَإِذَا مَسَّ الإنسان ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ))[5] .

ـ فكل الناس يدعون اليقين والإيمان ويدعون أنهم يحبون الله ويرجونه ويخافونه ويخضعون له ويتوكلون عليه ، إذن لابد من برهان عملي على ذلك ، لابد أن يبرهن الإنسان عمليا على أنه من الموقنين وليس من الذين يعبدون الهوى ، فلابد من امتحان يثبت كذب الكاذب وصدق الصادق ، وهذا الامتحان قد يكون بالابتلاء بالشر أو بالخير : ((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً))[6] ، فمثلا ييسر الله للإنسان الشهوات ليرى هل يقع فيها ويكون حبه لها أكبر أم يبتعد عنها رغم ما بها من إغراء : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ))[7] ، ((وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ المُنَافِقِينَ))[8] .

ـ فمثلا الشهوات قد تكون ميسرة في هذا الزمان كالنظر إلى العورات على القنوات الفضائية وعلى الإ نترنت وفي التلفاز ، وذلك ابتلاء لأهل هذا الزمان ليرى الله من ينجح في هذا الاختبار من الذي يرسب فيه ، فالذي يدعي اليقين والحب والخوف والخضوع وليس في قلبه شيء من ذلك فإنه سوف يرسب في الامتحان ويقع في النظر إلى العورات ويدمن لينكشف أمام نفسه ويبرهن على غياب الإيمان من قلبه وأنه يعبد الهوى .

ـ كذلك من كان يقينه ضعيف فقد يرسب في الامتحان ليبرهن على ضعف يقينه ويخاف من أنه قد يزول .

---

(1) الحج : 11
(2) النازعـات : 40 ، 41
(3) الأنفال : 28
(4) الأنبياء : 35
(5) الزمر : 49
(6) الأنبياء : 35
(7) العنكبوت : من الآية 3
(8) العنكبوت : 11

ـ فالابتلاء قد يجعل الإنسان يفيق وينجح في الاختبار ، وقد يرسب فيه ويزداد نفاقا إلى نفاقه .

ـ وهذا كله بين الإنسان وبين نفسه ، ولكن بين الإنسان وبين غيره من الناس فمهما وقع الإنسان في الذنوب ورسب في اختبارات الابتلاء فهو مؤمن ، لأن المعاصي تنشأ من ضعف اليقين أو من غياب اليقين ، والإنسان يعلم ذلك في نفسه فقط ولكن قد يغالط نفسه ويتجاهل الأمر لكنه يعلم وجود أو عدم وجود اليقين في قلبه .

ـ ملحوظة :

ـ سبق أن أوضحنا أنه إذا تحقق الإحساس بالقيمة تحقق اليقين الحقيقي ، وينشأ عن ذلك العمل ، لذلك فالعلاقة بين الإحساس بالقيمة والعمل هى نفسها العلاقة بين اليقين الحقيقي والعمل .

ـ الاختبار هو أن يبرهن الإنسان بعمله على أنه يعبد الله ولا يعبد الهوى :

ـ هناك إلهان لا ثالث لهما ، هما إله بالحق وهو الله ، وإله بالباطل وهو الهوى ، ولكل منهما أوامر ، وأوامر كل منهما تضاد الآخر ، فالإنسان إما أن يتبع أوامر الله ويسير ضد أوامر الهوى أو يتبع أوامر الهوى ويسير ضد أوامر الله .

ـ ولكل من الإلهان أعمال ، فمن أعمال عبادة الهوى النظر إلى العاريات والزنا والإسراف في الانشغال بتحصيل المال والطعام والشراب والمظهر ، ومن أعمال عبادة الله الصلاة والذكر والصيام وقراءة القرآن ... الخ ، والإنسان أمامه طريقان لا ثالث لهما إما أن يسير في طريق عبادة الله ويكون عمله من أعمال عبادة الله ويترك عبادة الهوى وأعمال عبادة الهوى ، وإما أن يترك عبادة الله وأعمال عبادة الله ويعبد الشهوة ويكون عمله من أعمال عبادة الهوى ، ومن الناس من يخلط بينهما .

ـ فإذا كان الإنسان يسير في اتجاه عبادة الهوى أو يعمل أعمالا من أعمالها فإن الله يدفعه في هذا الا تجاه حتى يصل لعبادة الهوى ويترك عبادة الله ، والذي يسير في اتجاه عبادة الله أو يعمل أعمالا من أعمالها فإن الله يدفعه في هذا الاتجاه حتى يصل لعبادة الله ويترك عبادة الهوى .

ـ وإله الحق وإله الباطل كلاهما متضادان فإذا سار الإنسان ناحية إله الحق ابتعد عن إله الباطل و العكس صحيح .

ـ الطريق إلى إله الشهوة سهل الوصول لأنه طريق الشهوات والطريق إلى الله صعب ومفروش بالأ شواك ففي الحديث : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[1] .

ـ كيف يحدث الذنب ؟ :

ـ ينشأ الذنب من أمرين معا هما :

1ـ غياب الإحساس بعظمة أوامر الله :

ـ إن أوامر الله ونواهيه عظيمة من عظمة الله ، فأنت إذا أمرك ملك من ملوك الدنيا بأمر يختلف عن ما إذا أمرك زميل لك أو شخص عادي : ((ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ))[2] ، ((ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فإنها مِنْ تقوَى القلوبِ))[3] .

ـ قد يتعامل الإنسان مع أوامر الله بدون الشعور بخطورتها ، فهو يتعامل مع أوامر الله كأنها أوامر من بشر لا يعنيه أمره أو أقل من ذلك ، رغم وجود اليقين النظري التام بأهمية وعظمة أوامر الله وعظمة الله !! .

ـ غياب الإحساس بقدر الله وخطورة الآخرة وخطورة الذنب وعاقبته وثواب تركه أو ضعف هذا الإ

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع . ا
(2) الحج : من الآية 30
(3) الحج : 32

إحساس يؤدي إلى غياب الإحساس بخطورة كلمة (حرام) ، فهو يعرف أنه حرام ويوقن بذلك يقينا نظريا تاما ولكنه يتجاهل مسألة أنه حرام أم حلال ويتغافل عن ذلك ويتناساه كأنه لا يعرف أنه حرام ويكون إحساسه بقيمة كلمة (حرام) معدوم فهي بالنسبة له لا تمثل مشكلة ، ولذلك ففي الحديث : ((إِنّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأنهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ ، وَإِنّ الفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرّ عَلَى أنفِهِ))[1] ، وهذا يؤدي إلى أنه لا مانع من الوقوع في الذنب ، ولكن لا يؤدي إلى محبة الذنب ولا كراهيته ولا تمنيه أو عدم تمنيه ولا فعله أو عدم فعله

. كما أن مَنْ يشعر بقيمة الحسنات والسيئات فإن قطع نفسه أربا إربا في مرضاة الله سوف يحقر ذلك ففي الحديث : ((لو أن رجلا يجر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما في مرضاة الله عز وجل لحقره يوم القيامة))[2] وسوف يندم على أنه لم يستزد من الطاعة .

ـ فالإحساس بقيمة العمل يؤدي إلى حب العمل ، ولابد من وجود الحالة النفسية الدالة على حب العمل مثل الشوق الى الحج ، فالذي يحب الصلاة ينشرح صدره ويسر عندما يسمع النداء فيسرع اليها ويخشع فيها ولا يسهو ، والذي يدعي محبة الخير للناس فلا يفرح عند مصابهم ولا يحزن عند مسرتهم .

ـ فلابد أن يشعر المؤمن بأن للمعصية ألم وللطاعة لذة ، أما في أمور الدنيا ينبغي أن لا يشعر بألم لفقد شيئا من أمور الدنيا ولا بفرح بالحصول على شيء منها (ما عدا ما هو خارج عن إرادته مما هو مفطور عليه من المشاعر الجبلية) .

2ـ غياب الإحساس بضآلة أوامر الهوى :

ـ الدنيا وشهواتها تبدو عظيمة لأنها مزينة فإذا لم يشعر بضآلتها فهذا يؤدي إلى الإحساس بعظمة الذنب كأنه كبير الفائدة والنفع فيؤدي ذلك إلى حب الذنب وتمنيه والوقوع فيه ، فالوقوع في الشهوات معناه انه لا يزال تعظيم قيمة الشهوات في القلب .

ـ عمل الإنسان وأقوال لسانه (لسان الحال) يكشف عن حقيقة ما في قلبه :

ـ إذا أخبرت إنسان أن نارا هائلة خلفه توشك أن تلحق به ، فإنه بالضرورة سوف يجرى ويهرب ، فإذا لم يجرى ويهرب فهذا يدل على أنه غير موقن وغير مصدق بما أخبرته ، أو يقينه ضعيف جدا ، وإذا جرى وهرب فهذا يدل على أنه موقن ومصدق بما أخبرته .

ـ فلابد أن يكون عمل الإنسان عمل من يفر من النار ويريد الجنة ويريد رضا الله تعالى ، فيكون عمل الإنسان يسير في هذا الإتجاه .

ـ فاليقين الحقيقي ينشأ عنه تطبيق عملي في مشاعر الإنسان وعمله .

ـ المعاصى تنشأ من ضعف اليقين أو من غياب اليقين :

ـ قد تكون معاصي الإنسان ناشئة من ضعف اليقين وليس غيابه ، أو أنها قد تكون ناشئة من غياب اليقين ، ولا نستطيع أن نحدد هل هذه المعصية نشأت من ضعف اليقين أو من غياب اليقين ، والإ نسان في نفسه فقط يعلم من أي السببين نشأت ولكنه قد يتجاهل الأمر ، وبالتالي فلا يمكن أن نحكم على شخص بأنه قد حقق اليقين من عدمه ولو فعل كل الكبائر والمعاصي وأصر عليها لأن الناس لا يعلمون من أي السببين نشأت عند ذلك الشخص .

ـ كما أن المعاصي تدل على فقد الإحساس بالقيمة أو ضعف الإحساس بالقيمة ، فالمعاصي كالكذب و الغش والخداع والسرقة كلها مخالفة لفطرة الإنسان والناس يكرهونها بفطرتهم حتى قبل أن يعرفوا الدين ، والإنسان بفطرته عنده الأخلاق الحسنة كالصدق والأمانة والوفاء والنجدة والشجاعة ... الخ ،

---

(1) رواه البخاري : (6381)
(2) السلسلة الصحيحة (446)

وهذه الأخلاق لا يحتاج الإنسان إلى أن يتعلمها ، ولكن عندما تتعطل فطرته وتتعطل وظائفه ويفقد ا لإحساس بالقيمة يفقد الإنسان صفات فطرته .

ـ أثر المشاعر على العمل :

ـ كل شعور من المشاعر ينشأ عنه عمل أو مظهر معين أو خلق معين ، فمثلا عند الشعور بالغضب تجد الإنسان يحمر وجهه وتجد عليه علامات مميزة للغضب ، ومثلا عند الشعور بالخوف والقلق قد لا يجد قابلية للطعام وقد يحدث الأرق من النوم والعرق وتأثير على حركة القلب ومستوي الهرمونات في الدم .... الخ ، فالمشاعر لها تأثير علي السلوك وعلامات الوجه والطبع وتأثير على السمت العام وا لانفعال في الكلام والسلوك ، ومن أشهر آثار المشاعر البكاء فهو يميز حقيقة المشاعر .

ـ كما أن هناك سلوك معين ومظاهر معينة تنشأ كأثر لكل شعور من المشاعر ، فمن أشهر الآثار للذي يخاف من الله تجده مثلا يبكي حين يقرأ القرآن ، والشخص الغاضب تجد انفعالاته في كلامه وسلوكه وعلي ملامح وجهه ، والشخص الذي يفرح بشيء تجد الابتسامة علي وجهه .

ـ الإنسان قد يخفي أمورا معينة لكنها قد تظهر على فلتات لسانه وكثيرا ما تظهر في صورة مزاح ، فأكثر المزاح هو في الحقيقة ليس مزاحا ولكنه يقول حقيقة ما يخفيها في قلبه وذلك نوع من إخراج ما هو مكبوت في قلبه .

ـ إنك عندما تتكلم مع إنسان وتتعايش معه قد تشعر علي سبيل الاحتمال أنه ليس في مشاعره ولا في حساباته شيء اسمه الجنة أو النار أو أن هناك ربا يسمعه ويراه : ((وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ))[1] ، في حين عندما تتكلم مع إنسان آخر وتتعايش معه تشعر بأنه رجل غيبي أخروي رباني بمعنى أن عيشته وفكره وقضيته وسلوكه تدل على أنه يعيش في انتظار حياة أخرى ، ويعيش كأنه يفر من أحد أو يخافه (يفر من الله ويخافه) ويعيش معيشة المسافر الغريب عن وطنه وأهله .

ـ فكلام الإنسان وأعماله هي أثر وثمرة لحقيقة ما يعتقده فعلا ، فإذا كان الإنسان ليس له كلام إلا في الدنيا وأمورها ، وكل أعماله هي أعمال دنيوية ، بينما إذا قال عبارة واحدة دينية أو عمل عملا إسلا ميا فبالكاد يكون لضرورة أو لأن ذلك أصبح من عادات الناس ، فمثل هذا الإنسان لا تظن ـ من باب الظن والاحتمال فقط ولا ينبني عليه حكم ظاهري فهو مسلم ـ لا تظن أن عنده مشاعر حقيقية متعلقة بالله والآخرة ، وبالتالي فاليقين قد يكون عنده نظري فقط ، والعكس صحيح فمن كان معظم كلامه عن الله والآخرة وأمور الدين ، وأكثر أعماله إسلامية فتظن أنه على يقين حقيقي وإيمان حقيقي ـ ولا تزكي على الله أحدا .

ـ الدافع من العمل هو الشعور بما فيه من ألم أو لذة (الإحساس بالقيمة) :

ـ الإنسان يعمل العمل الذي يرى أن فيه نفع له وفائدة له ولذة له ، ويبتعد عن العمل الذي يرى أن فيه ضرر له وألم له ، فإذا فعل معصية فلأنه يرى أن فيها نفع له ، فمثلا إذا نظر إلى العورات أو زنا فإنه فعل ذلك لأنه يرى أن ذلك فيه نفع له ولذة له ويتناسى أن ذلك فيه عقوبة كبيرة يوم القيامة ويتناسى أن ذلك لذة ضئيلة ومجرد زينة تخدع الناس ويتناسى خطورة رؤية الله منه فلا يستحي ، وذلك ينشأ من نسيان الله والآخرة ، أو ضعف الشعور بقدر الله والآخرة ، فالإنسان هنا ليس لديه إحساس بحقيقة العمل فهو مخدوع بالزينة ، رغم أنه علي اقتناع نظري تام بأن هذا العمل حرام ولا يرضي الله وله عقوبة في الآخرة وبأنه مجرد زينة وبأن الله يراه ولكن كل هذا لا قيمة له في مشاعره .

ـ والإنسان إذا ابتعد عن النظر إلى العورات و الزنا فإنه فعل ذلك لأنه يرى أن ذلك فيه نفع له ولذة له في الدنيا والآخرة ويشعر أن ذلك الذنب ما هو إلا لذة ضئيلة ومجرد زينة تخدع الناس ، وذلك ينشأ من اليقين الحقيقي بالله والآخرة ، فالإنسان هنا لديه إحساس بحقيقة العمل فيتركه .

---

(1) محمد : من الآية 30

ـ إذن لا يمكن أن تقنع إنسان بترك عمل ما طالما أنه يشعر أن فيه لذة ونفع فلن يبتعد عنه حتى لو اقتنع نظريا ، إذن لابد أن يشعر بأن هذا العمل فيه ضرر وألم فعندئذ يتركه ، وهذا سبب تكرار العودة للذنوب رغم الاقتناع النظري بأن الواجب تركها .

ـ وغياب الإحساس بحقيقة العمل يعني غياب الإحساس بالقيمة فيكون الإنسان كالمجنون الذي لا عقل له لأنه يفعل ما يضر نفسه وما يندم عليه أشد الندم يوم القيامة ، وفي تفسير القطان : ((فأنساهم أنفسهم : بما ابتلاهم من غياب الإحساس بقدر وحب الدنيا ، فصاروا لا يعرفون ما ينفعها مما يضرها))[1] .

****

ـ صعوبة الاختبار

ـ الله سبحانه وضع عقبات واختبارات للإنسان وطالبه بأن يتخطى هذه العقبات حتى يبرهن على أنه مصدق بالله والآخرة والغيبيات تصديقا حقيقيا :

ـ الابتلاءات وجميع أعمال الإنسان هي اختبار عملي ليبرهن الإنسان على حقيقة يقينه : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))[2] ، ((وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ))[3] ، وفي الحديث : ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا **فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ** فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[4] .

ـ وهذا الاختبار هو اختبار صعب ، ومما يدل على صعوبة الاختبار ما جاء في تفسير البغوي : (({ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ } الآية. أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده، عرضها على السموات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، وهذا قول ابن عباس))[5] ، وفي تفسير أضواء البيان : ((ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف مع ما يتبعها من ثواب وعقاب على السماوات والأرض والجبال، وأنهن أبين أن يحملنها وأشفقن منها، أي: خفن من عواقب حملها أن ينشأ لهنّ من ذلك عذاب الله وسخطه))[6] .

ـ وصعوبة الاختبار أن المطلوب من الإنسان أن يسير عكس شهواته ورغباته فيجعل نفسه خاضعة لله ، ففي الحديث : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[7] .

ـ الله سبحانه وضع عقبات للاختبار منها عقبة الشهوات أن جعل في الإنسان حب الشهوات وجعل الشهوات مزينة بحيث يصعب جدا الابتعاد عنها إلا لمن أيقن يقينا حقيقيا بالعقاب الأليم عليها وبأنها ضئيلة أمام شهوات الجنة وأيقن بعظمة الله فاستحيا منه ، وطالما أن الإنسان لا يزال يقع في عقبة الشهوات فلا يزال اليقين الحقيقي غير موجود أو هو ضعيف جدا ، ولا يزال الإنسان يحتاج إلى أن يراجع يقينه ! . والشهوات صورة من صور الابتلاءات .

ـ أوامر الشرع من الفرائض والتكاليف والحلال والحرام هي ليبرهن الإنسان على يقينه بالآخرة وعلى يقينه بأن القيام بهذه التكاليف تنفعه في الآخرة .

---

(1) تفسير القطان - (ج 3 / ص 321)
(2) العنكبوت : من الآية 3
(3) العنكبوت : 11
(4) التخريج : صحيح (مشكاة المصابيح ج : 2 ، برقم : 3086)
(5) تفسير البغوي - (6 / 380)
(6) أضواء البيان - (6 / 258)
(7) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع . ا

ـ فمثلا أنت تقول أنك مؤمن بالقضاء والقدر ، فتصاب في حادثة مثلا فهل ترضى من قلبك أم تكون متسخط على الله .

ـ فالاختبارات سهلة جدا على الموقن يقينا حقيقيا وصعبة جدا على الذي يدعي اليقين الحقيقي ، ف المشكلة ليست في مواجهة العقبات ذاتها ولكن في تحقيق اليقين الحقيقي وعندئذ ينجح الإنسان في تخطي هذه العقبات .

ـ حياة الإنسان وعيشه وعمله ومشاعره هي دينه ، فإذا كانت حياته وعيشه وعمله ومشاعره تسير في اتجاه الله والآخرة فدينه الإسلام ، واذا كان حياته وعيشه وعمله ومشاعره تسير في اتجاه الدنيا فدينه عبادة الدنيا والهوى والشهوات .

ـ فالإنسان إما أن يسير في طريق الدين واما أن يسير في طريق الشهوات بمشاعره وعمله ، فالإنسان لا يبتعد عن الدين لأنه ضد الدين ولكن لأنه يريد الشهوات ولا يريد أن يقوم بضد ما تشتهيه النفس ، والدين ضد الشهوات لذلك يتغافل عن أمر الدين متجها إلى الشهوات ، فاليقين النظري بالدين موجود لكنه لا يريد أن يترك الشهوات ، فالمسلم قد يعبد الشهوات ويتغافل عن أنه بذلك وقع في النفاق الأ كبر .

ـ غياب الإحساس بحقيقة الصراع وخطورته :

ـ جعل الله أعداء للإنسان من الشيطان والنفس والهوى ومن شياطين الإنس ، وهؤلاء يصدون الإ نسان عن الحق ، وقد جعل الله هؤلاء الأعداء كنوع من الاختبار ليرى الله هل ستستجيب لهم أم ستنجح في الاختبار .

ـ فهناك صراع مع النفس والشيطان والدنيا وشياطين الإنس والابتلاءات بالخير والشر ، فإما أن يغلبوك أو تغلبهم ، فالدنيا لها بريق يصعب التغلب عليه ، والشيطان يوسوس والنفس توسوس وشياطين الإنس توسوس وتسد عليك الطريق .

ـ ومنذ أنك وجدت في هذه الحياة فقد دخلت في هذا الصراع وهذه المنافسة حتما سواء رضيت أم لم ترضى ، سواء شعرت بهذه المنافسة أم لم تشعر ، فأنت واقع في هذه المنافسة والعد التنازلي لوقت حياتك يسير وحساب النقاط التي لك والتي عليك مستمر بمنتهى الدقة ويتم تسجيله .

ـ وقد جعل الله طريق المعاصي والبعد عن الله سهل وطريق الطاعات والقرب من الله صعب وذلك كنوع من الاختبار ليرى الله هل سينجح الإنسان أم سيفشل ، ففي الحديث : ((حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات))[1] .

ـ وبدون هذه الاختبارات واجتياز هذه العقبات لا يمكن للإنسان أن يدخل الجنة ، فالانتصار على هذه الشهوات والابتلاءات وهؤلاء الأعداء يدل على الإيمان الحقيقي في القلب وليس مجرد القول و التصديق النظري ، وهذا الانتصار هو ثمن الجنة وهو ثمن صعب : ((أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)))[2] ، ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ))[3] ، والاختبار يكون على مدى عمر الإنسان كله وعلى مدى مجموع الاختبارات والأعمال التي يعملها الإنسان في حياته ليبرهن على حقيقة ما في قلبه .

ـ إذن الحكمة من خلق الدنيا ونزول الإنسان على كوكب الأرض هو أن الله جعل الدنيا عبارة عن شهوات ، فالله وضع لك شهوات ذات بريق خادع وفتنة زائفة : ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا

---

(1) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 3147 في صحيح الجامع . |
(2) البقرة : 214
(3) العنكبوت : 2 ، 3

لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ً))[1] ، ((الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلا ً))[2] ، ((وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ))[3] ، وخلق الله الإنسان فيه ميل لهذه الشهوات وحب لها : ((زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنعام وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ))[4] ، فهذه الشهوات هي في حقيقتها ضئيلة لا قيمة لها ولكنها مزينة فتبدوا أكبر من حجمها بكثير ، والاختبار المطلوب من الإنسان هو عدم ارتباط مشاعره بهذه الشهوات ، ((إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا ً))[5] ، فهذا هو اختبار الشهوات ، فهناك من ينجح وهناك من يرسب ، وهذه الشهوات مثل الشجرة التي نهى الله آدم من الأكل منها ، فالله خلقها لمجرد الاختبار ، ((وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ))[6] فالشيطان زين له أن هذه الشجرة فيها السعادة والخلود : ((فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى))[7] ، فالله جعل الدنيا حلوة خضرة لكي يختبر الناس هل سيقعوا في فتنتها أم لا ، ففي الحديث : ((إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ))[8] ، فاحذر أن تغرك الدنيا وتفتنك : ((فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))[9] ، وفي الحديث : ((احذروا الدنيا فإنها خضرة حلوة))[10] .

ـ ومن الاختبار أن جعل الله في الإنسان خوف فطري من الموت ، وفي نفس الوقت طالبه ألا يزيد ذلك الخوف إلى درجة الرعب فلا يفر من الموت ، فالكفار فقط هم الذين يفرون من الموت من رعبهم : ((قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ))[11] ، ((وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ))[12] ، ((قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلا ً))[13] ، وهؤلاء عند احتضارهم أو عند الشدائد تجد عندهم رعب شديد من الموت ، فهو لا يريد أن يموت ، وربما كان سبب موتهم هو رعبهم من الموت ، في حين تجد الصالحين عند احتضارهم يتقبلون أمر الموت وتجد ذلك في حديثهم .

ـ فالموت عند البعض هو الطامة الكبرى وهو نهاية الحياة ، أما المؤمن فالموت عنده هو بداية الحياة الحقيقية وهو مجرد مرحلة ينتقل بها إلى الدار الآخرة ، وهو مجرد ألم مؤقت عليه أن يتحمله ثم بعده يحيا مرة أخرى ، وذلك لأن الآخرة هي حقيقة واقعة في ذهن المسلم وفي شعوره ، أما عند البعض فهي مجرد قناعات ومعلومات نظرية لا يحمل لها هما ولا ينشغل بها باله .

ـ فمعني اختبار الشهوات أن ينتصر الإنسان على شهوات نفسه فيكون هو الذي يقودها وليست هي التي تقوده ، وأول هذه الشهوات شهوة حب المال : ((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ))[14] ،

---

(1) الكهف :7
(2) الكهف : 46
(3) الأنفال : 28
(4) آل عمران : 14
(5) الكهف : 7
(6) البقرة : من الآية 35
(7) طـه : 120
(8) رواه مسلم (7124)
(9) لقمان : من الآية 33
(10) تحقيق الألبانب : (صحيح) : (صحيح الجامع برقم : 192)
(11) الجمعة : من الآية 8
(12) البقرة : 96
(13) الأحزاب : 16
(14) آل عمران : من الآية 92

فالله خلق الإنسان وجعل فيه حب للمال وحب للدنيا وكراهية لفقد المال أو الدنيا ثم طالبه بأن ينفق مما يحب فيسيطر على شهوة حب المال والدنيا ففي تفسير البغوي : (({ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا } أي : إذا أصابه الفقر لم يصبر ، وإذا أصاب المال لم ينفق ، قال ابن كيسان : خلق الله الإنسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ، ثم تعبده بإنفاق ما يحب والصبر على ما يكره))[1] ، وفي تفسير الطبري : ((وقوله : (وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ) ، يقول تعالى ذكره : وإن ا لإنسان لحب المال لشديد))[2] ، وفي نفس الوقت بين الله أن الإنسان لن يدخل الجنة حتى ينتصر على حبه للمال ففي تفسير الطبري : ((القول في تأويل قوله تعالى : { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92) } ، قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه : لن تدركوا أيها المؤمنون ، البرّ وهو" البر" من الله الذي يطلبونه منه بطاعتهم إياه وعبادتهم له ويرجونه منه ، وذلك تفضّله عليهم بإدخالهم جنته ، وصرف عذابه عنهم ، ولذلك قال كثير من أهل التأويل" البر" الجنة ، لأن بر الربّ بعبده في الآخرة ، إكرامه إياه بإدخاله الجنة .... قال أبو جعفر : فتأويل الكلام : لن تنالوا أيها المؤمنون جنة ربكم " حتى تنفقوا مما تحبون " ، يقول : حتى تتصدقوا مما تحبون وتهوَوْن أن يكون لكم من نفيس أموالكم))[3] ، فالنجاح في اختبار فتنة المال يكون بالتصدق : ((فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى))[4] ، فالذي يستطيع أن يتقي شح نفسه فقد نجح في الاختبار لأن شح النفس يبرهن على تعلق المشاعر بالدنيا وحظوظها وعبادة الهوى : ((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[5] ، وفي الحديث : ((ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم))[6] ، وفي حديث آخر : ((خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق))[7] ، وقد يبتلى الإنسان بأن يكون أمامه مال كثير حرام لا يعاقب عليه القانون أو في مأمن كامل ولا يعلم به أحد ، خاصة إذا كان في حاجة شديدة للمال فإذا لم يأخذه فإنه بذلك يبرهن على أنه لا يعبد المال و الهوى .

ـ وليس المطلوب أن يمتنع الإنسان عن الزواج والطعام والشراب والحصول على المال لأنه لن يستطيع ، ولكن المطلوب معالجة هذه الشهوات حتى تهدأ والسيطرة عليها وليس مواجهتها ، بمعنى أن الزواج مثلا يقلل من مسألة الشهوة ، فكلما رأى الإنسان في نفسه شهوة أتى أهله فأطفأها ، ثم تعود شهوته ثم يأتي أهله فيطفأها وهكذا ، وكلما جاع سد جوعته بلقمة وهكذا ، والمطلوب عدم الخضوع والاستسلام لهذه الشهوات من شهوات المال والنساء والمظاهر والطعام والشراب .. الخ ، أي تكون المشاعر متجهة إلى الله والآخرة ، وليس إلى الدنيا ، وذلك بالإضافة إلى الأوامر والنواهي والتي هي دليل وشاهد على أن المشاعر متوجهة إلى الله وليس إلى الشهوات : ((فَأَمَّا مَنْ طَغَى ، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى))[8] .

ـ والإسلام يضع الصورة الصحيحة للتعامل مع المال والشهوات والطعام والشراب وهو أن يتعامل الإنسان معها مثلما يتعامل معها عابر السبيل فإنه يأخذ منها كيفما اتفق فلا تكون همه وقضيته ففي الحديث : ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[9] ، وفي حديث آخر : ((عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في

---

(1) تفسير البغوي - (ج 8 / ص 223)
(2) تفسير الطبري - (ج 24 / ص 567)
(3) تفسير الطبري - (ج 6 / ص 587)
(4) الزمر : 49
(5) الليل : 5 - 10
(6) قال الشيخ الألباني (صحيح) : (سنن النسائي ج : 6 ، ص : 14 ، رقم 3114)
(7) حديث صحيح : (صحيح الترغيب والترهيب ج : 2 ، برقم 2608)
(8) النازعـات : 37 ـ 40
(9) السلسلة الصحيحة (1157)

جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها))[1] ، فالتعامل مع أمور الدنيا والتعامل مع الناس فيما يخص أمور الدنيا يكون كمن يتعامل مع غرباء تقابل معهم في سفر فإن علاقته بهم مؤقتة حتى لو كانوا أبناءه وأهله فإن أهله الحقيقيين في الجنة ، ففي تفسير اللباب : (({ وَيَنقَلِبُ إلى أَهْلِهِ } في الجنة من الحُورِ العين ، والآدميّات والذريّات إذا كانوا مؤمنين))[2] ، أما التركيز والإحساس بالقيمة يكون في إيمانك وفي عملك الصالح فهذا فقط الذي ينفعك ، فالمؤمن لا يبالي أقبلت الدنيا أم أدبرت : ((لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ))[3] .

ـ ومن الاختبار أن الله جعل في الناس الغني والفقير ، والمعافى والمبتلى ، وصاحب الجاه والخادم ، وذلك من أجل الاختبار ، ففي تفسير القرطبي : ((قوله تعالى : { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ } أي إن الدنيا دار بلاء وامتحان ، فأراد سبحانه أن يجعل بعض العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر، فالصحيح فتنة للمريض ، والغني فتنة للفقير ، والفقير الصابر فتنة للغني ، ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه ؛ فالغني ممتحن بالفقير ، عليه أن يواسيه ولا يسخر منه ، والفقير ممتحن بالغني ، عليه ألا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه ، وأن يصبر كل واحد منهما على الحق ؛ كما قال الضحاك في معنى { أَتَصْبِرُونَ } : أي على الحق ، وأصحاب البلايا يقولون : لم لم نعاف ؟ والأعمى يقول : لم لم أجعل كالبصير ؟ وهكذا صاحب كل آفة ، والرسول المخصوص بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره ، وكذلك العلماء وحكام العدل ، ألا ترى إلى قولهم {لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ } [الزخرف : 31] ، فالفتنة أن يحسد المبتلى المعافى ، ويحقر المعافى المبتلى. والصبر : أن يحبس كلاهما نفسه، هذا عن البطر، وذاك عن الضجر ، { أَتَصْبِرُونَ } محذوف الجواب ، يعني أم لا تصبرون))[4] .

ـ الشعور بخطورة الحسنات والسيئات :

ـ لو قال لك إنسان تعالى لصلاة الفجر مثلا وخذ عشرة جنيهات فسوف تأتي فورا ، أما إذا قال تعالى وخذ حسنات فلعلك تتكاسل ، ذلك لأن قيمة المادة عندك هي أكبر من قيمة الحسنات لضعف شعورك بالآخرة واحتياجك إلى الحسنات ، أو لغياب شعورك بالآخرة ، ولضعف شعورك بأن الدنيا وما بها فانية ، فالحسنة الواحدة لا يعادلها أموال الدنيا كلها ، فهل في شعورك أن الحسنة أفضل من أن تمتلك أموال الدنيا كلها ؟ ، فسوف تتلون وتقول الأموال أستخدمها للطاعة ، هل هذا فعلا ؟ .

****
****

ـ أثر الإحساس بالقيمة على النية والعمل

ـ النية الصالحة قسمين هما :

القسم الأول : نية غير مرتبطة بالثواب والعقاب ، وهي نية ناشئة من المشاعر الغير مرتبطة بالثواب والعقاب وهي خوف المهابة والحب والخضوع من خوف المهابة والخضوع حبا (أنظر الفصل الخامس) ، وهي بدورها ناشئة من اليقين الحقيقي بوجود الخالق أي اليقين الحقيقي بصفات القدرة والهيمنة والعظمة واليقين الحقيقي بصفات الضعف والنقص للإنسان وهي :

1ـ نية الخوف من مهابة الله تعالى ، فيقوم الإنسان بالعمل خوفا من مهابته لأن العظيم والقوى مستحق للطاعة من الضعيف تعظيما له ، وفي تفسير ابن كثير : ((قال بِشْر بن الحارث الحافي: لو

---

(1) التخريج : صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3283)
(2) تفسير اللباب لابن عادل - (ج 16 / ص 277)
(3) الحديد : من الآية 23
(4) تفسير القرطبي : (ج 13 / ص 18)

تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه))[1] ، فإذا ذكر الإنسان عظمة الله ندم، كيف أعصي ربي وهو الذي خلقني ؟ كما لو عصى الإنسان أباه فإنه يندم .

2ـ نية حب الله تعالى : فهو يعمل العمل من حبه لله ، فالمحب يطيع محبوبه حبا له : ((قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ))[2] .

3ـ نية الخضوع لله تعالى خوفا من مهابته وحبا له ، فيقوم الإنسان بالعمل خضوعا لله ، مثل العبد أو الخادم الذي يعمل عند سيده فيطيعه لأنه من كبار السادة ومن علية القوم تعظيما له فهو مستحق للطاعة ، ويطيعه حبا له فيرى في ذلك شرف له فيشعر بالسعادة وهو يقوم بطاعته .

ـ القسم الثانى : نية مرتبطة بالثواب والعقاب ، وهي نية ناشئة من المشاعر المرتبطة بالثواب و العقاب ، وهي الخوف من عقاب الله والرجاء في ثواب الله تعالى (الهدف) :

1ـ نية الخوف من عقاب الله تعالى : فيطيع الله حتى ينجو من العذاب .

2ـ نية الرجاء في ثواب الله تعالى : فيطيع الله حتى يفوز بالجنة ، فيعمل بنية الوصول إلى شهوات الحور العين ، فيزداد عمله لانه كلما عمل شعر بأنه اقترب أكثر من الحور العين ؟ .

ـ والمؤمن يجمع في أعماله بين النية المرتبطة بالثواب والعقاب والغير مرتبطة بذلك .

ـ النية الفاسدة ثلاثة أقسام هي :

القسم الأول : نية غير مرتبطة بالثواب والعقاب لغير الله وهي :

1ـ نية الخوف من مهابة أصحاب النفوذ والمناصب لعلو شأنهم مكانتهم .

2ـ نية حب غير الله تعالى : كالذي يحب المرأة فيطيعها حبا لها .

3ـ نية الخضوع لغير الله تعالى خوفا من مهابة غيره وحبا لغيره ، فيقوم الإنسان بالعمل ، فيكون تابعا لسادة القوم مطيعا لهم لأنهم السادة تعظيما لهم فهم عنده مستحقون للطاعة ، ويطيعهم حبا لهم وعزة في الإنتماء والإنتساب إليهم فيرى في ذلك شرف له فيشعر بالسعادة وهو يقوم بطاعته لهم .

ـ القسم الثاني : نية مرتبطة بالثواب والعقاب لغير الله ، وهي نية الخوف من عقوبة القانون ومذمة الناس أو فقد شيء من أمور الدنيا ، ونية الرجاء في الحصول على شيء من أمور الدنيا ، كالخوف من غضب الناس عليه وعتابهم له والرجاء في رضا الناس عنه ، وجميع أعمال الإنسان أو معظمها تكون في حقيقتها بنية تحقيق الهدف العام (الخوف والرجاء) الذي يعيش من أجله الإنسان ، فإذا كان هدفه العام دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، فجميع نواياه إنما تتجه لهذا فتكون باطلة ، وإن كان هدفه الذي يعيش من أجله هو الله ورسوله ، فإن جميع نواياه تتجه لهذا : ((مَنْ كانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِليهِمْ أعمالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ))[3] ، ((مَنْ كانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنّمَ يَصْلاهَا مَذْمُوماً مَدْحُوراً))[4] ، ((مَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخرة مِنْ نَصِيبٍ))[5] .

ـ القسم الثالث : النية النظرية : هناك فرق بين النية النظرية والنية الحقيقية ، ونوضح ذلك كالتالي :

ـ كثير من الناس يظنون أن النية هي مجرد أن يكون الإنسان مقتنعا نظريا من داخله بأنه يعمل هذا العمل لله ، فهذه النية النظرية ناشئة عن اليقين النظري فقط وليست ناشئة عن اليقين الحقيقي ، فليست نابعة عن شعور حقيقي بالله الذي يعمل من أجله هذه الطاعة (الإحساس بقدر الله تعالى)

---

(1) تفسير ابن كثير - (ج 2 / ص 185)
(2) آل عمران :31
(3) هود : 15
(4) الإسراء : 18
(5) الشورى : 20

، وليست نابعة عن حب حقيقي لله أو خوفه أو رجاؤه ، فهذه النية في الحقيقة هي نية فاسدة وليست نية صالحة رغم أن الإنسان يكون مقتنعا تماما بأنه يعمل هذا العمل لله .

ـ إدعاء وجود النية الحقيقية :

ـ صلى أحد الناس عشرين سنة في الصف الأول ، فلما صلى يوماً في الصف الثاني اعترته خجلة من الناس ، فعلم أن صلاة عشرين سنة حابطة لم تقبل .

ـ فقد يكون الإنسان مخدوعا يكون على يقين تام بأنه يعمل العمل لله خالصا كامل الإخلاص وهو في الحقيقة تام الرياء لا إخلاص فيه وهو يعلم ذلك ولكن يتجاهل الأمر ويغالط نفسه ، فالرياء خفي جدا يقع فيه الإنسان دون أن يدري ففي الحديث : ((يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من جعل مع الله الها آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قال قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم))[1] ، وفي حديث آخر : ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ فقلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل))[2] .

ـ النية الصالحة والإخلاص في العمل هو صورة مصغرة من تحقيق لا إله إلا الله :

ـ لابد من شرطين لتحقيق النية الصالحة هما التخلية والتحلية مثل شرطي النفي والإثبات في لا إله إلا الله كالتالي :

1ـ التخلية : أي عدم الرياء (والرياء شرك أصغر) أي النظر إلى ما دون الله على أنه كم مهمل ، أي التجاهل والتغافل والتعامي والتناسي لوجود الناس حولك والتجاهل والتغافل والتعامي والتناسي لصلتك بأحوال الدنيا ، وذلك ينشأ من اليقين الحقيقي بأن الناس والدنيا لن تنفعك فلا تقيم لذلك وزنا ، ولذلك فالإخلاص هو انبعاث القلب إلى جهة المطلوب التماسًا ، وقال بعضهم : الإخلاص تغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى الله تعالى ، وقيل الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق ، فتكون تصرفات الإنسان غير مبنية على اعتبارات الناس وما يصدر عنهم أو ردود أفعال .

2ـ التحلية : أن تخلص وجهتك إلى الله فتكون النية الصالحة واحدة أو أكثر من الأنواع السابقة للنية الصالحة .

ـ الثواب على قدر الإخلاص :

ـ لا يحصل الإنسان على الثواب المتحصل من قول ذكر من الأذكار أو عمل من الأعمال إلا إذا كان الإ خلاص تاما ولم يكن ناقصا ، وكلما نقص الإخلاص نقص الثواب ، والدليل على ذلك ما يقوله ابن القيم : ((وكل قول رتب الشارع ما رتب عليه من الثواب فإنما هو القول التام كقوله : من قال في يوم : سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ، وليس هذا مرتبا على مجرد قول اللسان نعم من قالها بلسانه غافلا عن معناها معرضا عن تدبرها ولم يواطىء قلبه لسانه ولا عرف قدرها وحقيقتها راجيا مع ذلك ثوابها حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه فإن الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها وإنما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض))[3] ، فبحسب درجة الإخلاص تكون درجة القبول ففي الحديث : ((إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها

---

(1) التخريج : صحيح (الادب المفرد ج : 1 ، ص : 250 ، برقم : 716)
(2) التخريج : حسن (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5333)
(3) مدارج السالكين - (ج 1 / ص : 331)

ربعها ثلثها نصفها))[1] .

ـ العبادة لها ثلاث درجات :

1ـ عبادة الله الناشئة عن النية والمشاعر المتعلقة بالثواب والعقاب ، وهذه عبادة التجار .

2ـ عبادة الله الناشئة عن حبه والخضوع حبا له (وهما من المشاعر غير المتعلقة بالثواب والعقاب) ، فهو يعبد الله ليستفيد شرف الانتساب إلى الله ويستمد منه العزة ويفتخر على غيره مما لا يعبد الله أنه تابعا لعظيم قوى ، فهذه العبادة من أجل الثواب المعنوي حيث يحصل على العزة وشرف الانتماء .

3ـ عبادة الله الناشئة عن خوف المهابة والخضوع خوفا من مهابته (وهما من المشاعر غير المتعلقة بـ الثواب والعقاب) ، فهو يعبد الله لأنه المستحق للعبادة ، فيطيع الله لأن القوي بحق يطيعه الضعيف لقوته .

ـ ونوضح ذلك كالتالي :

ـ جاء في تفسير الرازي : ((العبادة لها ثلاث درجات :

ـ الدرجة الأولى : أن يعبد الله طمعاً في الثواب أو هرباً من العقاب ، وهذا هو المسمى بالعبادة ، وهذه الدرجة نازلة ساقطة جداً ، لأن معبوده في الحقيقة هو ذلك الثواب ، وقد جعل الحق وسيلة إلى نيل المطلوب ، ومن جعل المطلوب بالذات شيئا من أحوال الخلق وجعل الحق وسيلة إليه فهو خسيس جداً .

والدرجة الثانية : أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته ، أو يتشرف بقبول تكاليفه ، أو يتشرف بالا نتساب إليه ، وهذه الدرجة أعلى من الأولى ، إلا أنها أيضاً ليست كاملة ، لأن المقصود بالذات غير الله .

والدرجة الثالثة : أن يعبد الله لكونه إلهاً وخالقاً ، ولكونه عبداً له ، والإلهية توجب الهيبة والعزة ، و العبودية توجب الخضوع والذلة ، وهذا أعلى المقامات وأشرف الدرجات ، وهذا هو المسمى بالعبودية ، وإليه الإشارة بقول المصلي في أول الصلاة أصلي لله ، فإنه لو قال أصلي لثواب الله ، أو للهرب من عقابه فسدت صلاته[2]))[3] .

ـ وفي تفسير النيسابوري : ((واعلم أن العبادة لها ثلاث درجات ، لأنه إما أن يعبد الله رغبة في ثوابه أو رهبة من عقابه ، ويختص باسم الزاهد حيث يعرض عن متاع الدنيا وطيباتها طمعاً فيما هو أشرف منها وأدوم ، وهذه مرتبة نازلة عند المحققين ، وإما أن يعبد الله تشرفاً بعبادته أو بقبول تكاليفه أو با لانتساب إليه ، وهذه مرتبة متوسطة وتسمى بالعبودية ، وإما أن يعبد الله لكونه إلهاً ولكونه عبداً له ، والإلهية توجب العزة والهيبة ، والعبودية تقتضي الخضوع والذلة ، وهذه أعلى الدرجات وتسمى بـ العبودية ، وإليها الإشارة بقول المصلي : أصلي لله فإنه لو قال : أصلي لثواب الله أو هرباً من عقابه فسدت صلاته ، (يحكى) أن عابداً في بني إسرائيل اعتزل وعبد الله تعالى سبعين سنة ، فأرسل الله تعالى إليه ملكاً فقال : إن عبادتك غير مقبولة فلا تشق على نفسك ولا تجاهد ، فأجاب العابد بأن الذي عليّ هو العبودية وإني لا أزال أفعل ما عليّ ، فأما القبول وعدم القبول فموكول إلى المعبود . فرجع الملك فقال الله : بم أجاب العابد ؟ فقال : أنت أعلم يا رب ، إنه قال كذا وكذا . فقال الله تعالى : ارجع إليه وقل له : قبلنا طاعتك بسبب ثبات نيتك))[4] أي أن نيته أنه كان يعبد الله لأنه

---

(1) قال الشيخ الألباني : حسن (سنن أبو داود ج : 1 ، ص : 211 ، برقم 796)
(2) جاء في فتاوى الإسلام سؤال وجواب - (ج 1 / ص 7172) : (تنازع العلماء هل يستحب اللفظ بالنية ؟ على قولين : فقال طائفة من أصحاب أبي حنيفة ، والشافعي ، وأحمد : يستحب التلفظ بها لكونه أوكد ، وقالت طائفة من أصحاب مالك ، وأحمد ، وغيرهما : لا يستحب التلفظ بها ؛ لأن ذلك بدعة) .
(3) تفسير الرازي - (ج 1 / ص : 228 ، 229)
(4) تفسير النيسابوري - (ج 1 / ص : 44 ، 45)

المستحق للعبادة لأنه الخالق ورغم أن الملك أخبره بأن عبادته غير مقبولة لم تتغير عبادته لأنه يعبد الله لأنه الخالق المستحق للعبادة .

ـ والمطلوب من المسلم أن يجمع بين أسباب العبادة المختلفة لأن الله جمع بين أسباب العبادة في قوله : ((ادْعُوا رَبَّكُمْ **تَضَرُّعاً** وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ **خَوْفاً وَطَمَعاً** إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ))[1] ومعنى تضرعا أي خضوعا واستكانة ، ((إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ))[2] ، وفي تفسير النيسابوري : ((وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أمر اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ (21) .... الخشية نوعان : خشية الجلال كالعبد إذا حضر بين يدي السلطان ومن ذلك خشية الملائكة { يخافون ربهم من فوقهم } { النحل : 50] وإلى هذا أشار بقوله : { ويخشون ربهم } ، وخشية أن يقع في العبادة خلل أو نقص يوجب فسادها أو نقصان ثوابها . وإليه الإشارة بقوله : { ويخافون سوء الحساب }))[3] ، فالإنسان يعبد الله من خوف مهابته ومن خوف عقابه لأن الآية جمعت بين الإثنين ، وجاء في دستور العلماء : ((اعلم أن الإمام الرازي نقل في التفسير الكبير اتفاق المتكلمين على أن من عبد ودعا لأجل الخوف من العقاب ، والطمع في الثواب لم تصح عبادته ولا دعاؤه ذكر ذلك عند قوله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) وجزم في أوائل تفسير الفاتحة بأنه لو قال أصلي لثواب الله والهرب عن عقابه فسدت صلاته))[4] .

ـ فالهدف الأكبر والغاية هي أن تعبد الله لأنه المستحق للعبادة خوفا من مهابته وخضوع الخوف من مهابته ، وينشأ عن هذا الهدف هدف فرعي وهو أن تعبد الله خوفا من ناره وطمعا في جنته فيقول ا لإمام الشاطبي : ((" العبادة لها مقصدان أصليان ، ومقاصد تابعة ، فالمقصد الأصلي منها هو التوجه إلى الواحد المعبود ، وإفراده بالقصد إليه في كل حال ، ويتبع ذلك قصد التعبد لنيل الدرجات في الآ خرة ، أو ليكون من أولياء الله تعالى ، أو ما أشبه ، ومن المقاصد التابعة للعبادة : صلاح النفس ، واكتساب الفضيلة))[5] .

ـ لقد أخبر الرسول (ص) بأن هناك عشرة مبشرون بالجنة ، فعلموا ذلك وهم أحياء ، ورغم ذلك لم يتركوا عبادة الله أو تقل عبادتهم ، لأنهم يعلمون أن الله هو المستحق للعبادة سبحانه .

ـ العلم بأن الله هو المستحق للعبادة هو علم بالفطرة ، فالذي يعلم أن الله هو المستحق للعبادة إذا أخبرته بأن الله يأمره بكذا وكذا ، فإنه هو الذي يستجيب لك ، لأنه يعلم أن الله هو المستحق للعبادة ، فإذا أخبرته بأن هناك آخرة وجنة ونار ، أصبح يعبد الله لسببين هو أن الله هو المستحق للعبادة ورجاءا في جنته وخوفا من ناره .

****

*****

ـ صور من أثر الإحساس بالقيمة على العمل

ـ الدنيا وما بها من شهوات تبدو مزينة كأنها ذات قيمة كبيرة جدا ، في حين حقيقتها أنها ضئيلة جدا سواء في حد ذاتها أو بمقارنتها بالآخرة ، والعكس مع الآخرة حيث تبدو بعيدة مجهولة ، في حين حقيقتها أنها خطيرة جدا وهي المستقبل والمصير ، فإذا لم يكن عند الإنسان إحساس بالقيمة فلن يشعر بحقيقة الدنيا وشهواتها وسوف يظل مخدوعا مغرورا بها ، وتظل تكبر الدنيا في قلبه حتى يعبدها ، ولن يتحقق الإيمان لعبد حتى يزول تعظيم قيمة المال وقيمة شهوة النساء وقيمة شهوات

(1) الأعراف : 55 ، 56
(2) الأنبياء : 90
(3) تفسير النيسابوري - (ج 4 / ص : 425)
(4) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون - (ج 2 / ص 179)
(5) موسوعة البحوث والمقالات العلمية - (ج / ص 3)

الدنيا من قلبه .

ـ وإذا تحقق الإحساس بالقيمة تغيرت نظرة الإنسان إلى ما حوله ، لأنه يكتشف حقيقة الدنيا فيشعر بضآلتها ، ويكتشف حقيقة الآخرة فيشعر بخطورتها ، فتكون نظرته للأشياء نظرة أخروية وليست نظرة دنيوية ، فمثلا إذا وقع بصره إلى نساء متبرجات فإنه يغض بصره ولا يكون تفكيره في زينتهن ولكن تفكيره في أن زينتهن فانية وهن أموات كجيف نتنة تحت التراب مثل مصير كل البشر ، وهن يلقون جزاء تبرجهن في الآخرة ، وكذلك لا ينظر إلى أصحاب الجاه والسلطان نظرة انبهار ولكن يتذكر أنهم صائرون إلى القبور ويتركون كل شيء ، وكذلك ينظر إلى الظلمة على أنهم ضعفاء مساكين وهم في النار يعذبون فيشفق عليهم في الدنيا وهم يوردون أنفسهم موارد الهلاك : ((إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ))[1] وهكذا ، وكذلك تتغير نظرته إلى الذنوب فيشعر بألم الذنب وأنه يحاسب عليه أمام الله : ((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي بيده فذبه عنه))[2] .

ـ من أثر انتشار عبادة المال انتشار الرشاوى والسرقات وعدم رد الأمانة والتفنن في طرق النصب و الغش واستغلال الآخرين والتطفل عليهم ، ويأكل الإنسان حقوق الآخرين في الميراث ، وصاحب العمل يأكل حقوق من يعملون عنده ، والمسئول يأكل حقوق من هم أقل منه في المرتبة ، وسرقات المال العام وسرقات أموال الناس وانتشار الواسطة والمحسوبية ، وكل من يجد فرصة يغتنم فيها ما لا سواء من حلال أو حرام فيكون حريصا عليها ، فيتكون عالم يتنافس على الدنيا والمال ، وبالكاد تكاد تجد رجلا أمينا لا يختلس ولا يغش لأن هذه الأمة مرضها الأول هو عبادة المال وفي الحديث : ((إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً وَفِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ))[3] ، وفي حديث آخر : ((ما أخاف على أمتي إلا ثلاثا شح مطاع وهوى متبع وإمام ضال))[4] ، وفي حديث آخر : ((إنكم سترون بعدي أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله فإني فرطكم على الحوض))[5] ، ومعلوم أنه لا يمر عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه فإذا كان هناك أثرة بعد الرسول (ص) فهي تزيد كل يوم عن الذي قبله ففي الحديث : ((لا يأتي عليكم عام ولا يوم إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم))[6] ، في حديث آخر : ((ليغشين أمتي من بعدي فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا يبيع أقوام دينهم <u>بعرض من الدنيا قليل</u>))[7] ، وفي حديث آخر : ((بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه <u>بعرض من الدنيا</u>))[8] ، ومعنى (عرض من الدنيا) أي المال وما يشتريه الإنسان بالمال .

ـ ومن أثر عبادة المال أن يأخذ الإنسان الشيء بسيف الحياء ويستغل الآخرين ويتطفل عليهم ويكره الخير لهم ويفرح في مصائبهم فقلبه مليء بالحقد والحسد والبغضاء ، ولا يريد الخير لغيره ، ويتمنى زوال النعمة من غيره ويفرح في مصائب الناس حتى يكون هو أعلى ، والحرص على الدنيا والخوف الشديد من الحسد أو من أي شيء من الممكن أن يسلب منه شيئا مما عنده من أمور الدنيا ، وكثرة الحديث عن أصحاب الأموال والثروات والانبهار بمدى الثراء الذي هم فيه وكيف وصلوا إلى هذه الثروة وتمني هلاكهم وزوال هذه النعم من عندهم ، والانشغال بتمني الوصول السريع والكبير إلى ثروة هائلة ، ويكون كل همه وكل شكواه من نقص المال وغلاء الأسعار وكل همه في التشاحن على الدنيا والتقاتل عليها من أجل دراهم معدودة ، والعكس صحيح فعدم التشاحن على الدنيا يجعل الإ

---

(1) الشعراء : 135
(2) حديث صحيح (مشكاة المصابيح ج : 2 ، برقم 2358)
(3) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم: 2148 في صحيح الجامع)
(4) حديث صحيح : (السلسلة الصحيحة : ج : 7 ، برقم 3237)
(5) تحقيق الألباني صحيح (صحيح الجامع برقم : 2452)
(6) تحقيق الألباني صحيح (صحيح الجامع برقم 7576)
(7) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 5460)
(8) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 487 ، برقم 2195)

إنسان هين لين ففي الحديث : ((حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس))[1] .

ـ ومن أثر عبادة الذات أن لا يكون الإنسان مهموما إلا بنفسه على قاعدة : (أنا وبعدي الطوفان) ، فهو لا يريد غير مصلحته ، ففي تفسير الوسيط : (((يَغْشَى طَائِفَةً مِنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُم) أي : ما يهم إلا هم أنفسهم ، لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم و المسلمين))[2] .

ـ ومن أثر عبادة الدنيا أن يكون كلام الإنسان بعيدا عن الكلمات الدينية فإذا حسبت عدد كلمات (الله) مثلا أو (الآخرة) مثلا أو أي حديث أو آية أو كلمة من كلمات القرآن والسنة والشرع على لسانه فلا تجد أو تجد قليلا جدا .

ـ المعاملات المادية وما يحدث فيها من أن يأكل الفرد مال غيره سواء في مشاركة في تجارة أو اقتراض مال من أحد أو غش في بيع أو شراء أو عدم رد الأمانة أو بخل شديد كل هذا يدل على تعلق المشاعر بالمال والدنيا وذلك أثر من عبادة الهوى ويكشف حقيقة ما بداخل الفرد .

ـ ومن أثر عبادة الهوى أن يكون حب الإنسان للمال أكبر من حبه للحسنات ، وحزنه على ضياع المال أو أي شيء من متاع الدنيا أشد من حزنه على ضياع الحسنات أو الوقوع في المعاصي أو التقصير في جنب الله ، ذلك لأن قيمة الدنيا في مشاعره أكبر من الآخرة وأكبر من الله !! ، رغم أنه في الاقتناع النظري فالله أكبر وأعظم والدنيا ضئيلة فانية ، وهذا إذا كان هناك شيء ولو ضئيل من حب الحسنات وحب تحصيلها ، فما بالك إذا لم يكن عنده أي حب حقيقي للحسنات مطلقا .

ـ من أحوال المحتضرين من يرفض أن يقول لا إله إلا الله ، وبدلا من ذلك يذكر شيئا من أمور الدنيا من الأموال أو التجارة أو الأولاد ... فلعل هذا من عبادة الدنيا .

ـ ومن أهم آثار عبادة الهوى هو شح النفس : ((وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))[3] ، وفي الحديث : ((ولا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم))[4] ، وحب الدنيا ، وحب ما في أيدي الناس ، وعدم محبة الخير للناس ولذلك ففي الحديث : ((لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ))[5] أي ما لا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره ، وما يتمناه لنفسه يتمناه لغيره ، فمن يفعل ذلك ؟! .

ـ عندما يتعلق الإنسان بمشاعره بالناس والحصول على متاع الدنيا تحدث أمراض القلوب من الحقد والحسد ويحدث سوء الأخلاق من البخل والشح ، كما تحدث الغيبة والنميمة ، وكل هذا يحدث بسبب التعلق بالناس ودنيا الناس وما يتشاحن عليه الناس من أعراض الدنيا وشهواتها .

ـ عدم وجود اليقين الحقيقي بالغيبيات عند أفراد المجتمع أو أكثرهم يؤدي إلى توجه المجتمع تجاه الدنيا والمادة والشهوات ، وتصبح القضايا العامة التي تهم الناس هي كيف يعيشوا حياتهم الدنيوية ويتمتعوا بها من التنافس على المال والنظر إلى عورات النساء والمظاهر والتلهي بهموم الحياة و الطعام والشراب .. الخ ، وتصبح المشاكل والهموم التي تشغل الناس كلها أمور دنيوية وكأن الآخرة ليست مشكلة ولا يحمل أحد لها هم ، وكأن الموت ليس بمشكلة ، وكأنه ليس أحدا مهيبا في السماء يهيمن على كل شيء ، وكأن الغيبيات لا تمثل أي مشكلة ، وعندئذ يكون رأي الإنسان ومزاجه وهواه وما يشتهيه هو المقياس الذي تقوم عليه الحياة .

ـ من أثر عبادة الذات أن تجد الإنسان معجب بنفسه ويرى في نفسه صفات وقدرات وكفاءات وخبرات وشهادات علمية وألقاب وممتلكات ومميزات غير موجودة عند غيره من الناس ، فتفكيره

---

(1) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 3135)
(2) الوسيط لسيد طنطاوي - (1 / 773)
(3) الحشر : من الآية 9
(4) قال الشيخ الألباني (صحيح) : (سنن النسائي ج : 6 ، ص : 14 ، رقم 3114)
(5) رواه البخاري (13)

وتصوره وإعجابه بمدى ما هو عليه من صفات ومميزات ، وتجد عنده مشاعر فياضة وانشغال الهم و البال تجاه مظهره أو مميزاته التي يتعالى بها عن الناس ، وتجده يعيش في دور أنه من الطبقة العليا في المجتمع ، ويظهر ذلك في طريقة كلامه وسلوكه ومظهره وعمله ، وهو مستمر على ما هو عليه لا يتراجع ولا يستطيع أن يوقفه أحد ولا يتعظ .

ـ إن الذي لا يشعر بخطورة الآخرة يصعب عليه أن يسامح أحدا ظلمه لأنه لا يشعر بمدي أنه يأخذ حقه يوم الدين ، كما أن الإنسان إذا شعر فعلا بالآخرة شعر بمدي قيمة الحسنات ونفعها فحرص عليها .

ـ أنظر إلى الآيات : ((وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ))[1] ، أنظر إلى العلاقة بين تطفيف الكيل والميزان وبين الإيمان باليوم الآخر ، فالآية تبين أنه لو كان هؤلاء يؤمنون فعلا بيوم القيامة ويشعرون بالحساب يوم الدين لما فعلوا ذلك .

ـ من أثر وجود الإيمان بالآخرة أن الإنسان عندما يسمع درس فيه شرح لما يحدث في الآخرة فإنه يتدبر ويستمع بحضور قلب لأن عنده إحساس بالقيمة لأهمية وخطورة ذلك اليوم فيتكون عنده تصور عن الآخرة يزيده إيمانا بها ، والعكس صحيح فمن أثر عدم وجود الإيمان بالآخرة أن الإنسان عندما يسمع درس فيه شرح لما يحدث في الآخرة فإنه يمل ولا يري في سماع الخطب الإسلامية فائدة أو جدوى منها : ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[2] ، ((وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ))[3] ، ((وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ))[4] ، ((وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُون ، وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ))[5] .

ـ من الناس من يمل من الحديث عن الموت أو الآخرة لأنه لا يشعر بخطورته وأنه مصيره ، وغدا سوف يفاجئون بيوم القيامة كأنها مفاجأة لم يكونوا يعرفونها ، أما الذي يشعر بالموت وخطره فهو دائما على باله وبالتالي على لسانه كثيرا ، وفي الحديث : ((أكثروا من ذكر هادم اللذات))[6] .

ـ مَنْ كان عنده فعلا شعور بالجنة فإنه لا يستعجل بالحصول علي متع الدنيا الضئيلة ويصبر لأنه قريبا جدا يصل إلى متع بلا حدود في جنات النعيم ، فإن كل من يريد المتع والشهوات ما عليه إلا أن يصبر ساعة ، فالدنيا صبر ساعة وبعدها يجد أعظم المتع والشهوات في جنات النعيم : ((إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))[7] .

ـ إن الذي ينظر إلى عورات النساء لو كان يشعر فعلا بوجود جنس آخر من النساء هن أجمل وأقرب لما نظر .

ـ إن الشخص الذي يعيش في غربة في بلد ما ليست قضيته أن يبحث عن الراحة والطعام والشراب ، فإنه ينتظر الراحة والطعام والشراب عند العودة إلى وطنه ، أما طعامه وشرابه ومكان نومه وعيشه في بلد الغربة فهو كيفما اتفق يرضي بأي شيء يؤدي الغرض ، فإن الذي يري أن طعامه إنما هو في ا

---

(1) المطففين : 1ـ 6
(2) الحج : 72
(3) الزمر : 45
(4) لقمان : 7
(5) التوبة : 124، 125
(6) رواه البخارى (إرواء الغليل برقم 682)
(7) الزمر : من الآية 10

لآخرة فإنه لا يهتم كثيرا بطعام الدنيا فهو كيفما اتفق ، وإنما هو يأخذ زاد المسافر ، وكذلك سكن الدنيا ومتطلباتها ، ففي الحديث : ((عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليه عمر وهو على حصير قد أثر في جنبه فقال يا رسول الله لو اتخذت فراشا أوثر من هذا فقال ما لي وللدنيا ما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب سار في يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة ثم راح وتركها))[1] ، وفي الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ مَرّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصّاً لَنَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ ، فَقُلْتُ خُصٌ لَنَا وَهَى نَحْنُ نُصْلِحُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : ((مَا أُرَى الأمر إلا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ))[2] ، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يقول : ((إنما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس وإنها أيام قلائل))[3] .

ـ عندما يكون الإنسان مشغولا بقضية فإنه يتحدث فيها ، فإذا جلس مجموعة من الميكانيكية فإنهم سوف يتحدثون عن السيارات ، وإذا جلس مجموعة من أصحاب مهنة معينة فيكون حديثهم حولها ، كذلك إذا جلس مجموعة من الناس وكان الله في بؤرة شعورهم ومحور حياتهم وهمهم فإن حديثهم تلقائيا يكون عن الله وذكره واليوم الآخر وأمور الإيمان ، كما أن الذي يحب شيئا يذكره كثيرا ، ومن كان الله على باله دائما فإنه يكثر من ذكره ، فصاحب الدين تكون اهتماماته دينية ويظهر ذلك في أعماله ، وصاحب الدنيا تكون اهتماماته دنيوية وتكون أكثر أعماله دنيوية ، فبقدر اليقين الحقيقي بعظمة الله بقدر ما تكون اهتماماته دينية ، وبقدر التزيين والغرور بقدر الدنيا تكون اهتماماته دنيوية ، فإذا غلب عيه اهتمامه بأمور الدنيا عن أمور الدين فلا يبالي الله في أي أودية الدنيا هلك .

ـ أثر عبادة شهوة النساء أن يكون أكثر كلام الإنسان يدور حول شهوة النساء سواء كان كلاما مباشرا أو غير مباشر أو إيماءات وأن يستحب الحديث مع النساء وينظر إلى عورات النساء ويسمع لأغاني العشاق ، وذلك لأن الهم الذي في رأسه هو شهوة النساء .

ـ أحلام الإنسان التي يحلم بها في المنام هي أثر من آثار الهموم التي هو مهموم بها ومتأثرا بها في حياته ، فإذا كانت همومه متعلقة بالأمور الإسلامية فتكون أحلامه كذلك ، وإذا كانت همومه متعلقة بالأمور الدنيوية فتكون أحلامه كذلك .

ـ من أثر الخوف والرجاء المسارعة في الطاعات : ((أَمّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخرة وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنّمَا يَتَذَكّرُ أُولُو الألْبَابِ))[4] ، إن الذي يجعله قَانِتٌ آنَاءَ اللّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً هو أنه عنده شعور بالخوف والحذر من الآخرة وشعور بالرجاء في رحمة الله تعالي .

****

ـ كيف تتطور المعاصي لتزيل الإحساس بالقيمة !

ـ مفهوم تطور المعاصي لتزيل الإحساس بالقيمة :

ـ المعاصي كالكذب والغش والخداع والسرقة كلها مخالفة لفطرة الإنسان والناس يكرهونها بفطرتهم حتى قبل أن يعرفوا الدين ، فالإنسان بفطرته يترك المعاصي ، فإذا فعل المعاصي تعطلت فطرة الإ نسان ، فلو أنك أحضرت جهاز من الأجهزة الكهربية مثلا واستعملته خطأ ، فبعد عدة مرات يتعطل الجهاز ويتوقف عن العمل ، فقد تتكسر التروس مثلا لأنه تسير في عكس الإتجاه التي هي مصممة له ، فكذلك الإنسان الطبيعي الحي العاقل يفعل ما ينفعه ويبتعد عن ما يضره ، وهو يعرف أن ما ينفعه هو الطاعات وما يضره هو المعاصي لذلك فهو يفعل الطاعات ، فوظائفه الطبيعية تؤدي إلى الطاعات ، فإذا سار الإنسان عكس الإتجاه الطبيعي ففعل المعاصي فإن وظائف الإنسان تتعطل شيئا فشيئا

---

(1) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب برقم 3283)
(2) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن ابن ماجة ج : 2 ، ص : 1393 ، برقم : 4160)
(3) سير أعلام النبلاء (ج : 11 ، ص : 215) ، وفي صفوة الصفوة (ج : 2 ، ص : 345)
(4) الزمر : 9

حتى تتعطل نهائيا وتتوقف عن العمل ، وتعطيل وظائف الإنسان هو الران أو غياب الإحساس بـ القيمة .

ـ وفي إحياء علوم الدين : ((ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلوب وعند ذلك يعمى القلب عن إدراك الحق صلاح الدين ويستهين بأمر الآخرة ويستعظم أمر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها. فإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أذن ولم يستقر في القلب ولم يحركه إلى التوبة والتدارك أولئك " يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور " وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن والسنة))[1] .

ـ والطاعات وترك المعاصي هى غذاء الروح ، فإذا منع عن القلب غذائه يظل يضعف حتى يموت ، ويقول الشاعر :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

ـ الأدلة على أن المعاصي قد تؤدي إلى غياب الإحساس بالقيمة (الران أو الطبع إلى القلب) :

ـ ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[2] ، ((أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ))[3] .

ـ جاء في الحديث : ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ (كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)))[4] ، وفي حديث آخر : ((تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا لا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ـ قَالَ أَبُو خَالِدٍ فَقُلْتُ لِسَعْدٍ يَا أَبَا مَالِكٍ مَا أَسْوَدُ مُرْبَادًّا قَالَ شِدَّةُ الْبَيَاضِ فِي سَوَادٍ ..))[5] ، وقال حذيفة : ((إن الإيمان يبدو في القلب لمظة بيضاء فكلما إزداد العبد إيمانا إزداد قلبه بياضا فلو كشفتم عن قلب المؤمن لرأيتموه أبيض مشرقا وإن النفاق يبدو منه لمظة سوداء فكلما إزداد العبد نفاقا إزداد قلبه سوادا فلو كشفتم عن قلب المنافق لوجدتموه أسود مربدا))[6] ، فقد يبدو الكذب مثلا كلمظة سوداء فكلما إزداد العبد نفاقا إزداد قلبه سوادا حتى يصير إلى وقوع في النفاق الأكبر ، فقد كان عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ : ((لا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَتُنْكَتُ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ كُلُّهُ فَيُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[7] ، وفي الحديث : ((إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا ، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا))[8] .

ـ وفي تفسير الخازن : (((ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى) ... وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين أن حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون))[9] .

---

(1) إحياء علوم الدين : (ج 2 / ص 215)
(2) المطففين : 14
(3) الأعراف : 100
(4) قال الشيخ الألباني : حسن (جامع الترمذي ج : 5 ، ص : 434 ، برقم 3334)
(5) رواه مسلم (386)
(6) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير : (ج : 15 ، ص : 283)
(7) موطأ الإمام مالك (ج : 1 ، ص : 385 ، رقم 1831)
(8) رواه البخاري (6161)
(9) تفسير الخازن ـ موافق للمطبوع - (5 / 204)

ـ معاصي القلوب تتطور لتزيل الإحساس بالقيمة وتصبح عبادة للهوى :

ـ معاصي القلوب هي صور من تعلق مشاعر الإنسان بالدنيا وأمورها ، كالحسد والحقد وحب الشهوات .. الخ ، والإنسان الحي الفطري يرى الدنيا ضئيلة فلا يحسد ولا يحقد ولا يحب الشهوات ، لأن حقيقة الشهوات أنها ضئيلة فلا ينخدع بزينتها وأن الشهوات فيها ضرر له يوم القيامة ، والإنسان الفطري يبتعد عن ما يضره ، كما أن الشيء الضار لا يمكن أن يحبه أحد ، فلا يستطيع أحد أن يحب شهوات الدنيا ولكنه يستحبها ، أي يتنع حبها ، فمثلا هناك فرق بين البكاء والتباكي ، فالإنسان إذا أخذ يدفع نفسه نحو حب الشهوات فهو يسير عكس اتجاه فطرته فتتعطل وظائفه فيصبح كالميت لا يحب شيئا ولا يكرهه ، وما يقع فيه هو أنه يستحب وليس يحب : ((ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ))[1] ، ((الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ))[2] ، ((وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا العَمَى عَلَى الهُدَى))[3] ، ((إِنِ اسْتَحَبُّوا الكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ))[4] .

ـ لذلك فالكافر والمنافق هو في حقيقته غير مقتنع بما يعمله من كفر أو نفاق ، ولا يحب ما يعمله : ((بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ))[5] ، ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ))[6] .

ـ ومن ناحية أخرى فإن معاصي القلوب وحب الشهوات نية المعاصي تتطور لتصبح عبادة للهوى :

ـ فمثلا نية الرياء (شعور متعلق بالمظاهر) تكبر حتى تصبح عبادة للمظاهر ، فإن تاب الإنسان أي عدل عن هذا الشعور والميل تجاه هذا الشيء من حظوظ الدنيا ولم يستمر في الرياء صقل قلبه وانصلح ، وان استمر في الرياء تكبر نية الرياء حتى تصير عبادة للهوى إذا أصبح يعيش من أجل المظاهر ، ولذلك فالرياء يسمى شرك أصغر وقد يكبر حتى يصير شركا أكبر ، ولذلك فالمعاصي تجر بعضها إلى بعض لأن المشاعر المتعلقة بالدنيا تكبر ما لم يتب الإنسان ، وعدم التوبة ليس شركا ولكن الأثر الناشئ عنها قد يصل إلى عبادة الهوى : ((وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ))[7] ، فالخطر هو الأثر الناشئ من المعاصي على القلب (المشاعر) وليس المعاصي ذاتها حيث تزداد المشاعر بصورة تراكمية من أثر المعاصي : ((كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ))[8] ، ولذلك في قوله تعالى : ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ))[9] ، فليست القضية الأساسية هي ذات المعصية ولكن ما اكتسبه القلب ، وفي قوله تعالى : ((لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ))[10] فليست القضية الأساسية هي ذات الطاعة ولكن ما اكتسبه من التقوى في القلب .

ـ ولذلك الإنسان الذي يسرق أو يأخذ الرشاوى هو يفعل ذلك لأنه يحب المال ، فإذا لم يتب فيزيد حبه للمال حتى يصل إلى عبادة المال ، وكذلك الذي يزني فهو يحب الشهوات ، فإذا لم يتب فيزيد حب الشهوات حتى يصبح عبادة للشهوات .

---

(1) النحل : 107
(2) إبراهيم : 3
(3) فصلت : 17
(4) التوبة : 23
(5) الزخرف : 22، 23
(6) البقرة :170
(7) الحجرات : من الآية 11
(8) المطففين : 14
(9) البقرة : من الآية 225
(10) الحج : من الآية 37

ـ وكذلك الذي ينظر إلى عورات النساء فكلما نظر كلما إزداد إنشغال همه ومشاعره وأهدافه بالشهوات وربما يظهر أثر ذلك في حديثه فيتبين أن قضيته التي تشغل دماغه هي شهوات النساء ، وطبيعة الا ختبار الذي خلقنا من أجله هو ألا نترك مشاعرنا وهمومنا تمتلأ بالشهوات ((وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا))[1] .

ـ وبالمثل قد يتحول النفاق الأصغر (النفاق العملي) إلى نفاق أكبر ، فالمؤمن قد يكون فيه شعبة من شعب النفاق الأصغر ثم تزيد فيصبح فيه كل شعب النفاق الأصغر (نفاق أصغر خالص) ثم تزيد إلى أن تصل إلى نفاق أكبر ، ففي الحديث : ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر))[2] ، فالحديث يبين أن النفاق الأصغر يكبر ليتحول إلى نفاق أصغر خالص . ا

ـ وكلما شاهد الإنسان صور العاريات وأفلام الفاسقين وهم يزنون ونظر وتتبع عورات النساء واستمع إلى الأغاني التي تزيد من مشاعر الشهوة فكل ذلك يزيد من تعظيم قيمة شهوة النساء ويزيد من انشغال مشاعره وهمومه وأهدافه بشهوة النساء فيقترب الإنسان من صنم شهوة النساء ويظل ذلك إلى أن يصبح أكبر مشاعره متعلقة بشهوة النساء والجماع (أي أكبر من مشاعره المتعلقة بـالله والآ خرة (وذلك إذا كانت مشاعره وهمومه وأهدافه المتعلقة بـالله والآخرة موجودة أصلا !!) فيقع الإ نسان عندئذ في عبادة صنم الجماع وشهوة النساء (صنم عبادة الفرج) ، لذلك فخطورة النظر والا ستماع لما يثير شهوة النساء أنه يجعل الإنسان يقترب من ذلك الصنم ، ولذلك فقد فرض الله الحجاب وحرم النظرة .

ـ ومثلا إذا وصل حب إنسان لزوجته رغم أن ذلك حلالا ومشروعا ولكن إذا وصل ذلك الحب إلى أن يكون أكبر حبه ومشاعره (وعندئذ لا يكون الله أكبر حبه ، أي يكون حبه لزوجته أكبر من حبه لله (وذلك إن كان حب الله موجودا أصلا عنده) فيقع في عبادة الهوى ، والدليل واضح من قوله تعالى : ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ))[3] .

ـ ومن ناحية أخرى فإن حب الشهوات والمعاصي يجعل الإنسان يتجاهل أنها حرام ويتجاهل عقوبتها في الآخرة ثم يزداد الأمر فيتجاهل الله والآخرة (يتناسى الله والآخرة) .

ـ التذكر والتفكر في أمور الدنيا وشغل الهم بالحديث عنها يؤدي إلى حب الدنيا ، والتذكر والتفكر في أمور الآخرة والغيبيات وشغل الهم بالحديث عن ذلك يؤدي إلى تحقيق الإيمان وزيادته ، فتصور الشيء يزيد من قيمته في النفس ، والعكس صحيح فتجاهل الشيء وتناسيه وعدم تذكره يجعل الإ حساس بقيمة ذلك الشيء معدوما ، فمثلا الذي يظل يتابع ويحلل مباريات الكرة تزيد قيمة وأهمية قيمة الكرة عنده .

****
*****

ـ اختبار التلهى !

ـ تصور لو أن هناك رجلا كان عالما بكل أمور الدنيا والدين ، ويعمل بكل أمور الدنيا والدين ، ويعلم الناس كل أمور الدنيا والدين ، ولكن هناك شيء واحد فقط لم يعمله وهو أنه ترك قلبه ميتا ليس فيه إحساس بقدر الله والآخرة وبالتالي لم يتحقق عنده اليقين الحقيقي بـالله والآخرة ، فهذا الرجل رغم كل ما عنده من علوم الدنيا والدين ورغم كل ما يعمله من أمور الدنيا والدين ورغم أنه يعلم الناس كل أمور الدنيا والدين فهذا الرجل رغم ذلك قد وقع في النفاق الأكبر ، فكل ما عنده من علم

---

(1) الشمس : 7 ـ 10
(2) تحقيق الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 889 في صحيح الجامع . ا
(3) البقرة : من الآية 165

وعمل بأمور الدنيا والدين تشاغل به عن إحياء قلبه بالإحساس بالقيمة لإيجاد اليقين الحقيقي بالله والآخرة : ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا))[1] ، ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً))[2] .

ـ وتصور لو أن رجلا ارتكب من المعاصي ما لا حصر له ، ولكن قلبه حي فيه اليقين الحقيقي بالله وا لآخرة ، فإنه يكون من الفائزين يوم القيامة ويخلد في جنات النعيم ، ففي الحديث : ((إن الله سيخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون ؟ ، فيقول لا يا رب ، فيقول أفلك عذر ؟ ، فيقول لا يا رب ، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك ، فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فإنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة و البطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء))[3] ، وفي حديث آخر : ((عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا اسمه عبد الله يلقب حمارا كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله))[4] ، فيرجى لمن حقق التوحيد أن الله عز وجل يغفر له ما دون ذلك من الذنوب والعيوب .

ـ **معنى التلهى** :

ـ الأعمال الدنيوية هي الأكل والنوم والتكاثر والمظاهر والترفيه والسعى لهذه الأمور ومعرفة العلوم الدنيوية وعمارة الأرض وأمور التسلية وممارسة الهوايات مثل مشاهدة التلفاز ومتابعة مباريات الكرة والسمر مع الأصحاب والرحلات وغير ذلك ، وكذلك التفكير في الأمور الدنيوية هو من أهم الأ عمال الدنيوية ، وهذه الأعمال يقوم بها الحيوان أيضا ولكن بصور متناسبة مع طبيعة تكوينه ، ف الحيوان يأكل وينام ويتكاثر ويلهو ويلعب ويقوم بأعمال تهيئ له المسكن وتيسر له المعيشة : ((وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ))[5] .

ـ لقد خلق الله العقل للإنسان ليستخدمه في التدبر والتفكر لمعرفته وليستخدمه في أمور دينه ، ولكن من الناس من يقوم بحشو عقله بأمور الدنيا وعلوم الدنيا وما يسرق الوقت فيلهيه ذلك عن معرفة الله تعالى .

ـ الإنسان قد يقتل وقته ويضيعه حتى لا يعطى عقله فرصه للإحساس بالقيمة لعظمة الله وخطورة ما هو مقبل عليه من أمور الآخرة ، ويظل يتلهي ويقتل وقته حتى يضيع عمره ويأتيه لحظة الموت : أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ [التكاثر : 1 ، 2] ، وتتحول حياة الإنسان إلى نوع من الهروب عن الإحساس بالقيمة حتى لا يستمع للداعي ، فيتلهى بالدنيا وينشغل تفكيره بها حتى يموت ، فيكون كما تعيش البهيمة تأكل وتشرب وتنام وتتزوج وتنجب وتذهب وتعود ثم تموت ! .

ـ فالإنسان إما أن يعيش حياة الهارب من الله المتغافل عنه كأنه لم يسمع عنه ، وذلك بأن يتلهى عن الله بالدنيا ، فهو يتلهى ويتشاغل : ((مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ، لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ))[6] ، وإما أن يعيش حياة السير إلى الله .

---

(1) الكهف : 103 - 105
(2) الغاشية : 2 - 4
(3) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 1776 في صحيح الجامع)
(4) التخريج : صحيح (مشكاة المصابيح ج : 2 ، برقم : 3625)
(5) الأنعام : 38
(6) الأنبياء : من الآية 2،3

ـ والعجيب أن الشيطان عندما يجد الإنسان يسير في اتجاه الدين ولا يستطيع صرفه عنه ، فيلجأ بشغله بالأعمال الدينية عن معرفة الله حتى ينسى الله وتبقى الأعمال الدينية معزولة عن معرفة الله فيكون من الأخسرين أعمالا : ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا ً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً))[1] .

ـ الأعمال الدنيوية هي في حقيقتها لعب ولهو ولا ينبغي أن تلهي عن ذكر الله ، فالشيطان قد يضخم ل لإنسان قيمة هذه الأعمال فيزينها له ، وقد يعمل الإنسان أعمالا من أعمال الدنيا أو من أعمال الإسلام أو أعمال من إختراع الإنسان فيزينها له الشيطان لدرجة أنه يعيش لها فتلهيه عن تحقيق روح الدين (تحقيق اليقين ومشاعر الإيمان) : ((تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))[2] ، ((قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُ زَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأ َرْضِ وَلأُ غْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلا ّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ))[3] ، ((كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ))[4] ، ويظل الإنسان مطمئنا إلى أنه بخير طالما عنده اليقين ولا يدري أنه يقين نظري فقط وليس بيقين حقيقي .

ـ من شغل همه بالآخرة فقد شغل همه بشيء واحد فقط ، ولكن من شغل همه بالدنيا فقد فتح على نفسه آلاف الهموم فهذه هي طبيعة الدنيا ، فكلما دخل من باب وجد أبواب أخرى كثيرة ، ويظل تتشعب به الهموم حتى يهلك ، ففي الحديث : ((من جعل الهم هما واحدا كفاه الله هم دنياه ومن تشعبته الهموم لم يبال الله في أي أودية الدنيا هلك))[5] ، فطبيعة الدنيا عبارة عن متاهة كلما سرت في طريق وجدت طرقا أخرى فدائما يستجد لك فيها هموم أخرى وآمال أخرى ومتاعب أخرى ، ففي الحديث : ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسط الخط خطا وخط خارجا من الخط خطا وحول الذي في الوسط خطوطا فقال هذا بن آدم وهذا أجله محيط به وهذا الذي في الوسط الإنسان وهذه الخطوط عروضه إن نجا من هذا ينهشه هذا والخط الخارج الأ مل))[6] أي يموت ولا يزال عنده تمني وآمال لم تتحقق ، فيظل الشيطان يلهيه حتى يموت .

ـ فالتلهي بالدنيا يؤدي إلى الانشغال عن الآخرة كأنها ليست مهمة ، فتكون نظرة الإنسان للآخرة مثل نظرته لأي شيء غير مهم أو أي شيء لا ينفع ولا يضر ، فيفقد اليقين الحقيقي بالآخرة .

ـ جاء في تفسير ابن كثير : (((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) .... يقول تعالى آمرًا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرًا لهم بأنه مَن إلتَهَى بمتاع الحياة الدنيا وزينتها عما خُلِقَ له من طاعة ربه وذكره ، فإنه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة))[7] ، وذكر الله هو عكس نسيان الله ، أي لا يجب أن تكون الأموال والأولاد سببا لنسيان الله وغياب الإحساس بالله والآخرة .

ـ فالدنيا عبارة عن حياة كاذبة وليست حياة حقيقية ، لأن الحياة الحقيقية هي في الآخرة ، فالدنيا ليست إلا لعب ولهو ، فالكرة الأرضية عبارة عن ملعب والناس عليها هم لاعبون وما يفعله الناس عليها من أمور الدنيا هو لعب ولهو ، فالدنيا حياة عارضة مؤقتة ومرحلة قصيرة ، والاختبار هو هل يوقن الإنسان بأن أعمال الدنيا هي لعب ولهو ، أم يوقن بأنها الحياة ؟ ، فهذه الحياة التي نعيشها ليست بحياة !! : ((وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ

---

(1) الكهف : 103 ، 104
(2) النحل : 63
(3) الحجر : 40
(4) النمل : 4
(5) حديث حسن (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم : 3170)
(6) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 635 ، برقم 2454)
(7) تفسير ابن كثير - (ج 8 / ص 133)

كانُوا يَعْلَمُونَ))[1] .

ـ الأعمال التي ليس فيها نفع أو ضرر أو التي فيها نفع أو ضرر ضئيل جدا يطلق عليها لعب أو تلهي ، لأن اللعب والتلهي هو للتسلية فقط ، والدنيا لا قيمة لها بالنسبة للآخرة ، بل إنها ليست بحياة .

ـ فالتلهي هو الانشغال بأمور الحياة ومشاغلها والأعمال الروتينية والعادات والتقاليد وسائر أعمال الدنيا كالطعام والشراب والنوم والذهاب للعمل والزواج والتعليم وتربية الأبناء والشراء والبيع وأمور التسلية والترفيه وما اعتاد عليه الناس وتعارف من أعمال في المناسبات ومشاكل الحياة وغير ذلك ، ويكون التفكير في الآخرة والاهتمام بها أمر مؤجل أو موقوف مؤقتا أو مهمل لأنه منشغل بالدنيا ، ويظل هكذا حتى يموت الإنسان ، فتمر عليه سنوات عمره وهو دائم التفكير في الدنيا وعنده طول أمل في الدنيا ، فوقت الإنسان ومشاغله الدنيوية تملأ عليه حياته ، وتظل الدنيا تسرق منه عمره وهمه ومشاعره وأهدافه حتى يموت ، وخاصة مع زيادة مشاغل الحياة في العصر الحديث عن العصور القديمة فيظل يشغل ذلك كل همه حتى يفاجئ بلحظة يذهب فيها للقاء الله تعالى لم يكن قد حمل لها هما أو تفكر فيها واستعدت لها نفسه .

ـ والتلهي معناه انشغال الإنسان عن إحياء قلبه بتحقيق الإحساس بالقيمة من خلال التفكر والتذكر مع حضور القلب والانشغال عن تحقيق مشاعر الإيمان من خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع .

ـ وهذا التلهي قد يكون بأعمال دنيوية أو بأعمال دينية دون إحياء القلب أو تحقيق مشاعر الإيمان

ـ فالتلهي معناه تكبير حجم مشاغل الحياة وأمورها ، أي التزيين لمشاغل الحياة ومخترعات الإنسان من أشياء مادية أو معنوية وأمور اللّهو واللعب ، وبالتالي الإنشغال بها والتلهي بها ، وكذلك تكبير حجم أمور الدين فيما دون معرفة الله وتحقيق اليقين على حساب معرفة الله وتحقيق اليقين .

ـ معنى التلهي في اللغة : ((في قوله تعالى لاهيةً قلوبُهم أي مُتشاغِلةً عما يُدْعَوْن إليه وهذا من لَها عن الشيء إذا تشاغل بغيره يَلْهَى ومنه قوله تعالى فأَنتَ عنه تلَهّى أي تتشاغل))[2] .

ـ واللّهو هو ما يفعله الأطفال : ففي الحديث : ((سألت ربي أن لا يعذب اللاهين من ذرية البشر فأعطانيهم))[3] ، ((قال أبو عمر : إنما قيل للأطفال اللاهين لأن أعمالهم كاللّهو و اللعب من غير عقد ولا عزم من قولهم لهيت في الشيء أي لم أعتقده كقوله { لاهية قلوبهم }))[4]

ـ وفي تفسير البغوي : ((قوله تعالى : { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ } اللّهو هو: الاستمتاع بلذات الدنيا، واللعب: العبث، سميت بهما لأنها فانية. { وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ } أي: الحياة الدائمة الباقية، و"الحيوان" : بمعنى الحياة، أي: فيها الحياة الدائمة ، { لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } فناء الدنيا وبقاء الآخرة ، يقوم بها الإنسان في العمل للكسب وفي إعداد الطعام وفي اشباع شهوة الجوع بـ الطعام واشباع شهوة الجماع مع الزوجة وفي تدبير أمور الدنيا للأبناء وغير ذلك ، كل هذه الأعمال لا بد منها وفي نفس الوقت هي اختبار))[5] .

ـ في تفسير فتح القدير : ((قوله : { ألهاكم التكاثر } أي : شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد ، والتفاخر بكثرتها ، والتغالب فيها ... وقال الحسن : معنى ألهاكم : أنساكم))[6] فإن المال وأمور الدنيا تلهي الإ نسان وتنسيه الله والآخرة والطاعة .

ـ وفي تفسير البيضاوي : (({ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرحمن } يتعام ويعرض عنه لفرط اشتغاله بـ

(1) العنكبوت : 64
(2) لسان العرب ـ لابن منظور ـ دار صادر – بيروت : [جزء 15 - صفحة 258]
(3) تحقيق الألباني (حسن) [صحيح الجامع برقم 3592]
(4) التذكرة للقرطبي : [جزء 1 - صفحة 591]
(5) تفسير البغوي - (ج 6 / ص 255)
(6) تفسير فتح القدير - (ج 8 / ص 52)

المحسوسات وإنهماكه في الشهوات))[1] .

ـ وفي تفسير القرطبي : ((قوله تعالى : (لاهية قلوبهم) أي ساهية قلوبهم ، معرضة عن ذكر الله ، متشاغلة عن التأمل والتفهم ، من قول العرب : لهيت عن ذكر الشيء إذا تركته وسلوت عنه))[2] .

ـ وفي تفسير القرطبي : ((ومعنى { يلعبون } أي يلهون وقيل : يشتغلون فإن حمل تأويله على اللهو احتمل ما يلهو به وجهين : أحدهما : بلذاتهم ، الثاني : بسماع ما يتلى عليهم ، وإن حمل تأويله على الشغل احتمل ما يتشاغلون به وجهين : أحدهما : بالدنيا لأنها لعب كما قال الله تعالى : { إنما الحياة الدنيا لعب ولهو } [محمد : 36] ، الثاني : يتشاغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه قال الحسن : كلما جدد لهم الذكر استمروا على الجهل))[3] .

ـ وفي تفسير النسفي : (({ ذَرْهُمْ } أمر إهانة أي اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم { يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ } بدنياهم { وَيُلْهِهِمُ الأمل } ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمان { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } سوء صنيعهم ، وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدي إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين))[4] فالقضية في الأصل ليست عدم اقتناعهم النظري وإنما انشغلوا عن الإيمان وتركوه كأنه أمرا ليس معروضا عليهم وكأنهم لم يسمعوا عنه ، كما ورد نسيان الآخرة بمعنى ترك الإيمان بها أي إهمال الأمر دون النظر فيه وليست مسألة عدم الاقتناع النظري بها .

ـ وفي تفسير البيضاوي : (({ ولكن مّتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ } بأنواع النعم فاستغرقوا في الشهوات { حتى نَسُواْ الذكر } حتى غفلوا عن ذكرك أو التذكر لآلائك والتدبر في آياتك))[5] .

ـ وفي تفسير فتح القدير : (({ ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر } وفي هذا ما يدل على أنهم هم الذين ضلوا السبيل ولم يضلهم غيرهم والمعنى : ما أضللناهم ولكنك يا رب متعتهم ومتعت آباءهم بالنعم ووسعت عليهم الرزق وأطلت لهم العمر حتى غفلوا عن ذكرك ونسوا موعظتك والتدبر لكتابك والنظر في عجائب صنعك وغرائب مخلوقاتك))[6] .

ـ وفي أيسر التفاسير للجزائري : (({ أذهبتم طيباتكم في حياتكم } : أي يقال لهم أذهبتم طيباتكم باشتغالكم بملذاتكم في الدنيا ، { واستمتعتم بها } : أي تمتعتم بها في الحياة الدنيا))[7] .

ـ في تفسير قوله تعالى : ((تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، وَجَمَعَ فَأَوْعَى))[8] في تفسير الرازي : ((فقوله : { أَدْبَرَ وتولى } إشارة إلى الإعراض عن معرفة الله وطاعته ، وقوله : { وَجَمَعَ فَأَوْعَى } إشارة إلى حب الدنيا ، فجمع إشارة إلى الحرص ، وأوعى إشارة إلى الأمل ، ولا شك أن مجامع آفات الدين ليست إلا هذه))[9] .

وفي تفسير البغوي : (({ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } يعني : أمر معاشهم ، كيف يكتسبون ويتجرون ، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون ، وكيف يبنون ويعيشون ، قال الحسن : إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي { وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ

(1) تفسير البيضاوي - (ج 5 / ص 163)
(2) تفسير القرطبي - (ج 11 / ص 268)
(3) تفسير القرطبي [جزء 11 - صفحة 237]
(4) تفسير النسفي - (ج 2 / ص 133)
(5) تفسير البيضاوي - (ج 4 / ص 396)
(6) تفسير فتح القدير - (ج 4 / ص 97)
(7) أيسر التفاسير للجزائري - (ج 4 / ص 74)
(8) المعارج : 17 ، 18
(9) تفسير الرازي - (ج 16 / ص 29)

هُمْ غَافِلُونَ } ساهون عنها جاهلون بها ، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها))[1] .

ـ وفي الحديث : ((إن الله يبغض كل جعظري جواظ سخاب في الأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بالدنيا جاهل بالآخرة))[2] وهو يعمل طوال النهار بأمور الدنيا دون الآخرة فهو لذلك كالحمار لا يدري حقيقة ما يعمل .

ـ وفي تفسير الكشف والبيان : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا (محله رفع على الابتداء) يَتَمَتَّعُونَ (في الدُّنيا) وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الا ْنعَامُ (ليس لهم همّة إلا ّ بطونهم ، وفروجهم ، وهم لاهون ساهون عمّا في غدهم))[3] ، وفي تفسير بحر العلوم : (({ والذين كفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ } يعني : يعيشون بما أعطوا في الدنيا ، { وَيَأْكُلُونَ كمَا تَأْكُلُ الانعام } ليس لهم هَمٌ إلا ّ الأكل ، والشرب ، والجماع))[4] ، وفي تفسير الجلالين : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ" فِي الدُّنْيَا "وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُل الْأَنْعَام" أَيْ لَيْسَ لَهُمْ هَمّ إلَّا بُطُونهمْ وَفُرُوجهمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إلَى الْآخِرَة))[5] .

ـ وفي تفسير بحر العلوم : (({ ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ } يقول : اتركهم ، وخلّ عنهم يا محمد في الدنيا . يأكلوا ، ويتمتعوا؛ يأكلوا كالأنعام ، ويتمتعوا بعيشهم في الدنيا ، لا تهمهم الآخرة ولا يعرفون ما في غد { وَيُلْهِهِمُ الامل } يعني : يشغلهم الأمل الطويل عن الطاعة ، وعن ذكر الله تعالى . ويقال يشغلهم طول الأمل عن الطاعة ، وعن ذكر الأجل { فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } وهذا وعيد لهم أي يعرفون ما نزل بهم من العذاب والشدة يوم القيامة))[6] .

ـ والمال قد يجعل الإنسان ينشغل عن تحقيق الإيمان بالله ، ففي تفسير زاد المسير : ((قوله تعالى : { أما من استغنى } قال ابن عباس : استغنى عن الله وعن الإيمان بماله))[7] ، وفي تفسير البحر المحيط : (({ أما من استغنى } : ظاهره من كان ذا ثروة وغنى . وقال الكلبي : عن الله ، وقيل : عن الإيمان بالله ، قيل : وكونه بمعنى الثروة لا يليق بمنصب النبوة ، ويدل على ذلك أنه لو كان من الثروة لكان المقابل : وأما من جاءك فقيراً حقيراً))[8] .

ـ مفهوم اختبار التلهي :

ـ أي يتشاغل الإنسان عن أصل ما هو مطلوب منه بما هو دونه ، وأصل ما هو مطلوب منه هو تحقيق اليقين الحقيقي بالله والآخرة ، وكل شيء غير ذلك قد يجعله الإنسان سببا للتشاغل عن تحقيق اليقين الحقيقي بالله والآخرة سواء كان ذلك من أمور الدنيا أو الدين ، سواء كان ذلك حلالا أم حراما .

ـ فالله جعل الإنسان في حاجة إلى المال والأولاد وأمور الحياة ، وطالبه بالعمل للكسب وبتربية أولاده وطالبه بأمور تختص بصلته بالناس وأمور الدنيا ، وطالبه أيضا بفرائض الدين وأوامره ، وفي نفس الوقت طالبه ألا يشغله كل ذلك عن تحقيق اليقين الحقيقي بالله والآخرة ، فهذه الأمور التي يطلبها الله من الإنسان هي اختبار ليرى الله هل ستشغله عن الله أم لا : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ))[9] .

ـ الأعمال الدنيوية والدينية قد تكون سببا للإنشغال عن تحقيق اليقين وقد تكون سببا

(1) تفسير البغوي - (ج 6 / ص 262)
(2) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 1878 في صحيح الجامع)
(3) الكشف والبيان - (ج 9 / ص 31)
(4) بحر العلوم - (ج 4 / ص 151)
(5) تفسير الجلالين - (ج 10 / ص 68)
(6) بحر العلوم - (ج 2 / ص 441)
(7) تفسير زاد المسير - (ج 6 / ص 122)
(8) تفسير البحر المحيط - (ج 10 / ص 434)
(9) المنافقون : 9

لزيادة اليقين ! :

ـ الهدف من الأعمال الدنيوية أنها تعين على الأعمال الدينية فهي وسيلة ، فتحصيل المال من اجل أن يعينك على العبادة ، ففي الحديث : ((إن الله قال إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة))[1] ، وبالتالي يعين الإنسان على أن يقوم بعبادة التفكر بحضور قلب ليحقق اليقين الحقيقي بالله والآخرة أو يزدادا يقينا وإيمانا .

ـ والله أعطى الإنسان النعم لكي يتعرف منها على الخالق ويحبه ولكن بدلا من ذلك تشاغل بها عن الله والآخرة ، فبدلا من أن تكون سببا لهدايته جعلها هو سببا للخسران ففي تفسير أبي السعود : (((وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) حتى نسوا الذكر أي غفلوا عن ذكرك أو عن التذكر في آلائك والتدبر في آياتك فجعلوا أسباب الهداية بسوء أختيارهم ذريعة إلى الغواية))[2] .

ـ الأعمال الدينية وأوامر الله وفرائضه تزيد من يقين الإنسان وتزيد من إيمانه ، ولكن البعض قد ينشغل بها عن تحقيق اليقين فتكون سببا لهلاكه ، ويكون من الأخسرين أعملا .

ـ أمثلة للأعمال الدنيوية والدينية التى قد تكون سببا للانشغال عن تحقيق اليقين وقد تكون سببا لزيادة اليقين ! :

1ـ إنجاب الذرية وجمع المال :

ـ قد يظل الإنسان منشغلا بالمال والأولاد وجمع الدنيا حتى يأتيه اليوم الذي يموت فيه ، ففي الحديث : ((عن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال يقول ابن آدم مالي مالي ، قال وهل لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟))[3] ، ومعنى (حتى زرتم المقابر) أي حتى دفنتم فيها ، وفي تفسير أضواء البيان : ((قوله تعالى : {كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ}، أي : لو تعلمون علم اليقين لما {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}))[4] ، وفي تفسير ابن كثير : (({ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن : 15] أي : الإقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشفقة المفرطة عليهم))[5] .

ـ وقد يكون المال والبنون عونا على الطاعة ، وكل إنسان يعلم قصده ونيته ، ويعلم هل ذلك يشغله عن الله أم يزيد من يقينه .

2ـ الطموحات الدنيوية :

ـ قد ينشغل الإنسان بعمل مشاريع تدر عليه ربحا ، وقد يزداد إشغاله بالتجارة حتى يضيع كل عمره ووقته وهمه في التجارة ، فقد تكون التجارة سببا يعينه ويتقوى به على عبادة الله ويستعف به عن السؤال ، وقد تكون سببا لشغله عن الله وعدم تفكره وتدبره وعدم تحقيقه لليقين ، فتكون سببا لهلاكه ، وكل إنسان أدرى بنفسه .

ـ والطموحات والأهداف الدنيوية لا تنتهي ، وقبل أن يتحقق هدف يستجد هدف آخر ، وقد يظل الإنسان كذلك حتى يموت ، فيقول تعالى : ((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا **وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ** فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))[6] ، وفي تفسير البحر المديد : (({ وتركتم ما خولناكم } أي : تفضّلنا به عليكم من الدنيا فشُغلتم به عن

---

(1) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 1781 في صحيح الجامع)
(2) تفسير أبي السعود - (6 / 209)
(3) التخريج : صحيح (مشكاة المصابيح ج : 3 ، برقم : 5169)
(4) أضواء البيان - (1 / 41)
(5) تفسير ابن كثير - (ج 5 / ص 161)
(6) الحجر : 3

الآخرة ، { وراء ظهوركم }))[1] .

ـ فيظل الإنسان في طول أمل في الدنيا كلما حقق أملا استجد آخر ويظل يتخبط يشتري ويبيع لما يظن أنه يحقق له السعادة ويذهب ويأتي ويموت دون أن يحقق السعادة التي كان ينشدها .

3ـ مشاهدة مباريات الكرة :

ـ قد يقصد الإنسان اللهو المباح حتى يستعيد نشاطه في الطاعة ، وقد يشغل ذلك الأمر وقته وعمره ومشاعره ، فقد تجده عندما يشاهد مباراة كرة فإنه يشاهد بتركيز وانفعال ، وقبل المباراة في ترقب وانتظار وقلق لأن الأمر خطير في نظره ، وأثناء المباراة تحدث انفعالات من الفرح والضيق والحزن و الملل والغضب والترقب ، وبعد المباراة منشغل بتحليل الأمر ، ومباراة ثانية وثالثة ورابعة حتى يضيع غالب عمر الإنسان ، ورغم أن الآخرة أخطر من هذا ، والسباق إلى الآخرة هو مباراة أشد وأنت لاعب فيها ، لكنها لا تنال هذا الانفعال .

4ـ مشاهدة التلفاز :

ـ قد يشاهد الإنسان التلفاز للتسلية أو متابعة قضايا وأمور الدنيا والدين فيكون ذلك عونا له على أمر دينه ، وقد يمكث الإنسان غالب عمره أمام التلفاز فيشغله ذلك عن العمل على إحياء قلبه وتحقيق اليقين ومشاعر الإيمان حيث يضيع وقته وعمره وهمه في التلهي بذلك .

5ـ شهوة النساء والطعام والشراب :

ـ قضاء الإنسان شهوته مع زوجته له بها أجر فهي طاعة من الطاعات ، وكذلك الطعام والشراب ليستعين على الطاعة ، لكن هذه الشهوة وهذا الطعام والشراب ليس قضيته في الحياة وليس كل همه ، فهناك من ينشغل بالشهوة سواء كانت حلالا أم حراما حتى تشغله عن الله تعالى ، وفي تفسير البغوي : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ } في الدنيا ، { وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ } ليس لهم همة إلا بطونهم وفروجهم ، وهم لاهون ساهون عما في غد))[2] .

ـ وربما تجد من الناس من كل همه في الطعام والشراب مما يشتهي وفي جلب ألوان الطعام والشراب وفي فنون الطهي خاصة عند بعض النساء .

ـ ومن الناس مَنْ يعيش من أجل أن يأكل ويشرب ويتمتع فيكون ذلك هدفه وغايته وأمله في الحياة فهذا يعيش كالبهائم : ((وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعام وَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ))[3] ، ((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ))[4] .

6ـ التغلب على مشاغل الحياة :

ـ التلهي بحل مشكلات الحياة ومشاكل الناس ، كالفقر ومشاكل الزواج رفع الظلم واقامة العدل .. الخ .

ـ قد يحسب الإنسان لكل شيء في الدنيا ألف حساب وعنده طول أمل في تحقيق أمر دنيوي هنا وآخر هناك ويزداد التفكير والهم بأمور الدنيا ، فهو يتدبر ويتفكر ويستذكر ويحلل ويناقش في أمور الدنيا التي هي صلة الناس بالناس وصلة الناس بالأشياء من حولهم ، لكنه لا يتدبر صلة الناس بـ الخالق فلا يتفكر في الغيبيات .

ـ وعندما يموت الإنسان لن يسأله الملكين عن ما أحدث من إنجازات وبطولات في الأعمال الدنيوية سواء في بطولات رياضية أو أبحاث علمية أو أنه استطاع أن يتغلب على غلاء المعيشة ويكافح من

---

(1) البحر المديد - (ج : 2 ، ص : 175)
(2) تفسير البغوي - (ج 7 / ص 281)
(3) محمد : من الآية 12
(4) الحجر : 3

أجل البقاء أو أنه استطاع أن يوفر له ولأسرته الحياة الكريمة أو أنه استطاع التغلب على المشاكل و الصعوبات التي تعرض لها أو أنه استطاع أن يضيع وقته في أمور الحياة ... الخ حيث أضاع عمره في هذه الأعمال الدنيوية التي ألهته عن الانشغال بمعرفة الله والصلة به ، ولكن يسأله الملكان ثلاثة أسئلة هي من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ ، فإذا كان يعرف ربه ودينه ونبيه معرفة حقيقية فسوف يجيب .

ـ وأنت تجد أن قضية الحب والزواج عند بعض الناس وفي الأفلام والمسلسلات والأغاني يجعلون تلك القضية هي الشاغل الأكبر والهم الأكبر والتي تستحوذ كل المشاعر أو أكبر المشاعر والأهداف وهذا هو الخطر ، فينبغي أن يكون معرفة الله وتحقيق اليقين به هو أكبر القضايا .

ـ ومن الأعمال الدنيوية التفكير في المشاكل الدنيوية وأخبار الناس ... الخ وشغل الذهن بالهوايات وما شابه .

ـ وقد يتغلب الإنسان على مشاكل الحياة باعتبار أنها معوقات تعوقه على تحقيق اليقين والصلة ب الله ، وكل إنسان يعلم هل مشاكل الحياة تشغله عن الله أم أن السعي لحلها ييسر للإنسان القرب من الله ليحقق اليقين .

7ـ دفع الأعداء والظالمين :

ـ من محبة الإنسان لله أنه يريد لكل الناس أن يحبون الله تعالى ، فإذا رأى أحدا لا يحب الله تعالى تألم له وأراد أن يخرجه مما هو فيه إلى محبة الله تعالى ، ففي ذلك زيادة في محبة الإنسان لله ، وقد يحدث العكس فينشغل الإنسان بدفع من لا يحب الله عن محبته لله ، لذلك فالشيطان يريد أن يشغلك بمعاداة العدو على حساب محبتك لله ، ففي تفسير البحر المديد : ((الاستعاذة الحقيقية من الشيطان هي الغيبة عنه في ذكر الله أو شهوده ، فلا ينجح في دفع الشيطان إلا الفرار منه إلى الرحمن . قال تعالى : { ففروا إلى الله } ، فإن الشيطان كالكلب ، كلما اشتغلت بدفعه قوي نبحه عليك ، فإما أن يخرق الثياب ، أو يقطع الإهاب ، فإذا رفعت أمره إلى مولاه كفه عنك ، وقد قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه : عداوة العدو حقًا هو اشتغالك بمحبة الحبيب حقا ، **وأما إذا اشتغلت بعداوة العدو ، فاتتك محبة الحبيب** ، ونال مراده منك))[1] .

8ـ اختراع قضية أو تكبير قضية موجودة وتضخيمها ليزداد الانشغال بها :

ـ فمثلا أراد رجل أن يضع برميل نظيف في الطريق به ماء حتى يشرب الناس منه ، ثم عين رجل ليسقي المارة وآخر ليقوم بملئ البرميل بالماء وثالث لحراسة البرميل ومثلهم في الفترة المسائية وآخر ليشرف عليهم ثم جعل منهم مجلس إدارة لإدارة أعمال البرميل وعين مشرفين لمتابعة أعمال مجلس الإدارة ونظم مواعيد لهم وبرامج وقوانين لتنظيم أعمال البرميل وانشغل بفض المنازعات بينهم وحل المشاكل ، فهكذا الدنيا لا تزيد عن أنها برميل ثم اخترع الناس لها أنظمة وأنظمة لتنظيم ا لأنظمة ! .

9ـ المظاهر :

ـ الإسلام يحث المسلم على أن يكون مظهره حسنا ، ولكن من الناس من يفرط في اهتمامه بمظهره إلى درجة أن يكون مظهره هو أكبر همومه ، وكذلك المرأة سواء المتبرجة أو المحجبة عندما يكون مظهرها هو أكبر همومها ، وكذلك من تتعلق مشاعره بالمنصب أو الجاه أو العائلة أو الافتخار بالمال أو الأولاد أو ..... الخ ، فكل ذلك قد يشغل هم الإنسان على حساب أن يكون له هم بالآخرة .

10ـ تعظيم قضايا دينية أو دنيوية لتشغل الذهن ، كقضية الزواج أو المشاكل العاطفية من خلال الأف لام أو الحوارات ... الخ ، فقد يكون ذلك سببا للانشغال عن أخطر قضية وهي إحياء القلب وتحقيق اليقين الحقيقي بالله والآخرة .

---

(1) البحر المديد - (ج 3 / ص 297)

11ـ الابتلاءات :

ـ هو أن الله أراد للإنسان أن يتعرض للسلب والعطاء ، فإما أن تسلب منه نعمة أو تعطى له نعمة وكلا هما ابتلاء فيقول تعالى : ((وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً))[1] ، فالإنسان إذا جاءته النعم قد ينشغل بها عن الله ويكون عابدا لهواه ، وكذلك الإنسان إذا سلبت منه النعم قد ينشغل بالبحث عن عودتها و البحث عن جلب المزيد منها فتشغله عن الله ويكون عابدا لهواه .

ـ فاختبار الابتلاءات يكون بالمنع أو العطاء بمعنى أن الله يعطيك نعم (يعطيك شهوات) أو يسلب منك نعم (يسلب منك شهوات) ليرى هل هذا المنع أو العطاء سيلهيك ويشغلك عن الله ، لأن نعم الدنيا من مال وغيره إذا كانت في نظرك كبيرة أمام نعيم الجنة فإنها سوف تلهيك وتشغلك عن الله وسوف تؤثرها في مشاعرك على الآخرة ونعيم الجنة ، وكذلك سلب نعم الدنيا من مال وغيره إذا كانت هذه النعم في نظرك كبيرة أمام نعيم الجنة فإنها سوف تلهيك وتشغلك في البحث عنها وتمنيها عن الله وسوف تؤثرها في مشاعرك على الآخرة ونعيم الجنة : ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ))[2] .

12ـ الدراسة :

ـ قد يقضي الإنسان معظم ساعات يومه لمدة عشرين عاما في المذاكرة ! ، سواء كانت علوم دنيوية أو دينية ، فقد يكون ذلك سببا في التلهي عن تحقيق مشاعر الإيمان ، وقد يكون تفكر في العلوم الطبيعية فتعرف على الله ، واستفاد من العلوم الدينية مع يقينه فازداد يقينه .

13ـ الصلة بالناس :

ـ الناس لن ينفعوك لا في الدنيا ولا في الآخرة فلا تفني نفسك من أجلهم ، فالعلاقات الدنيوية تزول ولن تنفع ، ويوم القيامة يتبرأ المرء من أخيه وأمه وأبيه وزوجته وكل الناس : ((يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ))[3] ، ((فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ))[4] ، ((لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ))[5] ، ومن علم أنه لن ينفعه أحد إنشغل بنفسه في حاله مع الله عن الانشغال بالناس ، وفي الحديث : ((واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس))[6] ، فيعيش غريبا بين الناس : ((كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل))[7] ، وانشغل بإرضاء الله ولم ينشغل بإرضاء الناس ففي الحديث : ((.. ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا لم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط))[8] ، فالذي ينفع هو الحب في الله والبغض في الله ، فلن ينفعك أحد ولن يضرك أحد ففي الحديث : ((.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك))[9] ، ومن علم ذلك تعامل مع الناس على أنهم كم مهمل (وهذا لا يمنع من احترامهم) فالله وحده هو النافع الضار ، فمن أيقن بذلك يقينا حقيقيا شعر بالسعادة النفسية .

---

(1) الأنبياء : من الآية 35
(2) الأنفال : 28
(3) عبس : 34 ـ 36
(4) المؤمنون : 101
(5) الممتحنة : 3
(6) تحقيق الألباني : (حسن) انظر حديث رقم : 73 في صحيح الجامع .
(7) السلسلة الصحيحة (1157)
(8) قال الشيخ الألباني : صحيح (سنن النسائي ج : 3 ، ص : 146 ، برقم : 1493)
(9) قال الشيخ الألباني : صحيح (جامع الترمذي ج : 4 ، ص : 667 ، برقم : 2516)

14ـ كسب المال :

ـ قد يعيش الإنسان عمره كله منشغلا بكسب المال ، رغم أن الإنسان ليست قضيته الرزق لأنه لم يخلق لذلك ، كما أن الذي يسرق مالا فإنما هو استعجل رزقه الذي كان سيأخذه حتما فلا ينبغي أن يتعلق قلبه بمسألة الرزق ، ولو لم يكن الله الرزاق لأتى العبد يوم القيامة وقال يا ربي انشغلت بجلب الرزق وغلاء المعيشة وأداء الحقوق عن معرفتك وعبادتك فتكون له حجة ، ولكن الله هو الرزاق فلا حجة لأحد بأن يعيش حياته في جلب الرزق .

ـ والآية واضحة تبين أن ما خلقنا الله من أجله هو العبادة وليس تحصيل الدنيا : ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ، مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ))[1] ، فمن الناس مَنْ يعيش حياته من أجل جلب الرزق ، أي تكون مشاعر الإنسان وهمومه وتفكيره وأهدافه وأمانيه مرتبطة بالرزق على حساب أن تكون متعلقة بالآخرة ، فالآية تعني أن الله يريد من الناس أن يعبدوه ولا يريد منهم أن يعيشوا لجلب الرزق كأنه عبادتهم التي خلقوا لها : ((وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ))[2] ، ولا حظ أن الرزق مفهومه واسع فإن تحصيل الرزق يعني تحصيل أي أمر فيه راحة أو نفع للإنسان ، وفي الحديث : ((إن الله تعالى يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإن لا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك))[3] ، وفي حديث آخر : ((يقول ربكم يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يدك رزقا ، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقرا وأملأ يدك شغلا))[4] ، وفي حديث آخر : ((لا تستبطئوا الرزق فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغه آخر رزق هو له فاتقوا الله وأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام))[5] ، وفي حديث آخر : ((إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله))[6] وفي حديث آخر : ((لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأ دركه رزقه كما يدركه الموت))[7] ، وفي حديث آخر : ((إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لا ينال ما عنده إلا بطاعته))[8] .

ـ ولو جعل الله الجنة لمن يجمع الدنيا لكان ذلك ظلما لأن هناك من يؤتى مالا كثيرا وآخرين لا يملكون ، كما أن الله غني لا يحتاج .

ـ فالدنيا عبارة عن سوق وكل الناس يتاجرون ، فهناك من تجارته هي العبادة وهناك من تجارته تحصيل الدنيا ، فلابد أن يشعر المؤمن بأنه يربح في تجارة رائجة من أجل الوصول إلى الجنة ، ولابد أن يكون شعوره بذلك أكبر من شعوره بتجارة الدنيا ، فإذا كان شعوره ومشاعره وهمومه وأهدافه المتعلقة بتجارة الدنيا أكبر من شعوره ومشاعره وهمومه وأهدافه المتعلقة بتجارة تحصيل اليقين الحقيقي والعمل بالطاعات وجمع الحسنات من أجل الآخرة فهذا وقوع في النفاق الأكبر .

ـ فمن الناس من بذلوا جهودا كبيرة وتعبوا تعبا شديدا على مدى سنوات طويلة من عمرهم من أجل جمع الدنيا وكان ذلك كل همهم أو أكبر همهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فيجعل الله كل هذا المجهود هباءا منثورا : ((وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا))[9] .

---

(1) الذريات : 56 ، 57
(2) سـبأ : 37
(3) حديث صحيح (صحيح الجامع برقم 1914)
(4) حديث صحيح (صحيح الترغيب والترهيب ج : 3 ، برقم 3165)
(5) صحيح الجامع (7323)
(6) صحيح الجامع (1630)
(7) تحقيق الألباني (حسن) [صحيح الجامع برقم 5240)
(8) تحقيق الألباني : صحيح (انظر حديث رقم : 2085 في صحيح الجامع) ا
(9) الفرقان : 23

ـ وقد يعمل الإنسان بكسب الرزق باعتبار أنه من العبادة وليس لنفسه ، فالقيام بهذى العمل يذكره ب الله بدلا من أن يشغله عن الله ، وكل إنسان أعلم هل عمله يشغله عن الله أو يذكره بـالله .

15ـ التكنولوجيا والتقدم العلمي :

ـ إن الله سبحانه يصف الكافرين بأنهم أغبياء : ((إِنّ شَرّ الدّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصّمُ البُكمُ الذِينَ لا يَعْقِلونَ))[1] رغم أن فيهم علماء وعباقرة في علوم الذرة والتقدم العلمي والتكنولوجي وعلوم الفلك ذلك لأنهم لم ينظروا إلى ما وراء ذلك التقدم العلمي وعلوم الفلك عن قدرة الخالق وتسخيره ل لأشياء عن قصد للإنسان والتعرف منها على الخالق سبحانه ، ومن ناحية أخرى أنهم جعلوا قيمة التقدم العلمي وقدره في مشاعرهم أكبر من قدر الله في مشاعرهم وأكبر من قدر الآخرة في مشاعرهم رغم أن هذا التقدم العلمي يزول بزوال الدنيا ، ورغم أن الإسلام يحث على هذا التطور و يعتبره ذو قيمة كبيرة ولكن بحجمه الحقيقي ، لكن عند البعض تكون قيمته في مشاعرهم وهمومهم وأهدافهم كبيرة ، فيلهيه هذا العلم الظاهري عن معرفة الله والآخرة والنظر إلى مصيره ، وهذا من الغباء .

ـ لذلك قد يكون الإنسان عالما من علماء الدنيا وذو عقل راجح لكنه غافل عن الآخرة فإنما هو في حقيقته كالحمار أو كالبهيمة لا يفقه حقيقة الأشياء .

ـ إذن فالقضية ليست في التقدم العلمي والتكنولوجيا والقيام بها ، ولكن القضية في غرور الإنسان أنه هو الذي صنع التكنولوجيا من باب أنه قوى وقادر وليس بضعيف ، فبدلا من أن يشعر بأن هذه التكنولوجيا هي تسخير الله له فهي نعم هائلة من الله على الإنسان وليس للإنسان فضل فيها ، وهي آيات عظيمة تدل على الخالق ، فـالله هو الذي جعل الأشياء تطيع الإنسان ليستخدمها في ما ينفعه ، وبدلا من أن يشعر بحب الله على هذه النعم والخضوع لقدرته في تسخيرها فإنه يشعر بأنه قوى لا يحتاج إلى الله : ((فَأمّا عَادٌ فَاسْتَكبَرُوا فِي الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَقالوا مَنْ أشَدُّ مِنّا قوّةً أوَلمْ يَرَوْا أنّ اللهَ الذِي خَلقهُمْ هُوَ أشَدُّ مِنْهُمْ قوّةً وَكانُوا بِآياتِنَا يَجْحَدُونَ))[2] .

ـ وقد أهلك الله الذين الذين تفاخروا بما عندهم من العلم والتكنولوجيا : ((وَكمْ أهْلكنَا قبْلهُمْ مِنْ قرْنٍ هُمْ أحْسَنُ أثاثاً وَرِئياً))[3] ، ((أوَلمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظرُوا كيْفَ كانَ عَاقِبَةُ الذِينَ مِنْ قبْلِهِمْ كانُوا أشَدّ مِنْهُمْ قوّةً وَأثارُوا الأرْضَ وَعَمَرُوهَا أكثرَ مِمّا عَمَرُوهَا))[4] ، ((فَلمّا جَاءَتْهُمْ رُسُلهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلمِ))[5] ، ((أتبْنُونَ بِكلِّ رِيعٍ آيَةً تعْبَثونَ ، وَتتّخِذُونَ مَصَانِعَ لعَلكمْ تخْلدُونَ))[6] .

ـ وكذلك التكنولوجيا إذا كانت ناشئة من شعور الإنسان كأنه خالد في الدنيا ، واهتمامه بأمور الدنيا اهتمام من هو خالد فيها كأن الدنيا هي دار إقامته ، ولذلك ففي تفسير الرازي : (({ وَتتّخِذُونَ مَصَانِعَ لعَلكمْ تخْلدُونَ } المصانع مآخذ الماء ، وقيل القصور المشيدة والحصون { لعَلكمْ تخْلدُونَ } ترجون الخلد في الدنيا أو يشبه حالكم حال من يخلد ، وفي مصحف أبي : (كأنكم) ، وقرأ (تخلدون) بضم التاء مخففاً ومشدداً ، واعلم أن الأول إنما صار مذموماً لدلالته إما على السرف ، أو على الخيلاء ، و الثاني : إنما صار مذموماً لدلالته على الأمل الطويل والغفلة عن أن الدنيا دار ممر لا دار مقر))[7] ، ولذلك فالمبالغة في الاهتمام بأمور الدنيا وتعظيم قدرها والمبالغة في محبتها فذلك من شعور الإ نسان كأنه خالد في الدنيا .

---

(1) الأنفال : 22
(2) فصلت : 15
(3) مريم : 74
(4) الروم : من الآية 9
(5) غافر : من الآية 83
(6) الشعراء : 128 ، 129
(7) تفسير الرازي - (ج 11 / ص 494)

16ـ الوقوع في الشهوات والمعاصي :

ـ إذا كانت الأعمال الدنيوية الحلال والأعمال الدينية قد تشغل الإنسان عن الله ، فمن باب أولى أن المعاصي والشهوات تشغل الإنسان عن الله أكثر ، والشهوات والمعاصي لا تؤدي إلا إلى البعد عن الله إلا إذا تاب الإنسان .

ـ من المسلمين من يأخذ من الدين كل شيء ما عدا تحقيق اليقين ! :

ـ قد يكون هناك مسلم بغير عقيدة ، أي بغير يقين حقيقي مع وجود اليقين النظري ، ويقوم بكل أعمال الدين ، فهو عندئذ وقع في النفاق الأكبر مع بقاءه مسلما في حكم الناس .

ـ إذا قارنا بين اليقين وكل ما سوى ذلك من أمور الدين ، لوجدنا أن اليقين أعظم وأهم بكثير من كل أمور الدين الأخرى مهما كثرت ، فمن أضاع اليقين فقد أضاع الدين .

ـ فاليقين الحقيقي هو الصلة الروحية بالله ، فهؤلاء أخذوا من الدين ما يختص بصلة الإنسان بما سوى الله من البشر والدنيا فأخذوا يعلجون مشاكل الظلم والفقر والمعاصي .. الخ ، متجاهلين الصلة الروحية بالله (اليقين الحقيقي) .

ـ فهؤلاء يأخذون من الدين ما يخص الدنيا وما يخص الجوارح فقط فتكون قضيتهم هي تحقيق الحقوق والواجبات ورفع الظلم وتحقيق العدل والمساواة وإعمار الأرض والمحافظة على البيئة وأمور الحلال والحرام والبيع والشراء والعمل والكسب والمعاملات وبخاصة ما يتعلق بالمال والطعام والشراب ومتع الدنيا المختلفة ، أما الدين الذي هو شعور بالآخرة وخوف منها وشعور بعظمة الله و الخوف منه والشعور بالخضوع له والتوكل عليه فهذا غير موجود عندهم فهم يتجاهلون ذلك ولا يعلمون أنهم يتجاهلون ذلك ويحسبون اليقين النظري أنه هو اليقين المطلوب من المسلم ، فهؤلاء الناس هم في الحقيقة لا يعرفون غير الدنيا ولا يعرفون الله ولا الآخرة فهم يعبدون الدنيا ويحبطون أعمالهم : ((قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا))[1] .

ـ وبتعبير آخر فهؤلاء يأخذون من الدين ما يتناول صلة الإنسان بالإنسان ، وصلة الإنسان بالدنيا ، ولا يأخذون ما يتناول صلة الإنسان بالله تعالى إلا فيما يتعلق بظاهر الأقوال والأعمال ، ويتناسون الصلة الروحية بين الإنسان والله ، والتي بها يدرك الإنسان وجود الله ويشعر بعظمته ، ويشعر بـ الخضوع له ، ويشعر بخطورة الآخرة ، فهم يتصورون أن الدين جاء من أجل الحياة الدنيوية وإصلا حها ، ولكن الدين جاء ليبين للناس أن هذه الحياة التي يرون أن فيها معيشتهم وإقامتهم وطعامهم وشرابهم ليست حياة للمعيشة ولا للإقامة ولا للطعام والشراب وإنما هي حياة مؤقتة عابرة للاختبار فقط ، وأن حياتهم الحقيقية ليست هنا وإنما في دار الآخرة ، فالدنيا مهما أصلحت فيها وقمت بعمارتها فهي دار مؤقتة وغير مصممة لتكون دار سعادة وإقامة مهما بذلت الجهود لتسعد فيها : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسان فِي كَبَدٍ))[2] .

ـ فهناك من تتعلق مشاعره بحسنة الدنيا أكبر من تعلق مشاعره بحسنة الآخرة ، رغم أنه يوقن بأن حسنة الدنيا ضئيلة زائلة ، وأن حسنة الآخرة (الجنة) هي الباقية ، فإذا دعوا الله وسألوه من أمور الدنيا تجد عندهم التضرع والانفعال والإخلاص والإكثار من الدعاء ، أما دعوا الله وسألوه من أمور ا لآخرة فلا تجد عندهم التضرع ولا الانفعال ولكن مجرد كلاما روتينيا قليلا لختم الدعاء مثلا ، ففي تفسير الطبري : (({ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخرة مِنْ خَلَاقٍ } ، قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه: فإذا قضيتم مناسككم أيها المؤمنون فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا، وارغبوا إليه فيما لديه من خير الدنيا والآخرة بابتهال وتمسكن، واجعلوا أعمالكم لوجهه خالصًا ولطلب مرضاته، وقولوا:" ربنا آتنا في الدنيا حَسنةً وفي الآخرة حَسنة وقنا عذاب النار"، **ولا تكونوا**

---

(1) الكهف : 103 ، 104
(2) البلد : 4

كمن اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فكانت أعمالهم للدنيا وزينتها، فلا يسألون ربهم إلا متاعها، ولا حظّ لهم في ثواب الله، ولا نصيبَ لهم في جناته وكريم ما أعدّ لأوليائه ، كما قال في ذلك أهل التأويل))[1] ، وفي تفسير الطبري : ((عن قتادة في قول الله :" فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق"، فهذا عبدٌ نوَى الدنيا، لها عملَ، ولها نصِب))[2] ، وفي تفسير بحر العلوم : (({ فَمِنَ الناس مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا في الدنيا } ، وهم المشركون كانوا يقولون إذا وقفوا : اللهم ارزقنا إبلا ً وبقراً وغنماً وعبيداً وإماءً وأموالا ً ، ولم يكونوا يسألون لأنفسهم التوبة ولا المغفرة ، فأنزل الله تعالى : { فَمِنَ الناس مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءاتِنَا في الدنيا } . { وَمَا لَهُ في الآخرة مِنْ خلاق } ، أي من نصيب))[3] ، وفي تفسير حقي : (({ فمن الناس } اى من الذين يشهدون الحج { من يقول } في ذكره مقتصرا على طلب الدنيا { ربنا آتنا في الدنيا } أى إيتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة من الجاه والغنى والنصرة على الأعداء وما هو من الحظوظ العاجلة وهم المشركون لأنهم لا يسألون في حجهم إلا الدنيا { وما له في الآخرة من خلاق } أى نصيب وحظ لأن همه مقصور على الدنيا حيث سأل في أعز المواقف أحقر المطالب وأعرض عن سؤال النعيم الدائم و الملك العظيم))[4] ، ((فَأَمَّا الْإِنسان إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ))[5] ، ((وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخرة ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ))[6] ، و في تفسير قوله تعالى : ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخرة إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[7] ، وفي تفسير ابن كثير ((عن ابن عباس في هذه الآية إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من الخاسرين وهكذا روي عن مجاهد و الضحاك وغير واحد وقال أنس بن مالك والحسن نزلت في اليهود والنصارى وقال مجاهد وغيره نزلت في أهل الرياء وقال قتادة من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ، وقد ورد في الحديث المرفوع نحو من هذا وقال تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وقال تعالى : من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب))[8] .

ـ ومن الناس من يكون الدين عنده هو مسألة علمية معرفية ، وأنه كلما كان له علم أكثر ومعرفة أكثر بعلوم الدين كلما كان أكثر التزاما بالدين ، ومن هؤلاء الناس علماء بالدين لكنهم لم يتحقق عندهم مشاعر الإيمان أو تحققت عندهم في بداية التزامهم ثم اختفت ، فهؤلاء مات فيهم الإيمان .

ـ إنك ترى بعض المناهج والجماعات وبعض الأشخاص والأفراد وبعض الدعاة تجده يتبنى قضية واحدة من قضايا الدين ويكبرها ويضخمها ويهولها حتى يُظن أنها الدين كله وليست هي الدين كله

---

(1) تفسير الطبري - (ج 4 / ص 201)
(2) تفسير الطبري - (ج 4 / ص 202)
(3) بحر العلوم للسمرقندي - (ج 1 / ص 168)
(4) تفسير حقي - (ج 1 / ص 438)
(5) الفجر : 16
(6) الحج : 11
(7) هود : 15 ، 16
(8) تفسير القرآن العظيم ـ اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ـ دار الفكر ـ بيروت : (ج : 2 ، ص : 440)

إنها جزء من الدين ، فليست الدعوة إلى الله هي الدين كله ، إن الدعوة هي جزء من الدين ، وليس طلب العلم الشرعي هو الدين كله ، إن العلم جزء من الدين وهو وسيلة وليس غاية ، وإقامة الأمة أو إقامة الدولة ليس هو الدين كله وإنما جزء من الدين ، فالدين كلٌ لا يتجزأ : ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ))[1] .

ـ وهناك من يقولون أننا خلقنا من أجل عمارة الأرض ، فهم يضخمون قدر هذا الأمر إلى هذا الحد ، و الصواب أننا خلقنا من أجل عبادة الله ، والعبادة تشمل كل شيء من العقيدة وأعمال القلوب وأعمال الجوارح ، وعمارة الأرض هي مجرد جزء من أعمال الجوارح الكثيرة جدا التي أمرنا الله بها .

ـ ومن الناس من يهتم بدعوة غيره على حساب إصلاح نفسه فيترك نفسه تضيع وينسى الله ويظل يدعو الناس ، والمفاجأة أنه يكتشف أنه لا أحد انتفع مما قال أو بالكاد القليل والله تعالى يقول : ((فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى))[2] ، لذلك لابد أن يكون شغل الإنسان الشاغل هو أن يعظ نفسه ويدعو نفسه ويهتم بنفسه لينجو بها يوم القيامة وبخاصة إذا كان في زمان القابض على دينه كالقابض على الجمر فضلا عن أن يدعو غيره .

ـ قد يفاجئ الإنسان يوم القيامة أن كثيرا من أعماله غير مقبولة وأن القليل النادر هو الذي قبل وربما كل أعماله لم تقبل ، كما قد يفاجئ بأن كل أو بعض صلته بأهله وأولاده وأصحابه وصلتهم به كانت صلة مصالح وليست صلة محبة في الله ، وقد يفاجئ بان أعمالا كثيرة عظيمة استغرقت سنوات طويلة من عمره وبذل فيها من وقته وجهده الغالي والنفيس يكتشف انه كان يحصد الهواء فلم يقبل منها شيء : ((وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ))[3] ، فقد ينشغل الإنسان بما عليه من واجبات لأهله عن الاهتمام بإصلاح نفسه .

ـ بعض الناس يظنون أن مشاعر الإيمان قد تتحقق ولا ينشأ عنها عمل :

ـ بعض الناس يرون أن المشكلة عند المسلمين هي في العمل وأن العقيدة موجودة عند الجميع وذلك ليس صحيحا ونوضح ذلك كالتالي :

ـ من المستحيل أن تتحقق مشاعر الإيمان من خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوع ثم لا ينشأ عن ذلك عمل أبدا ، والمشكلة أننا نظن أن مشاعر الإيمان سهلة التحقيق وموجودة عند أغلب الناس وهي في الحقيقة قد تكون غير موجودة ، والكثير ممن يدعون وجود هذه المشاعر في أنفسهم هو إدعاء كاذب ، وليس معنى وجود مشاعر الإيمان يؤدي إلى العمل أن لا يقع الإنسان في الذنوب ، فقد يقع الإنسان في جميع الذنوب ولكن عنده مشاعر الإيمان متحققة ولكنها عندئذ تكون ضعيفة ، كما أن هؤلاء الناس يعتبرون العمل هو أعمال معينة من الدين يعتبرون من لم يعملها كأنه لا يعمل .

ـ فهؤلاء يرون أن مشاعر الإيمان إما أنها موجودة بالفطرة حتى عند الكافر أو أنها موجودة عند أغلب الناس أو أن وجودها سهل وأن الأهم هو الانشغال بالعمل !! .

الخاتمة

ـ بعض الناس يكتفون بما عندهم من اليقين النظري بالله والآخرة ويعتبرون ذلك هو اليقين المطلوب منهم ، فلا يصح اليقين حتى يتحقق الإحساس بالقيمة لحقيقة ما يوقن به الإنسان وينشأ عن ذلك مشاعر متعلقة بالله والآخرة .

---

(1) الأنعام : 159
(2) الأعلى : 9
(3) الزمر : 47

ـ ولا يتحقق اليقين بالآخرة حتى يوقن الإنسان بأن الآخرة خير وأبقى من الدنيا ، فلا يتحقق اليقين الحقيقي بالآخرة حتى يزول تعظيم قيمة المال وقيمة الشهوات وقيمة الطعام والشراب في نظر الإ نسان ، وحتى تكون شهوات الجنة لها قيمة حقيقية في النفوس وقدر وأهمية .

ـ إن الإنسان الذي تشغله الدنيا عن تحقيق حب الله والخوف منه ورجاءه والخضوع له سوف يكون غدا مثل حاله الآن ، فالسنين تسرق عمره دون أن يدري والدنيا ستظل تشغله ، وسيبقى الوضع الذي هو عليه الآن كما هو بعد عشرين سنة ، فلابد أن توقف الآن انشغال مشاعرك بالدنيا ، وتسأل نفسك هل أنت مستعد الآن لو جاءك الموت للقاء الله ؟ .

ـ إن تصور لحظة واحدة من الحياة في القبر أو الحياة في الآخرة يجعل الإنسان ينسى الحياة الدنيا ، وبالتالي فالعاقل هو الذي يتجه تفكيره واهتمامه وتصوره ومشاعره إلى الحياة في الآخرة وليس الدنيا .

ـ نحن نعيش في هروب وتجاهل للموت وهروب وتجاهل للآخرة وهروب وتجاهل وتغافل عن الله ، وهذا الهروب وهذا التجاهل والتغافل لن يغير من حقائق الأمور شيء فالخطر قائم ونحن مقبلون عليه رضينا أم أبينا والأمر خطير وعظيم : ((قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ))[1] ، إنك مهما حاولت التغافل والهروب عن الحقيقة والمصير القادم ، فإنها أيام قصيرة وغدا اللقاء رضيت أم لم ترضي شعرت بذلك أم لم تشعر وقد سبقك الكثير إلى هناك ، فيجب عليك أن توقن بها يقينا حقيقيا ، فاحذر الوقوع في النفاق الأكبر ، فالقضية حاسمة وخطيرة ولا تحتمل التراخي ولكننا في غفلة ، وغدا تنتهي الحياة فماذا أنت صانع ؟! .

ـ إن هذا الكتاب هو تنبيه لكل مسلم لكي يراجع إيمانه بالله واليوم الآخر !! ، ورغم أن ذلك قد يبدو مستنكرا ومرفوضا من الجميع في البداية ولكن عندما يكتشف المسلم أن إيمانه بالله واليوم الآخر هو مجرد يقين نظري ولا وجود له في شعوره ومشاعره يعلم عندئذ أنه في حاجة إلى أن يراجع إيمانه بالله والآخرة ، والمشكلة أن الدعاة والناس يتعاملون مع الإسلام على أنه فقه ومعاملات فقط مطمئنين إلى أن اليقين بالله والآخرة أمر متحقق عند الجميع ولا يحتاج أحد للتعامل معه ، لذلك هذا الكتاب يبين أن أصل الخلل حادث في اليقين بالله والآخرة رغم الثقة التامة عند الجميع بوجوده عند جميع الناس !! ، وبالتالي فموضوع هذا الكتاب هو من أخطر ما يمكن ، وربما لا تجد هذا الموضوع مطروحا في كتب أخرى ، وبالتالي فهذا الكتاب هو رسالة هامة وعاجلة لكل مسلم لكي يراجع إيمانه بالله والآخرة وبالتالي يحذر الوقوع في النفاق الأكبر ، فينقذ نفسه قبل أن يأتي يوم لا ينفع فيه الندم .

ـ إن مجرد العلم بأن لنا خالقا فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا خاضعين للخالق ، وكذلك مجرد العلم بأن هناك آخرة فهذه ليست معلومة سهلة لأن معناها أننا نعيش حياتنا مترقبين ليوم المعاد ، ولكن لا يزال البعض يعيش في غيبوبة أو في غفلة وسكر لم يفق بعد إلى حجم الخطر الذي ينتظره ولا يدري بما هو صائر إليه بعد لحظات من الخطر العظيم .

ـ وبعد كل هذا الإيضاح في هذا الكتاب عن الإحساس بأن لك ربا وأن هناك آخرة ، فهناك من لا يريد أن ينتبه مهما ذكرته فليس له قلب يعي به الأشياء لأنه ميت : ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ))[2] ، وهذه وصيتي بالتفكر لمعرفة الخالق ومعرفة مدى قدرته وعلمه و التذكر لصفات الله وأمور الغيبيات مع حضور القلب حتى يتحقق اليقين الحقيقي بالله والآخرة : ((فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ))[3] .

ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

---

(1) صٓ : 67 ، 68
(2) قٓ : 37
(3) غافر : من الآية 44

الفهرس

ـ الفصل الأول : غياب الإحساس بالقيمة (موت القلب ـ الطبع على القلب)2

ـ الطبع على القلب أو موت القلب معناه غياب الإحساس بالقيمة :2

ـ مفهوم الموت والحياة :3

ـ مفهوم الإحساس بالقيمة :3

ـ ما هو المطلوب تحديدا حتى نكون موقنين ومؤمنين ؟ :13

ـ المعلومات أربعة أنواع :22
ـ مراحل التعامل مع المعلومات (دعوة الرسل) :23
ـ مفهوم الشك :27
ـ التكذيب يكون بطريقتين هما :27
ـ الإنسان الذى لم يحقق اليقين الحقيقى يعلم ذلك فى نفسه لكن لا يشعر بخطورة هذا الأمر :28

ـ الفصل الثاني : الإحساس بقدر الله (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)30

ـ الشعور بأن الله هو السميع البصير العليم الرقيب (الإحساس بالمراقبة) 36

ـ الشعور بأن الله هو المالك 36

ـ الفرق بين الاقتناع النظرى بالقضاء والقدر وبين الشعور والرضا به :41

ـ الشعور بأن الله هو المتكبر والعزيز والقوى 42

ـ الشعور بصفات الإنعام 47

ـ الشعور بأن الله وحده هو النافع الضار 50

ـ الفرق بين اليقين النظرى واليقين الحقيقى بأن الله هو الخالق والمالك والملك والمسيطر والمهيمن و القهار والجبار والمتكبر :51

ـ الشعور بأن الله هو القادر 52

ـ تحقيق الشعور بوجود الخالق 54

ـ عبادة الأسباب :63

ـ الفرق بين التصديق النظرى والتصديق الحقيقى بالحقائق العلمية :...

ـ الفصل الثالث : الإحساس بقدر الآخرة (الإحساس بموجبات خوف المهابة و

الحب)69

ـ الإحساس بخطورة السفر إلى الآخرة74
ـ الإحساس بالموت :74

ـ الشعور بالغربة (عدم الإطمئنان بالدنيا)87

ـ الإحساس بوجود الجنة (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب للجنة)88

ـ الإحساس بوجود النار (الإحساس بموجبات خوف المهابة والكراهية للنار)92

ـ الفصل الرابع : الإحساس بقدر الملائكة والقرآن والرسل (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)94

ـ أولا : الإحساس بوجود الملائكة معنا (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)94

ـ ثانيا : الإحساس بوجود كلام للخالق وإنزاله إلى الناس (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)96

ـ ثالثا : الإحساس بقيمة إرسال الوحى إلى بعض البشر (الإحساس بموجبات خوف المهابة والحب)98

ـ الفصل الخامس : خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب و الخضوع100

ـ أولا : الشعور بالخوف من مهابة الله وهول الآخرة والنار105

ـ ثانيا : الشعور بالخضوع111

ـ ثالثا : الشعور بلذة حب الله وحب الجنة116

ـ القسم الثانى : المشاعر المرتبطة بالثواب والعقاب (الخوف من العقاب والرجاء فى الثواب) :120

ـ عبادة الهوى123

ـ الأدلة على عبادة الهوى :125

ـ صور من عبادة الهوى128
ـ كل إنسان لابد له أن يعبد :134

ـ الإجابة على أسئلة القبر :135

ـ توحيد خوف المهابة والحب وخوف العقاب ورجاء الثواب والخضوع135

ـ شرط الإيمان غلبة المشاعر المتعلقة بالله على ما سواه وعلامة ذلك السعادة النفسية (حلاوة الإيمان) :137

ـ الفصل السادس : الشعور بضآلة الإنسان (الشعور بأن الشهوات لا تستحق خوف المهابة والحب)139

ـ الإحساس بقدر ضآلة شهوات الدنيا فى حد ذاتها142

ـ شهوات الدنيا ثلاثة أنواع (مثلث السعادة) :144

ـ أولا : الإحساس بضآلة شهوة المال فى حد ذاتها144

ـ ثانيا : الإحساس بضآلة شهوة النساء والطعام والشراب فى حد ذاتها147

ـ ثالثا : الإحساس بضآلة شهوة المظاهر فى حد ذاتها150

ـ لا يتحقق الإيمان حتى يزول تعظيم قيمة المال والطعام والشراب والشهوات من عقل وقلب الإنسان :154

ـ الفصل السابع : العلاقة بين الإحساس بالقيمة والعمل154

ـ صعوبة الاختبار157

ـ أثر الإحساس بالقيمة على النية والعمل161

ـ صور من أثر الإحساس بالقيمة على العمل164

ـ كيف تتطور المعاصى لتزيل الإحساس بالقيمة !167

ـ اختبار التلهى !169

ـ معنى التلهى :170

الخاتمة180